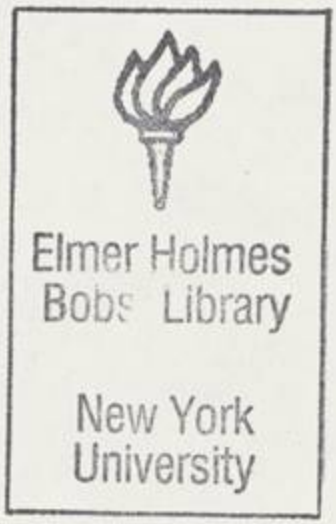
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

al-Tabari, 838-923.
"Jami' al-bayan /

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء التاسع والعشرون

الطبعة الثانية
١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

2238 117

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

BP
130
.4
.T3
1954
v.29-30
c.1

JUL 25 2013

2238 117

فهارس الجزء التاسع والعشرون

من جامع البيان لمحمد بن جرير الطبرى

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة الملك	
١	تبارك الذى بيده الملك . . .	١
٢	الذى خلق الموت والحياة . . .	١
٣	الذى خلق سبع سموات طباقا . . .	٢
٤	ثم ارجع البصر كرتين . . .	٢
٥	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح . . .	٣
٦	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم . . .	٤
٧	إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا . . .	٤
٨	تكاد تَميَز من الغيظ . . .	٤
٩	قالوا بلى قد جاءنا نذير . . .	٤
١٠	وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل . . .	٥
١١	فاعترفوا بذَنبهم . . .	٥
١٢	إن الذين يخشَون ربهم بالغيب . . .	٦
١٣	وأسرُّوا قولكم أو اجهرا به . . .	٦
١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .	٦
١٥	هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا . . .	٦
١٦	أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم . . .	٧
١٧	أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم...	٧
١٨	ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف ...	٨
١٩	أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات . . .	٨
٢٠	أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم . .	٨
٢١	أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك . . .	٩
٢٢	أفمن يمشى مُكبا على وجهه أهدى . . .	٩
٢٣	قل هوالذى أنشأكم وجعل لكم السمع ..	١٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	قل هو الذى ذَرَأكم فى الأرض . . .	١١
٢٥	ويقولون متى هذا الوعد . . .؟	١١
٢٦	قل إنما العلم عند الله . . .	١١
٢٧	فلما رأوه زُلْفة سيئت وجوه . . .	١١
٢٨	قل أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى ...	١٢
٢٩	قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا . . .	١٣
٣٠	قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غَوْرا . . .	١٣
	تفسير سورة نٓ	
١	نٓ . والقلم وما يسطرون :	١٤
٢	ما أنت بنعمة ربك بمجنون .	١٤
٣	وإن لك لأجرا غيرَ ممنون :	١٤
٤	وإنك لعلى خلق عظيم .	١٨
٥	فستبصر ويُبصرون :	١٨
٦	بأيِّكم المفتون :	١٨
٧	إن ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله . . .	١٨
٨	فلا تطع المكذبين .	٢١
٩	ودُّوا لو تُدْهِن فيُدهِنون :	٢١
١٠	ولا تطع كل حلاف مَهِين .	٢١
١١	هَمَّاز مَشَّاء بنميم .	٢١
١٢	مَنَّاع للخير معتدٍ أثيم .	٢٣
١٣	عُتُلٍّ بعد ذلك زَنيم .	٢٣
١٤	أن كان ذامال وبنين .	٢٧
١٥	إذ اتتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين .	٢٧
١٦	سنسمه على الخُرطوم .	٢٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٧	إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة . . .	٢٩
١٨	ولايستثنون .	٢٩
١٩	فطاف عليها طائف من ربك . . .	٣٠
٢٠	فأصبحت كالصريم .	٣٠
٢١	فتنادَوا مصبحين .	٣١
٢٢	أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين .	٣١
٢٣	فانطلقوا وهم يتخافتون .	٣١
٢٤	أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين .	٣١
٢٥	وغدوا على حَرْد قادرين .	٣١
٢٦	فلما رأوها قالوا إنا لضالون .	٣٤
٢٧	بل نحن محرومون .	٣٤
٢٨	قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون .	٣٤
٢٩	قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين .	٣٥
٣٠	فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون .	٣٥
٣١	قالوا : يا ويلنا إنا كنا ظالمين .	٣٥
٣٢	عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها . . .	٣٦
٣٣	كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر ...	٣٦
٣٤	إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم .	٣٦
٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين .	٣٦
٣٦	مالكم كيف تحكمون .	٣٦
٣٧	أم لكم كتاب فيه تدرسون .	٣٧
٣٨	إن لكم فيه لما تخيرون .	٣٧
٣٩	أم لكم أيمان علينا بالغة . . .	٣٧
٤٠	سلهم أيهم بذلك زَعيم .	٣٧
٤١	أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم	٣٧
٤٢	يوم يُكْشَف عن ساق ويُدْعون ...	٣٨
٤٣	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذِلة . . .	٣٨
٤٤	فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث . . .	٤٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٥	وأُمْلِى لهم إن كيدى متين .	٤٣
٤٦	أم تسألهم أجرا فهم من مَغْرم مُثْقلون .	٤٤
٤٧	أم عندهم الغيب فهم يكتبون .	٤٤
٤٨	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب...	٤٤
٤٩	لولا أن تداركه نعمة من ربه . . .	٤٤
٥٠	فاجتباه ربه فجعله من الصالحين .	٤٥
٥١	وإن يكاد الذين كفروا لَيُزلقونك . . .	٤٥
٥٢	وما هو إلا ذكر للعالمين .	٤٥

سورة الحاقة

١	الحاقة .	٤٧
٢	ما الحاقة .	٤٧
٣	وما أدراك ما الحاقة .	٤٧
٤	كذبت ثمود وعاد بالقارعة .	٤٧
٥	فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية .	٤٨
٦	وأماعاد فأُهْلِكوا بريح صرصرٍ عاتية .	٤٨
٧	سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حُسُوما .	٤٨
٨	فهل ترى لهم من باقية .	٤٨
٩	وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات ...	٥٢
١٠	فعصَوا رسول ربهم ، فأخذهم أخذة رابية .	٥٢
١١	إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية .	٥٢
١٢	لنجعلها لكم تذكرة وتَعيَها أذن واعية .	٥٢
١٣	فإذا نُفِخ فى الصور نفخةٌ واحدة .	٥٦
١٤	وحُمِلت الأرض والجبال . . .	٥٦
١٥	فيومئذ وقعت الواقعة .	٥٦
١٦	وانشقتِ السماء فهى يومئذ واهية .	٥٧
١٧	والملك على أرجائها ويحمل . . .	٥٧
١٨	يومئذ تُعرضون لا تخفَى منكم خافية .	٥٧
١٩	فأما من أُوتى كتابه بيمينه . . .	٦٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٠	إنى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه .	٦٠
٢١	فهو فى عيشة راضية .	٦١
٢٢	فى جنة عالية .	٦١
٢٣	قُطُوفها دانية .	٦١
٢٤	كلوا واشربوا هنيئا . . .	٦١
٢٥	وأما من أُوتى كتابه بشماله . . .	٦٢
٢٦	ولم أدر ماحسابيَه .	٦٢
٢٧	ياليتها كانت القاضية .	٦٢
٢٨	ما أغنَى عنى ماليهْ .	٦٢
٢٩	هلك عنى سلطانيهْ .	٦٢
٣٠	خذوه فغُلُوه .	٦٢
٣١	ثم الجحيمَ صلُّوه .	٦٢
٣٢	ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعافاسلكوه...	٦٢
٣٣	إنه كان لا يؤمِن بالله العظيم .	٦٢
٣٤	ولا يَحضُّ على طعام المسكين .	٦٤
٣٥	فليس له اليوم هاهنا حَميم .	٦٤
٣٦	ولا طعام إلا من غِسْلين .	٦٤
٣٧	لا يأكله إلا الخاطئون .	٦٤
٣٨	فلا أقسم بما تبصرون .	٦٥
٣٩	وما لا تبصرون .	٦٥
٤٠	إنه لقول رسول كريم .	٦٥
٤١	وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون .	٦٥
٤٢	ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون .	٦٥
٤٣	تنزيل من رب العالمين .	٦٦
٤٤	ولو تقوَّل علينا بعضَ الأقاويل .	٦٦
٤٥	لأخذنا منه باليمين .	٦٦
٤٦	ثم لقطعنا منه الوَتين .	٦٦
٤٧	فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين .	٦٧
٤٨	وإنه لتذكرةٌ للمتقين .	٦٧
٤٩	وإنا لنعلم أن منكم مكذبين .	٦٨
٥٠	وإنه لحسرة على الكافرين .	٦٨
٥١	وإنه لحق اليقين .	٦٨
٥٢	فسبح باسم ربك العظيم .	٦٨
	سورة المعارج	
١	سأل سائل بعذاب واقع .	٦٩
٢	للكافرين ليس له دافع .	٦٩
٣	من الله ذى المعارج .	٦٩
٤	تعرج الملائكة والروح إليه . . .	٦٩
٥	فاصبر صبْرا جميلا .	٦٩
٦	إنهم يرونه بعيدا .	٧٢
٧	ونراه قريبا .	٧٢
٨	يوم تكون السماء كالمُهْل .	٧٢
٩	وتكون الجبال كالعِهْن .	٧٢
١٠	ولا يَسأل حميما حميما .	٧٢
١١	يُبَصَّرونهم ، يودّ المجرم . . .	٧٢
١٢	وصاحبته وأخيه .	٧٤
١٣	وفصيلته التى تُؤويه .	٧٤
١٤	ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه .	٧٤
١٥	كلا إنها لَظَى .	٧٥
١٦	نزاعة للشوَى .	٧٥
١٧	تدعو من أدبر وتولى .	٧٥
١٨	وجمع فأوعى .	٧٥
١٩	إن الإنسان خلق هلوعا .	٧٨
٢٠	إذا مسه الشر جزَوعا .	٧٨
٢١	وإذا مسه الخير منوعا .	٧٨
٢٢	إلا المصلِّين .	٧٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٣	الذين هم على صلاتهم دائمون .	٧٨
٢٤	والذين فى أموالهم حق معلوم .	٨٠
٢٥	للسائل والمحروم .	٨٠
٢٦	والذين يصدقون بيوم الدين .	٨٠
٢٧	والذين هم من عذاب ربهم مشفقون .	٨٠
٢٨	إن عذاب ربهم غير مأمون .	٨٠
٢٩	والذين هم لفروجهم حافظون .	٨٣
٣٠	إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ...	٨٣
٣١	فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون .	٨٣
٣٢	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .	٨٤
٣٣	والذين هم بشهاداتهم قائمون .	٨٤
٣٤	والذين هم على صلاتهم يحافظون .	٨٤
٣٥	أولئك فى جنات مكرمون .	٨٤
٣٦	فما للذين كفروا قبلك مُهطِعين .	٨٤
٣٧	عن اليمين وعن الشمال عِزِين .	٨٤
٣٨	أيطمع كل امرئ منهم . . .	٨٤
٣٩	كلا إنا خلقناهم مما يعلمون .	٨٤
٤٠	فلا أقسم برب المشارق والمغارب . . .	٨٧
٤١	على أن نبدل خيرا منهم . . .	٨٧
٤٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا . . .	٨٧
٤٣	يوم يخرجون من الأجداث . . .	٨٨
٤٤	خاشعة أبصارهم ترهقهم ذِلة . . .	٨٨

سورة نوح

١	إنا أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	٩٠
٢	قال يا قوم إنى لكم نذير مبين .	٩٠
٣	أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون .	٩٠
٤	يغفر لكم من ذنوبكم . . .	٩٠
٥	قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا .	٩٢
٦	فلم يزدهم دعائى إلا فرارا .	٩٢
٧	وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم . . .	٩٢
٨	ثم إنى دعوتهم جهارا .	٩٣
٩	ثم إنى أعلنت لهم . . .	٩٣
١٠	فقلت استغفروا ربكم . . .	٩٣
١١	يرسل السماء عليكم مدرارا .	٩٣
١٢	ويمددكم بأموال وبنين . . .	٩٤
١٣	مالكم لا ترجون لله وقارا .	٩٤
١٤	وقد خلقكم أطوارا .	٩٤
١٥	ألم تروا كيف خلق الله . . .	٩٦
١٦	وجعل القمر فيهن نورا . . .	٩٦
١٧	والله أنبتكم من الأرض نباتا .	٩٦
١٨	ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .	٩٦
١٩	والله جعل لكم الأرض بساطا .	٩٧
٢٠	لتسلكوا منها سبلا فجاجا .	٩٧
٢١	قال نوح رب إنهم عصونى . . .	٩٧
٢٢	ومكروا مكرا كبارا .	٩٧
٢٣	وقالوا لا تذرُنّ آلهتكم . . .	٩٨
٢٤	وقد أضلوا كثيرا . . .	٩٨
٢٥	مما خطيئاتهم أغرقوا . . .	١٠٠
٢٦	وقال نوح رب لا تذر على الأرض ...	١٠٠
٢٧	إنك إن تذرهم يضلوا عبادك . . .	١٠٠
٢٨	رب اغفرلى ولوالدى . . .	١٠٠

سورة الجن

١	قل أوحى إلىّ أنه استمع نفرمن الجن...	١٠٢
٢	يهدى إلى الرشد فآمنا به . . .	١٠٢
٣	وأنه تعالى جد ربنا . . .	١٠٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	وأنه كان يقول سفيهنا على الله ...	١٠٧
٥	وأنا ظننا أن لن تقول الإنس . . .	١٠٧
٦	وأنه كان رجال من الإنس . . .	١٠٧
٧	وأنهم ظنوا كما ظننتم . . .	١١٠
٨	وأنالمسنا السماء فوجدناهاملئت حرَسا...	١١٠
٩	وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع . . .	١١٠
١٠	وأنا لاندرى أشرأريد بمن فى الأرض...	١١٠
١١	وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك . . .	١١١
١٢	وأناظننا أن لن نُعْجِزَ الله فى الأرض ...	١١١
١٣	وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به . . .	١١١
١٤	وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . . .	١١٣
١٥	وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .	١١٣
١٦	وأن لو استقاموا على الطريقة . . .	١١٤
١٧	لنفتنهم فيه، ومن يعرض عن ذكر ربه...	١١٤
١٨	وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا .	١١٦
١٩	وأنه لما قام عبد الله يدعوه . . .	١١٦
٢٠	قل إنما أدعو ربى . . .	١١٩
٢١	قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	١١٩
٢٢	قل إنى لن يجيرنى من الله أحد . . .	١١٩
٢٣	إلا بلاغا من الله ورسالاته . . .	١٢٠
٢٤	حتى إذا رأوا ما يوعدون . . .	١٢٠
٢٥	قل إن أدرى أقريب ما توعدون . . .	١٢١
٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا .	١٢١
٢٧	إلا من ارتضى من رسول . . .	١٢١
٢٨	ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ...	١٢١

سورة المزمل

١	يا أيها المزمل :	١٢٤
٢	قم الليل إلا قليلا .	١٢٤
٣	نصفه أو انقص منه قليلا .	١٢٤
٤	أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا .	١٢٤
٥	إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .	١٢٧
٦	إن ناشئة الليل هى أشد وطئا . . .	١٢٧
٧	إن لك فى النهار سبحا طويلا .	١٢٧
٨	واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا .	١٣٢
٩	رب المشرق والمغرب لا إله إلاهو . . .	١٣٢
١٠	واصبر على ما يقولون واهجرهم . . .	١٣٢
١١	وذرنى والمكذبين أولى النَّعمة . . .	١٣٤
١٢	إن لدينا أنكالا وجحيما .	١٣٤
١٣	وطعاما ذا غُصَّة وعذابا أليما .	١٣٤
١٤	يوم ترجُف الأرض والجبال . . .	١٣٥
١٥	إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم...	١٣٦
١٦	فعصى فرعون الرسول . . .	١٣٦
١٧	فكيف تتقون إن كفرتم . . .	١٣٧
١٨	السماء منفطِر به ، كان وعده مفعولا .	١٣٧
١٩	إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ . . .	١٣٩
٢٠	إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى . . .	١٣٩

سورة المدثر

١	يا أيها المدثر .	١٤٢
٢	قم فأنذر .	١٤٢
٣	وربك فكبر .	١٤٢
٤	وثيابك فطهر .	١٤٢
٥	والرُّجْز فاهجر .	١٤٢
٦	ولا تمنن تستكثر .	١٤٢
٧	ولربك فاصبر .	١٤٢
٨	فإذا نُقِر فى الناقور :	١٥٠
٩	فذلك يومئذ يوم عسير .	١٥٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠	على الكافرين غير يسير .	١٥٠
١١	ذرنى ومن خلقت وحيدا .	١٥٠
١٢	وجعلت له مالا ممدودا .	١٥٠
١٣	وبنين شهودا .	١٥٤
١٤	ومهدت له تمهيدا .	١٥٤
١٥	ثم يطمع أن أزيد .	١٥٤
١٦	كلا إنه كان لآياتنا عنيدا .	١٥٤
١٧	سأرهقه صَعودا .	١٥٤
١٨	إنه فكّر وقدر .	١٥٥
١٩	فقتل كيف قدر .	١٥٥
٢٠	ثم قتل كيف قدر .	١٥٥
٢١	ثم نظر .	١٥٥
٢٢	ثم عبس وبَسَر .	١٥٥
٢٣	ثم أدبر واستكبر .	١٥٦
٢٤	فقال إن هذا إلا سحر يؤثر .	١٥٦
٢٥	إن هذا إلا قول البشر .	١٥٦
٢٦	سأصليه سَقَر .	١٥٨
٢٧	وما أدراك ما سقر .	١٥٨
٢٨	لا تبقى ولا تذَر .	١٥٨
٢٩	لواحة للبشر .	١٥٨
٣٠	عليها تسعة عشر .	١٥٨
٣١	وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . . .	١٥٨
٣٢	كلا والقمر .	١٦٢
٣٣	والليل إذ أدبر .	١٦٢
٣٤	والصبح إذا أسفر .	١٦٢
٣٥	إنها لإحدى الكبر .	١٦٢
٣٦	نذيرا للبشر .	١٦٢
٣٧	لمن شاء منكم أن يتقدم أويتأخر .	١٦٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	كل نفس بما كسبت رهينة .	١٦٤
٣٩	إلا أصحاب اليمين .	١٦٤
٤٠	فى جنات يتساءلون .	١٦٤
٤١	عن المجرمين .	١٦٤
٤٢	ما سلككم فى سقر .	١٦٤
٤٣	قالوا لم نك من المصلين .	١٦٤
٤٤	ولم نك نطعم المسكين .	١٦٤
٤٥	وكنا نخوض مع الخائضين .	١٦٤
٤٦	وكنا نكذّب بيوم الدين .	١٦٦
٤٧	حتى أتانا اليقين .	١٦٦
٤٨	فما تنفعهم شفاعة الشافعين .	١٦٦
٤٩	فما لهم عن التذكرة معرضين .	١٦٦
٥٠	كأنهم حُمُر مستنفرة .	١٦٨
٥١	فرّت من قَسْوَرة .	١٦٨
٥٢	بل يريد كل امرئ منهم . . .	١٦٨
٥٣	كلا بل لايخافون الآخرة .	١٦٨
٥٤	كلا إنه تذكرة .	١٧١
٥٥	فمن شاء ذكره .	١٧١
٥٦	وما يذكرون إلا أن يشاء الله . . .	١٧١

سورة القيامة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	لا أقسم بيوم القيامة .	١٧٢
٢	ولا أقسم بالنفس اللوامة .	١٧٢
٣	أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه .	١٧٢
٤	بلى قادرين على أن نسوىَ بنانه .	١٧٢
٥	بل يريد الإنسان ليفجرأ مامه .	١٧٦
٦	يسأل أيانَ يومُ القيامة .	١٧٦
٧	فإذا برَق البصر .	١٧٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	وخسف القمر .	١٧٧
٩	وجُمع الشمس والقمر .	١٧٧
١٠	يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ .	١٧٧
١١	كلا لاوَزَر .	١٧٧
١٢	إلى ربك يومئذ المستقرّ .	١٧٧
١٣	ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر .	١٨٣
١٤	بل الإنسان على نفسه بصيرة .	١٨٣
١٥	ولو ألقى معاذيره .	١٨٣
١٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به .	١٨٧
١٧	إن علينا جمعه وقرآنه .	١٨٧
١٨	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه .	١٨٧
١٩	ثم إن علينا بيانَه .	١٨٧
٢٠	كلاّ بل تحبون العاجلة .	١٩١
٢١	وتذرون الآخرة .	١٩١
٢٢	وجوه يومئذ ناضرة .	١٩١
٢٣	إلى ربها ناظرة .	١٩١
٢٤	ووجوه يومئذ باسرة .	١٩١
٢٥	تظن أن يفعل بها فاقرة .	١٩١
٢٦	كلا إذا بلغت التراقى .	١٩٤
٢٧	وقيل من راق .	١٩٤
٢٨	وظن أنه الفِراق .	١٩٤
٢٩	والتفت الساق بالساق .	١٩٤
٣٠	إلى ربك يومئذ المساق .	١٩٤
٣١	فلا صدّق ولا صلّى .	١٩٩
٣٢	ولكن كذّب وتولى .	١٩٩
٣٣	ثم ذهب إلى أهله يتمطّى .	١٩٩
٣٤	أولى لك فأولى .	١٩٩
٣٥	ثم أولى لك فأولى .	١٩٩
٣٦	أيحسب الإنسان أن يترك سُدًى .	١٩٩
٣٧	ألم يك نطفة من مَنِيٍّ يُمْنَى .	٢٠١
٣٨	ثم كان علقة فخلق فسوّى .	٢٠١
٣٩	فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى .	٢٠١
٤٠	أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى .	٢٠١

سورة هل أتى على الإنسان

١	هل أتى على الإنسان حين من الدهر ...	٢٠٢
٢	إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ...	٢٠٢
٣	إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.	٢٠٦
٤	إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا . . .	٢٠٦
٥	إن الأبرار يشربون من كأس . . .	٢٠٦
٦	عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها . . .	٢٠٦
٧	يوفون بالنذر ويخافون يوما ...	٢٠٨
٨	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا . . .	٢٠٨
٩	إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم ...	٢٠٨
١٠	إنانخاف من ربنا يوما عَبُوسا قمطريرا .	٢١١
١١	فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم . . .	٢١١
١٢	وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ..	٢١٣
١٣	متكئين فيها على الأرائك لايرَون فيها...	٢١٣
١٤	ودانية عليهم ظلالُها وذللت قطوفُها ...	٢١٤
١٥	ويُطاف عليهم بآنية من فضة . . .	٢١٤
١٦	قوارير من فضة قدروها تقديرا .	٢١٦
١٧	ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زَنجبيلا.	٢١٦
١٨	عينا فيها تسمى سَلْسبيلا .	٢١٦
١٩	ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون . . .	٢٢٠
٢٠	وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا.	٢٢٠
٢١	عاليهم ثياب سندس خُضْرٌ وإستبرق ...	٢٢٢
٢٢	إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم...	٢٢٣
٢٣	إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا .	٢٢٣
٢٤	فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم . . .	٢٢٣
٢٥	واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا .	٢٢٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٦	ومن الليل فاسجد له . . .	٢٢٥
٢٧	إن هؤلاء يُحبُّون العاجلة . . .	٢٢٥
٢٨	نحن خلقناهم وشددنا أسْرَهم . . .	٢٢٦
٢٩	إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه . . .	٢٢٦
٣٠	وما تشاءون إلا أن يشاء الله . . .	٢٢٧
٣١	يُدْخِل من يشاء فى رحمته . . .	٢٢٧

سورة المرسلات

١	والمرسلات عُرفا .	٢٢٨
٢	فالعاصفات عَصفا .	٢٢٨
٣	والناشرات نَشرا .	٢٢٨
٤	فالفارقات فَرقا .	٢٢٨
٥	فالمُلقيات ذِكرا .	٢٢٨
٦	عُذْرا أو نُذْرا .	٢٢٨
٧	إنما توعدون لواقع .	٢٣٣
٨	فإذا النجوم طُمِسَت .	٢٣٣
٩	وإذا السماء فُرِجَت .	٢٣٣
١٠	وإذا الجبال نُسِفَت .	٢٣٣
١١	وإذا الرسل أُقِّتَت .	٢٣٣
١٢	لأى يوم أُجِّلَت ؟ .	٢٣٣
١٣	ليوم الفصل .	٢٣٣
١٤	وما أدراك ما يوم الفصل . ؟	٢٣٣
١٥	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٣
١٦	ألم نهلك الأولين .	٢٣٥
١٧	ثم نتبعهم الآخرين ؟ .	٢٣٥
١٨	كذلك نفعل بالمجرمين .	٢٣٥
١٩	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٥
٢٠	ألم نخْلقكم من ماء مهين ؟ .	٢٣٥
٢١	فجعلناه فى قرار مكين .	٢٣٥
٢٢	إلى قَدَرٍ معلوم .	٢٣٥
٢٣	فقدرْنا فنعم القادرون .	٢٣٥
٢٤	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٥
٢٥	ألم نجعل الأرض كِفاتا .	٢٣٦
٢٦	أحياء وأمواتا .	٢٣٦
٢٧	وجعلنا فيها رواسىَ شامخات وأسقيناكم . . .	٢٣٦
٢٨	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٦
٢٩	انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون .	٢٣٨
٣٠	انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب .	٢٣٨
٣١	لا ظليل ولا يغنى من اللهب .	٢٣٩
٣٢	إنها ترمى بشرر كالقصر .	٢٣٩
٣٣	كأنه جِمالات صُفْر .	٢٣٩
٣٤	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٣٩
٣٥	هذا يوم لاينطقون .	٢٤٣
٣٦	ولا يؤذَن لهم فيعتذرون .	٢٤٣
٣٧	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٣
٣٨	هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين .	٢٤٣
٣٩	فإن كان لكم كيدٌ فكيدون .	٢٤٣
٤٠	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٣
٤١	إن المتقين فى ظلال وعيون .	٢٤٤
٤٢	وفواكه مما يشتهون .	٢٤٤
٤٣	كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون .	٢٤٤
٤٤	إنا كذلك نجزى المحسنين .	٢٤٤
٤٥	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٤
٤٦	كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون .	٢٤٥
٤٧	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٥
٤٨	وإذا قيل لهم اركعوا لايركَعون .	٢٤٥
٤٩	ويل يومئذ للمكذبين .	٢٤٥
٥٠	فبأى حديث بعده يؤمنون .	٢٤٦

٢ ـ فهرس الموضوعات

صحيفة

١ سورة الملك

٣ ما خُلقت النجوم لأجله .

٦ تأويل « ألا يعلم من خلق » . . . الآية ، ومعنى مَناكِب الأرض .

٩ مشى الكافر يوم القيامة على وجهه .

١٤ سورة نٓ

أول ما خلق الله .

١٨ ما كان عليه خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢١ تأويل « فلا تطع المكذبين » ، ومن نزلت فيه هذه الآيات .

٢٩ أصحاب الجنة فى قوله « كما بلونا أصحاب الجنة »

٣٨ تأويل قوله « يوم يكشف عن ساق » ... الآية

٣٩ ما يمتحن به الخلق يوم القيامة من السجود .

٤٦ ما قصدته قريش من إزلاقه صلى الله عليه وسلم بالأبصار .

٤٧ سورة الحاقة

٤٩ ما أُهلكت به ثمود وعاد .

٥٤ قدر ارتفاع الماء فى طُوفان نوح .

٥٧ كيفية انشقاق السماء ، وحمل الملائكة للعرش .

٦٢ ما يفعل بالكافر فى القيامة .

٦٣ قدر السلسلة التى يُسلسَل بها .

٦٩ سورة سأل سائل

٧٣ الحالة التى تكون السماء عليها يوم القيامة .

الصحيفة

٨٠ تأويل « والذين فى أموالهم » . . . الآية ، ومعنى السائل والمحروم .

٩٠ سورة نوح

٩٦ نور الشمس والقمر يُوجد فى السموات .

٩٨ الأسباب التى دعت المشركين إلى عبادة الأصنام .

١٠٢ سورة الجن

١٠٨ ما كان يستعيذ به أهل الجاهلية من الجن .

١١٠ ما كانت عليه السماء قبل بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم .

١١١ الجنّ فِرق وطرائق .

١١٧ اجتماع الجنّ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .

١٢١ ما يعلمه الأنبياء من الغيب .

١٢٤ سورة المزمل

ما كان عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم من شدّة العبادة .

١٢٧ ما كان يعترى النبىّ عند الوحى من ثقل الأعضاء .

١٢٩ ما فى قيام الليل من فراغ القلب من شواغل الدنيا .

١٣٤ تأويل قوله « وذَرْنِى والمكذّبين » . وزمان نزول الآية .

١٣٩ فرضية قيام الليل فى أوّل الأمر وكيف كانوا يُقَسِّمون الليل ، وذكر فضيلة بعض الأذكار .

الصفحة

١٤٢ سورة المدّثر

١٤٣ أوّل آية أنزلت وما حصل للنبيّ عند نزول الوحى .

١٤٤ ذكر معنى تطهير الثياب والخلاف فيه ، والشواهد على ذلك .

١٥٠ تأويل قوله « فإذا نقر فى الناقور » والناقور .

١٥٢ من أنزلت فيه هذه الآيات ، وهى قول الله تعالى « ذرنى ومن خلقت وحيدا » . الخ .

١٥٩ ذكر عدد الملائكة الموكلين بالنار وما قالته قريش فى ذلك .

١٦٥ أصحاب اليمين من هم ؟ وأنهم لا يرهنون .

١٧٢ سورة القيامة

١٧٣ المراد بالنفس اللوّامة .

الصفحة

١٨٠ اجتماع الشمس والقمر يوم القيامة .

١٨٧ ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى عليه من تحريك شفتيه .

١٩١ تأويل قوله « كلا بل تحبون العاجلة » .

١٩٣ ما ورد فى رؤية الله تعالى يوم القيامة .

٢٠٢ سورة هل أتى على الإنسان

٢٠٨ تأويل « يوفُون بالنذر » . وما كانوا عليه من بذل الصدقة .

٢١٥ أوانى أهل الجنة وشرابهم .

٢٢٢ شراب أهل الجنة طهورية .

٢٢٣ ما رآه النبيّ ليلة الإسراء .

٢٢٨ سورة المرسلات

٢٣٩ بيان كيفية دخان جهنم وشررها .

٣ – فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ب	
الصيبُ	٢١٩
لِغُرَّبِ	١٦٨
السَّحاب	١٣٩
ثِيابى	٤٥
نصوبا	٢٢٨
عقابَها	١١٣
ت	
شَوَاتُهْ	٧٦
ج	
الفَلَجْ . بالفرج	٢٠
مَشِيجُ	٢٠٣
نَئِيج	٢٠٧
نشّاج	٢٠٣
أمشاجِ	٢٠٣
ح	
سارِحُ	١٨١
الصُّراحُ	٤٢
د	
وتجلُد	٨٧

القافية	الصفحة
الفرْدُ	٢٥
دَعْدُ	٢٩
يبدُو	٢٩
الأساوِدِ	٣٣
لُبَدَا	١١٧
العُنُدَا	١٥٤
ر	
النَّجِرُ	٢٨
الفِرَارُ	١٨١
أوتارُ	١٣٢
افتقارُ	٢٣٤
قُماطِرُ	٢١١
وبُسُورُها	١٥٦
وأحْجارِ	٢٤١
سَطْرَا	١٨
مستطيرا	٢٠٩
الجُزَارَهْ	٧٦
القَسْوَرَهْ	١٧٠
ض	
أوْفاضِ	٨٩
مِيفاضَا	٨٩
الإضاضا	٨٩

القافية	الصفحة
ع	
أتَقَنَّعُ	١٤٥
رُبِعُ	٢٢٤
فانْدَفَعُوا	٢٢٤
جَدَعا	٢٣
والصَّلَعا	٢٣٦
مَدْفَعَا	١٠٦
ومَصْرَعا	٢١٩
ق	
فَبَرَقْ	١٧٩
شَهَقْ	٤
نَهَقْ	٤
ساقْ	٣٨
العتيقِ	١٠٦
العِشْرِقِ	١٧٩
تَبرَقِ	١٧٩
فراقِ	٢٢٧
رَهَقَا	١٠٩
ل	
الرِّحالِ	٣٠
عَوَاسِلِ	٩٥

القافية	الصفحة
قُتِلا	١٠٥
سِجالا	١٠٥
فُلُولا	٨٦
مُخْتالا	٢٢٦
اللهْ	٣٣
المُغَلَّهْ	٣٣
م	
بالأكَمْ	٦٤

القافية	الصفحة
صَرِيمُ	٣١
غُيُومُ	٣١
الصَّرِيمُ	٣٠
كَلامِ	١٧٦
تَسأَمِ	١٩٨
لَئِيمِ	٢٥
دَمِي	٢٠٨
أهْيَما	٩
غَنَماهُما	٥٦

القافية	الصفحة
ن	
مَغْيُونُ	١٣٦
طِينُها	٣٣
الكُثْبانِ	٢٢٠
الوَتِينِ	٦٧
جَنِينا	١٨٩
والعُيُونا	١٠٦
شَنَّهْ	٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)

يعنى بقوله تعالى ذكره : (تَبَارَكَ) : تعاظم وتعالى (الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) بيده مُلك الدنيا والآخرة وسُلطانهما ، نافذ فيهما أمره وقضاؤه (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول : وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة ، لا يمنعه من فعله مانع ، ولا يحول بينه وبينه عجز .

وقوله (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) فأمات من شاء وماشاء ، وأحيا من أراد ، وما أراد إلى أجل معلوم (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) يقول : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع ، وإلى طلب رضاه أسرع .

وقد حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) قال : أذلّ الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ) ذكر أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّ اللهَ أذَلَّ ابْنَ آدَمَ بالمَوْتِ » .

وقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول : وهو القوىّ الشديد انتقامه ممن عصاه ، وخالف أمره . (الْغَفُورُ) ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه .

القول فى تأويل قوله تعالى

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ، فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ؟ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن صفته (الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِباقا) طبقا فوق طبق ، بعضها فوق بعض .

وقوله (ماتَرَى فى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُتٍ) يقول جلّ ثناؤه : ما ترى فى خلق الرحمن الذى خلق ، لا فى سماء ولا فى أرض ، ولا فى غير ذلك (من تفاوت) يعنى : من اختلاف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُتٍ) : ما ترى فيهم من اختلاف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ تَفاوُتٍ) قال : من اختلاف .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (مِنْ تَفاوُتٍ) بألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (مِنْ تَفَوُّتٍ) بتشديد الواو ، بغير ألف .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ، كما قيل : وَلا تُصَاعِرْ ، ولا تُصَعِّرْ ؛ وتعهّدت فلانا ، وتعاهدته ؛ وتظهّرت ، وتظاهرت ؛ وكذلك التفاوت والتفوّت .

وقوله (فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) يقول : فردّ البصر ، هل ترى فيه من صُدوع ؟ وهى من قول الله (تَكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) بمعنى يتشققن ويتصدّعن ، والفُطُور : مصدر فُطِر فُطورا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) قال : الفطور : الوهى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) يقول : هل ترى من خلل يا بن آدم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنْ فُطُورٍ) قال : من خلل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) قال : من شقوق .

وقوله (ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول جلّ ثناؤه : ثم ردّ البصر يا بن آدم كرّتين ، مرّة بعد أخرى ، فانظر (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) أو تفاوت؟ (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئا) يقول : يرجع إليك بصرك صاغرا مُبْعَدا ، من قولهم للكلب اخسأ : إذا طردوه : أى ابعد صاغرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : وهو مُعْيٍ كالّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ) يقول : هل ترى فى السماء من خلل (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئا وَهُوَ حَسِيرٌ) بسواد الليل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (خاسِئا وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : ذليلا . . وقوله (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مرجف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئا) أى حاسرا (وَهُوَ حَسِيرٌ) أى مُعْيٍ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاسِئا) قال : صاغرا ، (وَهُوَ حَسِيرٌ) يقول : مُعْيٍ ، لم ير خللا ولا تفاوتا .

وقال بعضهم : الخاسئ والحسير واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) . . . الآية ، قال : الخاسئ والحاسر واحد ؛ حَسَر طرفُه أن يرى فيها فَطْرًا ، فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فَطْرا ؛ قال : فإذا جاء يوم القيامة انفطرت ثم انشقت ، ثم جاء أمر أكبر من ذلك ، انكشطت .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ،وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥)

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ) وهى النجوم ، وجعلها مصابيح لإضاءتها ، وكذلك الصبح إنما قيل له صبح للضوء الذى يضىء للناس من النهار (وَجَعَلْناها رُجُوما للشَّياطِينِ) يقول : وجعلنا المصابيح التى زيّنّا بها السماء الدنيا رجوما للشياطين تُرْجم بها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوما للشَّياطِينِ) : إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء

الدنيا ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن يتأوّل منها غير ذلك ، فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لاعلم له به .

وقوله (وأعْتَدْنا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) يقول جلّ ثناؤه : وأعتدنا للشياطين فى الآخرة عذاب السعير ، تُسْعَر عليهم فتُسْجَر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧)

يقول تعالى ذكره : (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) الذى خلقهم فى الدنيا (عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَبِئْسَ المَصِيرُ) يقول : وبئس المصير عذاب جهنم .

وقوله (إِذَا أُلْقُوا فِيها) يعنى إذا ألقى الكافرون فى جهنم (سَمِعُوا لَها) يعنى لجهنم (شَهِيقا) يعنى بالشهيق : الصوت الذى يخرج من الجوف بشدّة كصوت الحمار ، كما قال رؤبة فى صفة حمار :

حَشْرَجَ فى الجَوْفِ سَحِيلاً أوْ شَهَقْ
حَتَّى يُقالَ ناهِقٌ وَما نَهَقْ[1]

وقوله (وَهِيَ تَفُورُ) يقول : تَغْلِى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ) يقول تغلى كما يغلى القدر .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ،أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا،وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ،إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)

(١) البيتان فى ر ديوان رؤبة الراجز طبع ليبسج ١٠٦) وحشرج الحمار : قطع صوته ورددّه فى حلقه ، والسحيل : صوت إلى البحة يدور فى صدر الحمار ، وكذلك السحال بالضم . والشهيق : نهيق الحمار والشهيق رد النفس ، والزفير إخراج النفس قال الله عز وجل فى صفة أهل النار : « لهم فيها زفير وشهيق » قال الزجاج : الزفير والشهيق : من أصوات المكروبين . قال : والزفير من شديد الأنين وقبيحه . والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جدا . قال : وزعم بعض أهل اللغة من البصريين والكوفيين : أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار من النهيق ، والشهيق : بمنزلة آخر صوته فى الشهيق . وروى عن الربيع فى قوله « لهم فيها زفير وشهيق » قال : الزفير فى الحلق ، والشهيق فى الصدر (اللسان : شهق) .

⁂ يقول تعالى ذكره (تَكادُ) جهنم (تَمَيَّزُ) يقول : تتفرّق وتتقطع (مِنَ الغَيْظِ) على أهلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) يقول : تتفرّق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) تكاد يفارق بعضها بعضا وتنفطر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) يقول : تفرّق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ) قال : التميز : التفرّق من الغيظ على أهل معاصى الله غضبا لله ، وانتقاما له .

وقوله (كُلَّما أُلْقِىَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ) يقول جلّ ثناؤه : كلما ألقى فى جهنم جماعة سألهم (خَزَنَتُها : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) يقول : سأل الفوجَ خزنة جهنم ، فقالوا لهم : ألم يأتكم فى الدنيا نذير ينذركم هذا العذاب الذى أنتم فيه ؟ فأجابهم المساكين (فقالُوا بَلَى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ) ينذرنا هذا ، فكذّبناه ، وقلنا له (ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَىْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِى ضَلالٍ كَبِيرٍ) يقول : فى ذهاب عن الحقّ بعيد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ ، فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١)

⁂ يقول تعالى ذكره : وقال الفوج الذى ألقى فى النار للخزنة (لَوْ كُنَّا) فى الدنيا (نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) من النذر ما جاءونا به من النصيحة ، أو نعقل عنهم ما كانوا يدعوننا إليه (ما كُنَّا) اليوم (فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ) يعنى أهل النار .

وقوله (فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ) يقول : فأقرّوا بذنبهم ، ووحّد الذنب ، وقد أضيف إلى الجمع ، لأن فيه معنى فعل ، فأدّى الواحد عن الجمع ، كما يقال : خرج عطاء الناس ، وأعطية الناس (فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول : فبُعدا لأهل النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَسُحْقًا لأصحَابِ السَّعِيرِ) يقول : بُعدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير (فَسُحْقًا لأصحَابِ السَّعِيرِ) قال : سُحقا : واد فى جهنم ، والقرّاء على تخفيف الحاء من السُّحْق ، وهو الصواب عندنا ، لأن الفصيح من كلام العرب ذلك ، ومن العرب من يحرّكها بالضمّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يخافون ربهم بالغيب : يقول : وهم لم يرَوْه (لَهُم مَّغْفِرَةٌ) يقول : لهم عفو من الله عن ذنوبهم (وأجْرٌ كَبِيرٌ) يقول : وثواب من الله لهم على خشيتهم إياه بالغيب جزيل .

وقوله (وأسِرُّوا قَوْلَكُمْ أوِ اجْهَرُوا بِهِ) يقول جلّ ثناؤه : وأخفُوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه (إنَّهُ عَلِيمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ) يقول : إنه ذو علم بضمائر الصدور التى لم يُتَكَلَّم بها ، فكيف بما نطق به ، وتكلم به ، أخفى ذلك أو أعلن ، لأن من لم تخف عليه ضمائر الصدور ، فغيرها أحرى أن لايخفى عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ، فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥)

يقول تعالى ذكره (ألا يَعْلَمُ) الربّ جلّ ثناؤه (مَنْ خَلَقَ) من خلقه ، يقول : كيف يخفى عليه خلقه الذى خلق (وَهُوَ اللَّطِيفُ) بعباده (الخَبِيرُ) بهم وبأعمالهم .

وقوله (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً) يقول تعالى ذكره : الله الذى جعل لكم الأرض ذَلُولا سَهْلا ، سَهّلها لكم (فامْشُوا فِى مَنَاكِبِها) .

واختلف أهل العلم فى معنى (مَنَاكِبِها) فقال بعضهم : مناكبها : جبالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِى مَنَاكِبِها) يقول : جبالها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن بشير بن كعب ، أنه قرأ هذه الآية (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها) فقال لجارية له : إن دَرَيْت ما مناكبُها ، فأنت حرّة لوجه الله ؛ قالت : فإن مناكبها : جبالها ، فكأنما سُفِع فى وجهه ، ورغب فى جاريته ؛ فسأل فهم من أمره ، ومنهم من نهاه ، فسأل أبا الدرداء ، فقال : الخير فى طمأنينة ، والشرّ فى ريبة ، فَذَرْ مايَرِيبك إلى ما لايَرِيبك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، عن بشير بن كعب ، بمثله سواء.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فامْشُوا فى مَنَاكِبِها) : جبالها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فِي مَنَاكِبِها) قال : فى جبالها .

وقال آخرون : (مَنَاكِبِها) : أطرافها ونواحيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها) يقول : امشوا فى أطرافها .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن سعيد ، عن قتادة ، أن بشير بن كعب العَدَوىّ ، قرأ هذه الآية (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها) فقال لجاريته : إن أخبرتنى ما مناكبُها ، فأنت حرّة ، فقالت : نواحيها . فأراد أن يتزوّجها ، فسأل أبا الدرداء ، فقال : إن الخير فى طمأنينة ، وإن الشرّ فى ريبة ، فدع مايريبك إلى ما لايريبك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فامْشُوا فِي مَنَاكِبِها) قال : طُرُقِها وفِجاجِها .

* وأولى القولين عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فامشوا فى نواحيها وجوانبها ، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان ، التى هى من أطرافه .

وقوله (وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) يقول : وكلوا من رزق الله الذى أخرجه لكم من مناكب الأرض ، (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره : وإلى الله نشرُكم من قبوركم .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ، فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)

* يقول تعالى ذكره : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أيها الكافرون (أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) يقول : فإذا الأرض تذهب بكم وتجىء وتضطرب (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) وهو الله

(أنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً) وهو التراب فيه الحصباء الصغار (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) يقول : فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبة نذيرى لكم ، إذ كذبتم به ، ورددتموه على رسولى".

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ؟ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ولقد كذّب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الخالية رسلهم . (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) يقول : فكيف كان نكيرى تكذيبهم إياهم (أَوَ لَمْ يَرَوْا إلى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ) يقول : أو لم ير هؤلاء المشركون إلى الطير فوقهم صافات أجنحتهنّ (ويَقْبِضْنَ) يقول : ويقبضن أجنحتهنّ أحيانا . وإنما عُنِى بذلك أنها تَصُفُّ أجنحتها أحيانا ، وتقبض أحيانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (صَافَّاتٍ) قال : الطير يصفّ جناحه كما رأيت ، ثم يقبضه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) بسطهنّ أجنحتهنّ وقبضهنّ .

وقوله (ما يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ الرَّحْمَنُ) يقول : ما يمسك الطير الصافات فوقكم إلا الرحمن : يقول : فلهم بذلك مذكّر إن اذكروا ، ومُعتبرٌ إن اعتبروا ، يعلمون به أن ربهم واحد لاشريك له (إنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) يقول : إن الله بكل شىء ذوبصر وخبرة ، لايدخل تدبيره خَلَل ، ولا يُرى فى خلقه تفاوت.

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ؟ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (٢٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : من هذا الذى هو جند لكم أيها الكافرون به ، ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءا ، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك؟ (إنِ الكافِرُونَ إلاَّ فِي غُرُورٍ) يقول تعالى ذكره : ما الكافرون بالله إلا فى غرور من ظنهم أن آلهتهم تقرّبهم إلى الله زُلْفى ، وأنها تنفع أو تضرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره : أم مَنْ هذا الذى يطعمكم ويسقيكم ، ويأتى بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذى يرزقكم عنكم .

وقوله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : بل تمادَوا فى طغيان ونفور عن الحقّ واستكبار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) يقول : فى ضلال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) قال : كفور .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : (أَفَمَنْ يَمْشِي) أيها الناس (مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) لايبصر ما بين يديه ، وما عن يمينه وشماله (أَهْدَى) : أشدّ استقامة على الطريق ، وأهدى له ، (أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) مَشْى بنى آدم على قدميه (على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : على طريق لااعوجاج فيه . وقيل (مُكِبًّا) لأنه فعل غير واقع ، وإذا لم يكن واقعا أدخلوا فيه الألف ، فقالوا : أكبّ فلان على وجهه ، فهو مُكبّ ؛ ومنه قول الأعشى :

مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا على ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمَا[1]

فقال : مكبًّا ، لأنه فعل غير واقع ، فإذا كان واقعا حُذفت منه الألف ، فقيل : كببت فلانا على وجهه ، وكبّه الله على وجهه .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ٢٩٥) من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى ، والبيت فى وصف ثور شبه به ناقته . ومكبا : مطأطئا رأسا يحفر الأرطاة (فى البيت قبله) ليتخذ فيها كناسا يأوى إليه . وروقيه : قرنيه . وعلى ظهر عريان الطريقة : على ظاهر الطريق . وأهيم : منهار لايتماسك ، وهو من صفة (عريان الطريقة) . يقول : أكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه يحفر فيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة . وقد أورد المؤلف البيت شاهدا على قوله الله تعالى (أفمن يمشى مبكا على وجهه » : أى مطرقا إلى الأرض . وقال الفراء فى معانى القرآن . (الورقة ٣٣٨) وقوله : « أفمن يمشى مكبا على وجهه » تقول : قد أكب الرجل : إذا كان فعل غير واقع على أحد (غير متعد) فإذا وقع الفعل (تعدى) أسقطت الألف فتقول : « قد كبه الله لوجهه ، وكببته أنا لوجهه . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ أهْدَى؟أمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : من يمشى فى الضلالة أهدى ، أم من يمشى مهتديا ؟

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُكِبًّا على وَجْهِهِ) قال : فى الضلالة (أمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : حقّ مستقيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ) يعنى : الكافر أهدى (أمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا) المؤمن ؟ ضرب الله مثلا لهما .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أن الكافر يحشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقال (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ) يَوْمَ القِيامَةِ أهْدَى أمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا يومئذ ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ أهْدَى) هو الكافر أكبّ على معاصى الله فى الدنيا ، حشره الله يوم القيامة على وجهه ، فقيل : يا نبىّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : إن الذى أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ ؟) قال : هو الكافر يعمل بمعصية الله ، فيحشره الله يوم القيامة على وجهه . قال معمر : قيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : « إنّ الَّذِى أمْشاهُمْ على أقْدامِهِمْ قادِرٌ عَلَى أنْ يُمْشِيَهُمْ على وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال : المؤمن عمل بطاعة الله ، فيحشره الله على طاعته .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ(٢٣)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد للذين يكذّبون بالبعث من المشركين : الله الذى أنشأكم فخلقكم ، (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) تسمعون به (والأبْصَارَ) تبصرون بها (والأفْئِدَةَ) تعقلون بها (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) يقول قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التى أنعمها عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ؟ (٢٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد : الله (الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الأَرْضِ) يقول : الله الذى خلقكم فى الأرض (وإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وإلى الله تحشرون ، فتُجْمعون من قبوركم لموقف الحساب (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ويقول المشركون : متى يكون ما تعدنا من الحشر إلى الله إن كنتم صادقين فى وعدكم إيانا ما تعدوننا ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المستعجليك بالعذاب وقيام الساعة : إنما علم الساعة ، ومتى تقوم القيامة ، عند الله لايعلم ذلك غيره . (وإِنمَا أَنا نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول : وما أنا إلا نذير لكم أنذركم عذاب الله على كفركم به ، (مبين) : قد أبان لكم إنذاره .

وقوله (فَلَمَّا رأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : فلما رأى هؤلاء المشركون عذاب الله زُلفة : يقول : قريبا ، وعاينوه ، سيئت وجوه الذين كفروا : يقول : ساء الله بذلك وجوه الكافرين .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (زُلْفَةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلَمَّا رأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ) قال : لما عاينوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (فَلَمَّا رأَوْهُ زُلْفَةً) قال : معاينة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلَمَّا رأَوْهُ زُلْفَةً) قال : قد اقترب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا رأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) لما عاينت من عذاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) قال : لما رأوا عذاب الله زُلفة ، يقول : سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ) قيل : الزلفة : حاضر قد حضرهم عذاب الله عزّ وجلّ .

(وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) يقول : وقال الله لهم : هذا العذاب الذى كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) قال : استعجالهم بالعذاب .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) بتشديد الدال ، بمعنى تفتعلون من الدعاء .

وذُكر عن قتادة والضحاك أنهما قرءا ذلك (تَدَّعُونَ) بمعنى تفعلون فى الدنيا .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنا أبان العطار وسعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة أنه قرأها (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) خفيفة ؛ ويقول : كانوا يدعون بالعذاب ، ثم قرأ (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

والصواب من القراءة فى ذلك : ما عليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ، فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ (٢٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد للمشركين من قومك (أَرَأَيْتُمْ) أيها الناس (إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ) فأماتنى (وَمَنْ مَعِى ، أَوْ رَحِمَنَا) فأخّر فى آجالنا (فَمَنْ يُجِيرُ الكَافِرِينَ) بالله (مِنْ عَذَابٍ) موجع مؤلم ، وذلك عذاب النار . يقول : ليس ينجى الكفار من عذاب الله موتُنا وحياتنا ، فلا حاجة بكم إلى أن تستعجلوا قيام الساعة ، ونزول العذاب ، فإن ذلك غير نافعكم ، بل ذلك بلاء عليكم عظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد ربنا (الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ) يقول : صدّقنا به (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) يقول : وعليه اعتمدنا فى أمورنا ، وبه وثقنا فيها (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : فستعلمون أيها المشركون بالله الذى هو فى ذهاب عن الحقّ ، والذى هو على غير طريق مستقيم منا ومنكم ، إذا صرنا إليه ، وحشرنا جميعا .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ، فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ؟ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء المشركين (أَرَأَيْتُمْ) أيها القوم العادلون بالله (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) يقول : غائرا لاتناله الدلاء (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) يقول : فمن يجيئكم بماء معين ، يعنى بالمعين : الذى تراه العيون ظاهرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) يقول : بماء عذب .

حدثنا ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنى عبيد بن قاسم البزاز ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير فى قوله (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) لاتناله الدلاء (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) ؟ قال : الظاهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) : أى ذاهبا (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ؟) قال : الماء المَعين : الجارى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (مَاؤُكُمْ غَوْرًا) ذاهبا (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) جارٍ . وقيل غَوْرًا ، فوصف الماء بالمصدر ، كما يقال : ليلة عَمّ ، يراد : ليلة عامة .

آخر تفسير سورة الملك

تفسير سورة ن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (نٓ) ، فقال بعضهم : هو الحوت الذى عليه الأرَضُون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس ، قال : أوّل ما خلق الله من شىء القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرّكت الأرض فمادت ، فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض ، قال : وقرأ (نٓ والقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، أو مجاهد عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : ففُتِقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى سليمان ، عن أبى ظَبيان ، عن ابن عباس ، قال : أوّل ما خلق الله القلم ، قال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ، ففُتِقت منه السماء ، وبُسِطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر على الأرض .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : « أوّل ما خلق الله من شىء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القَدَر ، قال فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ، ففتق منه السموات ، ثم خلق النون فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر على الأرض » .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، أن إبراهيم بن أبى بكر ، أخبره عن مجاهد ، قال : كان يقال : النون : الحوت الذى تحت الأرض السابعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر ، ثنا الأعمش ، أن ابن عباس قال : إنّ أوّل شيء خُلِق القلم ، ثم ذكر نحو حديث واصل عن ابن فُضيل ، وزاد فيه : ثم قرأ ابن عباس (نۤ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى الضحى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس ، قال : « إن أوّل شيء خلق ربى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه » .

وقال آخرون (نۤ) حرف من حروف الرحمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا علىّ بن الحسين ، قال : ثنا أبى ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (الرۤ ، وحمۤ ، ونۤ) حروف الرحمن مقطّعة .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا عباس بن زياد الباهلى ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قوله (الرۤ ، وحمۤ ، ونۤ) قال : اسم مقطع .

وقال آخرون : (نۤ) : الدواة ، (والقلم) : القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا أخى عيسى بن عبد الله ، عن ثابت البُنَانى ، عن ابن عباس قال : « إن الله خلق النون وهى الدواة ، وخلق القلم ، فقال : اكتب ، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، من عَمَلٍ مَعْمُولٍ ، بِرٍّ أو فجور ، أو رزق مقسوم ، حلال أو حرام ، ثم ألزم كلّ شيء مَنْ ذلك شأنه ، دخولَه فى الدنيا ومُقامَه فيها كم ؟ وخروجَه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حَفَظَة ، وللكتاب خُزّانا ، فالحفظة ينسخون كلّ يوم من الخُزّان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر ، وانقضى الأجل ، أتت الحَفَظَة الخَزَنَة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا ، فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا ؛ قال : فقال ابن عباس : ألستم قوما عَرَبا تسمعون الحَفَظَة يقولون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة ، فى قوله (نۤ) قال : هو الدواة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، قال : النون : الدواة .

وقال آخرون : (نۤ) : لوح من نور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن شبيب المكتب ، قال : ثنا محمد بن زياد الجَزَرِىّ ، عن فُرات بن أبى الفُرات ، عن

معاوية بن قرّة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) : لوح من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة .

وقال آخرون : (نٓ) : قَسَمٌ أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) يُقْسم الله بما شاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) قال : هذا قَسَمٌ أقسم الله به .

وقال آخرون : هى اسم من أسماء السورة .

وقال آخرون : هى حرف من حروف المعجَم ، وقد ذكرنا القول فيما جانس ذلك من حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل السور ، والقول فى قوله نظير القول فى ذلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة (نٓ) ، فأظهر النون فيها وفى يسٓ عامة ، قرّاءُ الكوفة خلا الكسائىّ وعامة قرّاء البصرة ، لأنها حرف هجاء ، والهجاء مبنى على الوقوف عليه ، وإن اتصل ، وكان الكسائىّ يُدغم النون الآخرة منهما ويخفيها ، بناء على الاتصال .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان فصيحتان ، بأيّهما قرأ القارئ أصاب ، غير أن إظهار النون أفصح وأشهر ، فهو أعجب إلىّ . وأما القلم : فهو القلم المعروف ، غير أن الذى أقسم به ربنا من الأقلام : القلم الذى خلقه الله تعالى ذكره ، فأمره فجرى بكتابة جميع ماهو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنى محمد بن صالح الأنماطى ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، قال : ثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عُبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت؟ فقال : دعانى فقال : أى بنىّ ، اتق الله ، واعلم أنك لن تتقى الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدرِ خيره وشرّه ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ خَلَقَ القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قالَ : يا رَبِّ وَما أكْتُب ؟ قالَ : اكْتُبْ القَدَرَ ، قالَ : فَجَرَى القَلَمُ فِى تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كانَ ، وَمَا هُوَ كائِنٌ إلى الأبَدِ » .

حدثنى محمد بن عبد الله الطُّوسىّ ، قال : ثنا علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمرو بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوَّلُ شَىْءٍ خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، وأمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَىْءٍ » .

حدثنا موسى بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، بإسناده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا موسى بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا ابن المبارك ، بإسناده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد قال : قلت لابن عباس : « إن ناسا يكذّبون بالقدَر ، فقال : إنهم يكذّبون بكتاب الله ، لآخذنّ بشَعْر أحدهم ، فلا يقصّن به ، إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئا ، فكان أوّل ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإنما يجرى الناس على أمر قد فُرِغ منه » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو هاشم ، أنه سمع مجاهدا ، قال : سمعت عبد الله : لاندرى ابن عمر أو ابن عباس ، قال : « إن أوّل ما خلق الله القلم ، فجرى القلم بما هو ، كائن وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُرِغ منه » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية بن صالح ؛ وحدثنى عبد الله بن آدم ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن أيوب بن زياد ، قال : ثنى عباد بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، قال : أخبرنى أبى ، قال : قال أبى عُبادة بن الصامت : يا بنىّ ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ أوّلَ ما خلَقَ اللهُ القلَمَ ، فقالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (نۤ وَالقَلَمِ) قال : الذى كُتِب به الذكر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، أخبره عن إبراهيم بن أبى بكر ، عن مجاهد ، فى قوله (نۤ والقَلَمِ) قال : الذى كتب به الذكر .

وقوله (وَما يَسْطُرُونَ) يقول : والذى يخُطُّون ويكتبون . وإذا وُجِّهَ التأويل إلى هذا الوجه ، كان القسم بالخلق وأفعالهم . وقد يحتمل الكلام معنى آخر ، وهو أن يكون معناه : وسطرهم ما يسطرون ، فتكون « ما » بمعنى المصدر . وإذا وُجه التأويل إلى هذا الوجه ، كان القسم بالكتاب ، كأنه قيل : نۤ والقلم والكتاب. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما يَسْطُرُونَ) قال : وما يخُطُّون .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما يَسْطُرُونَ) يقول : يكتبون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما يَسْطُرُونَ) قال : وما يكتبون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا يَسْطُرُونَ) : وما يكتبون .

يقال منه : سطر فلان الكتاب ، فهو يسْطُر سَطْرا : إذا كتبه ؛ ومنه قول رُؤبة بن العجّاج :

إنّى وأسْطارٍ سُطِرْنَ سَطْرَا [١]

وقوله (ما أنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، مكذّبا بذلك مشركى قريش الذين قالوا له : إنك مجنون .

وقوله (وَإنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : وإن لك يامحمد لثوابا من الله عظيما، على صبرك على أذى المشركين إياك ، غير منقوص ولا مقطوع ، من قولهم : حبل مَنِير ، إذا كان ضعيفا، وقد ضعفت منّته : إذا ضعفت قوّته .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غَيْرَ مَمْنُونٍ) قال : محسوب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإنك يامحمد لعلى أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذى أدّبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : دين عظيم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) يقول : إنك على دين عظيم ، وهو الإسلام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : الدين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، قال : « سألت عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خُلقه القرآن » تقول : كما هو فى القرآن .

---

(١) البيت فى ديوان رؤبة بن العجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج ١٧٤) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن . عند قوله تعالى : « والقلم وما يسطرون » قال « وما يكتبون » قال رؤبة : « إنى وأسطار » . . . البيت . والأسطار : جمع سطر ، وهو الصف من النخل ، أو من حروف الكتابة المنسوقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) : ذُكر لنا « أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ القرآن؟ قال : قلت : بلى ، قالت : فإن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن » .

حدثنا عُبيد بن آدم بن أبي إياس ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعيد بن هشام ، قال : « أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، فقلت : أخبرينى عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ (وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جُبير بن نُفَيل قال : « حججت فدخلت على عائشة ، فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن » .

حدثنا عُبيد بن أسباط ، قال : ثنى أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : أدب القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال : على دين عظيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (لَعَلَى خُلُقٍ عظِيمٍ) يعنى دينه ، وأمره الذى كان عليه ، مما أمره الله به ، ووكّله إليه .

وقوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) يقول تعالى ذكره : فستَرى يامحمد ، ويرى مشركو قومك الذين يدعونك مجنونا (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) يقول : ترى ويَرون .

وقوله (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويله بأيكم المجنون ، كأنه وجه معنى الباء فى قوله (بِأَيِّكُمُ) إلى معنى فى ، وإذا وجهت الباء إلى معنى فى ، كان تأويل الكلام : ويبصرون فى أىّ الفريقين المجنون ؟ فى فريقك يامحمد أو فريقهم ؛ ويكون المجنون اسما مرفوعا بالباء .

ذكر من قال معنى ذلك : بأيكم المجنون

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : المجنون .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : بأيكم المجنون ؛ وقال آخرون : بل تأويل ذلك : بأيكم الجنون ، وكأن الذين قالوا هذا القول وجهوا المفتون إلى

معنى الفتنة أوالفتون ، كما قيل : ليس له معقول ولا معقود : أى بمعنى ليس له عقل ولاعقد رأى ، فكذلك وضع المفتون موضع الفُتُون .

ذكر من قال : المفتون : بمعنى المصدر ، وبمعنى الجنون

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : الشيطان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) يعنى الجنون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس يقول : بأيكم الجنون .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أيكم أولى بالشيطان ، فالباء على قول هؤلاء زيادة ، دخولها وخروجها سواء ، ومثل هؤلاء ذلك بقول الراجز :

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[1]

بمعنى : نرجو الفرج ، فدخول الباء فى ذلك عندهم فى هذ الموضع وخروجها سواء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) يقول : أيكم أولى بالشيطان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) قال : أيكم أولى بالشيطان .

واختلف أهل العربية فى ذلك ، نحوَ اختلاف أهل التأويل ، فقال بعض نحوِيِّ البصرة : معنى ذلك : فستبصر ويبصرون أيُّكم المفتون ؟ وقال بعض نحوِيِّ الكوفة : بأيكم المفتون هاهنا ، بمعنى الجنون ، وهو فى مذهب الفُتُون ، كما قالوا : ليس له معقول ولا معقود ؛ قال : وإن شئت جعلت بأيكم فى أيكم فى أىّ الفريقين المجنون ؛ قال : وهو حينئذ اسم ليس بمصدر .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : بأيكم الجنون ، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر ، لأن ذلك أظهر معانى الكلام ، إذا لم ينو إسقاط الباء ، وجعلنا لدخولها وجها مفهوما . وقد بيّنا أنه غير جائز أن يكون فى القرآن شىء لامعنى له .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو

(١) البيتان من مشطور الرجز ، وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) من مصورة الجامعة عن نسخة « مراد ملا » بالآستانة (قال عند قوله تعالى « بأيكم المفتون » : مجازها : أيكم المفتون ، كما قال الأول : « نحن بنو جعدة . . . والشاهد فيه أن الباء فى قوله بالفرج ، أى نرجو الفرج ، كما زيدت فى الآية . والبيتان للنابغة الجعدى . وقد سبق الاستشهاد بهما على مثل هذا الموضع فى الجزء (١٨ : ١٤) فراجعه .

أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، كضلال كفار قريش عن دين الله، وطريق الهدى (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) : يقول : وهو أعلم بمن اهتدى ، فاتبع الحقّ ، وأقرّ به ، كما اهتديت أنت فاتبعت الحقّ ، وهذا من معاريض الكلام . وإنما معنى الكلام : إن ربك هو أعلم يا محمد بك ، وأنت المهتدى، وبقومك من كفار قريش وأنهم الضالون عن سبيل الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (فَلَا تُطِعْ) يا محمد (الْمُكَذِّبِينَ) بآيات الله ورسوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ودّ المكذّبون بآيات الله لو تكفر بالله يا محمد فيكفرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : ودّوا لو تكفر فيكفرون .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : تكفُر فيكفرون .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال تكفر فيكفرون.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ودّوا لو تُرَخِّصُ لهم فيرَخِّصون، أو تلين فى دينك، فيلينون فى دينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : لو تُرَخِّصُ لهم فيرخّصون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : لو تَرْكَن إلى آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحقّ فيمالئونك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) يقول : ودّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر ، فأدهنوا معك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) قال : ودّوا لو يُدْهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُدْهنون .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم

فى دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم ، فيلينون لك فى عبادتك إلهك ، كما قال جلّ ثناؤه (وَلَوْلا أنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ، إذاً لأذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ) . وإنما هو مأخوذ من الدُّهن ، شبه التليين فى القول بتليين الدُّهن .

وقوله (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ) ولا تطع يا محمد كلّ ذى إكثار للحلف بالباطل ؛ مَهِين : وهو الضعيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أن بعضهم وجه معنى المهين إلى الكذّاب ، وأحسبه فعل ذلك ، لأنه رأى أنه إذا وصف بالمهانة ، فإنما وُصِف بها لمهانة نفسه كانت عليه ، وكذلك صفة الكذوب ، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ) والمهين : الكذّاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَلاّفٍ مَهِينٍ) قال : ضعيف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ) وهو المكثار فى الشرّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ) يقول : كلّ مكثار فى الحلف ، مهين ضعيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن الحسن وقتادة (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ) قال : هو المكثار فى الشرّ .

وقوله (هَمّازٍ) يعنى : مغتاب للناس يأكل لحومهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَمّازٍ) يعنى الاغتياب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَمّازٍ) يأكل لحوم المسلمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَمّازٍ) قال : الهماز : الذى يهمز الناس بيده ويضربهم ، وليس باللسان ، وقرأ (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) الذى يلمز الناس بلسانه ، والهمز أصله الغمز ، فقيل للمغتاب : هماز ، لأنه يطعُن فى أعراض الناس بما يكرهون ، وذلك غمز عليهم .

وقوله (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) يقول : مشاء بحديث الناس بعضهم فى بعض ، ينقل حديث بعضهم إلى بعض.
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَمَّازٍ) يأكل لحوم المسلمين (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض .
حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) يمشى بالكذب .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى ، فى قوله (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال : هو الأخنس بن شَرِيق ، وأصله من ثقيف ، وعداده فى بنى زُهْرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣)

وقوله (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) . يقول تعالى ذكره : بخيل بالمال ، ضنين به عن الحقوق .
وقوله (مُعْتَدٍ) يقول : معتد على الناس . (أَثِيمٍ) : ذى إثم بربه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (مُعْتَدٍ) قال : معتد فى عمله . (أَثِيمٍ) بربه.
وقوله (عُتُلٍّ) يقول : وهو عُتُلّ ، والعُتُلّ : الجافى الشديد فى كفره ، وكلّ شديد قوىّ فالعرب تسميه عُتُلا ؛ ومنه قول ذى الأصبع العَدْوانىّ :

والدَّهْرُ يَغْدُو مِعْتَلاً جَذَعا [١]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (عُتُلٍّ) والعتلّ : العاتل الشديد المنافق .
حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، قال : ثنا أبو عامر العَقَدِىّ ، قال : ثنا زهير بن محمد ، عن زيد

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) أنشده عند قوله تعالى « عتل » قال : العتل : اللفظ الكافر فى هذا الموضع ، وهو الشديد من كل شىء بعد ذلك ؛ قال ذو الإصبع العدوانى : « والدهر يغدو معتلا جذعا » أى شديدا . اهـ . و فى (اللسان : عتل) : العتل : هو الشديد الجافى ، واللفظ الغليظ . وقيل : هو الجافى ، الخلق اللئيم الضريبة . وقيل : هو الشديد من الرجال والدواب . وفى التنزيل « عتل بعد ذلك زنيم » قيل : هو الشديد الخصومة. اهـ . وفى (اللسان : عتل) ورجل معتل (بوزن منبر) بالكسر : قوى . والجذع : الصغير السن.

ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن وهب الذّماريّ ، قال : تبكى السماء والأرض من رجل أتمّ الله خلقه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه منقضما من الدنيا ، ثم يكون ظلوما للناس ، فذلك العتلّ الزنيم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن أبى الزبير ، عن عبيد بن عمير ، قال : العتلّ : الأكول الشروب القويّ الشديد ، يوضع فى الميزان ، فلا يزن شعيرة ، يدفع المَلَك من أولئك سبعين ألفا دفعة فى جهنم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : العتلّ : الشديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : العتلّ : الصحيح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن كثير بن الحارث ، عن القاسم ، مولى معاوية قال : « سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتُلّ الزنيم ، قال : الفاحِشُ اللَّئِيمُ » .

قال معاوية ، وثنى عياض بن عبد الله الفهرىّ ، عن موسى بن عقبة ، عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، بمثل ذلك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : فاحش الخُلق ، لئيم الضريبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : الحسن وقتادة : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (عُتُلّ) قال : هو الفاحش اللئيم الضريبة .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَبْكى السَّماءُ مِنْ عَبْدٍ أصَحَّ اللهُ جِسْمَهُ ، وأرْحَبَ جَوْفَهُ ، وأعْطاهُ مِنَ الدُّنْيا مَقْضَماً ، فَكانَ للنَّاسِ ظَلُوما ، فَذلكَ العُتُلُّ الزَّنِيمُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : العتلّ : الصحيح الشديد .

حدثنى جعفر بن محمد البزورى ، قال : ثنا أبو زكريا ، وهو يحيى بن مصعب ، عن عمر بن نافع ، قال : سُئل عكرمة ، عن (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) فقال : ذلك الكافر اللئيم .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى ، يعنى ابن يمان ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن فى قوله (عُتُلّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، قال : العتلّ الزنيم : الفاحش اللئيم الضريبة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عُتُلٍّ) قال : شديد الأشر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول (عُتُلٍّ) قال : العتلّ : الشديد (بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) ومعنى بعد فى هذا الموضع معنى مع ، وتأويل الكلام (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) : أى مع العتلّ زنيم .

وقوله زنيم والزنيم فى كلام العرب : الملصق بالقوم وليس منهم ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

وأنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ [١]

وقال آخر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مَنْ أبُوهُ بَغِيُّ الأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (زَنِيمٍ) قال : والزنيم : الدعىّ ، ويقال : الزنيم : رجل كانت به زَنَمة يُعرف بها ، ويقال : هو الأخنس ابن شَرِيق الثَّقَفِىّ حليف بنى زُهْرة . وزعم ناس من بنى زُهرة أن الزنيم هو : الأسود بن عبد يغوث الزُّهرىّ ، وليس به .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، قال : ثنا هشام ، عن عكرِمة ، قال : هو الدعىّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول فى هذه الآية (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : سعيد : هو الملصق بالقوم ليس منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ، قال : الزنيم الذى يعرف بالشرّ ، كما تعرف الشاة بزَنَمتها ، الملصق .

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩ من مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة « مراد مثلا بالآستانة) . أنشده عند قول الله تعالى « زنيم » قال : الزنيم : المعلق فى القوم ليس منهم ، قال حسان بن ثابت : « وأنت زنيم . . . البيت » . ويقال للتيس زنيم : له زنمتان . اهـ .

(٢) ليس هذا البيت من شواهد القراء ولا من شواهد أبى عبيدة ، ولم ينسبه المؤلف إلى قائله . وفى (اللسان : الزنيم) : المستلحق فى قوم ليس منهم ، لايحتاج إليه ، فكأنه فيهم زنمة (أى زنمة العنز المعلقة عند حلقها) . يقول هو فيهم زنيم ، لا يعرفون أباه ، لأنه دخيل ، وأمه بغى ، وحسبه لئيم . وهو فى معنى الشاهد الذى قبله على معنى « الزنيم » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، وقال آخرون : هو الذى له زَنَمة كزنمة الشاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم : قال : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال : وكانت له زَنَمة فى عنقه يُعرف بها .

وقال آخرون : كان دعيًّا .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا علىّ بن عاصم ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : نزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) قال : فلم نعرفه حتى نزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم (بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أصحاب التفسير ، قالوا : هو الذى يكون له زنمة كزنمة الشاة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الزنيم : يقول : كانت له زنمة فى أصل أذنه ، يقال : هو اللئيم الملصق فى النسب .

وقال آخرون : هو المريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : زنيم : المُرِيب الذى يعرف بالشرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قال : الزنيم : الذى يعرف بالشرّ .

وقال آخرون : هو الظلوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (زَنِيمٍ) قال : ظلوم .

وقال آخرون : هو الذى يُعرف بأُبنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم الذى يُعرف بأبنة ، قال أبو إسحاق : وسمعت الناس فى إمرة زياد يقولون : العتلّ : الدعىّ .

وقال آخرون : هو الحِلِف الجافى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : سمعت شهر بن حَوْشب ، يقول : هو الحلف الجافى ، الأكول الشروب من الحرام .

وقال آخرون : هو علامة الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : (الزنيم) : علامة الكفر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين ، قال : الزنيم : علامة الكافر .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أنه كان يقول : الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة .

وقال آخرون : هو الذى يعرف باللؤم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرِمة ، قال : الزّنيم : الذى يعرف باللؤم ، كما تُعرف الشاة بزنمتها .

وقال آخرون : هو الفاجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رزين ، فى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلكَ زَنِيمٍ) قال : الزنيم : الفاجر .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أنْ كانَ) فقرأ ذلك أبو جعفر المدنىّ وحمزة (أأنْ كانَ ذا مالٍ) بالاستفهام بهمزتين ، وتتوجه قراءة من قرأ ذلك كذلك إلى وجهين : أحدهما أن يكون مرادا به تقريع هذا الحلاف المهين ، فقيل : ألأن كان هذا الحلاف المهين ذا مال وبنين (إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطيرُ الأوّلين) ؟ وهذا أظهر وجهيه . والآخر أن يكون مرادا به : ألأن كان ذا مال وبنين تطيعه على وجه التوبيخ لمن أطاعه . وقرأ ذلك بعد سائر قرّاء المدينة والكوفة والبصرة : (أنْ كانَ ذا مالٍ) على وجه الخبر بغير استفهام بهمزة واحدة ، ومعناه إذا قُرئ كذلك : ولا تطع كلّ حلاف مهين ، أن كان ذا مال وبنين ؛ كأنه نهاه أن يطيعه من أجل أنه ذو مال وبنين .

وقوله (إذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطِيرُ الأوَّلِينَ) يقول : إذا تقرأ عليه آيات كتابنا ، قال : هذا مما كتبه الأوّلون ، استهزاء به ، وإنكارا منه أن يكون ذلك من عند الله .

وقوله (سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سنخطِمه بالسيف ، فنجعل ذلك علامة باقية ، وسمة ثابتة فيه ما عاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ) فقاتل يوم بدر ، فخُطِم بالسيف فى القتال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : سنشينه شينا باقيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ) : شَيْن لايفارقه آخر ما عليه .

وقال آخرون : سيمَى على أنفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَنَسِمُهُ على الخُرْطُومِ) قال : سنسم على أنفه .

❁ وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك عندى : قول من قال : معنى ذلك : سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ، فلا يخفى عليهم ، كما لاتخفى السِّمة على الخرطوم . وقال قتادة : معنى ذلك : شَيْن لايفارقه آخر ماعليه ، وقد يحتمل أيضا أن يكون خُطِم بالسيف ، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخَطْم بالسيف .

ويعنى بقوله (سَنَسِمُهُ) سنكويه . وقال بعضهم : معنى ذلك : سنسمه سِمَة أهل النار : أى سنسوِّد وجهه . وقال : إن الخرطوم وإن كان خصّ بالسمة ، فإنه فى مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدّى عن بعض ، والعرب تقول : والله لأسمنك وسما لا يفارقك ، يريدون الأنف . قال : وأنشدنى بعضهم :

لَأُعَلِّطَنَّـــهُ وَسْمًا لا يُفارِقُهُ كما يُحَزُّ بِحَمْيِ المِيسَمِ النَّجِرُ[1]

والنجر : داء يأخذ الإبل فتُكوى على أنفها .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٣٩) قال عند قوله تعالى « سنسمه على الخرطوم » أى سنسمه سمة أهل النار أى سنسود وجهه ؛ فهو وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة ، فإنه فى مذهب الوجه ، لأن بعض الوجه يؤدى عن بعض ، والعرب تقول : أما والله لأسمنك وسما لا يفارقك ، يريدون الأنف ؛ وأنشدنى بعضهم : « لأعطلنه وسما . . . البيت » فقال الميسم ، ولم يذكر الأنف ، لأنه موضع السمة . والبحر : البعير إذا أصابه البحر ، وهو داء يأخذ البعير فيوسم لذلك . اهـ . قلت : وأنشد صاحب اللسان البيت (فى بحر) وقال : قال الفراء : البحر أن يلفى البعير بالماء ، فيكثر منه ، حتى يصيبه منه داء ، يقال : بحر يبحر بحرا فهو بحر ، وأنشد . . . بيت الشاهد . قال : وإذا أصابه الداء كوى فى مواضع فيبرأ . اهـ . كلام الفراء كما فى اللسان . وقال الأزهرى معقبا عليه : الداء الذى يصيب البعير فلا يروى من الماء ، هو النجر ، بالنون والجيم ، والبجر ، بالباء والجيم . وأما البحر فهو داء =

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (إنا بلوناهم) : أى بلونا مشركى قريش ، يقول : امتحناهم فاختبرناهم ، (كما بلونا أصحاب الجنة) يقول : كما امتحنا أصحاب البستان (إذ اقسموا ليصرمنها مصبحين) يقول : إذ حلفوا ليصرمن ثمرها إذا أصبحوا . (ولا يستثنون) : ولا يقولون إن شاء الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) قال : هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة ، كان يطعم المساكين منها ، فلما مات أبوهم ، قال بنوه : والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين ، فأقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، ولا يطعمون مسكينا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ليصرمنها مصبحين) قال : كانت الجنة لشيخ ، وكان يتصدق ، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة ، وكان يمسك قوت سنته ، وينفق ويتصدق بالفضل ؛ فلما مات أبوهم غدوا عليها ، فقالوا : (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) .

وذكر أن أصحاب الجنة كانوا أهل كتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا) . . . الآية ، قال : كانوا من أهل الكتاب والصرم : القطع ، وإنما عنى بقوله (ليصرمنها) ليجذن ثمرها ؛ ومنه قول امرئ القيس :

صَرَمْتَكَ بَعْدَ تَوَاصُلٍ دَعْدٌ وَبَدَا لِدَعْدٍ بعضُ ما يَبْدُو (١)

= يورث السل . وأبجر الرجل : إذا أخذه السل . ورجل بجير وبجر : مسلول ، ذاهب اللحم . عن ابن الأعرابى . اه . قلت : ويؤيد هذا ما جاء ، فى (اللسان : نجر) قال الجوهرى : النجر بالتحريك : عطش يصيب الإبل والغنم عن أكل الحبة ، فلا تكاد تروى من الماء ، يقال : نجرت الإبل ونجرت أيضا . اه . وفى التهذيب : نجر ينجر نجرا : إذا أكثرت من شرب الماء ، ولم يكد يروى . قال يعقوب : وقد يصيب الإنسان . اه . وحمى المياسم : حره . والمياسم : حديدة يكوى بها .

(١) نسب المؤلف البيت إلى امرئ القيس ، ولم أجده فى مختار الشعر الجاهلى ، ولا فى العقد الثمين ، ولعله لغير امرئ القيس ابن حجر الكندى من المراقسة . أنشده المؤلف شاهدا على أن الصرم فى قوله تعالى « ليصرمنها » بمعنى القطع . وفى (اللسان : صرم) الصرم : القطع البائن . وعم به بعضهم القطع أى نوع كان . اه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : فطرق جنة هؤلاء القوم ليلا طارق من أمر الله وهم نائمون ، ولايكون الطائف فى كلام العرب إلا ليلا ، ولا يكون نهارا ، وقد يقولون : أطفت بها نهارا .

وذكر الفرّاء أن أبا الجرّاح أنشده :

أطَفْتُ بِها نَهارًا غَيْرَ لَيْلٍ وأَلْهَى رَبَّها طَلَبُ الرِّخالِ [١]

والرِّخال : هى أولاد الضأن الإناث .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كريب ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن الطوفان (فَطافَ عَلَيْها طائفٌ مِنْ رَبِّكَ) قال : هو أمر من أمر الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَطافَ عَلَيْها طائفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ) قال : طاف عليها أمر من أمر الله وهم نائمون .

وقوله (فأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ) اختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى بالصريم ، فقال بعضهم : عُنِى به الليل الأسود ، وقال بعضهم : معنى ذلك : فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا شيخ لنا عن شيخ من كلب يقال له سليمان عن ابن عباس ، فى قوله (فأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ) قال : الصَّريم : الليل . قال : وقال فى ذلك أبو عمرو بن العلاء رحمه الله .

ألا بَكَرَتْ وَعاذِلَتِى تَلُومُ تُهَجِّدُنِى وَما انْكَشَفَ الصَّرِيمُ [٢]

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٩٣) عند قوله تعالى « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » قال : لا يكون الطائف إلا ليلا ، ولا يكون نهارا ، وقد تكلم به العرب ، فيقولون : أطفت به نهارا ، وليس موضعه بالنهار ، ولكنه بمنزلة قولك : « لو ترك القطا ليلا لنام » لأن القطا لايسرى ليلا ، قال : أنشدنى أبو الجراح العقيلى : « أطفت بها نهارا . . . البيت » . اهـ . والرخال : جمع رخل (بكسر الراء وفتحها) : الأنثى من أولاد الضأن . والذكر : حل ، والجمع : أرخل ورخال (بكسر الراء وضمها) ورخلان أيضا . اهـ .

(٢) نسب المؤلف البيت إلى أبى عمرو بن العلاء ولعله يريد أنه مما أنشده أبو عمرو . يقول استيقظت هذه المرأة قبل أن ينكشف الليل عن الصبح ، توقظنى حين هبت عاذلتى تلومنى . قال فى اللسان : هجد (: قال ابن برزج : أهجدت الرجل : أنمته ، وهجدته) بالتشديد أيقظته . والصريم : الليل . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٣٩) فأصبحت كالصريم : أى احترقت ، فصارت سوداء مثل الليل المسود . اهـ . وفى اللسان (صرم) عن ثعلب ، فأصبحت كالصريم أى احترقت فصارت سوداء مثل الليل . اهـ . ويقال : كالشىء المصروم ، الذى ذهب ما فيه . وقيل : الصريم : أرض سوداء لاتنبت شيئا . وقال الجوهرى : أى احترقت واسودت .

وقال أيضا :

تَطاوَلَ لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهِيمُ فَمَا يَنْجابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمُ
إذَا ما قُلْتَ أقْشَعَ أوْ تناهَى جَرَتْ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ غُيُومُ[1]

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأصبحت كأرض تدعى الصريم ، معروفة بهذا الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى نعيم بن عبد الرحمن ، أنه سمع سعيد بن جُبير يقول : هى أرض باليمن ، يقال لها ضَرْوان ، من صنعاء على ستة أميال .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ (٢٢) فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة، يقول : نادى بعضهم بعضا مصبحين، يقول : بعد أن أصبحوا (أنِ اغْدوا على حَرْثِكُمْ) وذلك الزرع (إنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ) يقول : إن كنتم حاصدى زرعكم (فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ) يقول : فمضَوا إلى حرثهم وهم يتسارّون بينهم: (أنْ لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) يقول : وهم يتسارّون ، يقول بعضهم لبعض : لايدخلنّ جنتكم اليوم عليكم مسكين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أنِ اغْدُوا على حَرْثِكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ . فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخافَتُونَ) يقول : يُسِرّون (أنْ لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : لما مات أبوهم غدَوا عليها، فقالوا : (لايَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الحرد فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه: على قُدْرة فى أنفسهم وجدّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : ذوى قدرة .

---

(١) أنشد اللسان : (صرم) البيت الأول من هذا الشاهد ، وقال : قال ابن برى : وأنشد أبو عمرو : « تطاول ليلك . . . البيت » ، فالبيتان إذن ليسا لأبى عمرو ، وإنما هو أنشدهما . وكذلك بيت الشاهد الذى قبلهما . والجون : الأسود ، والبهيم : الخالص السواد : لابياض فيه . وينجاب : ينكشف ويزول . وصريم : أى ليل . وأقشع : زال . وتناهى : انتهى . وهذا الشاهد فى معنى الشاهد الذى قبله ، وهو أن الصريم بمعنى الليل الشديد السواد . اهـ .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج عمن حدثه ، عن مجاهد فى قول الله (على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جِدّ قادرين فى أنفسهم .

قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جهد ، أو قال : على جِدّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) غدا القوم وهم مُحْردون إلى جنّتهم ، قادرون عليها فى أنفسهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على جِدّ من أمرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (على حَرْدٍ قادِرِينَ) : على جِدّ قادرين فى أنفسهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم ، واستسرّوه ، وأسرّوه فى أنفسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (وَغَدَوا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : كان حرث لأبيهم ، وكانوا إخوة ، فقالوا : لانطعم مسكينا منه حتى نعلم ما يخرج منه (وغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) على أمر قد أسسوه بينهم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (على حَرْدٍ) قال : على أمر مُجْمَع .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على أمر مُجْمَع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على فاقة وحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على فاقة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على حنق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) قال : على حَنَق ، وكأن سفيان ذهب فى تأويله هذا إلى مثل قول الأشهب بن رُميلة :

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خفيَّةٍ تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ[1]

يعنى : على غَضَب . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأوّل ذلك : وغدوا على منع . ويوجهه إلى أنه من قولهم : حاردَتِ السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحاردَت الناقة إذا لم يكن لها لبن ، كما قال الشاعر :

فإذَا ما حارَدَتْ أوْ بَكأَتْ فُتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينُها[2]

وهذا قول لانعلم له قائلا من متقدّمى العلم قاله وإن كان له وجه ، فإذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز عندنا أن يتعدّى ما أجمعت عليه الحجة ، فما صحّ من الأقوال فى ذلك إلا أحد الأقوال التى ذكرناها عن أهل العلم . وإذا كان ذلك كذلك وكان المعروف من معنى الحرد فى كلام العرب القصد من قولهم : قد حرد فلان حرد فلان : إذا قصد قصده ؛ ومنه قول الراجز :

وجاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أمْرِ اللهْ يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ[3]

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى « وغدوا على حرد قادرين » قال : مجازه على منع ، من حاردت الناقة لم يكن لها لبن . و« على حرد » أيضا على قصد ، قال الأول :

قَدْ جاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أمْرِ اللهْ يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

وقال آخر : « على حرد » : على غضب . قال الأشهب بن رميلة الذى كان يهاجى الفرزدق : « أسود شرى . . . . البيت . اهـ . والشرى وخفية : مأسدتان معروفتان . والأساود : جمع أسود ، وهو اسم للحية ، ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على أفاعل ، مثل أرانب ، ولو كان صفة لجمع على سود . قلت : ورواية البيت فى (اللسان : حرد) :

أُسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خَفِيَّةٍ تَساقَيْنَ سُمًّا كُلُّهُنَّ حَوَارِدُ

وقال بعد البيت : قال أبو العباس وقال أبو زيد والأصمعى وأبو عبيدة : الذى سمعناه من العرب الفصحاء : حرد يحرد حردا (كغضب يغضب غضبا) بتحريك الراء . قال أبو العباس (ثعلب) : وسألت عنها ابن الأعرابى ، فقال : صحيحة ، إلا أن المفضل أخبر أن من العرب من يقول : حرد حردا (كغضب غضبا) وحردا (أى بسكون الراء) والتسكين أكثر . والأخرى : فصيحة .

(٢) فى (اللسان : حرد) حاردت الإبل حرادا : أى انقطعت ألبانها أو قلت . وفى (اللسان : بكأ) : بكأت الناقة والشاة بكاءا وبكؤت تبكؤ بكوءا : وهى بكيء وبكيئة : قل لبنها . وقيل انقطع . والفت : الدق . فت الشىء يفته فتا وفتته (بالتشديد) دقه ، وقيل : فته : كسره . وأنشد البيت صاحب اللسان فى حرد مع بيت آخر قبله ، وقال : الحارد : القليلة اللبن من النوق ، والحرود من النوق : القليلة . الدر . وحاردت السنة : قل ماؤها ومطرها : وقد استعير فى الآنية إذا نفد شربها قال :

وَلَنا باطِيَةٌ مَمْلُوءَةٌ جَوْنَةٌ يَتْبَعُها بِرْزِينُها
فإذَا ما حارَدَتْ أوْ بَكأَتْ فُتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينُها

والبرزين : إناء يتخذ من قشر طلع الفحال ، يشرب به . اهـ . والبيت شاهد على أن معنى حاردت السنة ، وحاردت الناقة ، وحاردت الباطية ، قل مطرها ، وقل لبنها ، ونفد خمرها . اهـ . ورواية البيت . الأول فى (اللسان : برزن) : إنما لقحتنا باطية ... الخ .

(٣) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لم ينسبا لقائل معروف . وكرواية الفراء فى معانى القرآن ورواية البيت الأول فى (اللسان : حرد) وجاء سيل ، كرواية المؤلف هنا . وفى مجاز القرآن : « قد جاء . وفى الكامل للمبرد (١ : ٥٠ طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) : « قد جاء سيل جاء » . قال المبرد فى الكامل : فأما قول الله عز وجل : « وغدوا على حرد قادرين » فإن فيه قولين : أحدهما ما ذكرنا من معنى القصد — قال الشاعر : قد جاء سيل جاء . . . البيتين . وقالوا على حرد : على منع ، من قولهم حاردت السنة : إذا منعت قطرها ، وحاردت الناقة : إذا منعت درها . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن : « على حرد » : على حد وقدرة فى أنفسهم . والحرد أيضا القصد كما يقول الرجل قد أقبلت قبلك . وقصدت قصدك . وحردت حردك ، وأنشدنى بعضهم « وجاء سيل كان . . . البيتين » . ويريد : يقصد قصدها . اهـ .

يعنى : يقصد قصدها ، صحّ أن الذى هو أولى بتأويل الآية قول من قال : معنى قوله (وَغَدَوْا على حَرْدٍ قادِرِينَ) وَغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه ، واستسرّوه بينهم ، قادرين عليه فى أنفسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم ، ورأوها محترقا حرثها ، أنكروها وشكّوا فيها ، هل هى جنتهم أم لا ؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم ، وأن التى رأوا غيرها : إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا ، فقال من علم أنها جنتهم ، وأنهم لم يخطئوا الطريق : بل نحن أيها القوم محرومون ، حُرِمنا منفعة جنتنا ، بذهاب حرثها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) : أى أضللنا الطريق ، بل نحن محرومون ، بل جُوزينا فحُرِمنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَمَّا رَأَوْها قالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) يقول قتادة : يقولون أخطأنا الطريق ، ما هذه بجنتنا ، فقال بعضهم : بل نحن محرومون ، حرمنا جنتنا .

وقوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) يعنى : أعدلهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) قال أعدلهم ، ويقال : قال خيرهم ، وقال فى البقرة (وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قال : الوسَط : العدل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الفرات بن خلاد ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد (قالَ أَوْسَطُهُمْ) : أعدلهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قالَ أَوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ،عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ أوْسَطُهُمْ) : أى أعدلهم قولا ، وكان أسرع القوم فزعا ، وأحسنهم رَجْعة (أَلَمْ أقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قالَ أوْسَطُهُمْ) قال : أعدلهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قالَ أوْسَطُهُمْ) يقول : أعدلهم .

وقوله (أَلَمْ أقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) يقول : هلا تستثنون إذ قلتم (لَنَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ)، فتقولوا إن شاء الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (لَوْلا تُسَبِّحُونَ) قال : بلغنى أنه الاستثناء .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَلَمْ أقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ) قال : يقول : تستثنون ، فكان التسبيح فيهم الاستثناء .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب الجنة : (سُبْحانَ رَبِّنا إنَّا كُنَّا ظالِمِينَ) فى تركنا الاستثناء فى قسمنا ، وعزمنا على ترك إطعام المساكين من ثمر جنتنا .

وقوله (فأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : فأقبل بعضهم على بعض، يلوم بعضهم بعضا على تفريطهم فيما فرّطوا فيه من الاستثناء ، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنّتهم .

وقوله (يا وَيْلَنا إنَّا كُنَّا طاغِينَ) يقول : قال أصحاب الجنة : يا ويلنا إنا كنا مُبْعَدين ، مخالفين أمر الله فى تركنا الاستثناء والتسبيح .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ، إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ، وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل أصحاب الجنة (عَسَى رَبُّنا أنْ يُبْدِلَنا خَيْرًا مِنْها) بتوبتنا من خطأ فعلنا الذى سبق منا ، خيرا من جنتنا (إنَّا إلى رَبِّنا رَاغِبُونَ) يقول : إنا إلى ربنا راغبون فى أن يبدلنا من جنتنا إذ هلكت خيرا منها .

قوله تعالى ذكره (كَذَلكَ العَذَابُ) يقول جلّ ثناؤه : كفعلنا بجنة أصحاب الجنة ، إذ أصبحت كالصريم ، بالذى أرسلنا عليها من البلاء والآفة المفسدة ، فعلنا بمن خالف أمرنا ، وكفر برسلنا فى عاجل الدنيا ، (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ) يعنى عقوبة الآخرة بمن عصى ربه وكفر به ، أكبر يوم القيامة من عقوبة الدنيا وعذابها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَلِكَ العَذَابُ ، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يعنى بذلك عذاب الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (كَذَلكَ العَذَابُ) : أى عقوبة الدنيا (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَلِكَ العَذَابُ) قال : عذاب الدنيا : هلاك أموالهم : أى عقوبة الدنيا .

وقوله (لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم فى الدنيا ، لارتدعوا وتابوا وأنابو ، ولكنهم بذلك جهال لايعلمون .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : (إنَّ للْمُتَّقِينَ) الذين اتقوا عقوبة الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) يعنى : بساتين النعيم الدائم .

وقوله (أفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كالمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : أفنجعل أيها الناس فى كرامتى

ونعمتى فى الآخرة ، الذين خضعوا لى بالطاعة ، وذلوا لى بالعبودية ، وخشعوا لأمرى ونهيى ، كالمجرمين الذين اكتسبوا المآثم ، وركبوا المعاصى ، وخالفوا أمرى ونهيى؟ كلا ما الله بفاعل ذلك .

وقوله (مالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) أتجعلون المطيع لله من عبيده ، والعاصى له منهم ، فى كرامته سواء ، يقول جلّ ثناؤه : لاتسوُّوا بينهما ، فإنهما لايستويان عند الله ، بل المطيع له الكرامة الدائمة ، والعاصى له الهوان الباقى .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : ألكم أيها القوم بتسويتكم بين المسلمين والمجرمين فى كرامة الله ، كتاب نزل من عند الله ، أتاكم به رسول من رسله ، بأن لكم ما تَخَيَّرون ، فأنتم تدرسون فيه ماتقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) قال : فيه الذى تقولون ، تقرءونه : تدرسونه ، وقرأ (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتابا فَهُمْ على بَيِّنَةٍ مِنْهُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) يقول جلّ ثناؤه : إن لكم فى ذلك الذى تَخَيَّرون من الأمور لأنفسكم ، وهذا أمر من الله توبيخ لهؤلاء القوم ، وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل ، ويتمنون من الأمانىّ الكاذبة .

وقوله (أَمْ لَكُمْ فِيهِ أيمَانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ) يقول : هل لكم أيمان علينا تنتهى بكم إلى يوم القيامة ، بأن لكم ما تحكمون ، أى بأن لكم حكمكم ، ولكن الألف كسرت من « إن » لما دخل فى الخبر اللام : أى هل لكم أيمان علينا بأن لكم حكمكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ؟ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ؟ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يامحمد هؤلاء المشركين أيّهم ، بأن لهم علينا أيمانا بالغة بحكمهم إلى يوم القيامة (زَعِيمٌ) يعنى : كفيل به ، والزعيم عند العرب : الضامن والمتكلم عن القوم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يقول : أيهم بذلك كفيل .

وقوله (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) يقول تعالى ذكره : أهؤلاء القوم شركاء فيما يقولون ويصفون من الأمور التى يزعمون أنها لهم ، فليأتوا بشركائهم فى ذلك ، إن كانوا فيما يدّعون من الشركاء صادقين .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : هو يوم حرب وشدّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساقْ[1]

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) ولا يبقى مؤمن إلا سجد ، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا . وكان ابن عباس يقول : يكشف عن أمر عظيم ، ألا تسمع العرب تقول :

وقامَتِ الحَرْبُ بنا على ساق

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) يقول : حين يُكْشَف الأمر ، وتبدو الأعمال ، وكشفه : دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) : هو الأمر الشديد المفظِع من الهول يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ وابن حميد ، قالا : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله

(١) هذا بيت من الرجز ، المشطور . أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : أى أمر عظيم . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) : « يوم يكشف عن ساق » : إذا اشتد الحرب والأمر قيل : قد كشف الأمر عن ساقه .

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : شدّة الأمر وجدّه ، قال ابن عباس : هى أشد ساعة فى يوم القيامة.

حدثنى محمد بن عمر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : شدّة الأمر ، قال ابن عباس : هى أوّل ساعة تكون فى يوم القيامة ، غير أن فى حديث الحارث قال : وقال ابن عباس : هى أشدّ ساعة تكون فى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ، قال : عن شدّة الأمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : عن أمر فظيع جليل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : يوم يكشف عن شدة الأمر .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) وكان ابن عباس يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : شمّرت الحرب عن ساق : يعنى إقبال الآخرة ، وذهاب الدنيا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزهراء ، عن عبد الله ، قال : « يتمثل الله للخلق يوم القيامة حتى يمرّ المسلمون ، قال : فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله لانشرك به شيئا ، فينتهرهم مرّتين أو ثلاثا ، فيقول : هل تعرفون ربكم ؟ فيقولون : سبحانه ، إذا اعترف إلينا عرفناه ، قال : فعند ذلك يكشف عن ساق ، فلا يبقى مؤمن إلا خرّ لله ساجدا ، ويبقى المنافقون ظهورهم طَبَقٌ واحد ، كأنما فيها السفافيد ، فيقولون : ربنا ، فيقول : قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون » .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسعود ، قال : « ينادى مناد يوم القيامة : أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم ، ثم صوّركم ، ثم رزقكم ، ثم توليتم غيره كلّ أن يولّى عبد منكم ماتولى ، فيقولون : بلى ، قال : فيمثل لكلّ قوم آلهتهم التى كانوا يعبدونها ، فيتبعونها حتى توردهم النار ، ويبقى أهل الدعوة ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا تنتظرون ، ذهب الناس ؟ فيقولون : ننتظر أن يُنادى بنا ، فيجىء إليهم فى صورة ، قال : فذكر منها ما شاء الله ، فيكشف عما شاء الله أن يكشف ، قال : فيخرّون سجدا إلا المنافقين ، فإنه يصير فِقار أصلابهم عظما واحدا ، مثل صياصى البقر ، فيقال لهم : ارفعوا رءوسكم إلى نوركم ، ثم ذكر قصة فيها طول » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو بكر ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال عن قيس ، بن سكن ، قال : حدّث عبد الله وهو عند عمر (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) قال : « إذا كان يوم القيامة قال :

يقوم الناس بين يدى ربّ العالمين أربعين عاما، شاخصةً أبصارهم إلى السماء ، حُفاة عُراة ، يلجمهم العرق، ولا يكلمهم بشر أربعين عاما ، ثم ينادى مناد : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوّركم ورزقكم ، ثم عبدتم غيره ، أن يولّىَ كلّ قوم ما تولوا ؟ قالوا : نعم ، قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ؛ قال : ويمثل لكل قوم ، يعنى آلهتهم ، فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار ، فيبقى المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون ، فقد ذهب الناس ؟ فيقولون : حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ؟ فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى، فيخرّ من كان يعبده، ساجدا ، قال : ويبقى المنافقون لايستطيعون كأنّ فى ظهورهم السفافيد . قال : فيذهب بهم فيُساقون إلى النار ، فيقذف بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة، قال : فيستقبلون فى الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج والحور العين ، لكلّ رجل منهم فى الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا ، بين أدناها وأقصاها ألف كذا سنة هو يرى أقصاها كما يرى أدناها ؛ قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة إذا نظر إليه مُقبلا حسب أنه ربه ، فيقول له : لاتفعل إنما أنا عبدك وقَهْرَمانك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب، ألا تسمع ما يحدّث به عبد الله »؟ .

حدثنا ابن جَبَلة ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال: ثنا أبوعوانة ، قال: ثنا سليمان الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن أبى عبيدة وقيس بن سكن ، قالا : « قال عبد الله وهو يحدّث عمر ، قال : وجعل عمر يقول : ويحك يا كعب ، ألا تسمع ما يقول عبد الله ؟ إذا حشر الناس على أرجلهم أربعين عاما شاخصة أبصارهم إلى السماء ، لايكلمهم بشر ، والشمس على رءوسهم، حتى يلجمهم العرق ، كلّ برّ منهم وفاجر ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وصوّركم ، ثم توليتم غيره ، أن يولّىَ كلّ رجل منكم ما تولى ؟ فيقولون بلى ، ثم ينادى مناد من السماء : يا أيها الناس ، فلتنطلق كلّ أمة إلى ماكانت تعبد ، قال : ويبسط لهم السراب ، قال : فيمثل لهم ماكانوا يعبدون ، قال : فينطلقون حتى يلجُوا النار ، فيقال للمسلمين : ما يحبسكم ؟ فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : إن اعترف لنا عرفناه » .

قال : وثنى أبوصالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم «حتى إن أحدهم ليلتفّ فيكشف عن ساق ، فيقعون سجودا ، قال: وتُدمَج أصلاب المنافقين حتى تكون عظما واحدا ، كأنها صياصى البقر قال : فيقال لهم : ارفعوا رءوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم ؛ قال : فترفع طائفة منهم رءوسهم إلى مثل الجبال من النور ؛ فيمرّون على الصراط كطرف العين ؛ ثم ترفع أخرى رءوسهم إلى أمثال القصور ، فيمرّون على الصراط كمرّ الريح ؛ ثم يرفع آخرون بين أيديهم أمثال البيوت ، فيمرّون كمرّ الخيل ؛ ثم يرفع آخرون إلى نور دون ذلك، فيشدّون شدّا ؛ وآخرون دون ذلك يمشون مشيا حتى يبقى آخر الناس رجل على أنملة رجله مثل السراج ، فيخرّ مرّة ، ويستقيم أخرى ، وتصيبه النار فتشعث منه، حتى يخرج، فيقول: ما أعطى أحد ما أعطيت ، ولا يدرى مما نجا ، غير أنى وجدت مسها ، وإنى وجدت حرّها» وذكر حديثا فيه طول، اختصرت هذا منه .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا هشام بن سعد ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد : ألا لتلحق كلّ أمة بما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد صنما ولا وثنا ولا صُورة إلا ذهبوا حتى يتساقطوا فى النار ، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بَرّ وفاجر وغُبَّرات[1] أهل الكتاب ، ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطِم بعضها بعضا ، ثم تُدْعى اليهود ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : عُزَير ابن الله ، فيقول : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تريدون ؟ فيقولون : أى ربنا ظمئنا ، فيقول : أفلا تردون ؟ فيذهبون حتى يتساقطوا فى النار ، ثم تدعى النصارى ، فيقال : ماذا كنتم تعبدون ؟ فيقولون : المسيحَ ابن الله ، فيقول : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فماذا تريدون ؟ فيقولون : أى ربنا ظمئنا اسقنا ، فيقول : أفلا تَرِدون ؟ فيذهبون فيتساقطون فى النار ، فيبقى من كان يعبد الله من برّ وفاجر ، قال : ثم يتبدّى الله لنا فى صورة غير صورته التى رأيناه فيها أوّل مرّة ، فيقول : أيها الناس لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد وبقيتم أنتم ، فلا يكلمه يومئذ إلا الأنبياء ، فيقولون : فارقنا الناس فى الدنيا ، ونحن كنا إلى صحبتهم فيها أحوج ، لحقت كلّ أمة بما كانت تعبد ، ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، فيقول : هل بينكم وبين الله آية تعرفونه بها ؟ فيقولون نعم ، فيُكْشَف عن ساق ، فيخرّون سجدا أجمعون ، ولا يبقى أحد كان يسجد فى الدنيا سُمعة ولا رِياء ولا نفاقا ، إلا صار ظهره طبقا واحدا ، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ؛ قال : ثم يرجع يرفع برّنا ومسيئنا ، وقد عاد لنا فى صورته التى رأيناه فيها أوّل مرّة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعم أنت ربنا ثلاث مِرار » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنى أبى وسعيد بن الليث ، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن يزيد ، عن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُنادِى مُنادٍ يه فَيَقُولُ : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَذْهَبُ أصحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ ، وأصحَابُ الأوْثانِ مَعَ أوْثانِهِمْ ، وأصحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفاجِرٍ وَغُبَّراتِ أهْلِ الكِتابِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تَعْرِضُ كأنَّها سَرابٌ » ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال « فإنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، فقال : إن كان قاله فيأتيهم الجبار » ، ثم حدثنا الحديث نحو حديث المسروقىّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنىّ ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأْخُذُ اللهُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ لأحَدٍ عِنْدَ أحَدٍ جَعَلَ اللهُ مَلَكا مِنَ المَلائِكَةِ على صُورَةِ عُزَيْرٍ ، فَتَتْبَعُهُ اليهُودُ ، وَجَعَلَ اللهُ مَلَكا مِنَ المَلائِكَةِ على صُورَةِ عِيسَى ، فَتَتْبَعُهُ النَّصَارَى ، ثُمَّ نادَى مُنادٍ أسْمَعَ الخَلائِقَ كُلَّهُمْ ، فَقالَ : ألا لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهَتِهِمْ

(١) فى النهاية لابن الأثير : الغبرات جمع غبر ، وهو من الغابر : الباقى . وفى اللسان : وغبر كل شىء : بقيته .

وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَلا يَبْقَى أحَدٌ كانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ شَيْئًا إلاَّ مُثِّلَ لَهُ آلِهَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قادَتْهُمْ إلى النَّارِ ، حَتى إذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ المُؤْمِنُونَ فِيهِمُ المُنافِقُونَ ، قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ : أيُّها النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ ، ذَهَبَ النَّاسُ ، الْحَقُوا بِآلِهَتِكُمْ وَما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللهِ مالَنا إلَهٌ إلاَّ اللهُ ، وَما كُنَّا نَعْبُدُ إلَها غَيْرَهُ ، وَهُوَ اللهُ ثَبَّتَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمُ الثَّانِيَةَ مِثْلَ ذلكَ : الْحَقُوا بِآلِهَتِكُمْ وَما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذلكَ ، فَيُقالُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ مِنْ آيَةٍ تَعْرِفُونَها ؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ ما يَعْرِفُونَهُ أنَّهُ رَبُّهُمْ . فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا عَلى وُجُوهِهِمْ ، وَيَقَعُ كُلُّ مُنافِقٍ عَلى قَفاهُ ، وَيَجْعَلُ اللهُ أصْلابَهُمْ كَصَياصِي البَقَرِ » .

وحدثنى أبو زيد عمر بن شبة ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبوسعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبى بُرْدة بن أبى موسى ، عن أبيه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال « (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : عن نور عظيم ، يخرّون له سجدا » .

حدثنى جعفر بن محمد البَزُوَرِىّ ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر ، عن الربيع فى قول الله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : يكشف عن الغطاء ، قال : ويدعون إلى السجود وهم سالمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن أُسامة بن زيد ، عن عكرمة ، فى قوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ) قال : هو يوم كرب وشدّة . وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (يَوْمَ تَكْشِفُ عَنْ ساقٍ) : بمعنى : يوم تكشف القيامة عن شدّة شديدة ، والعرب تقول : كَشَفَ هذا الأمر عن ساق : إذا صار إلى شدّة ؛ ومنه قول الشاعر :

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِها وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ[1]

وقوله (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) يقول : ويدعوهم الكشف عن الساق إلى السجود لله تعالى فلا يطيقون ذلك .

وقوله (خاشِعَةً أبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة من عذاب الله (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) يقول : وقد كانوا فى الدنيا يدعونهم إلى السجود له ، وهم سالمون ، لايمنعهم من ذلك مانع ، ولا يحول بينه وبينهم حائل . وقد قيل : السجود فى هذا الموضع : الصلاة المكتوبة .

---

(١) البيت لجد طرفة كما قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٠) قال عند قوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » : القراء مجتمعون على رفع الياء . ويسنده إلى ابن عباس : أنه قرأ : « يوم تكشف (بالتاء مفتوحة) ، يريد القيامة والساعة لشدتها . قال : وأنشدنى بعض العرب لجد طرفة : وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جد طرفة بن العبد :

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البراح

ورايته فى (اللسان : سوق) عن ديوان الحماسة : « الصراح ، فى موضع » : « البراح » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم التيمىّ (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) قال : إلى الصلاة المكتوبة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن سعيد بن جبير (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ) قال : يَسْمَعَ المنادى إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمىّ (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ) قال : الصلاة المكتوبة .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) . . . الآية ، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) قال : هم الكفار كانوا يُدْعون فى الدنيا وهم آمنون ، فاليوم يدعوهم وهم خائفون ، ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا والآخرة ، فأما فى الدنيا فإنه قال (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ) وأما فى الآخرة فإنه قال : (فَلا يَسْتَطِيعُونَ خاشِعَةً أبْصارُهُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ) ذلكم ، والله يوم القيامة . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُؤْذَنُ للْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيامَةِ فِى السُّجُودِ ، فَيَسْجُدُ المُؤْمِنُونَ ، وَبَيْنَ كُلِّ مُؤْمِنَيْنِ مُنافِقٌ ، فَيَقْسُو ظَهْرَ المُنافِقِ عَنِ السُّجُودِ ، وَيَجْعَلُ اللهُ سُجُودَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخا وَذُلاً وَصَغارًا ، وَنَدامَةً وَحَسْرَةً » .

وقوله (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السجُودِ) أى فى الدنيا (وَهُمْ سالِمُونَ) أى فى الدنيا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، قال : « بلغنى أنه يُؤْذَنُ للمؤمنين يوم القيامة فى السجود ، بين كل مؤمنين منافق يسجد المؤمنون ، ولا يستطيع المنافق أن يسجد وأحسبه ، قال : تقسو ظهورهم ، ويكون سجود المؤمنين توبيخا عليهم ، قال (وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سالِمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ، سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كِلْ يامحمد أمر هؤلاء المكذّبين بالقرآن إلىّ ، وهذا كقول القائل لآخر غيره يتوعد رجلا : دعنى وإياه ، وخلنى وإياه ، بمعنى : أنه من وراء مساءته . و« مَن »

فى قوله (وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ) فى موضع نصب ، لأن معنى الكلام ما ذكرت ، وهو نظير قولهم : لو تُرِكْتَ ورأيَكَ ما أفلحت . والعرب تنصب ورأيك ، لأن معنى الكلام : لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح.

وقوله (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : سنكيدهم من حيث لايعلمون ، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا ، حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله ، فيتمادوا فى طغيانهم ، ثم يأخذهم بغتة وهم لايشعرون .

وقوله (وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) يقول تعالى ذكره : وأُنْسِئُ فى آجالهم مُلاوة من الزمان ، وذلك برهة من الدهر على كفرهم وتمرّدهم على الله ، لتتكامل حجج الله عليهم (إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) يقول : إن كيدى بأهل الكفر قوىّ شديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أتسأل يامحمد هؤلاء المشركين بالله على ما أتيتهم به من النصيحة ، ودعوتهم إليه من الحقّ ، ثوابا وجزاء (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) يعنى من غرم ذلك الأجر مثقلون ، قد أثقلهم القيام بأدائه ، فتحاموا لذلك قبول نصيحتك ، وتجنبوا لعظم ما أصابهم من ثقل الغرم الذى سألتهم على ذلك الدخول فى الذى دعوتهم إليه من الدين .

وقوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) يقول : أعندهم اللوح المحفوظ الذى فيه نبأ ما هو كائن ، فهم يكتبون منه ما فيه ، ويجادلونك به ، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فاصبر يامحمد لقضاء ربك وحكمه فيك ، وفى هؤلاء المشركين ، بما أتيتهم به من هذا القرآن ، وهذا الدين ، وامض لما أمرك به ربك ، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك ، وأذاهم لك .

وقوله (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) الذى حبسه فى بطنه ، وهو يونس بن مَتّى صلى الله عليه وسلم ، فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك ، كما عاقبه فحبسه فى بطنه . (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : إذ نادى وهو مغموم ، قد أثقله الغمّ وكظمه .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذْ نادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : مغموم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مَكْظُومٌ) قال : مغموم .

وكان قتادة يقول فى قوله (وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) : لاتكن مثله فى العَجَلة والغضب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إذْ نادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) يقول : لاتعجل كما عَجِل ، ولا تغضب كما غضب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (لَوْلا أنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ) يقول جلّ ثناؤه : لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمة من ربه ، فرحمه بها ، وتاب عليه من مغاضبته ربه ، (لَنُبِذَ بالعَرَاءِ) وهو الفضاء من الأرض ؛ ومنه قول قيس بن جَعْدة :

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها وَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَرَاءِ ثِيابِى[1]

(وَهُوَ مَذْمُومٌ) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَهُوَ مَذْمُومٌ) فقال بعضهم : معناه : وهو مُلِيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَهُوَ مَذْمُومٌ) يقول : وهو مليم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهو مذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه عن بكر (وَهُوَ مَذْمُومٌ) قال : هو مذنب .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) .

يقول تعالى ذكره : فاجتبى صاحب الحوت ربُّه ، يعنى اصطفاه واختاره لنبوّته (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) يعنى من المرسلين العاملين بما أمرهم به ربهم ، المنتهين عما نهاهم عنه .

(١) البيت : من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٧٩) عند قوله تعالى : « لنبذ بالعراء » قال : لألقى بوجه الأرض . قال رجل من خزاعة يقال له قيس بن جعدة ، أحد الفرارين : ورفعت رجلا . . . . البيت » .

وقوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : وإن يكاد الذين كفروا يامحمد يَنْفُذونك بأبصارهم ، من شدة عداوتهم لك ، ويزيلونك، فيرموا بك عند نظرهم إليك، غيظا عليك . وقد قيل : إنه عنى بذلك : وإن يكاد الذين كفروا مما عانُوك بأبصارهم ، ليرمون بك يا محمد ويصرعونك ، كما تقول العرب : كاد فلان يصرعنى بشدّة نظره إلىّ ، قالوا : وإنما كانت قريش عانُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليصيبوه بالعين . فنظروا إليه ليَعِينوه، وقالوا: ما رأينا رجلا مثله، أو إنه لمجنون ، فقال الله لنبيه عند ذلك : وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ، وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى (لَيُزْلِقُونَكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول: يَنْفُذونك بأبصارهم ، من شدّة النظر ، يقول ابن عباس : يقال للسهم : زَهَقَ السهم أو زلق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَيُزْلِقونَك بأبْصَارِهِمْ) يقول : لَيَنْفُذونك بأبصارهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ يكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول : ليزهقونك بأبصارهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم، قال: أخبرنا معاوية ، عن إبراهيم ، عن عبد الله، أنه كان يقرأ (وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْهِقُونَكَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، فى قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) قال : لينفُذونك بأبصارهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) قال : ليزهقونك ، وقال الكلبى : ليصْرَعونك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) لينفذونك بأبصارهم ، معاداة لكتاب الله ، ولذكر الله .

حُدِّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) يقول: يَنْفُذونك بأبصارهم، من العداوة والبغضاء .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَيُزْلِقُونَكَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء من زلقته أزلقه زَلْقا . وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء ، من أزلقه يُزْلِقه .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان فى العرب، متقاربتا المعنى، والعرب تقول للذى يحلق الرأس : قد أزلقه وزلقه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) يقول : لما سمعوا كتاب الله يتلى (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم : إن محمدا لمجنون ، وهذا الذى جاءنا به من الهذيان الذى يَهْذِى به فى جنونه ، (وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) وما محمد إلا ذِكْر ذَكَّر الله به العالَمِين : الثقلين الجنّ والإنس .

آخر تفسير سورة نّ والقلم

تفسير سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلْحَآقَّةُ (١) مَا ٱلْحَآقَّةُ ؟ (٢) وَمَآ أَدْرَٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ؟ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ (٤)

يقول تعالى ذكره : الساعة (الْحَاقَّةُ) التى تحقّ فيها الأمور ، و يجب فيها الجزاء على الأعمال (ماالْحَاقَّةُ ؟) يقول : أىّ شىء الساعة الحاقة ؟ وذُكر عن العرب أنها تقول : لما عرف الحاقة متى والحقة متى ، وبالكسر بمعنى واحد فى اللغات الثلاث ، وتقول : قد حقّ عليه الشىء إذا وجب ، فهو يحقّ حقوقا . والحاقة الأولى مرفوعة بالثانية ، لأن الثانية بمنزلة الكناية عنها ، كأنه عجب منها ، فقال : الحاقة : ما هى؟ كما يقال : زيد ما زيد . والحاقة الثانية مرفوعة بما ، وما بمعنى أى ، وما رفع بالحاقة الثانية ، ومثله فى القرآن (وأصحَابُ اليَمِين ما أصحَابُ اليَمِينِ — والقارِعَةُ ما القارِعَةُ) فما فى موضع رفع بالقارعة الثانية ، والأولى بجملة الكلام بعدها .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (الْحَاقَّةُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (الْحَاقَّةُ) قال : من أسماء يوم القيامة عظمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عكرمة قال (الْحَاقَّةُ) القيامة.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْحَاقَّةُ) يعنى الساعة ، أحقت لكل عامل عمله .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْحاقَّةُ) قال : أحقت لكلّ قوم أعمالهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الْحاقَّةُ) يعنى : القيامة .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْحاقَّةُ ما الْحاقَّةُ؟ والقارعة ما القارعة ؟ والواقعة ، والطَّامَّة ، والصَّاخَّة) قال : هذا كله يوم القيامة الساعة ، وقرأ قول الله (لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ خافِضَةٌ رافِعَةٌ) والخافضة من هؤلاء أيضا خفضت أهل النار ، ولا نعلم أحدا أخفض من أهل النار ، ولا أذلّ ولا أخزى ؛ ورفعت أهل الجنة ، ولا نعلم أحدا أشرف من أهل الجنة ولا أكرم .

وقوله (وَما أَدْراكَ ما الْحاقَّةُ؟) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأىّ شىء أدراك وعرّفك أىّ شىء الحاقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان قال : ما فى القرآن : وما يدريك ، فلم يخبره ، وما كان وما أدراك ، فقد أخبره .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أَدْراكَ ما الْحاقَّةُ) تعظيما ليوم القيامة كما تسمعون .

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بالقارِعَةِ) يقول تعالى ذكره : كذّبت ثمود قوم صالح ، وعاد قوم هود ، بالساعة التى تقرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم . والقارعة أيضا : اسم من أسماء القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بالقارِعَةِ) : أى بالساعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بالقارِعَةِ) قال : القارعة : يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ ؟ (٨)

⁂ يقول تعالى ذكره (فَأَمَّا ثَمُودُ) قوم صالح ، فأهلكهم الله بالطاغية .

⁂ واختلف فى معنى الطاغية التى أهلك الله بها ثمود أهلُ التأويل، فقال بعضهم : هى طغيانهم وكفرهم بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) قال : بالذنوب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) فقرأ قول الله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) وقال: هذه الطاغية طغيانهم ،وكفرهم بآيات الله، الطاغية طغيانهم الذى طغَوا فى معاصى الله وخلاف كتاب الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التى قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ): بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بالطَّاغِيَةِ) قال : أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهمدتهم .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فأُهلكوا بالصيحة الطاغية .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذى أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذى أهلكها به ، فقال (وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذى أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك فى سياق واحد ، وفى إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح ، الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت .

وقوله (وأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) يقول تعالى ذكره : وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر ، وهى الشديدة العصوف مع شدّة بردها (عاتِيَةٍ) يقول: عتت على خُزّانها فى الهبوب ، فتجاوزت فى الشدّة والعُصُوف مقدارها المعروف فى الهبوب والبرد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه،عن ابن عباس ، قوله (وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) يقول : بريح مهلكة باردة ، عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة دائمة لا تُفْتُر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأمَّا عادٌ فأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) والصرصر الباردة ، عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن المسيب ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : « ما أرسل الله من ريح قطّ إلا بمكيال ، ولا أنزل قطرة قطّ إلا بمثقال ، إلا يوم نوح ويوم عاد ، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه ، فلم يكن لهم عليه سبيل ، ثم قرأ (إنَّا لَمَّا طَغَى الماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الجارِيَةِ) ، وإن الريح عتت على خزّانها فلم يكن لهم عليها سبيل ، ثم قرأ (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا أبو سنان سعيد ، عن غير واحد ، عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك ؛ فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزّان ، فطغى الماء على الجبال فخرج ، فذلك قول الله (إنَّا لَمَّا طَغَى الماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الجارِيَةِ) ولم ينزل من الريح شيء إلا بكيل على يدى ملك إلا يوم عاد ، فإنه أذن لها دون الخزّان ، فخرجت ، وذلك قول الله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) عتت على الخزّان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) قال : الصرصر : الشديدة . والعاتية : القاهرة التي عتت عليهم فقهرتهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَرْصَرٍ) قال : شديدة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) يعني : باردة عاتية ، عتت عليهم بلا رحمة ولا بركة .

وقوله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) يقول تعالى ذكره : سخر تلك الرياح على عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فقال بعضهم : عُنِي بذلك تباعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) يقول : تباعا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود : (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود ، مثل حديث محمد بن عمرو .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله (حُسُوما) قال : تباعا .

قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرِمة ، فى قوله : (حُسُوما) قال : تباعا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن عكرِمة ، أنه قال فى هذه الآية (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس لها فترة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ليس فيها تفتير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حُسُوما) قال : دائمات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبى معمر عبد الله بن سَخْبَرَة ، عن ابن مسعود (أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (أيَّام حُسُوما) قال : تباعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (أيَّامٍ حُسُوما) قال : متتابعة ، وأيام نَحِسات ، قال : مشائيم .

وقال آخرون : عنى بقوله (حُسُوما) الريح ، وأنها تحسُم كلّ شىء ، فلا تبقى من عاد أحدا ، وجعل هذه الحسوم من صفة الريح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) : قال : حسمتهم لم تُبق منهم أحدا ، قال : ذلك الحسوم مثل الذى يقول : احسم هذا الأمر ؛ قال : وكان فيهم ثمانية لهم خلق يذهب بهم فى كل مذهب ؛ قال : قال موسى بن عقبة : فلما جاءهم العذاب قالوا : قوموا بنا نردّ هذا العذاب عن قومنا ؛ قال : فقاموا وصفوا فى الوادى ، فأوحى الله إلى ملك الريح أن يقلع منهم كل يوم واحدا ، وقرأ قول الله (سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوما) حتى بلغ (نَخْلٍ خاوِيَةٍ) ؛ قال : فإن كانت الريح لتمرّ بالظعينة فتستدبرها وحولها ، ثم تذهب بهم فى السماء ، ثم تكبهم على الرءوس ، وقرأ قول الله (فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضًا مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ قالُوا هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا) قال : وكان أمسك عنهم المطر ، فقرأ حتى بلغ (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأمْرِ رَبِّها) قال : وما كانت الريح تقلع من أولئك الثمانية كلّ يوم إلا واحدا ؛ قال : فلما عذّب الله قوم عاد ، أبقى الله واحدا ينذر الناس ، قال : فكانت امرأة قد رأت قومها ، فقالوا لها : أنت أيضا ، قالت : تنحيت على الجبل ؛ قال : وقد قيل

لها بعد : أنت قد سلمت وقد رأيت ، فكيف لارأيت عذاب الله ؟ قالت : ما أدرى غير أن أسلم ليلة ليلة لاريح .

❁ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عُنِى بقوله (حُسُوما) متتابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . وكان بعض أهل العربية يقول : الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشىء فلم ينقطع أوّله عن آخره قيل فيه حسوم ؛ قال : وإنما أخذ ، والله أعلم ، من حسم الداء : إذا كوى صاحبه ، لأنه لحم يكوى بالمكواة ، ثم يتابع عليه .

وقوله (فَتَرَى القَوْمَ فِيها صَرْعَى) يقول : فترى يامحمد قوم عاد فى تلك السبع الليالى والثمانية الأيام الحسوم صرعى قد هلكوا (كأنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) يقول : كأنهم أصول نخل قد خَوَتْ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُمْ أعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ) وهى أصول النخل .

وقوله (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فهل ترى يامحمد لعاد قوم هود من بقاء . وقيل : عُنِى بذلك فهل ترى منهم باقيا . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من البصريين يقول : معنى ذلك : فهل ترى لهم من بقية ، ويقول : مجازها مجاز الطاغية مصدر .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (١٢)

❁ يقول تعالى ذكره (وَجاءَ فِرْعَوْنُ) مصر . واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَمَنْ قَبْلَهُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ومكة خلا الكسائىّ (وَمَنْ قَبْلَهُ) بفتح القاف وسكون الباء ، بمعنى : وجاء مَنْ قَبل فرعون من الأمم المكذّبة بآيات الله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ، بالخطيئة . وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة والكسائى (وَمَنْ قِبَلَهُ) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى : وجاء مع فرعون من أهل بلده مصر من القبط .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَالمُؤْتَفِكاتُ بالخاطِئَةِ) يقول : والقُرى التى ائتفكت بأهلها ، فصار عاليها سافلها (بالخاطِئَةِ) يعنى بالخطيئة . وكانت خطيئتها : إتيانها الذكران فى أدبارهم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَالمُؤْتَفِكاتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكاتُ) قرية لوط . وفى بعض القراءة (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ) قال : المؤتفكات : قوم لوط ، ومدينتهم وزرعهم . ، وفى قوله (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) قال : أهواها من السماء : رمى بهم من السماء ، أوحى الله إلى جبريل عليه السلام ، فاقتلعها من الأرض ، ربضها ومدينتها ، ثم هوى بها إلى السماء ، ثم قلبهم إلى الأرض ، ثم أتبعهم الصخر حجارة ، وقرأ قول الله (حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً) قال : المسوّمة : المُعَدَّة للعذاب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ) يعنى المكذّبين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْمُؤْتَفِكاتُ) هم قوم لوط ، ائتفكت بهم أرضهم .

وبما قلنا فى قوله (بِالْخاطِئَةِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِالْخاطِئَةِ) قال : الخطايا .

وقوله (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) يقول جلّ ثناؤه : فعصى هؤلاء الذين ذكرهم الله ، وهم فرعون ومن قبله والمؤتفكات رسول ربهم .

وقوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) يقول : فأخذهم ربهم بتكذيبهم رسله أخذة ، يعنى أخذة زائدة شديدة نامية من قولهم أربيت : إذا أخذ أكثر مما أعطى من الربا ، يقال : أربيت فربا رباك ، والفضة والذهب قد ربَوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَخْذَةً رابِيَةً) قال : شديدة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) يعنى أخذة شديدة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً) قال : كما يكون فى الخير رابية ، كذلك يكون فى الشرّ رابية ، قال : ربا عليهم : زاد عليهم

وقرأ قول الله عزّ وجلّ (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ) ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدًى ، وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) يقول : ربا لهؤلاء الخير ولهؤلاء الشرّ .

وقوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) يقول تعالى ذكره : إنا لما كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف ، كان له ، وذلك زمن الطوفان .

وقيل : إنه زاد فلا فوق كلّ شيء بقدر خمس عشرة ذراعا .

ذكر من قال ذلك ، ومن قال فى قوله (طَغَى) مثل قولنا

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) قال : بلغنا أنه طغى فوق كلّ شيء خمس عشرة ذراعا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) ذاكم زمن نوح طغى الماء على كلّ شيء خمس عشرة ذراعا بقدر كل شيء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّيّ ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) قال : لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزان ، إلا حيث طغى الماء ، فإنه قد غضب لغضب الله ، فطغى على الخزان ، فخرج ما لايعلمون ما هو .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) إنما يقول : لما كثر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ) يعنى كثر الماء ليالى غرّق الله قوم نوح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ) قال محمد ابن عمرو فى حديثه : طما ؛ وقال الحارث : ظهر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، فى قوله (لَمَّا طَغَى المَاءُ) : كثر وارتفع .

وقوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) يقول : حملناكم فى السفينة التى تجرى فى الماء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ) والجارية : السفينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ)

والجارية : سفينة نوح التى حملتم فيها ؛ وقيل : حملناكم ، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده ، لأن الذين خوطبوا بذلك ، ولد الذين حملوا فى الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد ، حملا لذريتهم على ما قد بيّنا من نظائر ذلك ، فى أماكن كثيرة من كتابنا هذا .

وقوله (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) يقول : لنجعل السفينة الجارية التى حملناكم فيها لكم تذكرة ، يعنى عبرة وموعظة تتعظون بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية ، حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رمادا .

وقوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يعنى حافظة ، عقلت عن الله ما سمعت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : حافظة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) يقول : سامعة وذلك الإعلان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى خالد بن قيس ، عن قتادة (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن عقلت عن الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) أذن عقلت عن الله ، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : أذن سمعت ، وعقلت ما سمعت .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) سمعتها أذن ووعت .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن علىّ بن حوشب ، قال : سمعت مكحولا يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) ثم التفت إلى علىّ ، فقال : سألتُ اللهَ أنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ ، قال علىّ رضى الله عنه : فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته » .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، قال : ثنى عبد الله ابن رستم ، قال : سمعت بُرَيدة يقول : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ : يا عَلِىُّ إنّ اللهَ أمرَنى أنْ أُدْنِيكَ وَلا أُقْصِيكَ ، وأنْ أُعَلِّمَكَ ، وأنْ تَعِى ، وحَقٌّ على اللهِ أنْ تَعِى » ، قال : فنزلت (وَتَعِيَها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا الحسن بن حماد ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمىّ ، عن فضيل بن عبد الله ، عن أبى داود ، عن بُرَيدة الأسلمىّ ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ : إنّ اللهَ أمرَنِى أنْ أُعَلِّمَكَ وأنْ أُدْنِيَكَ وَلا أجْفُوَكَ وَلا أُقْصِيَكَ » ، ثم ذكر مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَعِيَها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قال : واعية يحذرون معاصىَ الله أن يعذّبهم الله عليها ، كما عذّب من كان قبلهم تسمعها فتعيها ، إنما تعى القلوب ما تسمع الآذان من الخير والشرّ من باب الوعى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَٰقِعَةُ (١٥)

يقول تعالى ذكره : (فإذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ) إسرافيل (نَفْخَةً وَاحِدَةً) وهى النفخة الأولى ، (وحُمِلَتِ الأرْضُ والجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً) يقول : فزلزلتا زلزلة واحدة .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وحُمِلَتِ الأرْضُ والجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً) قال : صارت غبارا . وقيل : (فَدُكَّتا) وقد ذكر قبل الجبال والأرض ، وهى جماع ، ولم يقل : فدككن ، لأنه جعل الجبال كالشىء الواحد ، كما قال الشاعر :

هُمَا سَيِّدَانا يَزْعُمانِ وإنَّمَا يَسُودانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَماهُمَا[1]

---

(١) نسب البيت صاحب اللسان (يسر) والعينى فى شرح شواهد الألفية إلى أبى أسيدة الدبيرى . وأنشد فى اللسان قبله بيتا آخر ، وهو :

إنَّ لَنَا شَيْخَيْنِ لا يَنْفَعانِنا غَنِيَّيْنِ لا يُجْدِى عَلَيْنا غِناهُما

أى ليس فيهما من السيادة إلا كونهما قد يسرت غنماهما ، أى كثرت وكثرت ألبانها ونسلها ، والسودد يوجب البذل والعطاء والحراسة والحماية وحسن التدبير والحلم ، وليس عندهما من ذلك شىء . واستشهد المؤلف بالبيت على أن الشاعر قال : غنماهما بلفظ التثنية للغنم ، مع أن الغنم اسم للجمع ، وليس بمفرد ، ولكنه عامله معاملة المفرد ، كما اعتبرت الجبال فى قوله تعالى « وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » فى حكم المفرد كالأرض ، ولذلك قال : فدكتا ، ولم يقل فدككن . اهـ . وفى البيت شاهد آخر عند النحويين فى باب إلغاء عمل ظن وأفعال القلوب إذا تأخرت عن معمولها ، ولو تقدمت عليهما لعملت فيهما النصب .

وكما قيل : (إنَّ السَّمَوَاتِ والأرْضَ كانَتا رَتْقا) ، (فيومئذ وقعت الواقعة) يقول جلّ ثناؤه : فيومئذ وقعت الصيحة ، الساعة ، وقامت القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وانصدعت السماء (فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) يقول : منشقة متصدّعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم ، قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها ، ونزل مَن فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ؛ فصفوا صفا دون صفّ ، ثم نزل الملك الأعلى على مُجَنَّبَتِه اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض ، إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه ، فذلك قول الله (إنِّى أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ إنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ) ، وذلك قوله : (وَٱنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالمَلَكُ على أرْجائِها) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَٱنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) يعنى : متمزّقة ضعيفة .

(وَالمَلَكُ على أرْجائِها) يقول تعالى ذكره : والملك على أطراف السماء حين تشقق وحافاتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والمَلَكُ على أرْجائِها) يقول : والملك على حافات السماء حين تشقّق ، ويقال على شقة كلّ شىء تشقّق عنه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالمَلَكُ على أرْجائِها) قال : أطرافها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَالمَلَكُ على أرْجائها) قال : على حافات السماء .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن الأجلح ، قال : قلت للضحاك : ما أرجاؤها ، قال : حافاتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والمَلَكُ عَلى أرْجائها) على حافاتها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر (وَالمَلَكُ على أرْجائها) قال : بلغنى أنها أقطارها ، قال قتادة : على نواحيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَالمَلَكُ على أرْجائها) قال : نواحيها .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن المسيب : الأرجاء : حافات السماء .

قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير (وَالمَلَكُ على أرْجائها) قال : على ما لم يَهِ منها .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا حسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (والمَلَكُ على أرْجائها) قال : على ما لم يَهِ منها .

وقوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) اختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله (ثَمَانِيَةٌ) فقال بعضهم : عنى به ثمانية صفوف من الملائكة ، لايعلم عدتهن إلا الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، عن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة ، لايعلم عدتهم إلا الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال : هى الصفوف من وراء الصفوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال : ثمانية صفوف من الملائكة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال بعضهم : ثمانية صفوف لايعلم عدتهن إلا الله. وقال بعضهم : ثمانية أملاك على خلق الوعلة .

وقال آخرون : بل عُنِى به ثمانية أملاك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال : ثمانية أملاك ، وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَحْمِلُهُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، وَيَوْمَ القِيامَةِ ثَمَانِيَةٌ » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أَقْدَامَهُمْ لَفِي الأَرْضِ السَّابِعَةِ ، وَإنَّ مَنَاكِبَهُمْ لَخَارِجَةٌ مِنَ السَّمَوَاتِ عَلَيْهَا العَرْشُ » قال ابن زيد : الأربعة : قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَهُمُ اللهُ قالَ : تَدْرُونَ لِمَ خَلَقْتُكُمْ ؟ قالُوا : خَلَقْتَنَا رَبَّنَا لِمَا تَشاءُ ، قالَ لَهُمْ : تَحْمِلُونَ عَرْشِي ، ثُمَّ قالَ : سَلُونِي مِنَ القُوَّةِ ما شِئْتُمْ أَجْعَلْها فِيكُمْ ، فَقالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : قَدْ كانَ عَرْشُ رَبِّنَا عَلَى المَاءِ ، فاجْعَلْ فِيَّ قُوَّةَ المَاءِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ المَاءِ ؛ وقال آخَرُ : اجْعَلْ فِيَّ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ السَّمَوَاتِ ؛ وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِيَّ قُوَّةَ الأَرْضِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الأَرْضِ والجِبالِ ؛ وقالَ آخَرُ : اجْعَلْ فِيَّ قُوَّةَ الرِّياحِ ، قالَ : قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ قُوَّةَ الرِّياحِ ؛ ثُمَّ قال : احْمِلُوا ، فَوَضَعُوا العَرْشَ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ ، فَلَمْ يَزُولُوا ؛ قالَ : فَجاءَ عِلْمٌ آخَرُ ، وإنَّمَا كانَ عِلْمُهُمُ الَّذِي سألُوهُ القُوَّةَ ، فَقالَ لَهُمْ : قُولُوا : لاحَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فَقالُوا : لاحَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِمْ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ ما لَمْ يَبْلُغْهُ عِلْمُهُمْ ، فَحَمَلُوا » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هُمُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ » ، يعنى حَمَلة العرش ، وَإذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أَيَّدَهُمُ اللهُ بِأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ فَكانُوا ثَمانِيَةً ، وَقَدْ قالَ اللهُ : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قوله (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ) قال : أرجلهم فى التخوم لايستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور .

وقوله (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ، لاتَخْفَى مِنْكُمْ خافِيَةٌ) يقول تعالى ذكره : يومئذ أيها الناس تعرضون على ربكم ، وقيل : تعرضون ثلاث عَرَضات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة الباهلىّ ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، قال : ثنا علىّ بن علىّ الرفاعىّ ، عن الحسن ، عن أبى موسى الأشعرىّ ، قال : « تُعرض الناس ثلاث عَرَضات ، فأما عَرْضتان فجدال ومعاذير . وأما الثالثة ، فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فآخذ بيمينه ، وآخذ بشماله » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سليمان بن حيّان ، عن مروان الأصغر ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضات : عَرْضتان معاذير وخصومات ، والعَرْضة الثالثة تطيرُ الصحف فى الأيدى » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاتَخْفَى

مِنْكُمْ خافِيَةٌ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُعرض الناس ثلاث عرضات يوم القيامة ، فأما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال . وأما العرضة الثالثة فتطير الصحف فى الأيدى » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقوله (لا تَخْفَى مِنْكُمْ خافِيَةٌ) يقول جلّ ثناؤه : لا تخفى على الله منكم خافية ، لأنه عالم بجميعكم ، محيط بكلكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ (١٩) إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه ، فيقول تعالى (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) .

كما حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (هاؤُمُ اقْرءُوا كِتابِيَهْ) قال : تعالَوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان بعض أهل العلم يقول : وجدت أكيس الناس من قال : (هاؤُمُ اقْرءُوا كِتابِيَهْ) .

وقوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) يقول : إنى علمت أنى ملاق حسابيه ، إذا وردت يوم القيامة على ربى .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) يقول : أيقنت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) : ظنّ ظنا يقينا ، فنفعه الله بظنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) قال : إن الظنّ من المؤمن يقين ، وإن عسى من الله واجب (فَعَسَىٰ أُولَٰٓئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وعَسَى أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنِّى ظَنَنْتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسابِيَهْ) قال : ما كان من ظنّ الآخرة فهو علم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : كلّ ظنّ فى القرآن (إِنِّى ظَنَنْتُ) يقول : أى علمت .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فالذى وصفت أمره ، وهو الذى أُوتِىَ كتابه بيمينه ، فى عيشة مرضية ، أو عيشة فيها الرضا . فوصف العيشة بالرضا وهى مرضية ، لأن ذلك مدح للعيشة . والعرب تفعل ذلك فى المدح والذمّ فتقول : هذا ليل نائم ، وسرّ كاتم ، وماء دافق ، فيوجهون الفعل إليه ، وهو فى الأصل مفعول لما يراد من المدح أو الذمّ ، ومن قال ذلك لم يجز له أن يقول للضارب مضروب ، ولا للمضروب ضارب ، لأنه لامدح فيه ولا ذمّ .

وقوله (فِى جَنَّةٍ عالِيَةٍ) يقول : فى بستان عال رفيع ، و « فى » من قوله (فى جَنَّةٍ) من صلة عيشة

وقوله (قُطُوفُها دانِيَةٌ) يقول : ما يُقْطف من الجنة من ثمارها دان قريب من قاطفه .

وذُكر أن الذى يريد ثمرها يتناوله كيف شاء ، قائما وقاعدا ، لايمنعه منه بُعد ، ولا يحول بينه وبينه شوك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البَراء يقول فى هذه الآية (قُطُوفُها دانِيَةٌ) قال : يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُطُوفُها دانِيَةٌ) : دنت فلا يردّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شَوكٌ .

وقوله (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئا بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، فِى الأيّامِ الخَالِيَةِ) يقول لهم ربهم جل ثناؤه : كلوا معشر من رَضِيتُ عنْهُ ، فأدخلتُه جنتى ، من ثمارها ، وطيب ما فيها من الأطعمة ، واشربوا من أشربتها . (هَنِيئا لَكُمْ) لاتتأذون بما تأكلون ، ولا بما تشربون ، ولا تحتاجون من أكل ذلك إلى غائط ولا بول . (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأيّامِ الخالِيَةِ) يقول : كلوا واشربوا هنيئا : جزاء من الله لكم ، وثوابا بما أسلفتم ، أو على ما أسلفتم : أى على ما قدّمتم فى دنياكم لآخرتكم ، من العمل بطاعة الله فى الأيام الخالية ، يقول : فى أيام الدنيا التى خلت فمضت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله : (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأيّامِ الخالِيَةِ) إن أيامكم هذه أيام خالية : هى أيام فانية ، تؤدّى إلى أيام باقية ، فاعملوا فى هذه الأيام ، وقدّموا فيها خيرا إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الخَالِيَةِ) قال : أيام الدنيا بما عملوا فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : وأما من أُعطِىَ يومئذ كتاب أعماله بشماله ، فيقول : يا ليتنى لم أُعْط كتابيه ، (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ) يقول : ولم أدر أىّ شىء حسابيه .

وقوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) يقول : يا ليت الموتة التى منها فى الدنيا كانت هى الفراغ من كلّ مابعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث ، والقضاء : هو الفراغ . وقيل : إنه تمنّى الموت الذي يقضى عليه ، فتخرج منه نفسه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) تمنى الموت ، ولم يكن فى الدنيا شىء أكره عنده من الموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ) الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذى أوتى كتابه بشماله (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ) يعنى أنه لم يدفع عنه ماله الذى كان يملكه فى الدنيا من عذاب الله شيئا (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) يقول : ذهبت عنى حُجَجى ، وضلت ، فلا حُجَّةَ لى أحتجّ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) يقول : ضلت عنى كلّ بينة ، فلم تغن عنى شيئا .

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ ، قال : سمعت عكرمة يقول : (هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ) قال : حُجّتى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ) قال : حُجّتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ) أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجبيها ، ولكن الله خلقهم ، وسلّطهم على أقرانهم ، وأمرهم بطاعة الله ، ونهاهم عن معصية الله .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ) يقول : بينى ضلّت عنى .

وقال آخرون : عنى بالسلطان فى هذا الموضع : الملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلَكَ عَنِّى سُلْطانِيَهْ) : قال : سلطان الدنيا .

وقوله (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ) يقول تعالى ذكره لملائكته من خزّان جهنم (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الجَحِيمَ صَلّوهُ) يقول : ثم فى نار جهنم أوردوه ليُصْلَى فيها (ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعاً فاسْلُكُوهُ) يقول : ثم اسلكوه فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا بذراع الله أعلم بقدر طولها . وقيل : إنها تدخل فى دُبُره ، ثم تخرج من منخريه .

وقال بعضهم : تدخل فى فيه وتخرج من دبره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن ذُعْلوق ، قال : سمعت نوفا يقول (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعا) قال : كلّ ذراع سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى نسير ، قال : سمعت نوفا يقول فى رَحْبة الكوفة فى إمارة مصعب بن الزبير فى قوله (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعا) قال : الذراع : سبعون باعا ، الباع : أبعد ما بينك وبين مكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن نسير بن ذعلوق أبى طعمة ، عن نوف البكالى (فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعا) قال : كلّ ذراع سبعون باعا ، كلّ باع أبعد مما بينك وبين مكة ، وهو يومئذ فى مسجد الكوفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعا فاسْلُكُوهُ) قال : بذراع الملك فاسلكوه ، قال : تسلك فى دُبره ، حتى تخرج من مَنْخِريه ، حتى لايقوم على رجليه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمربن بشير المنقرى ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبى السمح ، عن عيسى بن هلال الصَّدَفىّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أنَّ رَصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ ، وأشار إلى جمجمة ، أُرْسِلَتْ مِنَ السَّماء إلى الأرْض ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْس مِئَةِ سَنَةٍ ، لَبَلَغَتِ الأرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ رأسِ السِّلْسِلَةِ لَسارَتْ أرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ والنَّهارَ قَبْلَ أنْ تَبْلُغَ قَعْرَها ، أوْ أصْلَها » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك ، عن مجاهد ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، (فاسْلُكُوهُ) قال : السلك : أن تدخل السلسلة فى فيه ، وتخرج من دبره . وقيل : (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعا فاسْلُكُوهُ) وإنما تسْلَك السلسلة فى فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسى فى القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة فى الرأس ، وكما قال الأعشى :

إذَا ما السَّرَابُ ارْتَدَى بالأكَمْ[1]

وإنما يرتدى الأكم بالسراب وما أشبه ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه ، وأنه لايشكل على سامعه ما أراد قائله .

وقوله (إنَّهُ كانَ لايُؤْمِنُ بالله العَظِيمِ) يقول : افعلوا ذلك به ، جزاء له على كفره بالله فى الدنيا ، إنه كان لايصدّق بوحدانية الله العظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هذا الشقىّ الذى أوتى كتابه بشماله ، إنه كان فى الدنيا لايحضّ الناس على إطعام أهل المسكنة والحاجة .

(١) هذا عجز بيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له يمدح بها قيس بن معد يكرب ٣٥ وما بعدها ورواية البيت كله كما فى الديوان :

غَضُوبٌ مِنَ السَّيْفِ زَيَّافَةٌ إذا ما ارْتَدَى بالسَّرابِ الأكَمْ

وعلى رواية المؤلف يكون فى البيت قلب ، لأن المعنى : إذا ارتدى الأكم بالسراب ، كما فى رواية الديوان . وأما على رواية الديوان . فلا قلب . وقد جعل المؤلف على روايته القلب فى البيت نظير ما فى قوله تعالى « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » قال : تسلك السلسلة فى فيه ، كما قالت العرب : أدخلت رأسى فى القلنسوة ، وإنما تدخل القلنسوة فى الرأس . وإنما قيل ذلك كذلك لمعرفة السامعين معناه ، وأنه لايشكل على سامعه ما أراد قائله . اهـ .

وقوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ) يقول جلّ ثناؤه : فليس له اليوم، وذلك يوم القيامة هاهنا، يعنى فى الدار الآخرة ، حميم ، يعنى قريب يدفع عنه ، ويغيثه مما هو فيه من البلاء .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ) : القريب فى كلام العرب (وَلا طَعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) يقول جلّ ثناؤه : ولا له طعام كما كان لايحضّ فى الدنيا على طعام المسكين ، إلا طعام من غِسْلِينٍ ، وذلك ما يسيل من صديد أهل النار .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كلّ جرح غسلته فخرج منه شىء، فهو غسلين ، فعلين من الغسل ، من الجراح والدَّبَر ، وزيد فيه الياء والنون ، بمنزلة عفرين .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا طَعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا طَعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) قال : ما يخرج من لحومهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا طَعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) : شرّ الطعام وأخبثه وأبشعه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا طَعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) قال : الغسلين والزَّقوم لايعلم أحد ما هو .

وقوله (لايأْكُلُهُ إلاَّ الخاطِئُونَ) يقول : لايأكل الطعام الذى من غسلين إلا الخاطئون ، وهم المذنبون ، الذين ذنوبهم كفر بالله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ، قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ، قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : فلا، ما الأمر كما تقولون معشرَ أهل التكذيب بكتاب الله ورسله ، أقسم بالأشياء كلها التى تبصرون منها ، والتى لاتبصرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ ، وَما لا تُبْصِرُونَ) قال : أقسم بالأشياء ، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لا تُبْصِرُونَ) يقول : بما ترون وبما لا ترون .

وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إنّ هذا القرآن لقول رسول كريم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم يتلوه عليهم .

وقوله (وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ ، قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمدا لا يُحسن قِيل الشعر ، فتقولوا هو شعر (قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ) يقول : تُصدّقون قليلا به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركى قريش (وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ ، قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) يقول : ولا هو بقول كاهن ، لأن محمدا ليس بكاهن ، فتقولوا : هو من سجع الكهان (قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) يقول : تتعظون به أنتم ، قليلا ما تعتبرون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ ، قَلِيلاً ما تُؤْمِنُونَ) : طهّره الله من ذلك وعصمه (وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ ، قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ) : طهّره الله من الكهانة ، وعصمه منها .

القول فى تأويل قوله تعالى

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ولكنه (تَنْزِيلٌ من ربّ العالَمِينَ) نزل عليه (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا) محمد (بَعْضَ الأقاوِيلِ) الباطلة ، وتكذّب علينا (لأَخَذْنا مِنْهُ بالْيَمِينِ) يقول : لأخذنا منه بالقوّة منا والقدرة ، ثم لقطعنا منه نياط القلب . وإنما يعنى بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخره بها .

وقد قيل : إن معنى قوله (لأَخَذْنا مِنْهُ بالْيَمِينِ) : لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه ، قالوا : وإنما ذلك مَثَلٌ ، ومعناه : إنا كنا نُذِلّه ونهينه ، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتين ؛ قالوا : وإنما ذلك كقول ذى السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه ، لبعض أعوانه ، خذ بيده فأقمه ، وافعل به كذا وكذا . قالوا : وكذلك معنى قوله (لأَخَذْنا مِنْهُ بالْيَمِينِ) : أى لأهناه ، كالذى يفعل بالذى وصفنا حاله .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (الوَتِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس (لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال : نياط القلب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس (الوَتِينَ) : نِياط القلب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ،قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) يقول : عرق القلب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) يعنى : عرقا فى القلب ، ويقال : هو حبل القلب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الوَتِينَ) قال : حبل القلب الذى فى الظهر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال : حبل القلب .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ) : وتين القلب : وهو عرق يكون فى القلب ، فإذا قطع مات الإنسان .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ): قال : الوتين: نياط القلب ، الذى القلب متعلق به ، وإياه عنى الشماخ بن ضرار التغلبى بقوله :

إذَا بَلَّغَتْنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بدَمِ الوَتِينِ[1]

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم

(١) البيت للشماخ بن ضرار الغلبى (ديوانه طبع القاهرة ٩٢) من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيظى ، وكان هو وأبوه من الصحابة ، وكان عرابة مشهورا بالكرم . وعرابة منصوب مفعول ثان لبلغتنى . والوتين : قال : أبوعبيدة : نياط القلب . وأنشد بيت الشماخ (الورقة ١٨٠) وفى اللسان : الوتين : عرق فى القلب ، إذا انقطع مات صاحبه .

مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) .

يقول تعالى ذكره : فما منكم أيها الناس من أحد عن محمد ، لو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، فأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، حاجزين يحجزوننا عن عقوبته ، وما نفعله به . وقيل : حاجزين فجمع وهو فعل لأحد ، وأحد فى لفظ واحد ردّا على معناه ، لأن معناه الجمع ، والعرب تجعل أحدا للواحد والاثنين والجمع ، كما قيل (لانُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) وبين : لاتقع إلا على اثنين فصاعدا .

وقوله (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن لتذكرة ، يعنى عظة يتذكر به ، ويتعظ به للمتقين ، وهم الذين يتقون عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) قال : القرآن

وقوله (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : وإنا لنعلم أن منكم مكذّبين أيها الناس ، بهذا القرآن (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول جلّ ثناؤه : وإن التكذيب به لحسرة وندامة على الكافرين بالقرآن يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ذاكم يوم القيامة (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ) : يقول : وإنه للحقّ اليقين الذى لاشكّ فيه أنه من عند الله ، لم يتقوّله محمد صلى الله عليه وسلم (فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) بذكر ربك وتسميته العظيم ، الذى كلّ شىء فى عظمته صغير .

آخر تفسير سورة الحاقة

تفسير سورة سأل سائل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (سأَلَ سائِلٌ) فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (سأَلَ سائِلٌ) بهمز سأل سائل، بمعنى سأل سائل من الكفار ، عن عذاب الله ، بمن هو واقع ؛ وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة (سالَ سائِلٌ) فلم يهمز سأل ، ووجّهه إلى أنه فعل من السيل .

والذى هو أولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأه بالهمز لإجماع الحجة من القرّاء على ذلك، وأن عامة أهل التأويل من السلف بمعنى الهمز تأوّلوه .

ذكر من تأوّل ذلك كذلك ، وقال تأويله نحو قولنا فيه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سأَلَ سائِلٌ بعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله ، وهو واقع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (إنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) . . . الآية ، قال (سأَلَ سائِلٌ بعَذَابٍ وَاقِعٍ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (سأَلَ سائِلٌ) قال : دعا داع بعذاب وَاقِعٍ) قال : يقع فى الآخرة ، قال : وهو قولهم (اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سأَلَ سائِلٌ بعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال : سأل عذابَ الله أقوام ، فبين الله على من يقع على الكافرين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (سأَلَ سائِلٌ) قال : سأل عن عذاب واقع ، فقال الله (للْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) .

وأما الذين قرءوا ذلك بغير همز ، فانهم قالوا : السائل : واد من أودية جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (سأل سائل بعذاب واقع) قال : قال بعض أهل العلم : هو واد فى جهنم ، يقال له سائل .

وقوله (بعذاب واقع للكافرين) يقول : سأل بعذاب للكافرين ، واجب لهم يوم القيامة ، واقع بهم ، ومعنى (للكافرين) على الكافرين ، كالذى حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بعذاب واقع للكافرين) يقول : واقع على الكافرين ، واللام فى قوله (للكافرين) من صلة الواقع .

وقوله (ليس له دافع من الله ذى المعارج) يقول تعالى ذكره : ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله ، دافع يدفعه عنهم .

وقوله (ذى المعارج) يعنى : ذا العلا والدرجات والفواضل والنعم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذى المعارج) يقول : العلو والفواضل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (من الله ذى المعارج) ذى الفواضل والنعم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (من الله ذى المعارج) قال : معارج السماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذى المعارج) قال : الله ذو المعارج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ذى المعارج) قال : ذى الدرجات .

وقوله (تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) يقول تعالى ذكره : تصعد الملائكة والروح ، وهو جبريل عليه السلام إليه ، يعنى إلى الله جل وعز ، والهاء فى قوله (إليه) عائدة على اسم الله (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : يقول : كان مقدار صعودهم ذلك فى يوم لغيرهم من الخلق ، خمسين ألف سنة ، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره ، من أسفل الأرض السابعة ، إلى منتهى أمره ، من فوق السموات السبع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة ، يعنى بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فى يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض ، مسيرة خمس مئة عام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم يفرغ فيه من القضاء بين خلقه ، كان قدر ذلك اليوم الذى فرغ فيه من القضاء بينهم قدر خمسين ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : فى يوم واحد يفرغ فى ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة فى هذه الآية (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) : ذاكم يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال معمر : وبلغنى أيضا ، عن عكرمة ، فى قوله (مقدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) لايدرى أحد كَمْ مضى ، ولا كم بقى إلا الله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (تَعْرُجُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ، فهذا يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يعنى يوم القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال : هذا يوم القيامة .

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجا حدثه، عن أبى الهيثم، عن سعيد: «أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ): ما أطول هذا. فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّيهَا فِى الدُّنْيَا».

وقد رُوى عن ابن عباس فى ذلك غير القول الذى ذكرنا عنه، وذلك ما حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن ابن أبى مليكة، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة: فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرنى، قال: هما يومان ذكرهما الله فى القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول فى كتاب الله ما لا يعلم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن ابن أبى مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، قال: فاتهمه، فقيل له فيه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرنى، فقال: هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول فى كتاب الله بما لا أعلم؛ وقرأت عامة قرّاء الأمصار قوله (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) بالتاء، خلا الكسائى، فإنه كان يقرأ ذلك بالياء، بخبر كان يرويه عن ابن مسعود، أنه قرأ ذلك كذلك.

والصواب من قراءة ذلك عندنا: ما عليه قرّاء الأمصار، وهو بالتاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) يقول تعالى ذكره: فاصبر صبرا جميلا، يعنى: صبرا لا جزع فيه، يقول له: اصبر على أذى هؤلاء المشركين لك، ولا يَثْنِيك ما تلقى منهم من المكروه، عن تبليغ ما أمرك ربك أن تبلغهم من الرسالة.

وكان ابن زيد يقول فى ذلك، ما حدثنى به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) قال هذا حين كان يأمره بالعفو عنهم، لا يكافئهم، فلما أمر بالجهاد والغلظة عليهم، أُمِر بالشدّة والقتل حتى يتركوا، ونسخ هذا، وهذا الذى قاله ابن زيد أنه كان أُمِر بالعفو بهذه الآية، ثم نُسخ ذلك، قول لا وجه له، لأنه لا دلالة على صحة ما قال، من بعض الأوجه التى تصحّ منها الدعاوى، وليس فى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الصبر الجميل على أذى المشركين، ما يوجب أن يكون ذلك أمرا منه له به فى بعض الأحوال، بل كان ذلك أمرا من الله له به فى كلّ الأحوال، لأنه لم يزل صلى الله عليه وسلم من لَدُن بعثه الله، إلى أن اختَرمه فى أذى منهم، وهو فى كلّ ذلك صابر على ما يلقى منهم من أذًى، قبل أن يأذن الله له بحربهم، وبعد إذنه له بذلك.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ.

* يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المشركين يرون العذاب الذى سألوا عنه ، الواقع عليهم ، بعيدا وقوعه ، وإنما أخبر جلّ ثناؤه أنهم يرون ذلك بعيدا ، لأنهم كانوا لا يصدّقون به ، وينكرون البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، فقال : إنهم يرونه غير واقع ، ونحن نراه قريبا ، لأنه كائن ، وكلّ ما هو آت قريب .

والهاء والميم من قوله (إِنَّهُمْ) من ذكر الكافرين ، والهاء من قوله (يَرَوْنَهُ) من ذكر العذاب .

وقوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) يقول تعالى ذكره : يوم تكون السماء كالشىء المذاب ، وقد بينت معنى المهل فيما مضى بشواهده ، واختلاف المختلفين فيه ، وذكرنا ما قال فيه السلف ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) قال : كَعَكَرِ الزيت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) : تتحوّل يومئذ لونا آخر إلى الحمرة .

وقوله (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) يقول : وتكون الجبال كالصوف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَالْعِهْنِ) قال : كالصوف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَالْعِهْنِ) قال : كالصوف .

وقوله (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ) يقول تعالى ذكره : ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه لشغله بشأن نفسه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) يشغل كلّ إنسان بنفسه عن الناس .

وقوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بالهاء والميم فى قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك الأقرباء ، أنهم يعرّفون أقرباءهم ، ويعرّف كلّ إنسان قريبه ، فذلك تبصير الله إياهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفرّ بعضهم من بعض ، يقول : (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُبَصَّرُونَهُمْ) يعرفونهم يعلمون ، والله ليعرفنّ قوم قوما ، وأناس أناسا .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك المؤمنون أنهم يبصرون الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) المؤمنون يبصرون الكافرين .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك الكفار الذين كانوا أتباعا لآخرين في الدنيا على الكفر ، أنهم يعرفون المتبوعين في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) قال : يُبَصَّرون الذين أضلوهم الدنيا النار .

⁂ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولا يسأل حميم حميما عن شأنه ، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم ، ثم يفرّ بعضهم من بعض ، كما قال جلّ ثناؤه (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) .

⁂ وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ، لأن ذلك أشبهها بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن قوله (يُبَصَّرُونَهُمْ) تلا قوله (وَلا يَسأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا) فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم ، أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَلا يَسأَلُ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر القارئ وشَيبة بفتح الياء ؛ وقرأه أبو جعفر وشيبة (وَلا يُسْئَلُ) بضم الياء ، يعني : لايقال لحميم أين حميمك ؟ ولا يطلب بعضهم من بعض .

والصواب من القراءة عندنا فتح الياء ، بمعنى : لايسأل الناس بعضهم بعضا عن شأنه ، لصحة معنى ذلك ، ولإجماع الحجة من القرّاء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)

⁂ يقول تعالى ذكره : يودّ الكافر يومئذ ويتمنى أنه يفتدى من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه وصاحبته ، وهى زوجته ، وأخيه ، وفصيلته ، وهم عشيرته التى تؤويه ، يعنى التى تضمه إلى رحله ، وتنزل فيه امرأته ، لقربة ما بينها وبينه ، وبمن فى الأرض جميعا من الخلق ، ثم ينجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم ، وبدأ جلّ ثناؤه بذكر البنين ، ثم الصاحبة ، ثم الأخ ، إعلاما منه عباده ، أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء ، يفتدى نفسه ، لو وجد إلى ذلك سبيلا ، بأحبّ الناس إليه كان فى الدنيا ، وأقربهم إليه نسبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وأخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ) الأحبّ فالأحبّ ، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ) قال : قبيلته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَصَاحِبَتِهِ) قال : الصاحبة الزوجة (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ) قال : فصيلته : عشيرته .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)

⁂ يقول تعالى ذكره : كلا ، ليس ذلك كذلك ، ليس ينجيه من عذاب الله شىء ، ثم ابتدأ الخبر عما أعدّه له هنالك جلّ ثناؤه ، فقال : (إِنَّهَا لَظَى) ولظى : اسم من أسماء جهنم ، ولذلك لم يجز .

واختلف أهل العربية فى موضعها ، فقال بعض نحويّى البصرة : موضعها نصب على البدل من الهاء ، وخبر إن (نَزَّاعَةً) ؛ قال : وإن شئت جعلت لظى رفعا على خبر إن ، ورفعت (نَزَّاعَةً) على الابتداء . وقال بعض من أنكر ذلك : لاينبغى أن يتبع الظاهر المكنى إلا فى الشذوذ ؛ قال : والاختيار (إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) لظى الخبر ، ونزاعة حال ؛ قال : ومن رفع استأنف ، لأنه مدح أو ذمّ ؛ قال : ولا تكون ابتداء إلا كذلك .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن (لَظَى) الخبر ، و (نَزَّاعَةً) ابتداء ، فذلك رفع ، ولا يجوز النصب فى القراءة لإجماع قرّاء الأمصار على رفعها ، ولا قارئ قرأ كذلك بالنصب ؛ وإن كان للنصب فى العربية وجه ؛ وقد يجوز أن تكون الهاء من قوله « إنها » عمادا ، ولظى مرفوعة بنزّاعة ، ونزّاعة بلظى ، كما يقال : إنها هند قائمة ، وإنه هند قائمة ، فالهاء عماد فى الوجهين .

وقوله (نَزَّاعَةً للشَّوَى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن لظَى أنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن ؛ (والشَّوَى) : جمع شواة ، وهى من جوارح الإنسان ما لم يكن مَقْتلا ، يقال : رمى فأشوى : إذا لم يصب مَقْتلا ، فربما وصف الواصف بذلك جلدة الرأس ، كما قال الأعشى :

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبا شَوَاتُهْ[1]

وربما وصف بذلك الساق ، كقولهم فى صفة الفرس :

• عَبْلُ الشَّوَى نَهْدُ الجُزَارَهْ •[2]

يعنى بذلك : قوائمه ، وأصل ذلك كله ما وصفت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس عن (نَزَّاعَةً للشَّوَى) قال : تنزع أمّ الرأس .

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا يحيى بن مهلب أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (نَزَّاعَةً للشَّوَى) قال : تنزِع الرأس .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (نَزَّاعَةً للشَّوَى) : يعنى الجلود والهام .

---

(١) البيت فى ديوان الأعشى (طبعة فينا ٢٣٨) قال وهو مما نسب إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه . وهو من شواهد أبى عبيدة (فى مجاز القرآن الورقة ١٨٠) . قال : الشوى : واحدها : شواة ، وهى اليدان والرجلان والرأس من الآدميين ؛ قال الأعشى « قالت قتيلة ... البيت » . وفى (اللسان : شوى) قال الفراء : فى قوله تعالى : « كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى (قال : الشوى : اليدان ، والرجلان ، وأطراف الأصابع ، وقحف الرأس . وجلدة الرأس يقال لها شواة . وقال الزجاج : الشوى : جمع الشواة ، وهى جلدة الرأس ، وأنشد : قالت قتيلة ماله . . . . البيت » .

(٢) هذا عجز بيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، من قصيدة من مجزوء الكامل ، يهجو شيبان بن شهاب الحجدرى مطلعها : « ياجارتى ما كنت جاره » . (ديوانه طبع القاهرة ١٥٣ وما بعدها) . وهاك بيت الشاهد بتمامه مع بيتين قبله من (خزانة الأدب الكبرى ١ : ٨٣) :

وهناك يكذب ظنكم أنْ لا اجْتِماعَ ولا زِيارَهْ
ولا بَرَاءَةَ للسَّرى ءِ ولا عَطاء ولا خُفارَهْ
إلا عُلالةَ أو بُدا هَةَ سابِحٍ نَهْدِ الجُزارَهْ

قال البغدادى : يقول إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأننا لانغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ، ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازين لكم ، ومن كان بريا منكم لم تنفعه براءته ، لأن الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء ، كايلحق المسىء ، ولا نقبل منكم عطاء ، ولا نعطيكم خفارة تفتدون بها منا ، والخفارة بالضم والكسر : الذمة . إلا علالة ، أى لكن نزوركم بالخيل . والعلالة : بقية جرى الفرس من التعلل بمعنى التلهى . والبداهة : أول جرى الفرس . والسابح : الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدو . والنهد : المرتفع . والجزارة : الرأس واليدان والرجلان . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولا وارتفاعا ، فإنه يستحب فى عتق الخيل الطول واللين . ويستحب أيضا أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلا ، فيوصف حينئذ بطول القوائم . اهـ . والشطر الذى أورده المؤلف شاهدا ، يختلف عن شطر الأعشى ، ولكن فيه موضع الشاهد . اهـ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : لجلود الرأس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن المهاجر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) فلم يخبر ، فسألت عنها مجاهدا ، فقلت : اللحم دون العظم ؟ فقال : نعم .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : لحم الساق .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا قَبيصة بن عُقْبة السُّوائىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : نزاعة للحم الساقين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : للهام ، تحرق كلّ شىء منه ، ويبقى فؤاده نضيجا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) : أى نزّاعة لهامته ، ومكارم خَلْقِه ، وأطرافه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) تبرى اللحم والجلد عن العظم ، حتى لاتترك منه شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) قال : الشوى : الآراب العظام ذاك الشوى .

وقوله (نَزَّاعَةً) قال : تقطع عظامهم كما ترى ، ثم يجدّد خلقهم ، وتبدّل جلودهم .

وقوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) يقول : تدعو لظَى إلى نفسها ، من أدبر فى الدنيا عن طاعة الله ، وتولى عن الإيمان بكتابه ورسله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن طاعة الله وتولى ، قال : عن كتاب الله ، وعن حقه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) قال : عن الحق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) :

قال : ليس لها سلطان إلا على هوان مَنْ كَفَرَ وتولّى وأدبر عن الله ، فأما من آمن بالله ورسوله ، فليس لها عليه سلطان .

وقوله (وَجَمَعَ فأَوْعَى) يقول : وجمع مالا ، فجعله فى وعاء ، ومنع حقّ الله منه ، فلم يزكّ ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَجَمَعَ فأَوْعَى) قال : جمع المال .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا أبو قَطَن ، قال : ثنا المسعودىّ ، عن الحَكَم ، قال : كان عبد الله بن عُكَيم ، لا يربط كيسه ، يقول : سمع الله يقول (وَجَمَعَ فأَوْعَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَمَعَ فأَوْعَى) كان جموعا قَمُوما للخبيث

القول فى تأويل قوله تعالى

* إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : (إنَّ الإنْسانَ) الكافر (خُلِقَ هَلُوعًا) ، والهَلَع : شدّة الجَزَع ، مع شدّة الحرص والضجر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا) قال : هو الذى قال الله (إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا) ويقال : الهَلُوع : هو الجَزُوع الحريص ، وهذا فى أهل الشرك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا) : قال : شحيحا جَزُوعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عكرمة (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا) قال : ضَجُورا .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : إن الإنسان يعنى الكافر (خُلِقَ هَلُوعًا) يقول : هو بخيل منوع للخير ، جَزُوع إذا نزل به البلاء ، فهذا الهلوع .

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن حصين ، قال

يحيى ، قال خالد : وسألت شعبة عن قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) فحدثنى شعبة عن حصين ، أنه قال : الهلوع : الحريص .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، قال : سألت حصينا عن هذه الآية (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : حريصا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً) قال : الهلوع : الجزوع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خُلِقَ هَلُوعاً) قال : جزوعا .

وقوله (إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) يقول : إذا قلّ ماله وناله الفقر والعدم ، فهو جزوع من ذلك ، لاصبر له عليه (وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً) يقول : وإذا كثر ماله ، ونال الغنى ، فهو منوع لما فى يده ، بخيل به ، لاينفقه فى طاعة الله ، ولا يؤدّى حقّ الله منه .

وقوله (إلاَّ المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) يقول : إلا الذين يطيعون الله ، بأداء ما افترض عليهم من الصلاة ، وهم على أداء ذلك مقيمون ، لايضيعون منها شيئا ، فإن أولئك غير داخلين فى عداد من خُلِق هَلُوعا ، وهو مع ذلك بربه كافر ، لايصلى لله .

وقيل : عنى بقوله (إلاَّ المُصَلِّينَ) المؤمنون الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : عُنِى به كلّ من صلى الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ومؤمل ، قالا : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) قال : المكتوبة .

حدثنى زريق بن السخب ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : الصلوات الخمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعا) . . . إلى قوله (دَائِمُونَ) ذُكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ماغرقوا ، أو عادٌ ما أُرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خُلُقٌ للمؤمنين حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ) قال : الصلاة المكتوبة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال : هؤلاء المؤمنون الذين مع النبىّ صلى الله عليه وسلم على صلاتهم دائمون .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا حَيْوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير ، أنه سأل عقبة ابن عامر الجُهَنِيّ ، عن (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) قال: هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خَلْفَهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : ثنا الأوزاعيّ ، قال : ثني يحيى بن أبي كثير ، قال : ثني أبوسلمة بن عبد الرحمن ، قال : حدثتني عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال : « خُذُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ ، فإنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا » . قالت : وكان أحبّ الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دُووِم عليه ؛ قال : يقول أبوسلمة : إن الله يقول (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : وإلا الذين في أموالهم حقّ مؤقت ، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله ، والمحروم الذي قد حُرِم الغنى ، فهو فقير لا يسأل .

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالحقّ المعلوم الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الزكاة.

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) قال : الحقّ المعلوم : الزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ): قال : الزكاة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك حقّ سوى الزكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يقول : هو سِوَى الصدقة يصل بها رحما ، أو يَقْرِي بها ضيفا ، أو يحمل بها كَلًّا ، أو يُعِين بها محروما .

حدثني ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن شعبة ، عن أبي يونس ، عن رباح بن عبيدة ، عن قَزَعة، أن ابن عمر سُئل عن قوله (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) أهي الزكاة ؟ فقال: إن عليك حقوقا سوى ذلك .

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان ، عن الشعبىّ ، قال : إن فى المال حقًا سوى الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال فى المال حقّ سوى الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) قال : سوى الزكاة ، وأجمعوا على أن السائل هو الذى وصفت صفته .

☆ واختلفوا أيضا فى معنى المحروم فى هذا الموضع ، نحو اختلافهم فيه فى الذاريات ، وقد ذكرنا ماقالوا فيه هنالك ، ودللنا على الصحيح منه عندنا ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الأخبار هنالك .

ذكر من قال : هو المحارَف[1]

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن الوليد بن العيزار ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم : هو المحارَف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : المحروم : المحارَف .

حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس قال (السَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) : المحارَف الذى ليس له فى الإسلام نصيب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس أنه قال : المحروم المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، فى هذه الآية (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، أنه قال فى هذه الآية (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، سألت ابن عباس ، عن قوله (للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل ، والمحروم : المحارَف الذى ليس له فى الإسلام سهم .

حدثنى محمد بن عمر بن علىّ المقدمى ، قال : ثنا قريش بن أنس ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب : المحروم : المحارَف .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا قريش ، عن سليمان ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

(١) فى اللسان : المحارف : الذى لا يصيب خيرا من وجه توجه له . وقال الشافعى : المحروم المحارف الذى يحترف بيديه قد حرم سهمه من الغنيمة ، لايغزو مع المسلمين ، فبقى محروما ، وما يعطى من الصدقة ما يسد حرمانه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن المحروم ، فلم يقل فيه شيئا ؛ قال : وقال عطاء : هو المحدود المحارَف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن قيس بن كركم ، عن ابن عباس ، قال : السائل : الذى يسأل الناس ، والمحروم : الذى لا سهم له فى الإسلام ، وهو محارَف من الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : المحروم : الذى لا يُهدَى له شىء وهو محارَف .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : المحروم : هو المحارَف الذى يطلب الدنيا وتدبر عنه ، فلا يسأل الناس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال فى المحروم : هو المحارَف الذى ليس له أحد يعطف عليه ، أو يعطيه شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : الذى لا فىء له فى الإسلام ، وهو محارَف فى الناس .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع : المحروم : هو المحارَف .

وقال آخرون : هو الذى لا سهم له فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن ناسا قَدِموا على علىّ رضى الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل ، فقال : اقسموا لهم ، وقال : هذا المحروم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المحروم : المحارَف الذى ليس له فى الغنيمة شىء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجَدَلىّ ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية : « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث سَرِيَّة ، فغنموا ، وفتح عليهم ، فجاء قوم لم يشهدوا ، فنزلت (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يعنى هؤلاء » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فغنموا ، فجاء قوم لم يشهدوا الغنائم ، فنزلت (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم الجَدَلى ، عن الحسن بن محمد ، قال : بُعِثت سَرِية فغنموا ، ثم جاء قوم من بعدهم ، قال : فنزلت (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد « أن

قوما فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة، فجاء قوم بعد، فنزلت (فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ للسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ) » .

وقال آخرون : هو الذى لاينمى له مال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، قال : سألت عكرِمة عن السائل والمحروم، قال : السائل : الذى يسألك ، والمحروم : الذى لاينمى له مال .

وقال آخرون : هو الذى قد اجتيح ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ،قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عاصم ، عن أبى قلابة ، قال : جاء سيل باليمامة ، فذهب بمال رجل ، فقال رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم : هذا المحروم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ،قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالمَحْرُومِ) قال : المحروم: المصاب ثمره وزرعه ، وقرأ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) . . . حتى بلغ (مَحْرُومُونَ) وقال أصحاب الجنة : (إِنَّا لَضَالُّونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) .

وقال الشعبىّ ما حدثنى به يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، قال: قال الشعبىّ : أعيانى أن أعلم ما المحروم ؟

وقال قتادة ، ما حدثنى به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) قال : السائل : الذى يسأل بكفه ، والمحروم : المتعفِّف ، ولكليهما عليك حقّ يا بن آدم .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (للسَّائِلِ والمَحْرُومِ) وهو سائل يسألك فى كفه ، وفقير متعفِّف لايسأل الناس ، ولكليهما عليك حقّ .

وقوله (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) يقول: وإلا الذين يقرُّون بالبعث يوم البعث والمجازاة .

وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) يقول : والذين هم فى الدنيا من عذاب ربهم وجلون أن يعذّبهم فى الآخرة ، فهم من خشية ذلك لايضيعون له فرضا ، ولا يتعدّون له حدّا.

وقوله (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) أن ينال من عصاه وخالف أمره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ) يعنى أقبالهم حافظون عن كلّ ما حرّم الله عليهم وضعها فيه (إلاَّ) أنهم غير ملومين فى ترك حفظها (على أزْوَاجِهِمْ أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُهُمْ) من إمائهم . وقيل : (لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلاَّ على أزْوَاجِهِمْ) ولم يتقدم ذلك جحد لدلالة قوله : (فإنَّهُمْ غَيرُ مَلُومِينَ) على أن فى الكلام معنى جحد ، وذلك كقول القائل : اعمل ما بدا لك إلا على ارتكاب المعصية ، فإنك معاقب عليه ، ومعناه : اعمل ما بدا لك إلا أنك معاقب على ارتكاب المعصية .

وقوله (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ) فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته ، أو ملك يمينه ، ففاعلو ذلك هم العادون ، الذين عدوا ما أحلّ الله لهم إلى ما حرّم عليهم فهم الملومون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : وإلا الذين هم لأمانات الله التى ائتمنهم عليها من فرائضه ، وأمانات عباده التى ائتمنوا عليها ، وعهوده التى أخذها عليهم ، بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم ، وعهود عباده التى أعطاهم ، على ماعقده لهم على نفسه راعون ، يرقبون ذلك ، ويحفظونه فلا يضيعونه . ولكنهم يؤدّونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله ، وأوجب عليهم حفظها (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قائِمُونَ) يقول : والذين لايكتمون ما استشهدوا عليه ، ولكنهم يقومون بأدائها ، حيث يلزمهم أداؤها ، غيرَ مغيّرة ولا مبدّلة (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ) يقول : والذين هم على مواقيت صلاتهم التى فرضها الله عليهم ، وحدودها التى أوجبها عليهم يحافظون ، ولا يضيعون لها ميقاتا ولا حدّا .

وقوله (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ) يقول عزّ وجلّ : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال فى بساتين مكرمون ، يكرمهم الله بكرامته .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : فما شأن الذين كفروا بالله قبلك يامحمد مهطعين ، وقد بيّنا معنى الإهطاع ، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعضَ مالم نذكره هنالك .

فقال قتادة فيه ، ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ؟ (فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) يقول : عامدين .

وقال ابن زيد فيه ، ما حدثنا يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال : المهطع : الذى لايطرف . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معناه : مسرعين .

ورُوى فيه عن الحسن ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قُرَّة ، عن الحسن، فى قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال : منطلقين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) يقول : عن يمينك يامحمد ، وعن شمالك متفرّقين حلقا ومجالس ، جماعة ،جماعة ، معرضين عنك وعن كتاب الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) قال: قِبَلَك ينظرون (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال ، معرضين عنه ، يستهزئون به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : مجالس مجتبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) يقول : عامدين (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) : أى فرقا حول نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، لايرغبون فى كتاب الله ولا فى نبيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (عِزِينَ) قال : العزين : الحَلَق ، المجالس .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (عِزِينَ) قال : حِلَقا ورُفقاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قال : العزين : المجلس الذى فيه الثلاثة والأربعة ، والمجالس الثلاثة والأربعة أولئك العِزُون .

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارىّ ، قال : أخبرنا أبو الأحوص ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة يرفعه ، قال : « مالى أرَاكُمْ عِزِينَ » ؟ والعزين : الحلَق المتفرّقة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا شقيق ، عن عبد الملك بن عمير ،عن أبى سلمة ، عن

أبي هريرة « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حِلَق حِلَق ، فقال : مالي أرَاكمْ عِزِينَ ».

حدثني أبو حُصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة الطائي ، عن جابر بن سمرة ، قال : « دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متفرّقون ، فقال : مالَكُمْ عِزِينَ ».

حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزي ، قال : ثنا الفريابيّ ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ، قال : « جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ناس من أصحابه وهم جلوس ، فقال : مالي أرَاكُمْ عِزِينَ حِلَقا ».

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : « جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ناس من أصحابه وهم جلوس ، فقال : مالي أرَاكُمْ عِزِينَ حِلَقا ».

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة الطائي ، قال : ثنا جابر بن سمرة « أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حِلَق ، فقال : مالي أرَاكُمْ عِزِينَ) يقول : حِلَقا ، يعني قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ) قال : عزين : متفرّقين ، يأخذون يمينا وشمالا ، يقولون : ما قال هذا الرجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، مثله . وواحد العِزين : عِزَة ، كما واحد الثُّبين ثُبَة ، وواحد الكُرين كُرَة . ومن العِزين قول راعي الإبل :

أخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّ عَشِيرَتِي أمْسَى سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولا[1]

وقوله (أيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) يقول : أيطمع كلّ امرئ من هؤلاء الذين كفروا قبلك مُهْطِعين أن يُدخله الله جنة نعيم : أي بساتين نعيم ينعم فيها .

واختلف القرّاء في قراءة قوله (أنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (يُدْخَلَ) بضمّ الياء ، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، غير الحسن وطلحة بن مصرّف ، فإنه ذُكِر عنهما أنهما كانا يقرآنه بفتح الياء ، بمعنى : أيطمع كلّ امرئ منهم أن يدخل كلّ امرئ منهم جنة نعيم .

(١) هذا البيت لعبيد الراعي ، من قصيدة أبياتها (٨٩ بيتا) يمدح بها عبد الملك بن مروان ، ويشكو من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان : (خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ١ : ٥٠٢) وعدها صاحب جمهرة أشعار العرب (١٧٢ - ١٧٦) من القصائد الملحمات . والسوائم : الإبل ترسل للرعي . وعزين جمع عزة ، وهي الجماعة القليلة . والفلول : جمع فل ، وهو بقية الشيء الكثير ومنه فلول المعارك ، وهم المنهزمون . يقول : إن السعاة لم يتركوا لنا من أموالنا إلا مالا خير فيه ، واستولوا منا على أكرم أموالنا ، فلم يبق لنا منها إلا أشياء قليلة مفرقة هنا وهناك في مراعينا ، وكانت قبل كثيرة . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٠) قال : عزين : جماع عزة ، مثل ثبة وثبين ، وهي جماعات متفرقة . قال الراعي . . . البيت » . وفي فتح القدير في التفسير ، للشوكاني (٥ : ٢٨٥) : « وأمسى سرائهم » : في موضع « أمسى سوائمهم » . والمعنى على هذا أن سراة قوم الشاعر قد وفدوا على عبد الملك بن مروان ، جماعة بعد جماعة ، للتظلم من عسف السعاة بهم . وهذا واضح جيد .

والصواب من القراءة فى ذلك ماعليه قرّاء الأمصار ، وهى ضمّ الياء لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (كَلاَّ إنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول عزّ وجلّ : ليس الأمر كما يطمع فيه هؤلاء الكفار ، من أن يدخل كلّ امرئ منهم جنة نعيم .

وقوله (إنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) يقول جلّ وعزّ : إنا خلقناهم من مَنِىّ قذر ، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجبه منهم بالطاعة ، لابأنه مخلوق ، فكيف يطمعون فى دخول الجنة وهم عصاة كفرة .

وقد حدثنا بشر ، قال : : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) إنما خُلِقتَ من قَذَرٍ يا بن آدم ، فاتق الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَن نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : فلا أقسم بربّ مشارق الأرض ومغاربها (إنَّا لَقَادِرُونَ على أنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ) يقول : إنا لقادرون على أن نهلكهم ، ونأتى بخير منهم من الخلق يطيعوننى ، ولا يعصوننى (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) يقول تعالى ذكره : وما يفوتنا منهم أحد بأمر نريده منه ، فيُعجزَنا هَرَبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : « إن الشمس تطلع كلّ سنة فى ثلاث مئة وستين كَوّة ، تطلع كلّ يوم فى كَوّة ، لاترجع إلى تلك الكوّة إلى ذلك اليوم من العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة ، تقول : ربّ لاتطلعنى على عبادك ، فإنى أراهم يعصُونك ، يعملون بمعاصيك أراهم ، قال : أو لم تسمعوا إلى قول أمية بن أبى الصلت

حتى تُجَرَّ وتُجْلَدَ[1]

قلت : يا مولاه وتجلد الشمس ؟ فقال : عَضِضت بِهَنِ أبيك ، إنما اضطره الروىّ إلى الجلد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله (رَبِّ الْمَشَارِقِ

(١) هذا جزء من بيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى :

(الشعر والشعراء لابن قتيبة ليدن ٢٨٠) ورواية البيت بتمامه فيه :

لَيْسَتْ بطالِعَةٍ لَهُمْ فِي رِسْلِها إلاَّ مُعَذَّبَةً وإلاَّ تُجْلَدُ

قال : يقولون : إن الشمس إذا غربت امتنعت من الطلوع ، وقالت لا أطلع على قوم يعبدونى من دون الله ، حتى تدفع وتجلد فتطلع . ورواية البيت فى الأغانى لأبى الفرج (طبعة دار الكتب ٤ : ١٣٠) مع البيت الذى قبله هى :

والشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ مَطْلَعُ لَوْنِها مُتَوَرِّدُ

تأبى فَلا تَبْدُو لَنا فِي رِسْلِها إلاَّ مُعَذَّبَةً وَإلاَّ تُجْلَدُ =

والمَغارِبِ) قال : «إن الشمس تطلع من ثلاث مئة وستين مَطْلِعا ، تطلع كلّ يوم من مَطْلِع لاتعود فيه إلى قابل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة ، قال عكرِمة : فقلت له : قد قال الشاعر :

حتى تُجَرَّ وتُجْلَد

قال : فقال ابن عباس : عَضِضت بهَنِ أبيك ، إنما اضطره الروىّ .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا شعبة ، قال : أخبرنا عمارة ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس : إن الشمس تطلع فى ثلاث مئة وستين كَوّة ، فإذا طلعت فى كوّة لم تطلع منها حتى العام المقبل ، ولا تطلع إلا وهى كارهة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ وَالمَغارِبِ) قال : هو مطلِع الشمس ومغربها ، ومطلِع القمر ومغرِبه .

وقوله (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فذر هؤلاء المشركين المهطعين ، عن اليمين وعن الشمال عزين ، يخوضوا فى باطلهم ، ويلعبوا فى هذه الدنيا (حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) يقول : حتى يلاقوا عذاب يوم القيامة الذى يُوعَدونه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) .

وقوله (يَوْمَ يَخْرُجُونَ) بيان وتوجيه عن اليوم الأوّل الذى فى قوله (يَوْمُهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) وتأويل الكلام : حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدونه يوم يخرجون مِن الأجداث وهى القبور : واحدها جدث (سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْداثِ سِرَاعاً) : أى من القبور سراعا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله . وقد بيَّنا الجَدَث فيما مضى قبل بشواهده ، وما قال أهل العلم فيه .

وقوله (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) يقول : كأنهم إلى علَم قد نُصب لهم يستبِقون . وأجمعت قرّاء الأمصار على فتح النون من قوله (نَصْبٍ) غير الحسن البصرىّ ، فإنه ذُكر عنه أنه كان يضمها مع الصاد ، وكأن من فتحها يوجه النَّصْب إلى أنه مصدر من قول القائل : نَصَبت الشىء أنصِبه نَصْبا . وكان تأويله عندهم كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون سعيا ، وأما من ضمها مع الصاد فإنه يوجهه إلى أنه واحد الأنصاب ، وهى آلهتهم التى كانوا يعبدونها .

= ومن هاتين الروايتين يعلم أن شاهد المؤلف مبتور محرف . قلت : والذى قاله ابن عباس فى تفسير طلوع الشمس كل سنة فى ٣٦٠ كوة . . . الخ صحيح من ناحية العلم . أما تفسير بيت أمية بأن الملائكة تدفعها حتى تطلع فتأبى ، فتجلد ، فهو تخييل وتمثيل وزجر لمن يعبدون الشمس .

وأما قوله (يُوفِضُونَ) فإن الإيفاض : هو الإسراع ؛ ومنه قول الشاعر :

لأنْعَتَيْنْ نَعامَةً مِيفاضَا خَرْجاءَ تَغْدو تطْلُبُ الإضَاضَا[1]

يقول : تطلب : ملجأ تلجأ إليه ؛ والإيفاض : السرعة ؛ وقال رؤبة :

تَمْشِي بنا الجِدَّ على أوْفاضِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن أبى العالية ، أنه قال فى هذه الآية (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى علامات يستبقون .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى عَلَمٍ يَسْعَون .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفِضُونَ) قال : يستبقون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى عَلَمٍ يسعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى عَلَمٍ يوفضون ، قال : يسعون

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت أبا عمر يقول : سمعت يحيى بن أبى كثير يقول : (كأنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى غاية يستبقون .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) إلى عَلَمٍ ينطلقون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : إلى عَلَمٍ يستبقون .

---

(١) البيتان فى (اللسان : وفض) ولم ينسبهما . استشهد المؤلف عند قوله تعالى « فهم إلى نصب يوفضون » على أن معنى الإيفاض : الإسراع . ومنه نعامة ميفاض ، وناقة ميفاض : أى مسرعة . والخرجاء : التى فى لونها سواد وبياض . ظليم أخرج ، ونعامة خرجاء . وقال الليث : ظليم أخرج ، وهو الذى لون سواده أكثر من بياضه . والإضاض ، بكسر الهمزة : الملجأ . (عن هامش اللسان : وفض) . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : يوفضون يسرعون ، قال رؤبة : «

يُمْسِي بِنَا الجِدُّ عَلَى أوْفاضِ

(ديوانه ٨١) . والبيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٢) قال : وقوله « إلى نصب يوفضون » : الإيفاض : الإسراع . وقال الشاعر : « لأنعتن . . . » البيتين . وفى روايته : ظلت فى موضع « تغدو » . قال الخرجاء : فى اللون ، فإذا رقع القميص الأبيض برقعة حراء ، فهو أخرج . « تطلب الإضاضا » : أى تطلب موضعا تدخل فيه ، وتلجأ إليه . اهـ .

(٢) البيت لرؤبة (اللسان : وفض) . وقال قبله : ويقال لقيته على أوفاض : على عجلة ، مثل أوفاز . وجاء على وفض ووفض (بتسكين الفاء وفتحها) : أى على عجل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال: النُّصُب : حجارة كانوا يعبدونها، حجارة طوال يقال لها نُصُب . وفى قوله (يُوفِضُونَ) قال : يُسرعون إليه كما يُسرعون إلى نُصب يوفضون ؛ قال ابن زيد : والأنصاب التى كان أهل الجاهلية يعبدونها ويأتونها ويعظمونها ، كان أحدهم يحمله معه ، فإذا رأى أحسن منه أخذه ، وألقى هذا ، فقال له : (كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ، أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرّة ، عن الحسن ، فى قوله (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قال : يبتدرون إلى نصبهم : أيهم يستلمه أوّل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرّة ، عن الحسن ، مثله .

وقوله (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) يقول: خاضعة أبصارهم للذى هم فيه من الخزى والهوان (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) يقول : تغشاهم ذلة (ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) يقول عزّ وجلّ : هذا اليوم الذى وصفت صفته، وهو يوم القيامة الذى كان مشركو قريش يُوعَدون فى الدنيا أنهم لاقوه فى الآخرة، كانوا يُكَذّبون به.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (ذَلِكَ الْيَوْمُ) يوم القيامة (الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) .

آخر تفسير سورة سأل سائل

تفسير سورة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا) وهو نوح بن لمك (إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : أرسلناه إليهم بأن أنذر قومك ، فأن فى موضع نصب فى قول بعض أهل العربية ، وفى موضع خفض فى قول بعضهم . وقد بيّنت العلل لكلّ فريق منهم ، والصوابُ عندنا من القول فى ذلك، فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وهى فى قراءة عبد الله [1]

(١) هو عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل ، مقرئ القرآن ومعلم أهل الكوفة .

فيما ذُكر : (إنَّا أرْسَلْنا نُوحا إلى قَوْمِهِ أنْذِرْ قَوْمَكَ) بغير « أن » ، وجاز ذلك لأن الإرسال بمعنى القول ، فكأنه قيل : قلنا لنوح : أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ، وذلك العذاب الأليم هو الطوفان ، الذى غرّقهم الله به .

وقوله (قالَ ياقَوْمِ إنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه : ياقوم إنى لكم نذير مبين ، أُنذركم عذاب الله ، فاحذروه أن ينزل بكم على كفركم به (مبين) يقول : قد أبنت لكم إنذارى إياكم.

وقوله (أنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه (إنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بأن اعبدوا الله ، يقول : إنى لكم نذير أنذركم ، وآمركم بعبادة الله (وَاتَّقُوهُ) يقول : واتقوا عقابه ، بالإيمان به ، والعمل بطاعته (وأَطِيعُونِ) يقول : وانتهوا إلى ما آمركم به ، واقبلوا نصيحتى لكم .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أنِ اعْبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ) قال : أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَدَ اللهُ وحْدَهَ ، وأن تُتَّقَى محارمه ، وأن يُطاع أمره .

وقوله (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) يقول : يغفر لكم ذنوبكم .

فإن قال قائل : أو ليست « من » دالة على البعض ؟ قيل : إن لها معنيين وموضعين ، فأما أحد الموضعين فهو الموضع الذى لايصلح فيه غيرها . وإذا كان ذلك كذلك لم تدلّ إلا على البعض ، وذلك كقولك : اشتريت من مماليكك ، فلا يصلح فى هذا الموضع غيرها ، ومعناها : البعض ، اشتريت بعض مماليكك ، ومن مماليكك مملوكا . والموضع الآخر : هو الذى يصلح فيه مكانها عن ، فإذا صلحت مكانها « عن » دلت على الجميع ، وذلك كقولك : وجع بَطْنِى من طعام طعِمته ، فإن معنى ذلك : أوجعَ بطنى طعامٌ طعمته ، وتصلح مكان « من » عن ، وذلك أنك تضع موضعها « عن » ، فيصلح الكلام فتقول : وجع بطنى عن طعام طعِمته ، ومن طعام طعمته ، فكذلك قوله (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) إنما هو : ويصفح لكم ، ويعفو لكم عنها ، وقد يحتمل أن يكون معناها يغفر لكم من ذنوبكم ما قد وعدكم العقوبة عليه ، فأما ما لم يعدكم العقوبة عليه ، فقد تقدّم عفوه لكم عنها .

وقوله (وَيُؤَخِّرْكُمْ إلى أجَلٍ مُسَمًّى) يقول : ويؤخّرْ فى آجالكم فلا يهلككم بالعذاب ، لايغرق ولاغيره (إلى أجل مسمى) ، يقول إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه ، إن أنتم أطعتموه وعبدتموه ، فى أمّ الكتاب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إلى أجَلٍ مُسَمًّى) قال : ما قد خُطّ من الأجل ، فإذا جاء أجل الله لايؤخّر .

وقوله (إنَّ أجَلَ اللهِ إذَا جاءَ لايُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : إن أجل الله

الذى قد كتبه على خلقه فى أمّ الكتاب، إذا جاء عنده لايؤخّر عن ميقاته، فينظر بعده، (لو كنتم تعلمون) يقول : لوعلمتم أن ذلك كذلك ، لأنبتم إلى طاعة ربكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِى إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ ، وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ، وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (٧)

يقول تعالى ذكره : قال نوح لما بلّغ قومه رسالة ربه ، وأنذرهم ما أمره به أن ينذرهموه فعصَوْه ، وردّوا عليه ما أتاهم به من عنده (رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا) إلى توحيدك وعبادتك ، وحذّرتهم بأسك وسطوتك ، (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَارًا) يقول : فلم يزدهم دعائى إياهم إلى ما دعوتهم إليه من الحقّ الذى أرسلتنى به لهم (إِلَّا فِرَارًا) يقول: إلا إدبارا عنه، وهربا منه، وإعراضا عنه .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَارًا) قال : بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح ، فيقول لابنه : احذر هذا لايُغْوِيَنَّك ، فأرانى قد ذهب بى أبى إليه وأنا مثلك ، فحذرنى كما حذّرتك .

وقوله (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ) يقول جلّ وعزّ : وإنى كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك ، والعمل بطاعتك ، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك ، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك، جعلوا أصابعهم فى آذانهم، لئلا يسمعوا دعائى إياهم إلى ذلك (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) يقول : وتغشّوا فى ثيابهم ، وتغطّوا بها ، لئلا يسمعوا دعائى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلام نوح عليه السلام .

وقوله (وأَصَرُّوا) يقول : وثبتوا على ماهم عليه من الكفر ، وأقاموا عليه .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَصَرُّوا) قال : الإصرار إقامتهم على الشرّ والكفر .

وقوله (وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) يقول: وتكبروا ، فتعاظموا عن الإذعان للحقّ ، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١)

يقول : (ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ) إلى ما أمرتنى أن أدعوهم إليه (جِهارًا) ظاهرا فى غير خفاء .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهارًا) قال : الجِهار الكلام المعلَن به .

وقوله (ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : صرخت لهم ، وصحت بالذى أمرتنى به من الإنذار .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَعْلَنْتُ لَهُمْ) قال : صِحْت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (أَعْلَنْتُ لَهُمْ) يقول : صحت بهم .

وقوله (وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) يقول : وأسررت لهم ذلك فيما بينى وبينهم فى خفاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) قال : فيما بينى وبينهم .

وقوله (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا) يقول : فقلت لهم : سلوا ربكم غُفْران ذنوبكم ، وتوبوا إليه من كفركم ، وعبادة ماسواه من الآلهة ووَحِّدوه ، وأخلصوا له العبادة ، يغفر لكم ، إنه كان غفارا لذنوب من أناب إليه ، وتاب إليه من ذنوبه .

وقوله (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) يقول : يسقيكم ربكم إن تبتم ووحدتموه وأخلصتم له العبادة ، الغيثَ ، فيرسل به السماء عليكم مِدْرارا متتابعا .

وقد حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا سفيان ، عن مُطرِّف ، عن الشعبىّ ، قال : خرج عمر بن الخطاب يستسقى ، فما زاد على الاستغفار ، ثم رجع فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما رأيناك استسقيت ،

فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يُستنزل بها المطر ، ثم قرأ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) ، وقرأ الآية التى فى سورة هود ، حتى بلغ (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)

وقوله (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يقول : ويعطكم مع ذلك ربكم أموالا وبنين ، فيكثّرها عندكم ، ويزيد فيما عندكم منها (وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) يقول : يرزقكم بساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) تسقون منها جناتكم ومزارعكم ، وقال ذلك لهم نوح ، لأنهم (كانوا فيما ذُكر) قوم يحبون الأموال والأولاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) . . . إلى قوله (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) قال : رأى نوح قوما تجزّعت أعناقهم حرصا على الدنيا ، فقال : هلموا إلى طاعة الله ، فإن فيها درْكَ الدنيا والآخرة .

وقوله (مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ما لكم لاترون لله عظمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) يقول : عظمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : لاترون لله عظمة .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح وقيس ، عن مجاهد ، فى قوله (لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : لاتُبالُون لله عظمة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : كانوا لايبالون عظمة الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) يقول : عظَمة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : لاتُبالُون عظمة ربكم ؛ قال : والرجاء : الطمع والمخافة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتعظمون الله حقّ عظمته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لله وَقارًا) قال : مالكم لاتعظمون الله حقّ عظمته ؟

وقال آخرون : ما لكم لاتعلمون لله عظمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) يقول : مالكم لاتعلمون لله عظمة ؟

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مالكم لاترجون لله عاقبة ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) أى عاقبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مالَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : لاترجون لله عاقبة ؟

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مالكم لاترجون لله طاعة ؟

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (مالَكُمْ لاتَرْجُونَ لِلهِ وَقارًا) قال : الوقار : الطاعة .

* وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال : معنى ذلك : مالكم لاتخافون لله عظمة ، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد فى موضع الخوف ، كما قال أبو ذُؤيب :

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وَخالَفَها فى بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[1]

يعنى بقوله : « لم يرج » : لم يخف

وقوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْوَارًا) يقول : وقد خلقكم حالا بعد حال ، طورا نُطْفة ، وطورا عَلَقة ، وطورا مُضْغة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أطْوَارًا) يقول : نُطفة ، ثم عَلَقة ، ثم مُضْغة .

(١) سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى الجزأين (٥ : ٢٦٤ ، ١١ : ٨٧) وشرحناه فيهما شرحا مستوفى ، فراجعه فيهما .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من عَلَقَة ، ثم ماذكر ، حتى يتم خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) طورا نطفة ، وطورا عَلَقَة ، وطورا عِظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم أنشأه خلقا آخر ، أنبت به الشعر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم عَلَقَة ، ثم خلقا طَوْرا بعد طَوْر .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) يقول : من نُطْفة ، ثم من عَلَقة ، ثم من مُضْغة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : طورا النطفة ، ثم طَوْرا أمشاجا ، حين يَمْشُج النطفة الدم ، ثم يغلب الدم على النطفة ، فتكون علقة ، ثم تكون مُضْغة ، ثم تكون عظاما ، ثم تُكسَى العظام لحما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) قال : نطفة ، ثم علقة ، شيئا بعد شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح صلوات الله وسلامه عليه ، لقومه المشركين بربهم ، محتجا عليهم بحجج الله فى وحدانيته : (أَلَمْ تَرَوْا) أيها القوم فتعتبروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) : بعضها فوق بعض . والطباق : مصدر من قولهم : طابقت مطابقة وطِباقا . وإنما عُنِى بذلك : كيف خلق الله سبع سموات ، سماء فوق سماء مطابقة .

وقوله (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) يقول : وجعل القمر فى السموات السبع نورا (وَجَعَلَ الشَّمْسَ) فيهن (سِرَاجا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مُعاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ

اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِباقاً ، وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول : إن ضوء الشمس والقمر نورُهما فى السماء ، اقرءوا إن شئتم (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِباقاً) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قِبَل السموات ، وأقفيتهما قِبَل الأرض ، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) يقول : خلق القمر يوم خلق سبع سموات .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل (وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) على المجاز ، كما يقال : أتيت بنى تميم ، وإنما أتى بعضهم (واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتا) يقول : والله أنشأكم من تراب الأرض ، فخلقكم منه إنشاء (ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها) يقول : ثم يعيدكم فى الأرض كما كنتم ترابا ، فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم (وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجا) يقول : ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشرا من قبل أن يعيدكم فيها ، فَيُصَيِّرَكم ترابا ، إخراجا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه ، مذكِّرهم نِعَم ربه (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِساطاً) تستقرّون عليها وتمتهدونها .

وقوله (لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً) يقول : لتسلكوا منها طرقا صِعابا متفرقة ، والفجاج : جمع فجّ ، وهو الطريق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً) قال : طرقا وأعلاما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً) قال : طرقا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجاجاً) يقول : طُرُقا مختلفة .

وقوله (قالَ نُوحٌ رَبِّ إنَّهُمْ عَصَوْنِي) فخالفوا أمرى ، وردّوا علىّ ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد (واتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إلاَّ خَسارًا) يقول : واتبعوا فى معصيتهم إياى من دعاهم إلى ذلك ، ممن كثر ماله وولده ، فلم تزده كثرة ماله وولده إلا خسارا : بُعدا من الله ، وذهابا عن مَحَجَّة الطريق .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَوَلَدُهُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة (وَوَلَدُهُ) بفتح الواو واللام ، وكذلك قرءوا ذلك فى جميع القرآن . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بضم الواو وسكون اللام ، وكذلك كلّ ما كان من ذكر الولد من سورة مريم إلى آخر القرآن . وقرأ أبوعمرو كلّ ما فى القرآن من ذلك بفتح الواو واللام فى غير هذا الحرف الواحد فى سورة نوح ، فإنه كان يضمّ الواو منه .

والصواب من القول عندنا فى ذلك ، أن كلّ هذه القراءات قراءات معروفات ، متقاربات المعانى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا) يقول : ومكروا مكرا عظيما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُبَّارًا) قال : عظيما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا) : كثيرا ، كهيئة قوله (لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلا كِذَّابا) والكُبَّار : هو الكبير ، كما قال ابن زيد : تقول العرب : أمر عجيب وعُجّاب بالتخفيف ، وعُجَّاب بالتشديد ؛ ورجل حُسّان وحَسَّان ، وجُمال ، وجمَّال بالتخفيف والتشديد ، وكذلك كبير وكُبَّار ، بالتخفيف والتشديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ،وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا، وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ، وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلَلاً (٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن إخبار نوح ، عن قومه (وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ،وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) كان هؤلاء نفرا من بنى آدم ، فيما ذُكر عن آلهة القوم التى كانوا يعبدونها .

وكان من خبرهم فيما بلغنا ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى ، عن محمد

ابن قيس (وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : كانوا قوما صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ؛ فصوّروهم ، فلما ماتوا ، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس ، فقال : إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يُسْقَوْن المطر فعبدوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام .

وقال آخرون : هذه أسماء أصنام قوم نوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : كان ودّ لهذا الحىّ من كَلْب بدُومة الجَنْدل ، وكانت سُواع لهذيل برِياط ، وكان يغوث لبنى غُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبَأ ، وكان يعوق لهمْدان ببلخع ، وكان نسر لذى كُلاع من حِمْير ؛ قال : وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، ثم اتخذها العرب بعد ذلك ، والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجرا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : كانت آلهة يعبدها قوم نوح ، ثم عبدتها العرب بعد ذلك ، قال : فكان وَدٌّ لكلب بدُومة الجندل ، وكان سُواعٌ لهُذَيل ، وكان يغوث لبنى غُطَيف من مُراد بالجرف ، وكان يَعوق لهمْدان ، وكان نَسْر لذى الكُلاع من حِمْير .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلاتَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : هذه أصنام كانت تُعبد فى زمان نوح .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : هذه أصنام ، وكانت تُعبد فى زمان نوح .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هى آلهة كانت تكون باليمن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : هذه آلهتهم التى يعبدون .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَدًّا) فقرأته عامة قرّاء المدينة (وُدًّا) بضم الواو . وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (وَدًّا) بفتح الواو .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان فى قرّاء الأمصار ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح : وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام

التى أُحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين فى هذا الموضع كثير من الناس ، فنُسِب الضّلال إذ ضَلّ بها عابدوها إلى أنها المُضِلّة .

وقوله (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم بآياتنا إلا ضلالا ، إلا طَبْعًا على قلبه ، حتى لا يهتدى للحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ، فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ) من خطيئاتهم (أُغْرِقُوا) والعرب تجعل « ما » صلة فيما نوى به مذهب الجزاء ، كما يقال : أينما تكن أكن ، وحيثما تجلس أجلس ، ومعنى الكلام : من خطيئاتهم أُغرقوا .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ) قال : فبخطيئاتهم (أُغْرِقُوا) ، فأدخلوا نارا ، وكانت الباء هاهنا فصلا فى كلام العرب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا) قال : بخطيئاتهم أُغرقوا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير أبى عمرو (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ) بالهمز والتاء ، وقرأ ذلك أبو عمرو (مِمَّا خَطَايَاهُمْ) بالألف بغير همز .

والقول عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

وقوله (فَأُدْخِلُوا نَارًا) جهنم (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا) تقتصّ لهم ممن فعل ذلك بهم ، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم .

وقوله (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) ويعنى بالدَّيَّار من يَدُور فى الأرض ، فيذهب ويجىء فيها ، وهو فَيْعَال من الدوران ديوارا ، اجتمعت الياء والواو ، فسبقت الياء الواو وهى ساكنة ، وأدغمت الواو فيها ، وصيرتا ياء مشددة ، كما قيل : الحىّ القُيَّام من قمت ، وإنما هو قَيْوام . والعرب تقول ما بها دَيّار ولا غريب ، ولا دَوِّىّ ، ولا صافر ، ولا نافخ ضَرَمَة ، يعنى بذلك كلّه : ما بها أحد .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ ، وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ، وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) .

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح فى دعائه إياه على قومه : إنك يا ربّ إن تذر الكافرين أحياء على الأرض ، ولم تهلكهم بعذاب من عندك (يُضِلُّوا عِبادَكَ) الذين قد آمنوا بك ، فيصدّوهم عن سبيلك ، (وَلا يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا) فى دينك (كَفَّارًا) لنعمتك .

وذُكر أن قيل نوح هذا القول ، ودعاءه هذا الدعاء ، كان بعد أن أوحى إليه ربه (أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحى من السماء(إنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ) فعند ذلك دعا عليهم نبىّ الله نوح فقال:(رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا ، إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلاَّ فاجِرًا كَفَّارًا) ثم دعا دعوة عامة فقال (رَبِّ اغْفِرْ لى وَلِوالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) . . . إلى قوله (تَبارًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا) ، ثم ذكر نحوه .

وقوله (رَبِّ اغْفِرْ لى وَلِوالِدَىَّ) يقول : ربّ اعف عنى ، واستر علىّ ذنوبى ،وعلى والدىّ (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا) يقول : ولمن دخل مسجدى ومصلاىَ مصليا مؤمنا ، يقول : مصدّقا بواجب فرضك عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى سنان ، عن الضحاك (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنا) قال : مسجدى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سلمة ، عن أبى سنان سعيد ،عن الضحاك مثله.

وقوله (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يقول : وللمصدّقين بتوحيدك والمصدّقات .

وقوله (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبارًا) يقول : ولا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلا خسارا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إلاَّ تَبارًا) قال : خسارا .

وقد بيَّنت معنى قول القائل : تبرت فيما مضى بشواهده ، وذكر أقوال أهل التأويل فيه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : قال معمر : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كانوا يضربون نوحا حتى يُغْشَى عليه ، فإذا أفاق قال : ربّ اغفر لقومى فإنهم لايعلمون .

آخر تفسير سورة نوح ، صلى الله عليه و سلم

تفسير سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أُوحى الله إلىّ (أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) هذا القرآن (فَقالُوا) لقومهم لما سمعوه (إنَّا سَمِعْنا قُرْآنا عَجَبا يَهْدِى إلى الرُّشْدِ) يقول : يدلّ على الحقّ وسبيل الصواب (فآمَنَّا بِهِ) يقول : فصدّقناه (وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أحَدًا) من خلقه.

وكان سبب استماع هؤلاء النفر من الجنّ القرآن ، كما حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا أبو هشام ، يعنى المخزومى ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : «ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنّ ولا رآهم ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، قال : وقد حِيل بين الشياطين وبين خَبَر السماء ، وأُرسلت عليهم الشُّهُب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا الشهب ، فقالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شىء حدث ، قال : فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذى حدث ، قال : فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يتتبعون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ؛ قال : فانطلق النفر الذين توجّهوا نحو تِهامة ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ؛ قال : فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ؛ قال : فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : ياقومنا (إنَّا سَمِعْنا قُرْآنا عَجَبًا ، يَهْدِى إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أحَدًا) قال : فأنزل

الله على نبيه صلى الله عليه وسلم :(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) وإنما أوحى إليه قول الجنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ورقاء ، قال : «قدم رهط زوبعة وأصحابه مكة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم انصرفوا ، فذلك قوله (وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ،فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا) قال : كانوا تسعة فيهم زوبعة » .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) هو قول الله(وإذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ) لم تُحرس السماء فى الفترة بين عيسى ومحمد ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حُرست السماء الدنيا ، ورُميت الشياطين بالشهب ، فقال إبليس : لقد حدث فى الأرض حدث ، فأمر الجنّ ،فتفرّقت فى الأرض لتأتيه بخبر ما حدث . وكان أوّل من بعث نفرا من أهل نَصِيبين ، وهى أرض باليمن ، وهم أشراف الجنّ وسادتهم ، فبعثهم إلى تهامة وما يلى اليمن ، فمضى أولئك النفر ، فأتوا على الوادى وادى نخلة ، وهو من الوادى مَسِيرة ليلتين ، فوجدوا به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الغداة . فسمعوه يتلو القرآن ؛ فلما حضروه ، قالوا أنصتوا ، فلما قُضِيَ ، يعنى فُرِّغ من الصلاة ، وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ،يعنى مؤمنين لم يعلم بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشعر أنه صُرِف إليه ، حتى أنزل الله عليه (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) .

وقوله (وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فآمنا به ، ولن نُشرك بربنا أحدا ، وآمنا بأنه تعالى أمر ربنا وسلطانه وقُدرته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) يقول : فعله وأمره وقُدرته .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) يقول : تعالى أمر ربنا .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المُثَنَّى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ،قال: ثنا شعبة ، عن قتادة فى هذه الآية (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : أمر ربنا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : أمر ربنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَدًا) قال : تعالى أمره أن يتخذ ،ولا يكون الذى قالوا صاحبة ولا ولدا ، وقرأ (قُلْ هُوَ

اللهُ أحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) قال لايكون ذلك منه .

وقال آخرون : عُنِى بذلك جلالُ ربنا وذكره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال عكرِمة ، فى قوله (جَدُّ رَبِّنا) قال : جلال ربنا .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنى خالد بن يزيد ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد ، فى قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : جلال ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التَّيْمِىّ ، قال : قال عكرمة (تعالى جَدُّ رَبِّنا) : جلال ربنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) : أى تعالى جلاله وعظمته وأمره .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله تعالى (جَدُّ رَبِّنا) قال تعالى أمر ربنا ، تعالت عظمته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تعالى غِنَى ربنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : قال الحسن ، فى قوله تعالى (جَدُّ رَبِّنا) قال : غنى ربنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن الحسن (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : غنى ربنا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : غِنَى ربنا .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم ، عن سليمان التيمىّ ، عن الحسن وعكرِمة ، فى قول الله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال أحدهما غناه ، وقال الآخر عظمته .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الجدّ الذى هو أبو الأب ، قالوا ذلك كان من كلام جهلة الجنّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنى أبو جعفر محمد بن عبد الله بن أبى سارة ، عن أبيه ، عن أبى جعفر (تَعالى جَدُّ رَبِّنا) قال : كان كلاما من جهلة الجنّ .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : ذِكْره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (تعالى جدُّ ربِّنا) قال : ذكْرُه .

وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : عُنِى بذلك : تعالت عظمة ربنا وقُدرته وسلطانه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن للجَدّ فى كلام العرب معنيين : أحدهما الجَدّ الذى هو أبو الأب ، أو أبو الأم ، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر ، الذين وصفهم الله بهذه الصفة ، وذلك أنهم قد قالوا : فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، ومن وصف الله بأن له ولدا أو جدّا ، هو أبو أب أو أبو أمّ ، فلا شكّ أنه من المشركين . والمعنى الآخر : الجَدّ الذى بمعنى الحظّ ؛ يقال : فلان ذو جَدّ فى هذا الأمر : إذا كان له حظّ فيه ، وهو الذى يُقال له بالفارسية البَخْت ، وهذا المعنى الذى قصده هؤلاء النفر من الجنّ بقيلهم (وأنَّهُ تعالى جدُّ ربِّنا) إن شاء الله . وإنما عَنَوا أن حظوته من المُلك والسلطان والقدرة والعظمة عالية ، فلا تكون له صاحبة ولا ولد ، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز ، الذى تضطرّه الشهوة الباعثة إلى اتخاذها ، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوِقاع الذى يحدث منه الولد ، فقال النفر من الجنّ : علا مُلك ربنا وسُلطانه وقدرته وعظمته ، أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرّهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة ، أو وِقاع شىء يكون منه ولد .

وقد بَيَّنَ عن صحة ما قلنا فى ذلك إخبارا لله عنهم ، أنهم إنما نزّهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله (وأنَّهُ تعالى جدُّ ربِّنا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَدًا) يقال منه : رجل جدِّىّ ، وجديد ، ومجدود : أى ذو حظّ فيما هو فيه ؛ ومنه قول حاتم الطائىّ :

اُغْزُوا بنى ثُعَلٍ فالغَزْوُ جَدُّكُمُ عُدُّوا الرَّوَابى وَلا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلا[1]

وقال آخر :

يُرَفِّعُ جَدُّكَ إنِّى امْرُؤٌ سَقَتْنِى إلَيْكَ الأعادِى سِجالا[2]

وقوله (ما اتَّخَذَ صاحِبَةً) يعنى زوجة (وَلا وَلَدًا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وأنَّهُ تعالى) ، فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أُخر بالفتح ، منها :

---

(١) البيت لحاتم الطائى (شعراء النصرانية ١٢٨) وفيه : « حظكم » فى موضع « جدكم » وهما بمعنى . قال شارحه : والروابى : الأشراف ، أو الأصل والشرف . وفى (اللسان : جدد) : وفى التنزيل العزيز « وأنه تعالى جد ربنا » : قيل : جده عظمته ، وقيل : غناه . وقال مجاهد : جد ربنا : جلال ربنا . وقال بعضهم : عظمة ربنا ، وهما قريبان من السواء . اهـ . وهذه التأويلات : صالحة لتأويل قول حاتم ، فالغز وهو عز العرب وعظمتهم ، وسبب هيبتهم وجلالهم فى أعين أعدائهم . وشجاعتهم فى الحرب والنزال : هى حظهم الذى عرفوا به فى الدنيا ، يأبون الضيم ، ويأنفون من استذلال الملوك والجبابرة لهم .

(٢) هذا البيت لم ينسبه المؤلف . وهو أشبه بقول الحطيئة فى لاميته المنصوبة التى يخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب ، معتذرا عن هجائه الزبرقان بن بدر التميمى ، ومطلعها : « نأتك أمامة إلا سؤالا » ، ولم أجده فى ديوان الحطيئة المطبوع ، ولا فى جمهرة أشعار العرب (١٥١ – ١٥٤) . وقوله : يرفع جدك . يدعو له بأن يرفع الله حظه وذكره . والسجال : جمع سجل ، وهو الدلو . يعتذر إليه مما دسه عليه الوشاة .

(أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ – وأنَّ المَساجِدَ لله – وأنَّهُ كان يَقُولُ سَفِيهُنا – وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ – وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ – وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) وكان نافع يكسرها إلا ثلاثة أحرف : أحدها (قُلْ أُوحِيَ إلَيَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ) والثانية (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا) ، والثالثة (وأنَّ المَساجِدَ لله) . وأما قرّاء الكوفة غيرَ عاصم ، فإنهم يفتحون جميع ما فى آخر سورة النجم وأوّل سورة الجنّ ، إلا قوله (فَقالُوا إنَّا سَمِعْنا) ، وقوله (قالَ إنَّما أدْعُو رَبِّى) وما بعده إلى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله (لِيَعْلَمَ أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) وأما عاصم فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وأنَّ المَساجِدَ لله) فإنه كان يفتحها ، وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) فإنه كان يفتح هذه وما بعدها ، فأما الذين فتحوا جميعها إلا فى موضع القول ، كقوله (فَقالُوا إنَّا سَمِعْنا) وقوله (قالَ إنَّما أدْعُو رَبِّى) ونحو ذلك ، فإنهم عطفوا أن فى كلّ السورة على قوله فآمنا به ، وآمنا بكلّ ذلك ، ففتحوها بوقوع الإيمان عليها . وكان الفرّاء يقول : لايمنعك أن تجد الإيمان يقبح فى بعض ذلك من الفتح ، وأن الذى يقبح مع ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان ، فوجب فتح أنّ كما قالت العرب :

إذَا ما الغانِياتُ بَرَزْنَ يَوْما وزَجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيُونا[1]

فنصب العيون لإتباعها الحواجب ، وهى لاتزجّج ، وإنما تكحّل ، فأضمر لها الكحل ، كذلك يُضْمَرُ فى الموضع الذى لايحسن فيه آمنا صدّقنا وألهمنا وشهدنا . قال : وبقول النصب قوله (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) فينبغى لمن كسر أنّ يحذف « أن » من « لو » لأن « أن » إذا خُفِّفت لم تكن حكاية ، ألا ترى أنك تقول : أقول لو فعلت لفعلت ، ولا تدخل « أن » ، وأما الذين كسروها كلهم وهم فى ذلك يقولون (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا) فكأنهم أضمروا يمينا مع « لو » وقطعوها عن النسق على أوّل الكلام ، فقالوا : والله أن لو استقاموا ؛ قال : والعرب تدخل « أن » فى هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر :

فأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا[2]

قالوا : وأنشدنا آخر :

أمَا واللهِ أنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا وَما بالْحُرِّ أنْتَ وَلا العَتِيقِ[3]

وأدخل « أن » . ومن كسرها كلها ، ونصب (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) فإنه خصّ ذلك بالوحى ، وجعل

---

(١) سبق الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٢٧ : ١٧٦) وشرحناه هناك شرحا مبسوطا ، فارجع إليه .

(٢) البيت لامرئ القيس ، وقد سبق الاستشهاد به فى الجزأين (١٢ : ١٨ ، ١٣ : ١٥٢) فارجع إليه فيهما ، فقد شرحناه مطولا .

(٣) البيت من شواهد النحويين على أن أن المخففة من الثقيلة قيل تعمل وقيل لا تعمل (الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى طبعة القاهرة ١ : ١٢٦ ولم ينسبه) . وقال الفراء فى معانى القرآن ، واستشهد بالبيت (الورقة ٣٤٤) : والعرب تدخل أن فى هذا الموضع مع اليمين ، وتحذفها . قال الشاعر : « فأقسم لوشىء . . . البيت » . وأنشدنى آخر : « « أما والله أن » . . . البيت . وقد نقل المؤلف كلام الفراء جميعه فى فتح همزة أن وكسرها فى آيات سورة الجن ، فلا نطول الكلام بنقله ، ونكتفى بهذه الإشارة .

(وأنْ لَوْ) مضمرة فيها اليمين على ماوصفت وأما نافع ، فإن ما فتح من ذلك، فإنه ردّه على قوله (أُوحِيَ إليّ ، وماكسره فإنه جعله من قول الجنّ . وأحبّ ذلك إليّ : أن أقرأ به الفتح فيما كان وحيا ، والكسر فيما كان من قول الجنّ ، لأن ذلك أفصحها فى العربية ، وأبينها فى المعنى ، وإن كان للقراءات الأُخَر وجوه غيرُ مدفوعة صحتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)

يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل النفر من الجنّ الذين استمعوا القرآن (أنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهنا)وهو إبليس : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطا) وهو إبليس .

حدثنا ابن حميد ،قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من المكيين ، عن مجاهد (سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطا) قال إبليس: ثم قال سفيان :«سمعت أن الرجل إذا سجد جلس إبليس يبكى يقول: ياويلَه، أُمِر بالسجود فعَصَى ، فله النار ، وأُمر ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة » .

حدثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطا ، وأنَّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِنُّ على اللهِ كَذِبا) فقال : عَصاه واللهِ سفيه الجنّ ، كما عصاه سفيه الإنس .

وأما الشَّطط من القول ، فإنه ماكان تعدّيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطا) قال : ظلما .

وقوله (وأنَّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِنُّ على اللهِ كَذِبا) يقول : قالوا : وأنا حسبنا أن لن تقول بنو آدم والجنّ على الله كذبا من القول . والظنّ هاهنا بمعنى الشكّ ، وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجنّ أن تكون علمت أن أحدا يجترئ على الكذب على الله لما سمعت القرآن ، لأنهم قبل أن يسمعوه، وقبل أن يعلموا تكذيب الله الزاعمين أن لله صاحبة وولدا ، وغير ذلك من معانى الكفر، كانوا يحسبون أن إبليس

صادق فيما يدعو بنى آدم إليه من صنوف الكفر ؛ فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبا فى كلّ ذلك ، فلذلك قالوا (وأنَّهُ كانَ يَقُول سَفِيهُنا على اللهِ شَطَطا) فسموه سفيها .

وقوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر : وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجنّ فى أسفارهم إذا نزلوا منازلهم .

وكان ذلك من فعلهم فيما ذُكر لنا ، كالذى حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادى فى الجاهلية ، فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادى ، فزادهم ذلك إثما .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كان الرجل منهم إذا نزل الوادى فبات به ، قال : أعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) كانوا إذا نزلوا الوادى قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادى من شرّ ما فيه ، فتقول الجنّ : ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرّا ولا نفعا .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا فى الجاهلية إذا نزلوا بالوادى قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادى ، فيقول الجنيون : تتعوّذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرّا ولا نفعا !

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا يقولون إذا هبطوا واديا : نعوذ بعظماء هذا الوادى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) ذُكر لنا أن هذا الحىّ من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا : نعوذ بأعزّ أهل هذا المكان ، قال الله (فَزادُوهُمْ رَهَقا) : أى إثما ، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) : كانوا فى الجاهلية إذا نزلوا منزلا يقولون : نعوذ بأعزّ أهل هذا المكان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ) قال : كانوا يقولون : فلان من الجنّ ربّ هذا الوادى ، فكان أحدهم إذا دخل الوادى يعوذ بربّ الوادى من دون الله ، قال : فيزيده بذلك رَهَقا ، وهو الفرَق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ

الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : كان الرجل فى الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال : إنى أعوذ بكبير هذا الوادى ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم .

وقوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فزاد الإنس بالجنّ باستعاذتهم بعزيزهم ، جراءة عليهم ، وازدادوا بذلك إثمًا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) فزادهم ذلك إثما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : قال الله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) : أى إثما ، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) يقول : خطيئة.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : فيزدادون عليهم جراءة .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : ازدادوا عليهم جراءة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن الكفار زادوا بذلك طغيانا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : زاد الكفار طغيانا.

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك فزادوهم فَرَقا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : فيزيدهم ذلك رهقا ، وهو الفرق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) قال : زادهم الجنّ خوفا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فزاد الإنس الجنّ بفعلهم ذلك إثما ، وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله . والرَّهَق فى كلام العرب : الإثم وغشيان المحارم ؛ ومنه قول الأعشى :

لا شَيْءَ يَنْفَعُنِى مِنْ دُونِ رُؤْيَتِها ... هلْ يَشْتَفِى وَامِقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقًا[1]

يقول : ما لم يغش محرما .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦٥ من القصيدة المرقومة ٨٠) . وفى اللسان : (رهق) قال : والرهق غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه . قال ابن برى : وكذلك فسر الرهق فى شعر الأعشى ، بأنه غشيان المحارم وما لا خير فيه فى قوله « لاشىء ينفعنى . . . البيت » قلت : وتفسير ابن برى لايعجبنى ، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات ، وإنما يحسن تفسيره كما قال=

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ (وأنّهم ظنّوا كما ظننتم أنْ لنْ يبعث الله أحدًا) يعنى أن الرجال من الجنّ ظنوا كما ظنّ الرجال من الإنس أن لن يبعث الله أحدا رسولا إلى خلقه ، يدعوهم إلى توحيده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن الكلبىّ (وأنّهم ظنّوا كما ظننتم) ظنّ كفار الجنّ كما ظنّ كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولا .

وقوله (وأنّا لمسنا السّماء) يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر : وأنا طلبنا السماء وأردناها ، (فوجدناها ملئت) يقول : فوجدناها ملئت (حرسا شديدا) يعنى حفظة (وشهبا) ، وهى جمع شهاب ، وهى النجوم التى كانت تُرجم بها الشياطين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جُبير ، قال : كانت الجنّ تستمع ، فلما رجموا قالوا : إن هذا الذى حدث فى السماء لشىء حدث فى الأرض ؛ قال : فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبىّ صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر ، فذهبوا إلى قومهم مُنذرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ؟ (١٠)

يقول عزّ وجلّ : وإنا كنا معشر الجنّ نقعد من السماء مقاعد لنسمع ما يحدث ، وما يكون فيها ، (فمَنْ يستمع الآنَ) فيها منا (يَجِدْ لَهُ شهابا رَصَدًا) يعنى : شهاب نار قد رصد له به .

= شارح الديوان : إن الرهق : الدنو من المحبوب والقرب منه ، والتمتع بما ينوله ، فأما إذا كان بعيدا عنا فلا شفاء ولا قرار . وفى (اللسان : رهق) : عن الزجاج ، فزادوهم رهقا : أى ذلة وضعفا . وقيل : سفها وطغيانا . وقيل فى تفسيره : الظلم . وقيل الفساد . . . الخ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ) . . . إلى قوله (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابا رَصَدًا) كانت الجنّ تسمع سمع السماء ؛ فلما بعث الله نبيه ، حُرست السماء ، ومُنعوا ذلك ، فتفقّدت الجنّ ذلك من أنفسها .

وذُكر لنا أن أشراف الجنّ كانوا بنصيبين ، فطلبوا ذلك ، وضربوا له ، حتى سقطوا على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى بأصحابه عامدا إلى عكاظ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسا شَدِيدًا وشُهُبا) ... حتى بلغ (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابا رَصَدًا) فلما وجدوا ذلك رجعوا إلى إبليس ، فقالوا : منع منا السمع ، فقال لهم : إن السماء لم تحرس قطّ إلا على أحد أمرين : إما لعذاب يريد الله أن ينزله على أهل الأرض بغتة ، وإما نبىّ مرشد مصلح ، قال : فذلك قول الله (وأنَّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ ، أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ ، رَشَدًا ؟) .

وقوله (وأنَّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) يقول عزّ وجلّ مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ : وأنا لا ندرى أعذابا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض ، بمنعه إيانا السمع من السماء ، ورجمه من استمع منا فيها بالشهب (أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ؟) يقول : أم أراد بهم ربهم الهدى بأن يبعث منهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحقّ . وهذا التأويل على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد قبل .

وذُكر عن الكلبى فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، عن الكلبى فى قوله (وأنَّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أن يطيعوا هذا الرسول فيرشدهم ، أو يعصوه فيهلكهم .

وإنما قلنا القول الأوّل لأن قوله (وأنَّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأرْضِ) عقيب قوله (وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ) . . . الآية ، فكان ذلك بأن يكون من تمام قصة ماوليه ، وقرب منه ، أولى بأن يكون من تمام خبر ما بعد عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ، كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ ، وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيلهم (وأنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) وهم المسلمون العاملون بطاعة الله . (وَمِنَّا دُونَ ذلكَ) يقول : ومنا دون الصالحين (كُنَّا طَرائِقَ قِدَدًا) يقول : وأنا كنا أهواء مختلفة ، وفِرَقا

شتى ، منا المؤمن والكافر . والطرائق : جمع طريقة ، وهى طريقة الرجل ومذهبه . والقِدَد : جمع قِدّة ، وهى الضروب والأجناس المختلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد الرازىّ ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (طَرَائِقَ قِدَدًا) يقول : أهواء مختلفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) يقول : أهواء شتى ، منا المسلم ، ومنا المشرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) كان القوم على أهواء شتى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : أهواء .

حدثنى ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : مسلمين وكافرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال : شتى ، مؤمن وكافر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) قال صالح وكافر ، وقرأ قول الله (وأنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) .

وقوله (وأنَّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الأرْضِ) يقول : وأنا علمنا أن لن نُعجز الله فى الأرض إن أراد بنا سوءا (وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) إن طلبنا فنفوته . وإنما وصفوا الله بالقدرة عليهم حيث كانوا (وأنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ) يقول : قالوا : وأنا لما سمعنا القرآن الذى يهدى إلى الطريق المستقيم آمنا به ، يقول : صدّقنا به ، وأقررنا أنه حقّ من عند الله (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا) . يقول : فمن يصدّق بربه فلا يخاف بخسا : يقول : لا يخاف أن ينقص من حسناته ، فلا يُجازى عليها ؛ ولا رَهَقا : ولا إثما يحمل عليه من سيئات غيره ، أو سيئة يعملها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا يَخافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا) يقول : لا يخاف نقصا من حسناته ، ولا زيادة فى سيئاته .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً) يقول : ولا يخاف أن يُبْخَس من عمله شيء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا يَخافُ بَخْسا) : أى ظلما أن يُظْلم من حسناته فينقص منها شيئا ، أو يحمل عليه ذنب غيره (وَلا رَهَقاً) ولا مأثما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً) قال : لايخاف أن يُبْخَس من أجره شيئا ولا رهقا ، فيُظْلم ولا يعطَى شيئا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل النفر من الجنّ (وأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ) الذين قد خضعوا لله بالطاعة ، (وَمِنَّا القاسِطُونَ) وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ) قال : العادلون عن الحقّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (القاسِطُونَ) قال : الظالمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (القاسِطُونَ) الجائرون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (القاسِطُونَ) قال : الجائرون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المُقْسِط : العادل ، والقاسط : الجائر ، وذكر بيت شعر :

قَسَطْنا على الأمْلاكِ فى عَهْدِ تُبَّعٍ وَمِنْ قَبْلِ ما أدْرَى النُّفوسَ عِقابَها[1]

وقال : وهذا مثل التَّرِب والمُتْرِب ؛ قال : والتَّرِب : المسكين ، وقرأ (أوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : والمُتْرِب : الغنى .

(١) البيت استشهد به ابن زيد المحدث على أن القاسطين معناه الجائرون . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٤) وقوله « ومنا القاسطون » : وهم الجائرون الكفار . والمقسطون : العادلون المسلمون .

وقوله (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) يقول : فمن أسلم وخضع لله بالطاعة ، فأولئك تعمدوا وترجَّوا رشدا فى دينهم . وأما القاسطون يقول : الجائرون عن الإسلام ، (فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) توقد بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)

يقول تعالى ذكره : وأن لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحقّ والاستقامة (لَأَسْقَيْنَاهُمْ ماءً غَدَقًا) يقول : لوسَّعنا عليهم فى الرزق ، وبسطناهم فى الدنيا ، لنفتنهم فيه ، يقول لنختبرهم فيه .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً) يعنى بالاستقامة : الطاعة . فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) طريقة الإسلام (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً) قال : نافعا كثيرا ، لأعطيناهم مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) حتى يرجعوا لما كُتِب عليهم من الشقاء .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابىّ ، قال : ثنا الفِرْيابىّ ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد : مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبى زياد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) قال : طريقة الحقّ (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً) يقول : مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به ، حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد (وأنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) قال : الإسلام (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً) قال الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم به .

قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن غير واحد ، عن مجاهد (ماءً غَدَقاً) قال الماء ، والغَدَق : الكثير .

(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) : حتى يرجعوا إلى علمى فيهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : لأعطيناهم مالا كثيرا ، قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن بعض أصحابه ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير فى قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ) قال : الدين . (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : مالا كثيرا (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا ، قال الله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنبتليهم بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : لو اتقوا لَوُسِّع عليهم فى الرزق (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (ماءً غَدَقا) قال : عيشاً غَدَقا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : الغَدَق الكثير : مال كثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنختبرهم فيه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا المطلب بن زياد ، عن التيمىّ ، قال : قال عمر رضى الله عنه فى قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا على الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقا) قال : أينما كان الماء كان المال ، وأينما كان المال كانت الفتنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران بن حُدَير ، عن أبى مجلز ، قال : وأن لو استقاموا على طريقة الضلالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأن لو استقاموا على طريقة الحقّ وآمنوا ، لوسعنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) قال : هذا مثل ضربه الله كقوله (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) وقوله تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ) والماء الغدق يعنى : الماء الكثير (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) لنبتليهم فيه .

وقوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابا صَعَدا) يقول عزّ وجل : ومن يُعرض عن ذكر ربه الذى ذكره به ، وهو هذا القرآن ؛ ومعناه : ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله ، يسلكه

الله عذابا صَعَدًا : يقول : يسلكه الله عذابا شديدا شاقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) يقول : مشقة من العذاب يصعد فيها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابًا صَعَدًا) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (عَذَابًا صَعَدًا) قال : جَبَل فى جهنم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) عذابا لاراحة فيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَذَابًا صَعَدًا) قال : صَعُودا من عذاب الله ، لاراحة فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) قال : الصعد : العذاب المنصبُّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَسْلُكْهُ) فقرأه بعض قرّاء مكة والبصرة (نَسْلُكْهُ) بالنون ، اعتبارا بقوله (لِنَفْتِنَهُمْ) أنها بالنون . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء ، بمعنى : يسلكه الله ، ردّا على الربّ فى قوله (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ (وأنّ المَساجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا) أيها الناس (مَعَ اللهِ أحَدًا) ولا تشركوا به فيها شيئا ، ولكن أفردوا له التوحيد ، وأخلصوا له العبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يوحِّد الله وحده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن محمود ، عن سعيد ابن جُبير (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) قال : قالت الجنّ لنبىّ الله : كيف لنا نأتى المسجد ، ونحن ناءون عنك ، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ ، فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ ، فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعَهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) قال : المساجد كلها .

وقوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : وأنه لما قام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله : يقول : لا إله إلا الله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) : يقول : كادوا يكونون على محمد جماعات ، بعضها فوق بعض ، واحدها لِبْدة ، وفيها لغتان : كسر اللام لبدة ، ومن كسرها جمعها لِبَد ؛ وضم اللام لُبدة ، ومن ضمها جمعها لُبَد بضم اللام ، أولا بِد ؛ ومن جمع لابدا قال لبّدا مثل راكِع وركع ؛ وقراء الأمصار على كسر اللام من لِبَد ، غيرَ ابن مُحَيْصِن ، فإنه كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التى عليها قرّاء الأمصار أحبّ إلىّ ، والعرب تدعو الجراد الكثير الذى قد ركب بعضه بعضا لُبْدَة ؛ ومنه قول عبد مناف بن ربعىّ الهذلىّ :

صَابُوا بِستَّةِ أبْيَاتٍ وأرْبَعَةٍ حَتى كأنَّ عليهِمْ جابِيا لُبَدَا[1]

والجابى : الجراد الذى يجبى كلّ شىء يأكله .

☆ واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) فقال بعضهم : عنى بذلك الجنّ أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا القرآن .

---

(١) البيت فى (ديوان الهذليين ٢ : ٤٠) فى شعر عبد مناف بن ربع الهذلى ، يذكر يوم أنف عاذ . وفى (اللسان : صاب) : وقول الهذلى « صابوا . . . البيت » صابوا بهم أوقعوا بهم . والجابى (بالياء) : الجراد . واللبد (بضم اللام) الكثير وقال : فى (جبأ) والجابئ الجراد ، يهمز ولا يهمز . وجبأ الجراد : هجم على البلد . قال الهذلى : صابوا . . . . . جابئا لبدا » بهمز جابئ . قال : وكل طالع فجأة جابىء . وقال فى (لبد) : ومال لبد (بالضم) : كثير لا يخاف فناؤه ، كأنه التبد بعضه على بعض . وفى التنزيل : « يقول أهلكت مالا لبدا » : أى جما . قال الفراء : اللبد : الكثير . وقال بعضهم : واحدته : لبدة ، ولبد : جماع . قال : وجعله بعضهم على جهة قُمْ وحطم ، واحدا ، وهو فى الوجهين جميعا : الكثير . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : لما سمعوا النبىّ صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن ، ودَنَوا منه ، لم يعلم بهم ، حتى أتاه الرسول ، فجعل يقرئه (قُلْ أُوحِيَ إلَيَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) كادوا يركبونه ، حرصا على ما سمعوا منه من القرآن .

قال أبو جعفر : ومن قال هذا القول جعل قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ) مما أوحى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فيكون معناه : قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه .

وقال آخرون : بل هذا من قول النفر من الجنّ ، لما رجعوا إلى قومهم ، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له ، وائتمامهم به فى الركوع والسجود .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن مَعْمَر ، قال : ثنا أبو مسلم ، عن أبى عَوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : قول الجنّ لقومهم (لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) : قال : لما رأوه يصلى وأصحابه يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، قال : عَجِبوا من طواعية أصحابه له ؛ قال : فقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه ، كادوا يكونون عليه لبدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : كان أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يأتمُّون به ، فيركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ومن قال هذا القول الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد ، فتح الألف من قوله « وأنه » عطف بها على قوله (وأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا) مفتوحة ، وجاز له كسرها على الابتداء .

وقال آخرون : بل ذلك من خبر الله الذى أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، لعلمه أن الإنس والجنّ تظاهروا عليه ، ليُبطلوا الحقّ الذى جاءهم به ، فأبى الله إلا إتمامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تلبدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ، ويظهره على من ناوأه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِبَدًا) قال : لما قام النبىّ صلى الله عليه وسلم تلبّدت الجنّ والإنس ، فحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذى أنزله الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : : قال ابن زيد فى قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تظاهروا عليه بعضهم على بعض ، تظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن قال هذا القول فتح الألف من قوله « وأنه » .

* وأولى الأقوال بالصواب : فى ذلك قول من قال : ذلك خبر من الله ، عن أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لما قام يدعوه ، كادت العرب تكون عليه جميعا فى إطفاء نور الله .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب ، لأن قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهُ يَدْعُوهُ) عقيب قوله (وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ) وذلك من خبر الله فكذلك قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) وأخرى أنه تعالى ذكره ، أتبع ذلك قوله (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَدًا) فمعلوم أن الذى يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا فى ذلك ، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوِّين ، وسرعتهم إلى الإجابة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وأنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) قال : لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا إله إلا الله ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تكون عليه جميعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن رجل ، عن سعيد ابن جبير فى قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : تراكبوا عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد بن جبير (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال : بعضهم على بعض .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يقول : أعوانا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) قال جميعا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) : قال : جميعا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) واللبد : الشىء الذى بعضه فوق بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٢)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قُلْ إنَّمَا أدْعُو رَبِّى) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين

على وجه الخبر ، قال بالألف : ومن قرأ ذلك كذلك ، جعله خبرا من الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال ، فيكون معنى الكلام : وأنه لما قام عبد الله يدعوه تَلَبَّدوا عليه ، قال لهم : إنما أدعو ربى ، ولا أشرك به أحدا . وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة ، على وجه الأمر من الله عزّ وجلّ ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للناس الذين كادوا يكونون عليك لِبَدًا ، إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (قُلْ إِنِّى لاأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى العرب الذين ردّوا عليك ماجئتهم به من النصيحة : إنى لاأملك لكم ضَرًّا فى دينكم ولا دنياكم ، ولا رشدا أرشدكم ، لأن الذى يملك ذلك ، الله الذى له مُلك كلّ شىء .

وقوله (قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ) من خلقه إن أراد بى أمرا ، ولا ينصرنى منه ناصر .

وذُكر أن هذه الآية أُنزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن بعض الجنّ قال : أنا أجيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرَمىّ أنه ذُكر له أن جنيا من الجنّ من أشرافهم ذا تَبَع ، قال : إنما يريد محمد أن نجيره ، وأنا أجيره ، فأنزل الله (قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللهِ أَحَدٌ) .

وقوله (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ولن أجد من دون الله مَلْجَئا ألجأ إليه .

كما حدثنا مهران ، عن سفيان (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ولن أجد من دون الله ملجئا ألجأ إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) : أى ملجئا ونصيرا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مُلْتَحَدًا) قال : ملجئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول : ناصرا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِلاَّ بَلَاغًا مِّنَ اللهِ وَرِسَالَتِهِ ، وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لمشركى العرب : إنى لاأملك لكم ضرّا ولا رشدا (إِلاَّ بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ) يقول : إلا أن أبلغكم من الله ما أمرنى بتبليغكم إياه ، وإلا رسالاته التى أرسلنى بها إليكم ، فأما الرشد والخذلان ، فبيد الله ، هو مالكه دون سائر خلقه ، يهدى من يشاء ، ويخذل من أراد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ بَلاغا مِنَ اللهِ وَرِسالاتِهِ) فذلك الذى أملك بلاغا من الله ورسالاته .

وقد يحتمل ذلك معنى آخر ، وهو أن تكون « إلا » حرفين ، وتكون « لا » منقطعة من « إن » فيكون معنى الكلام : قل إنى لن يجيرنى من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته ، ويكون نصب البلاغ من إضمار فعل من الجزاء كقول القائل : إن لاقياما فقعودا ، وإن لاإعطاء فردّا جميلا ، بمعنى : إن لاتفعل الإعطاء فردّا جميلا .

وقوله (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ، ويكذّب به ورسوله ، فيجحد رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلاها (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) : يقول : ماكثين فيها أبدا إلى غير نهاية .

وقوله (حتى إذَا رأوْا ما يُوعَدُونَ) يقول تعالى ذكره : إذا عاينوا ما يعدهم ربهم من العذاب وقيام الساعة (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضْعَفُ ناصِرًا وأقَلُّ عَدَدًا) أجند الله الذى أشركوا به ، أم هؤلاء المشركون به .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا (٢٥) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ، فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ، وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ، وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا (٢٨) .

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : ما أدرى أقريب ما يعدكم ربكم من العذاب وقيام الساعة (أمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أمَدًا) يعنى : غاية معلومة تطول مدتها .

وقوله (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَدًا إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) يعنى بعالم الغيب : عالم ما غاب عن أبصار خلقه ، فلم يَرَوْه ، فلا يظهر على غيبه أحدا ، فيعلمه أويريه إياه ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يظهره على ماشاء من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أحَدًا إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحى ، وأظهرهم عليه ، بما أوحى إليهم من غيبه ، وما يحكم الله ، فإنه لايعلم ذلك غيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يصطفيهم ، ويطلعهم على مايشاء من الغيب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) قال : ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء ، أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيب القرآن ، قال : وحدثنا فيه بالغيب ، بما يكون يوم القيامة .

وقوله (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) يقول : فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرَسا وحفظة يحفظونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن الضحاك (إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحى ، بعث معه ملائكة يَحرُسُونه من بين يديه ومن خلفه ، أن يتشبَّه الشيطان على صورة الملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن طلحة ، يعنى ابن مُصَرِّف ، عن إبراهيم ، في قوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة رَصَد من بين يديه ومن خلفه ، يحفظونه من الجنّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : هي مُعَقِّبات من الملائكة يحفظون النبيّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان ، حتى يتبين الذى أُرسل به إليهم ، وذلك حين يقول : (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : الملائكة .

وقوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) : اختلف أهل التأويل في الذى عُنِى بقوله (لِيَعْلَمَ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : لِيَعلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قبله قد أَبْلَغَتْ عن ربها وحفظت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) قال : ليعلم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، أن الرسل قد أبلغت عن الله ، وأن الله حفظها ، ودفع عنها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم المشركون أن الرسل قد بلّغوا رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ) : قال : ليعلم من كذب الرسل ، أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليعلم محمد أن قد بلّغت الملائكة رسالات ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل (لِيَعْلَمَ) محمد (أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ ، وأَحاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ، وأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) قال : وما نزل جبريل عليه السلام بشىء من الوحى ، إلا ومعه أربعة حفظة .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب : قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم ، وذلك أن قوله (لِيَعْلَمَ) من سبب قوله (فإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) وذلك خبر عن الرسول ، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه ، إذ كان ذلك خبرا عنه .

وقوله (وأَحاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) يقول : وعلم بكلّ ما عندهم (وأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) يقول : علم عدد الأشياء كلها ، فلم يخف عليه منها شىء .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، أنه قال فى هذه الآية (إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) . . . إلى قوله (وأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) : قال : ليعلم الرسل أنّ ربهم أحاط بهم ، فبلغوا رسالاتهم .

آخر تفسير سورة الجنّ

تفسير سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا (٤)

يعنى بقوله (يأيُّها المُزَّمِّلُ) هو الملتفّ بثيابه . وإنما عنى بذلك نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية من التزمُّل ، فقال بعضهم : وصفه بأنه مُتَزمِّل فى ثيابه ، متأهِّب للصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يأيُّها المُزَّمِّلُ) : أى المتزمل فى ثيابه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يأيُّها المُزَّمِّلُ) هو الذى تزمَّل بثيابه .

وقال آخرون : وصفه بأنه متزمِّل النبوّة والرسالة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، فى قوله (يأيُّها المُزمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً) قال : زُمِّلْتَ هذا الأمر فقم به .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين بتأويل ذلك ، ماقاله قتادة ، لأنه قد عقَّبه بقوله (قُمِ اللَّيْلَ) فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة ، وأن ذلك هو أظهر معنييه .

وقوله (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً) يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : قم الليل يامحمد كله ، إلا قليلا منه .

(نِصْفَهُ) يقول : قم نصف الليل (أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أوْ زِدْ عَلَيْهِ) يقول : أو زد عليه ، خيَّره الله تعالى ذكره ، حين فرض عليه قيام الليل ، بين هذه المنازل ، أىّ ذلك شاء فعَل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذُكر يقومون الليل ، نحو قيامهم فى شهر رمضان ، فيما ذُكِر ، حتى خفَّف ذلك عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مِسْعر ، قال : ثنا سِماك الحنفىّ ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما نزل أوّل المزمل ، كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى رمضان ، وكان بين أوّلها وآخرها قريب من سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مِسْعر ، قال : ثنا سماك ، أنه سمع ابن عباس يقول ، فذكر نحوه . ، إلا أنه قال نحوا من قيامهم فى شهر رمضان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن موسى بن عبيدة ، قال : ثنى محمد بن طَحْلاء ، مولى أمّ سلمة ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلى عليه من الليل ، فتسامع به الناس ، فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب ، وكان بهم رحيما ، فخشى أن يُكتب عليهم قيام الليل ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ ، اكْلَفُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ ، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ حتى تَمَلُّوا مِنَ العَمَلِ ، وخَيْرُ الأعْمالِ ما دُمْتُمْ عَلَيْهِ » ، ونزل القرآن (يأيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أوْزِدْ عَلَيْهِ) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه ، فرحمهم ، فردّهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة الحِمْيرىّ ، عن محمد بن طحلاء ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : « كنت أشترى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا ، فكان يقوم عليه من أوّل الليل ، فتسمَّع الناس بصلاته ، فاجتمعت جماعة من الناس ؛ فلما رأى اجتماعهم كره ذلك ، فخشى أن يُكْتَب عليهم ، فدخل البيت كالمغضَب ، فجعلوا يتنحنحون ويتسعَّلون ، حتى خرج إليهم ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، يعنى من الثواب ، فاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ ، فإنَّ خَيْرَ العَمَلِ أدْوَمُهُ وَإنْ قَلَّ » ، ونزلت عليه (يأيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً) السورة قال : فكتبت عليهم ، وأنزلت بمنزلة الفريضة ، حتى إن كان أحدُهم ليربط الحبل فيتعلق به ؛ فلما رأى الله ما يكلفون مما يبتغون به وجه الله ورضاه ، وضع ذلك عنهم ، فقال : (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ) . . . إلى (عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ) ، فردّهم إلى الفريضة ، ووضع عنهم النافلة ، إلا ما تطوّعوا به .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا ، فشقّ ذلك على المؤمنين ، ثم خفّف عنهم فرحمهم ، وأنزل الله بعد هذا : (عَلِمَ أنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ، وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأرْضِ) . . . إلى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) ، فوسع الله وله الحمد ، ولم يضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما أنزل الله على نبيه (يأيُّها المُزَّمِّلُ) قال : مكث النبىّ صلى الله عليه وسلم على هذا الحال عشر سنين ، يقوم الليل كما أمره الله ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين (إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تَقُومُ أدْنَى

مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ . . . إلى قوله (وأقِيمُوا الصَّلاةَ) فخفَّف الله عنهم بعد عشر سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن ، قالا : قال فى سورة المزمل : (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا ، أوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) نسختها الآية التى فيها (فَقالَ عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ ، فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً) قاموا حولا أو حولين ، حتى انتفخت سُوقُهم وأقدامهم ، فأنزل الله تخفيفها بعدُ فى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : لما نزلت (يأيُّها المُزَّمِّلُ) قاموا بها حولا ، حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) ، فاستراح الناس .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جرير بياع المُلاَء عن الحسن ، قال : الحمد لله ، تطوّع بعد فريضة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال لما نزلت (يأيُّها المُزَّمِّلُ) . . . الآية ، قام المسلمون حولا ، فمنهم من أطاقه ، ومنهم من لم يطقه ، حتى نزلت الرخصة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما نزل أوّل المزّمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان ، وكان بين أوّلها وآخرها نحو من سنة .

وقوله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) يقول جلّ وعزّ : وبين القرآن إذا قرأته تبيينا ، وترسل فيه ترسلا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : اقرأه قراءة بينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضُه على أثَر بعض .

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومىّ ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضُه على أثَر بعض ، على تُؤَدة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : ترسَّلْ فيه ترسلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال : بعضُه فى أثَر بعض .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج ، عن عطاء (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : الترتيل النَّبْذ : الطَّرْح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) : قال بيِّنه بيانا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : بيِّنه بيانا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) قال : بعضه على أثَر بعض .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) فقال بعضهم : عُنِى به : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا العملُ به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) قال : العملُ به ، قال : إن الرجل ليهُذُّ [١] السورة ، ولكنّ العمل به ثقيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) ثقيل والله فرائضُه وحدوده .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (ثَقِيلاً) قال : ثقيل والله فرائضُه وحدوده .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن القول عينه ثقيل مَحْمِلَه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جِرانَها ، فما تستطيع أن تتحرّك حتى يُسَرَّى عنه » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) قال : هو والله ثقيل مبارك القرآن ، كما ثقل فى الدنيا ثَقُل فى الموازين يوم القيامة .

(١) الهذ : سرعة القراءة . وهو يهذ القرآن هذا : إذا أسرع فيه وتابعه . وهذ الحديث : سرده . (التاج) .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك: أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه.

وقوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا) يعنى جلّ وعزّ بقوله: إن ناشئة الليل: إن ساعات الليل، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل.

⁂ وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك:

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرنا حاتم بن أبى صغيرة، قال: قلت لعبد الله بن أبى مُلَيكة: ألا تحدثنى أىّ الليل ناشئة؟ قال: على الثَّبْت سقطتَ، سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت عنها ابن الزبير، فأخبرنى مثل ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال: بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل، قالوا: نشأ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) نشأ: قام.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن أبى مَيْسرة (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال: نشأ: قام.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح، قال: إذا قام الرجل من الليل، فهو ناشئة الليل.

حدثنا هناد بن السرىّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرِمة، فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال: هو الليل كله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال: إذا قمت من الليل فهو ناشئة.

قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: كلّ شىء بعد العشاء فهو ناشئة.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) قال: قيام الليل؛ قال: وأىّ ساعة من الليل قام فقد نشأ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: أىّ الليل قمت فهو ناشئة.

قال: ثنا مهران، عن خارجة، عن أبى يونس حاتم بن أبى صغيرة، عن ابن أبى مُلَيكة، قال: سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل، فقالا: كلّ الليل ناشئة، فإذا نشأت قائما، فتلك ناشئة.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : أىّ ساعة تهجّدَ فيها متهجد من الليل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) يعنى : الليل كله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى عامر الخزاز ، ونافع عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : الليل كله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الليل كله إذا قام يصلى فهو ناشئة . وقال آخرون : بل ذلك ما كان بعد العشاء ، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن سليمان التيمىّ ، عن أبى مجلز ، فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء ناشئة .

قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أبو رجاء ، فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ما بعد العشاء الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : ناشئة الليل : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : قال قتادة فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ) قال : كلّ شىء بعد العشاء فهو ناشئة .

وقوله (هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً) اختلفت قرّاء الأمصار فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والكوفة : (أَشَدُّ وَطْئاً) بفتح الواو وسكون الطاء . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة ومكة والشام (وِطاءً) بكسر الواو ، ومدّ الألف ، على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطأة ووِطاء .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

ويعنى بقوله (هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً) ناشئة الليل أشدّ ثباتا من النهار ، وأثبت فى القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار . وحُكى عن العرب ، وَطِئنا الليل وَطْئا : إذا ساروا فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال من أهل التأويل مَنْ قرأه بفتح الواو وسكون الطاء ، وإن اختلفت عباراتهم فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً) : أى أثبت فى الخير ، وأحفظ فى الحفظ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً) قال : القيام بالليل أشدّ وطئا : يقول : أثبت فى الخير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول : ناشئة الليل كانت صلاتهم أوّل الليل . (هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول : هو أجدر أن تحْصُوُا ما فرض الله عليكم من القيام ،وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) قال : إن مصلى الليل القائم بالليل أشدّ وطئا : طمأنينة ، أفرغ له قلبا ، وذلك أنه لا يَعْرِضُ له حوائج ولا شىء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) يقول : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار ، وأشدّ مواطأة بالليل منه بالنهار .

وأما الذين قرءوا (وِطاءً) بكسر الواو ومدّ الألف ، فقد ذكرت الذى عَنَوا بقراءتهم ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : أن تُواطئ قلبك وسمعك وبصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إن ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً) قال : تواطئ سمعك وبصرك وقلبك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : مُواطأة للقول ، وفراغا للقلب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً ، وأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أجدر أن تُواطئ لك سمعك ، أن تواطئ لك بصرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أَشَدُّ وَطْئاً) قال : أجدر أن تواطئ سمعك وقلبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله (إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وأَقْوَمُ قِيلاً) قال : يواطئ سمعُك وبصرك وقلبك بعضُه بعضا .

وقوله (وأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : وأصوب قراءة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية (إنَّ

ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وأَصْوَبُ قِيلاً) فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة إنما هى (أَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم وأصوب وأهيأ : واحد .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا عبد الحميد الحمانى ، عن الأعمش قال : قرأ أنس (وأَقْوَمُ قِيلاً) وأصوب قيلا ، قيل له يا أبا حمزة ، إنما هى (وأَقْوَمُ) قال أنس : أصوب وأقوم وأهيأ : واحد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأَقْوَمُ قِيلاً) يقول : أدنى من أن تفقهوا القرآن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأَقْوَمُ قِيلاً) : أحفظ للقراءة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَقْوَمُ قِيلاً) قال : أقوم قراءة ، لفراغه من الدنيا .

قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن لك يا محمد فى النهار ، فراغا طويلا تتسع به ، وتتقلّب فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (سَبْحاً طَوِيلاً) : فراغا طويلا ، يعنى النوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) قال : متاعا طويلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (سَبْحاً طَوِيلاً) قال : فراغا طويلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) قال : لحوائجك ، فافرُغ لدينك الليلَ ، قالوا : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله منّ على العباد ، فخفّفها ووضعها ، وقرأ (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) حتى بلغ قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) الليل ، نصفه أو ثلثه ، ثم جاء أمر أوسع وأفسح ، وضع الفريضة عنه وعن أمّته ، فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ ، عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول فى قوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) فراغا طويلا . وكان يحيى بن يعمر يقرأ ذلك بالخاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن غالب الليثى ، عن يحيى بن يعمر من جذيلة قيس أنه كان يقرأ (سَبْخًا طَوِيلاً) قال : وهو النوم .

قال أبو جعفر : والتسبيخ : توسيع القطن والصوف وتنفيشه ، يقال للمرأة : سَبِّخى قطنك : أى نفِّشيه ووسعيه ؛ ومنه قول الأخطل :

فأرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرَابَ كَمَا يُذْرِى سَبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوْتَارُ[1]

وإنما عُنِى بقوله (إنَّ لَكَ فِى النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلاً) : إن لك فى النهار سعة ، لقضاء حوائجك وقومك ؛ والسبح والسبخ : قريبا المعنى فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠)

يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يامحمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) يقول : وانقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك ، دون سائر الأشياء غيره ، وهو من قولهم : تبتَّلتُ هذا الأمر ؛ ومنه قيل لأمّ عيسى بن مريم البَتُول ، لانقطاعها إلى الله ، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله : قد تبتل ؛ ومنه الخبر الذي رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التبتُّل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلِص له إخلاصا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن أبى نجيح ، عن الحكم ، عن مِقْسم ، عن ابن عباس : (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص له إخلاصا .

حدّثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمّل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلِص له إخلاصا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) البيت للأخطل يذكر الكلاب (اللسان : سبخ) قال : التسبيخ : التخفيف . ويقال اللهم سبخ عنى الحمى : أى خففها وسهلها ؛ ولهذا قيل لقطع القطن إذا ندف سبائخ ، ومنه قول الأخطل يذكر الكلاب (فأرساوهن . . .) البيت . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٦) : وقوله « إن لك فى النهار سبحا طويلا » يقول : لك فى النهار ما تقضى حوائجك . وقد قرأ بعضهم : سبخا ، بالخاء ، والتسبيخ : توسعة الصوف والقطن وما أشبهه ، يقال : سبخى قطنك . قال أبو العباس (ثعلب) سمعت أبا عبد الله (ابن الأعرابى) يقول : حضر أبو زياد الكلابى مجلس الفراء فى هذا اليوم ، فسأله الفراء عن هذا الحرف ، فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبخ عنه ، للمريض والملسوع ونحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : أخْلِصْ إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه إخلاصا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى يحيى المكتب ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخْلِص إليه إخلاصا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه المسئلة والدعاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن أشعث ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : بَتِّل نفسك واجتهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) يقول : أخلص له العبادة والدعوة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) قال : أخلص إليه إخلاصا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) : قال : أى تفرّغ لعبادته ، قال : تبتل ، فحبذا التبتل إلى الله ، وقرأ قول الله (فإذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال : إذا فرغت من الجهاد فانصب فى عبادة الله : (وَإلى رَبِّكَ فارْغَبْ) .

وقوله (رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة بالرفع ، على الابتداء ، إذ كان ابتداء آية بعد أخرى تامة . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالخفض ، على وجه النعت ، والردّ على الهاء التى فى قوله (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . ومعنى الكلام : ربّ المشرق والمغرب وما بينهما من العالم .

وقوله (لاإلَهَ إلاَّ هُوَ) يقول : لاينبغى أن يُعبد إله سوى الله ، الذى هو ربّ المشرق والمغرب .

وقوله (فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) فيما يأمرك ، وفوّض إليه أسبابك .

وقوله (واصْبِرْ على ما يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك ، وعلى أذاهم ، واهجرهم فى الله هجرا جميلا . والهجر الجميل : هو الهجر فى ذات الله ، كما قال عزّ وجلّ (وَإذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنا فأعْرِضْ عَنْهُمْ حتى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ) . . . الآية ، وقيل : إن ذلك نُسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ ، وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) براءة نسخت ما هاهنا ، أُمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، لايقبل منهم غيرها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ ، وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) فدعنى يامحمد والمكذّبين بآياتى (أُولِى النَّعْمَةِ) يعنى أهل التنعم فى الدنيا (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) يقول : وأخّرهم بالعذاب الذى بسطته لهم قليلا ، حتى يبلغ الكتاب أجله .

وذُكر أن الذى كان بين نزول هذه الآية وبين بدر يسير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن عباد ، عن أبيه ، عن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : لما نزلت هذه الآية (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ ، وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ، إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وجَحِيما) . . . الآية ، قال : لم يكن إلا يسيرٌ حتى كانت وَقْعة بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ ، وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) يقول : إن لله فيهم طَلِبةً وحاجة .

وقوله (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وجَحِيما) يقول تعالى ذكره : إن عندنا لهؤلاء المكذّبين بآياتنا أنكالا ، يعنى قيودا ، واحدها : نِكْل .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة ، أن الآية التى قال : (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وجَحِيما) إنها قيود .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً) قال : قُيودا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عكرمة (أَنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال ثنا سفيان ، قال : وبلغنى عن مجاهد قال : الأنكال : القيود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، قال : الأنكال : القيود .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن حماد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت حمادا يقول : الأنكال القيود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً) : أى قيودا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن سفيان ، عن أبى عمرو بن العاص ، عن عكرمة (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً) قال : قيودا .

حدثنا أبو عبيد الوَصَّابى محمد بن حفص ، قال : ثنا ابن حِمْير ، قال : ثنا الثورىّ ، عن حماد ، فى قوله (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً وَجَحِيما) قال : الأنكال : القيود .

حدثنا سعيد بن عنبسة الرازى ، قال : مررت بابن السَّمَّاك ، وهو يَقُصّ وهو يقول : سمعت الثورىّ يقول : سمعت حمادا يقول فى قول الله (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً) قال : قيودا سوداء من نار جهنم .

وقوله (وَجَحِيما) يقول : ونارا تسعَّر (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) يقول : وطعاما يَغَصّ به آكله ، فلا هو نازل عن حلقه ، ولا هو خارج منه .

كما حدثنى إسحاق بن وهب وابن سِنان القزّاز قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) قال : شوك يأخذ بالحلق ، فلا يدخل ولا يخرج .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدّثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) قال : شجرة الزقوم .

وقوله (وَعَذَاباً أليما) يقول : وعذابا مؤلما موجعا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن حُمْران بن أعين ، « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ (إنَّ لَدَيْنا أنْكالاً وَجَحِيما ، وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) فصَعِق صلى الله عليه وسلم » .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ، وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً (١٤)

يقول تعالى ذكره : إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يامحمد العقوبات التى وصفها ، فى يوم ترجف الأرض والجبال ؛ ورُجْفان ذلك : اضطرابه بمن عليه ، وذلك يوم القيامة .

وقوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً) يقول : وكانت الجبال رملا سائلا متناثرا . والمَهِيل : مفعول من قول القائل : هِلْتُ الرمل فأنا أهيله ، وذلك إذا حُرِّك أسفله ، فانهال عليه من أعلاه ؛ وللعرب فى ذلك لغتان ، تقول : مَهِيل ومَهْيُول ، ومَكِيل ومَكْيُول ؛ ومنه قول الشاعر :

قد كانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدًا وإخالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَغْيُونُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلا) يقول : الرمل السائل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكانَتِ الجِبالُ كَثِيباً مَهِيلاً) قال : الكثيب المهيل : اللين الذى إذا مسسته تتابع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَثِيباً مَهِيلاً) قال : ينهال .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦)

يقول تعالى ذكره (إنَّا أرْسَلْنا إلَيْكُمْ) أيها الناس (رَسُولاً شاهِدًا عَلَيْكُمْ) بإجابة من أجاب منكم دعوتى ، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة ، يوم تلقونى فى القيامة (كَمَا أرْسَلْنا إلى فِرْعَوْنُ رَسُولاً) يقول : مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون مصر رسولا بدعائه إلى الحقّ ، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) الذى أرسلناه إليه (فأخَذْناهُ أخْذًا وَبِيلاً) يقول : فأخذناه أخذا شديدا ، فأهلكناه ومن معه جميعا ، وهو من قولهم : كلأ مستو بل : إذا كان لايستمرأ ، وكذلك الطعام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمى (شرح شواهد شافية ابن الحاجب لعبد القادر البغدادى طبع القاهرة ٣٨٩) . قال البغدادى مغيون ، بالغين المعجمة : اسم مفعول من قولهم : غين على قلبه : أى غطى عليه . وفى الحديث : « إنه ليغان على قلبى » ولكن الناس ينشدونه بالباء ، وهو تصحيف ، وقد روى بالعين غير المعجمة ، أى مصاب بالعين والأول هو الوجه . وكلاهما مما جاء فيه التصحيح ، وإن كان الاعتلال فيه أكثر ، كقولهم : طعام مزيوت ، وبرمكيول ، وثوب مخيوط ؛ والقياس : مغين ، ومزيت ، ومكيل ، ومخيط ، حملا على غين ، وزيت ، وكيل ، وخيط . قال أبو على : ولو جاء التصحيح فيما كان من الواو لم ينكر ، وقد صححوا أحرفا من ذات الواو ؛ قالوا : مسك مدووف ، وثوب مصووف ، وفرس مقوود . قال : وإنما صح اسم المفعول من هذا التركيب ، فخالف بذلك اسم الفاعل ؛ لأن اسم المفعول غير جار على فعله فى حركاته وسكونه ، كما تجرى أسماء الفاعلين على أفعالها ؛ فلما خالف اسم المفعول فعله فيما ذكرناه ، خالفه فى إعلاله . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأخَذْناهُ أخْذًا وَبِيلاً) أى شديدا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أخْذًا وَبِيلاً) قال : شديدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأخَذْناهُ أخْذًا وَبِيلاً) قال : الوبيل : الشرّ ، والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرّ : لقد أوبل عليه ، وتقول : أوبلت على شرّك ، قال : ولم يرض الله بأن غرّق وعذّب ، حتى أقرّ فى عذاب مستقرّ ، حتى يُبعث إلى النار يوم القيامة ، يريد فرعون .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨)

يقول تعالى ذكره للمشركين به : فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ، ولم تصدّقوا به . وذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) يقول : كيف تتقون يوما وأنتم قد كفرتم به ، ولا تصدّقون به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ) قال : والله لا يتّقى من كفر بالله ذلك اليوم .

وقوله (يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) يعنى يوم القيامة ، وإنما تشيب الولدان من شدّة هوله وكربه .

كما حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) : كان ابن مسعود يقول : « إذا كان يومُ القيامة دعا ربُّنا الملكُ آدم ، فيقول : يا آدم ، قم فابعث بعث النار ، فيقول آدم : أى ربّ لا علم لى إلا ما علمتنى ، فيقول الله له : أخرج من كلّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعين ، فيُساقون إلى النار سُودا مقرّنين ، زُرقا كالحين ، فيشيب هنالك كلّ وليد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) قال : تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم .

وقوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول تعالى ذكره : السماء مُثْقَلَة بذلك اليوم ، متصدّعة متشققة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يعنى : تشقّق السماء حين ينزل الرحمن جلّ وعزّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .

حدثنا أبو حفص الحيرى ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود ، عن الحسن ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة محزونة يوم القيامة .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود بحر بن موسى ، قال : سمعت ابن أبى علىّ يقول فى هذه الآية ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مثقلة به .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : مُوقَرَة مثقلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) يقول : مُثْقَل به ذلك اليوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : هذا يوم القيامة ، فجعل الولدان شيبا ، ويوم تنفطر السماء ، وقرأ (إذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) وقال : هذا كله يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممتلئة به ، بلسان الحبشة .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ، ولم يسمعه عن ابن عباس (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) قال : ممتلئة به .

وذُكرت السماء فى هذا الموضع لأن العرب تذكرها وتؤنثها ، فمن ذكرها وجهها إلى السقف ، كما يقال : هذا سماء البيت : لسقفه . وقد يجوز أن يكون تذكيرهم إياها لأنها من الأسماء التى لا فصل فيها بين مؤنثها ومذكرها ، ومن التذكير قول الشاعر :

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْماً لَحِقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ[1]

وقوله (كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً) يقول تعالى ذكره : كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا ، لأنه لايخلف وعده ، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون الولدان فيه شيبا ، يقول : فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس ، فإنه كائن لامحالة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)

* يعنى تعالى ذكره بقوله : إن هذه الآيات التى ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها ، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر تذكرة : يقول : عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) يقول : فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقا بالإيمان به ، والعمل بطاعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) يعنى القرآن (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) بطاعة الله .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إن ربك يامحمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثى الليل مصليا ، ونصفه وثلثه .

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بالخفض ، ونصفه وثلثه بمعنى : وأدنى من نصفه وثلثه ، إنكم لم تطيقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل ، فقوموا أدنى من ثلثى الليل ومن

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٦) قال : وقوله « السماء منفطر به » : يذلك اليوم . والسماء تذكر وتؤنث ، فهى هاهنا فى وجه التذكير ؛ قال الشاعر : « ولو رفع السماء . . . البيت » . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨١) « السماء منفطر به » : قال أبو عمرو : ألقى الهاء ، لأن مجازها السقف ، تقول : هذا سماء البيت . وقال قوم قد تلقى العرب ن المؤنث الهاءات استغناء عنها ، يقال مهرة ضامر ، وامرأة طالق ، . والمعنى : منفطرة .

نصفه وثلثه . وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة بالنصب، بمعنى : إنك تقوم أدنى من ثلثى الليل، وتقوم نصفه وثلثه .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) : يعنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كانوا مؤمنين بالله حين فرض عليهم قيام الليل .

وقوله (وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ والنَّهارَ) بالساعات والأوقات .

وقوله(عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) : يقول : علم ربكم أيها القوم الذين فُرض عليهم قيام الليل ، أن لن تطيقوا قيامه (فَتابَ عَلَيْكُمْ) إذ عجزتم وضعفتم عنه ، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن (عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) أن لن تطيقوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى به عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال : لن تطيقوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) يقول : أن لن تطيقوه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قال : أن لن تطيقوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا عطاء بن السائب، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَّتانِ لا يُحْصِيهِما رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلاّ أدْخَلَتاهُ الجَنَّةَ ، هُما يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِما قَلِيلٌ ، يُسَبِّحُ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا ، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا ، وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا ؛ قال : فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعقِدها بيده، قال : فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ باللسانِ ، وألْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي المِيزَانِ ؛ وَإذَا أوَى إلى فِراشِهِ سَبَّحَ وَحَمِدَ وكَبَّرَ مِئَةً ؛ قال : فَتِلْكَ مِئَةٌ باللِّسانِ ، وألْفٌ فِي المِيزَانِ ، فأيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ ألْفَيْنِ وَخَمْسِ مِئَةِ سَيِّئَةٍ ، قالوا : فكيف لانحصيهما ؟ قال : يأتى أحَدَكُمُ الشَّيْطانُ وَهُوَ فِي صَلاتِهِ فَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا حَتى يَنْفَتِلَ ، وَلَعَلَّهُ لا يَعْقِلُ ، ويأتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ ، فَلا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتى يَنامَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) قيام الليل كتب عليكم (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) .

وقوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) يقول : فاقرءوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن فى صلاتكم ، وهذا تخفيف من الله عزّ وجلّ عن عباده فرضه الذى كان فرض عليهم بقوله (قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلية ، عن أبى رجاء محمد ، قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد، ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، فلا يقوم به ، إنما يصلى المكتوبة ، قال : يتوسد القرآن ، لعن الله ذاك ، قال الله للعبد : الصالح (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْناهُ ، وعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ) قلت : يا أبا سعيد ، قال الله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) قال : نعم ، ولو خمسين آية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عثمان الهمدانىّ ، عن السدىّ ، فى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ) قال : مئة آية .

قال : ثنا وكيع ، عن ربيع ، عن الحسن ، قال : من قرأ مئة آية فى ليلة ، لم يحاجه القرآن .

قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن كعب ، قال : من قرأ فى ليلة مئة آية ، كُتب من العابدين .

وقوله (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونَ مِنْكُمْ مَرْضَى ، وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل (وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأَرْضِ) فى سفر (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ) فى تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم ، فأضعفهم أيضا عن قيام الليل. (وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ) يقول : وآخرون أيضا منكم يجاهدون العدوّ، فيقاتلونهم فى نُصرة دين الله ، فرحمكم الله، فخفف عنكم ، ووضع عنكم فرض قيام الليل (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) يقول : فاقرءوا الآن إذ خفّف ذلك عنكم من الليل فى صلاتكم ما تيسّر من القرآن . والهاء فى قوله « منه » من ذكر القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثم أنبأ بخصال المؤمنين ، فقال : (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ، وآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) قال : افترض الله القيام فى أوّل هذه السورة ، فقام نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا، حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ، ثم أنزل التخفيف فى آخرها، فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة (وأَقِيمُوا الصَّلاةَ)

يقول : وأقيموا المفروضة ، وهى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة (وآتُوا الزَّكاةَ) يقول : وأعطُوا الزكاة المفروضة فى أموالكم أهلها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأقِيمُوا الصَّلاةَ وأتُوا الزَّكاةَ) فهما فريضتان واجبتان ، لارُخصة لأحد فيهما ، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره .

وقوله (وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) يقول : وأنفقوا فى سبيل الله من أموالكم .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) قال : القرض : النوافل سوى الزكاة .

وقوله (وَما تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وأعْظَمَ أجْرًا) يقول : وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم فى دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها فى سبيل الله ، أوغير ذلك ، من نفقة فى وجوه الخير ، أو عمل بطاعة ، الله من صلاة أو صيام أوحجّ ، أوغير ذلك من أعمال الخير ، فى طلب ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة فى معادكم ، هو خيرا لكم مما قدّمتم فى الدنيا ، وأعظم منه ثوابا : أى ثوابه أعظم من ذلك الذى قدّمتموه ، لو لم تكونوا قدّمتموه (وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ) يقول تعالى ذكره : وسلوا الله غفران ذنوبكم ، يصفح لكم عنها (إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول : إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه ، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها .

آخر تفسير سورة المزمل

تفسير سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)

يقول جلّ ثناؤه (يا أيها المُدَّثِّرُ) : يا أيها المتدثر بثيابه عند نومه .

وذُكر أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذلك ، وهو متدثر بقطيفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) قال : كان متدثرا فى قطيفة .

وذُكر أن هذه الآية أوّل شىء نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه قيل له : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو سلَمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث عن فترة الوحى : « بَيْنا أنا أمْشِي سَمِعْتُ صَوْتا منَ السَّماءِ ، فَرَفَعْتُ رأسِي ، فإذَا المَلَكُ الَّذى جاءَنِي بِحِراءَ ، جالِسٌ على كُرْسِيٍّ بَينَ السَّماءِ والأرْضِ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقا (١) ، وجِئْتُ أهْلِي ، فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، فدَثَّرُونِي » فأنزل الله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) . . . إلى قوله (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : ثم تتابع الوحى » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا الأوزاعىّ ، قال : ثنى يحيى بن أبى كثير ، قال : سألت أبا سلمة : أىّ القرآن أنزل أوّل ، فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) فقلت : يقولون (اقْرأ باسْمِ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ) ، فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أىّ القرآن أنزل أوّل ؟ فقال : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) ، فقلت يقولون : (اقْرأ باسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ) فقال : لاأخبرك إلا ما حدثنا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : «جاورت فى حِراء ؛ فلما قضيت جوارى هبطْت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى وعن شمالى وخلفى و قدّامى ، فلم أر شيئا ، فنظرت فوق رأسى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فخشيت منه » هكذا قال عثمان بن عمرو ، إنما هو : «فجُئِثْت منه ، ولقيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا علىّ ماء ، فأنزل الله علىّ (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنْذِرْ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن مبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : سألت أباسلمة عن أوّل ما نزل من القرآن ، قال : نزلت (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) أوّل ؛ قال : قلت : إنهم يقولون (اقْرأ باسْمِ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ) ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لاأحدّثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاوَرْتُ بِحِراءَ ؛ « فلمَّا قَضَيْتُ جِوارِى هَبَطْتُ ، فَسَمِعْتُ صَوْتا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِى فَلَمْ أرَ شَيْئا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِى فَلَمْ أرَ شَيْئا ، فَرَفَعْتُ رأسِي فرأيْتُ شَيْئا ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَىَّ ماءً بارِدًا ، فنزلت (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، قال : فَتَر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزِن حزنا ، فجعل يعدو إلى شواهق رءوس الجبال ، ليتردّى منها ، فكلما أوْ بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول : إنك نبىّ الله ، فيسكن جأشه ، وتسكن نفسه ، فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : « بَيْنَما أنا أمْشِي يَوْما إذْ رأيْتُ المَلَكَ الَّذِى كان يأْتِينِى

(١) جئثت منه بالبناء للمجهول : فزعت وخفت .

بِحِرَاءَ على كُرْسِيّ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ ، فَجُئِثْتُ منْهُ رُعْبا ، فَرَجَعْتُ إلى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، فزمَّلناه : أى فدثرناه ، فأنزل الله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ ، قُمْ فأنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال الزهرىّ : فكان أوّل شىء أنزل عليه : (اقْرأ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) . . . حتى بلغ (ما لَمْ يَعْلَمْ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) ، فقال بعضهم : معنى ذلك : يا أيها النائم فى ثيابه

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) قال : يا أيها النائم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) يقول : المتدثر فى ثيابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يا أيها المتدثر النبوّة وأثقالها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : وسُئل داود عن هذه الآية (يا أيُّها المُدَّثِّرُ) فحدثنا عن عكرمة أنه قال : دُثِّرت هذا الأمر فقم به .

وقوله (قُمْ فأنْذِرْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قم من نومك فأنذر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله ، وعبدوا غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُمْ فأنْذِرْ) : أى أنذر عذاب الله ووقائعه فى الأمم ، وشدّة نقمته .

وقوله (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يقول تعالى ذكره : وربك يامحمد فعظم بعبادته ، والرغبة إليه فى حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد .

وقوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لاتلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : أما سمعت قول غَيلان بن سَلَمة :

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فاجِرٍ لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّعُ[1]

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مُصعَب بن سلام ، عن الأجلح ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : أتاه رجل وأنا جالس ، فقال : أرأيت قول الله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبسها على معصية ، ولا على غَدْرة ، ثم قال : أما سمعت قول غَيلانَ بنِ سَلَمة الثقفىّ :

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لاثَوْبَ فاجِرٍ لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّعُ

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الأجلح ، عن عكرِمة ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبسها على غَدْرة ، ولا على فَجْرة ، ثم تمثّل بشعر غَيلان بن سَلَمة هذا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن الأجلح بن عبد الله الكِندىّ ، عن عكرِمة : (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتلبس ثيابك على معصية ، ألم تسمع قول غَيلان بن سَلَمة الثقفىّ :

وإنّى بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فاجِرٍ لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّعُ

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، أنه سمع ابن عباس يقول : (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم ، ثم قال : نَىّ الثياب : فى كلام العرب .

حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا حفص بن غياث القاضى ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : فى كلام العرب : نَىّ الثياب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الذنوب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الذنوب.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : هى كلمة من العربية ، كانت العرب تقولها : طهر ثيابك : أى من الذنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) يقول : طهِّرها من المعاصى ، فكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهد ، أنه دَنِس الثياب ، وإذا وفى وأصلح قالوا : مطهَّر الثياب .

---

(١) البيت لغيلان بن سلمة الثقفى كما قال المؤلف أنشده عند قوله تعالى « وثيابك فطهر » . قال الفراء ، فى معانى القرآن (الورقة ٢٤٦) وقوله « وثيابك فطهر » يقول : لاتكن غادرا ، فتدنس ثيابك ، فإن الغادر دنس الثياب . ويقال : وثيابك فطهر : وعملك فأصلح . وقال بعضهم « وثيابك فطهر » : فقصر فإن تقصير الثياب طهر . اهـ . وفى (اللسان : ثوب):وقوله عز وجل « وثيابك فطهر » قال ابن عباس : يقول : لا تلبس ثيابك على معصية ، ولا على فجور كسفر ؛ واحتج بقول الشاعر : « إنى بحمد الله لاثوب . . . البيت » . وقال أبو العباس (ثعلب) الثياب : اللباس . ويقال للقلب . اهـ . قال وقيل : نفسك فطهر ، والعرب تكنى بالثياب عن النفس . وفلان دنس الثياب : إذا كان خبيث الفعل والمذهب ، خبيث العرض . قال امرؤ القيس :

ثِيابُ بَنِى عَوْفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ وأوْجُهُهُمْ بِيضُ المَسافِرِ غُرَّانُ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) يقول : لاتلبس ثيابك على معصية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : من الإثم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأجلح ، سمع عكرمة قال : لاتلبس ثيابك على معصية .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قالا : من الخطايا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتلبس ثيابك من مَكْسَب غير طيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لاتكن ثيابك التى تلبس من مَكْسَب غير طائب ، ويقال : لاتلبس ثيابك على معصية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فُضَيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : عملك فأصلح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى رَزِين فى قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : عملك فأصلحه ، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل ، قالوا : فلان خبيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل قالوا : فلان طاهر الثياب .

وقال آخرون فى ذلك ، ما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرِض عما قالوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اغسلها بالماء ، وطهرها من النجاسة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباس بن أبى طالب ، قال : ثنا علىّ بن عبد الله بن جعفر ، عن أحمد بن موسى بن أبى مَرْيم صاحب اللؤلؤ ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : اغسلها بالماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ) قال : كان المشركون لايتطهرون ، فأمره أن يتطهر ، ويُطهِّر ثيابه .

وهذا القول الذى قاله ابن سيرين وابن زيد فى ذلك : أظهر معانيه ، والذى قاله ابن عباس وعكرِمة وابن زكريا : قول عليه أكثر السلف ، من أنه عُنِى به : جسمَك فطهر من الذنوب ، والله أعلم بمراده من ذلك .

(وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة : (والرِّجْزَ) بكسر الراء ، وقرأه بعض المكيين والمدنيّين (والرُّجْزَ) بضم الراء ، فمن ضمّ الراء وجّهه إلى الأوثان ، وقال : معنى الكلام : والأوثان فاهجر عبادتها ، واترك خدمتها ، ومن كسر الراء وجّهه إلى العذاب ، وقال : معناه : والعذابَ فاهجر ، أى ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، والضمّ والكسر فى ذلك لغتان بمعنى واحد ، ولم نجد أحدا من متقدّمى أهل التأويل فرّق بين تأويل ذلك ، وإنما فرّق بين ذلك فيما بلغنا الكسائىّ .

❊ واختلف أهل التأويل فى معنى (الرُّجْزَ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو الأصنام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالرجْزَ فاهْجُرْ) يقول : السخط ، وهو الأصنام .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الأوثان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل « قال أبو جعفر » : أحسبه أنا عن جابر ، عن مجاهد وعكرِمة : (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الأوثان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالرُّجْزَ فاهْجُرْ) : إساف ونائلة ، وهما صنمان كانا عند البيت ، يمسح وجوههما من أتى عليهما ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن الزُّهرىّ (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : هى الأوثان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال : الرجز : آلهتهم التى كانوا يعبدون أمره أن يهجرها ، فلا يأتيها ، ولا يقربها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والمعصيةَ والإثمَ فاهجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) قال الإثم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(والرُّجْزَ فاهْجُرْ) يقول : اهجر المعصية . وقد بيَّنا معنى الرُّجز فيما مضى ، بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

وقوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك ولا تُعط يامحمد عطية لتعْطَى أكثر منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتُعط عطية تلتمس بها أفضل منها .

حدثنا أبو حميد الحمصىّ أحمد بن المُغيرة ، قال : ثنى أبو حَيْوة شريح بن يزيدَ الحَضْرَمىّ ، قال : ثنى أرطاة ، عن ضمرة بن حبيب وأبى الأحوص ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا ، لتُعْطَى أكثر منه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن أبى رجاء ، عن عكرِمة ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) : قال : لاتعط شيئا لتُعْطى أكثر منه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى من سمع عكرِمة يقول : (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعطِ العطية ، لتريد أن تأخذ أكثر منها .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط كيما تَزداد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتأخذ أكثر منه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعطِ لتُعْطَى أكثر منه .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لتُعْطَى أكثر منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتزداد .

حدثنا أبو كُرَيب قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبى رَوّاد ، عن الضحاك ، قال : هو الربا الحلال ، كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصّة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى حجيرة ، عن الضحاك ، هما رِبَوَان : حلال ، وحرام ؛ فأما الحلال : فالهدايا ، والحرامُ : فالربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتعط شيئا ، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها ٧ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط شيئا لتُثاب أفضل منه ، وقاله أيضا طاوس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : تعطى مالا مصانعة ، رجاء أفضل منه من الثواب فى الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لاتعط لتُعْطى أكثر منه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتعط لتزداد .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك بن مُزاحم (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : هى للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصّة ، وللناس عامّة مُوَسَّع عليهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تمْنُنْ عملك على ربك تستكثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن حسين ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن عملك تستكثره على ربك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن تستكثر عملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن نافع أبو غانم ، عن أبى سهل ، كثير ابن زياد ، عن الحسن (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) يقول : لاتمنن تستكثر عملك الصالح .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لايكثُر عملك فى عينك ، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لاتَضْعُف أن تستكثر من الخير . ووجَّهوا معنى قوله (وَلا تَمْنُنْ) أى لاتضعف ، من قولهم : حبل منين : إذا كان ضعيفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو حميد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا عبد الله بن عمرو ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خَصِيف عن مجاهد ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتضعُفْ أن تستكثر من الخير ، قال : تَمْنُنْ فى كلام العرب : تضعف .

وقال آخرون فى ذلك : لاتمنن بالنبوّة على الناس ، تأخذ عليه منهم أجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) قال : لاتمنن بالنبوّة والقرآن الذى أرسلناك به ، تستكثرهم به ، تأخذ عليه عِوَضا من الدنيا .

❁ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب فى ذلك : قول من قال : معنى ذلك : ولاتمنن على ربك ، من أن تستكثر عملك الصالح .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب : لأن ذلك فى سياق آيات تقدمّ فيهنّ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجدّ فى الدعاء إليه ، والصبر على ما يَلْقَى من الأذى فيه ، فهذه بأن تكون من أنواع تلك ، أشبه منها بأن تكون من غيرها . وذُكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك فى قراءته (وَلا تَمْنُنْ أنْ تَسْتَكْثِرُ) .

وقوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) يقول تعالى ذكره : ولربك فاصبر على مالقيت فيه من المكروه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، على اختلاف فيه بين أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : على ما أوتيت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : حَمَّلَ أمرا عظيما : محاربة العرب ، ثم العجم من بعد العرب فى الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولربك فاصبر على عطيتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : اصبر على عطيتك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اصبر على عطيتك لله.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ) قال : عطيتك اصبرْ عليها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢)

❁ يعنى جلّ ثناؤه بقوله فإذا نفخ فى الصور ، فذلك يومئذ يوم شديد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن فضيل وأسباط ، عن مطرّف ، عن عطية العوفىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فإذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) من الشاذ غير المشهور .

« كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ يَنْفُخُ فِيهِ ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نقول ؟ فقال : تقولون : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصور .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكَم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصور .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : فى الصُّور ، قال : هو شىء كهيئة البُوق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : هو يوم يُنفخ فى الصور الذى ينفخ فيه ؛ قال ابن عباس : إن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه ، فقال : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنِهِ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصَّيْحَةِ ، فاشتدّ ذلك على أصحابه ، فأمرهم أن يقولوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، على اللهِ تَوَكَّلْنَا »

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) يقول : الصُّور .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال الحسن (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : إذا نُفخ فى الصُّور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) والناقور : الصُّور ، والصُّوْر : الخلق .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) : يعنى : الصُّور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، قوله (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : الناقور : الصُّور .

حدثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) قال : الصور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) يقول : شديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله تعالى ذكره (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) فبين الله على من يقع على الكافرين غير يسير .

وقوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كِل يامحمد أمر الذى خلقتُه فى بطن أمه وحيدا ، لاشىء له من مال ولا ولد ، إلىّ .

وذُكر أنه عُنِى بذلك : الوليد بن المغيرة المخزومىّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جُبير أو عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله فى الوليد بن المغيرة قولَه : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) ، وقوله (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) . . . إلى آخرها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : خلقته وحده ، ليس معه مال ولا ولد .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال : نزلتْ فى الوليد بن المغيرة ، وكذلك الخلق كلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) وهو الوليد بن المغيرة ، أخرجه الله من بطن أمه وحيدا ، لامال له ولا ولد ، فرزقه الله المال والولد ، والثروة والنماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إلى قوله (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) . . . حتى بلغ (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) قال : هذه الآية أُنزلت فى الوليد بن المُغيرة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يعنى الوليد بن المغيرة (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا) .

⁂ اختلف أهل التأويل فى هذا المال الذى ذكره الله ، وأخبر أنه جعله للوحيد ما هو ، وما مبلغه ؟ فقال بعضهم : كان ذلك دنانير ، ومبلغها ألف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَجَعَلْتُ لَه مالاً مَمْدُودًا) قال : كان ماله ألفَ دينار .

حدثنا صالح بن مسمار المَرْوَزِىّ ، قال : ثنا الحارث بن عمران الكوفىّ ، قال : ثنا محمد بن سُوقَة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُودًا) قال : ألف دينار .

وقال آخرون : كان ماله أربعة آلاف دينار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُودًا) قال : بلغنى أنه أربعة آلاف دينار .

وقال آخرون : كان ماله أرضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، فى قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُودًا) قال : الأرض .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازىّ ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن النُّعمان بن سالم ، مثله .

وقال آخرون : كان ذلك غلة شهر بشهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حلبس إمام مسجد ابن عُلَيَة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر رضى الله عنه ، فى قوله (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُودًا) قال : غلة شهر بشهر .

حدثنى أبو حفص الحيرى ، قال : ثنا حَلْبَس الضُّبَعِىّ ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر .

حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا غالب بن حلبس ، قال : ثنا أبى ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله ، ولم يقل عن عمر .

حدثنا أحمد بن الوليد ، قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، قال : ثنا حلبس بن محمد العجلى ، عن ابن جريج عن عطاء ، عن عمر ، مثله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال كما قال الله : (وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمْدُودًا) وهو الكثير ، الممدود عدده أو مساحته .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)

يقول تعالى ذكره : وجعلت له بنين شهودا ، ذُكر أنهم كانوا عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن مجاهد (وَبَنِينَ شُهُودًا) قال : كان بنوه عشرة .

وقوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) يقول تعالى ذكره : وبسطت له فى العيش بسطا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ومَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : بَسَط له .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا) قال : من المال والولد .

وقوله (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) يقول تعالى ذكره : ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد ، على ما أعطيته . (كَلَّا) يقول : ليس ذلك كما يأمُل ويرجو ، من أن أزيده مالا وولدا ، وتمهيدا فى الدنيا (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) يقول : إن هذا الذى خلقته وحيدا كان لآياتنا ، وهى حُجَج الله على خلقه ، من الكتب والرسل ، عنيدا ، يعنى معاندا للحقّ ، مجانبا له ، كالبعير العَنُود ؛ ومنه قول القائل :

إِذَا نَزَلْتُ فَاجْعَلَانِى وَسَطَا إِنِّى كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ العُنُّدَا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) قال : جَحُودا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان من شواهد أبى عبيدة ، قال عند قوله تعالى « إنه كان لآياتنا عنيدا » : معاندا ، كالبعير العنود . وقال الحادى : « إذا نزلت . . . البيتين » . وفى (اللسان : عند) العنيد : الجائر عن القصد ، الباغى ، الذى يرد الحق مع العلم به . وتعاند الخصمان تجادلا . وعند عن الشىء والطريق يعند ويعند (كينصر ويضرب) عنودا ، فهو عنود . وناقة عنود : لاتخالط الإبل ، تباعد عن الإبل ، فترعى ناحية أبدا . والجمع : عند وعاند وعاندة ، وجمعهما جميعا عواند وعند . قال : « إذا رحلت ... البيت » يقال : هو يمشى وسطا لاعندا . وهذان البيتان من مشطور الرجز ، وفيهما عيب نبه عليه صاحب اللسان ، وهو الإكفاء ، لأن قافية البيت الأول طاء ، وقافية الثانى دال . وقد سبق الاستشهاد بالبيت الثانى فى الجزء (١٢ : ٦٢) فارجع إليه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ كانَ لآياتِنا عَنِيداً) قال محمد بن عمرو : معاندا لها . وقال الحارث : معاندا عنها ، مجانبا لها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، قوله (عَنِيداً) قال : معاندا للحقّ مجانبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كانَ لآياتِنا عَنِيداً) كفورا بآيات الله ، جحودا بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (لآياتِنا عَنِيداً) قال : مُشاقًّا ، وقيل : عَنيدا ، وهو من عاند معاندة فهو معاند ، كما قيل : عام قابل ، وإنما هو مقبل .

وقوله (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) يقول تعالى ذكره : سأكلفه مشقة من العذاب لاراحة له منها .

وقيل : إن الصَّعود جبل فى النار ، يكلَّفُ أهلُ النار صُعودَه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ، قال : ثنا محمد بن سعيد بن زائدة ، قال : ثنا شريك ، عن عمارة ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) قال : هو جبل فى النار من نار ، يكلَّفون أن يصعدوه ، فاذا وضع يده ذابت ، فإذا رفعها عادت ، فإذا وضع رجله كذلك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نار ، يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفا ، ثُمَّ يَهْوِى كَذَلِكَ مِنْهُ أبَدًا » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) قال : مشقة من العذاب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) : أى عذابا لاراحة منه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) قال : مشقة من العذاب .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (سأُرْهِقُهُ صَعُوداً) قال : تعبا من العذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ

عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى خلقته وحيدا ، فكّر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ، وقدّر فيما يقول فيه (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) يقول : ثم لعن كيف قدّر النازل فيه (ثُمَّ نَظَرَ) : يقول : ثم رَوّى فى ذلك (ثُمَّ عَبَسَ) يقول : ثم قبض ما بين عينيه (وَبَسَرَ) يقول : كَلَح وجْهُه ؛ ومنه قول توْبة بن الحُمَيِّر :

وَقَدْ رَابَنِى مِنْها صُدُودٌ رأيتُهُ وإعْراضُها عَنْ حاجَتِى وبُسُورُها[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الأخبار عن الوحيد أنه فعل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عباد بن منصور ، عن عكرِمة ، أن الوليد ابن المُغيرة ، جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : أَىْ عمّ ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لِمَ ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله ؛ قال : قد علمتْ قريش أنى أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولا يَعلم قومك أنك مُنكر لما قال ، وأنك كاره له ؛ قال : فما أقول فيه ، فوالله مامنكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه منى ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإنه ليحطِم ما تحته ، وإنه ليعلو ولا يُعْلَى ؛ قال : والله لايرضى قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعنى حتى أفكر فيه ؛ فلما فكّر قال : هذا سحر يأثره عن غيره ، فنزلت (ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا ، فنزلت هذه الآية ، حتى بلغ تسعة عشر .

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) . . . إلى (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قُحافة رضى الله عنه ، يسأله عن القرآن ؛ فلما أخبره خرج على قريش ، فقال : يا عجبا لما يقول ابن أبى كَبْشة ، فوالله ما هو بشعر ، ولا بسحر ، ولا بهذْى من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله ؛ فلما سمع بذلك النفر من قريش ، ائتمروا وقالوا : والله لئن صبأ الوليد ، لتصبأنّ قريش ؛ فلما سمع بذلك أبو جهل قال : أنا والله أكفيكم شأنه ؛ فانطلق حتى دخل عليه بيته ، فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟

(١) أنشد المؤلف البيت شاهدا عند قوله تعالى « ثم عبس وبسر » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) : عبس وبسر : كره وجهه . وقال توبة (ابن الحمير صاحب ليلى الأخيلية) : « وقد رابنى . . . . . البيت » . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٧) وقد ذكر موقف الوليد بن المغيرة المخزومى من الإسلام ورسوله : وقوله « ثم نظر ، ثم عبس وبسر » : ذكروا أنه مر على طائفة من المسلمين فى المسجد الحرام ، فقالوا : هل لك إلى الإسلام يا أبا المغيرة ، فقال : ما صاحبكم إلا ساحر ، وما قوله إلا السحر ، تعلمه من مسيلمة الكذاب ، ومن سحرة بابل ، ثم قال : ولى عنهم مستكبرا ، قد عبس وجهه وبسر ، وكلح مستكبرا عن الإيمان . فذلك قوله « إن هذا إلا سحر يؤثر » عن أهل بابل ، قال الله « سأصليه سقر » وهو اسم من أسماء جهنم ، فلذلك لم يجر (يصرف) وكذلك لظى .

قال : ألستُ أكثرهم مالا وولدا ؟ فقال له أبو جهل : يتحدّثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قُحافة لتصيب من طعامه ، قال الوليد : أقد تحدثت به عشيرتى ، فلا يقصر عن سائر بنى قُصىّ ، لاأقرب أبا بكر ،ولا عمرو ،لا ابن أبى كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) . . . إلى (لاتُبْقِي وَلا تَذَرُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُ فَكَّرَ) وقدّر ، زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعْلَى ، وما أشكّ أنه سحر ،فأنزل الله فيه (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) . . . الآية (ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) : قبض ما بين عينيه وكلح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَكَّرَ وَقَدَّرَ) قال الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال :سمعت الضحاك يقول فى قوله : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) يعنى الوليد بن المغيرة ،دعاه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال : حتى أنظر ، ففكر (ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) ، فجعل الله له سقر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا) . . . إلى قوله (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال :هذا الوليد بن المغيرة ، قال : سأبتار لكم هذا الرجل الليلة ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فوجده قائما يصلى ويقترئ ، وأتاهم فقالوا : مَهْ ، قال :سمعت قولا حلوا أخضر مثمراً يأخذ بالقلوب ، فقالوا : هو شعر ، فقال : لاوالله ماهو بالشعر ، ليس أحد أعلم بالشعر منى ، أليس قد عرضت علىّ الشعراء شعرهم ، نابغة وفلان وفلان ؟ قالوا : فهو كاهن ، فقال : لا والله ما هو بكاهن ، قد عرضت علىّ الكهانة ، قالوا : فهذا سحر الأوّلين اكتتبه ، قال : لاأدرى إن كان شيئا فعسى ، هو إذًا سحر يؤثر ، فقرأ (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) قال : قتل كيف قدّر حين قال : ليس بشعر ، ثم قتل كيف قدّر حين قال : ليس بكهانة .

وقوله (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ) يقول تعالى ذكره : ثم ولى عن الإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتابه ، واستكبر عن الإقرار بالحقّ (فقال إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : يأثُره عن غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ) قال : يأخذه عن غيره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي رزين (إنْ هَذَا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)قال : يأثره عن غيره .

وقوله (إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الوحيد فى القرآن (إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ) ماهذا الذى يتلوه محمد إلا قول البشر ، يقول : ما هو إلا كلام ابن آدم ،وما هو بكلام الله .

القول فى تأويل قوله تعالى

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَاجَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلاَ مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا وَلاَ يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً؟ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ،وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَ هُوَ ، وَمَا هِىَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١)

يعنى تعالى ذكره بقوله « سأُصْلِيهِ سَقَرَ) سأورده باباً من أبواب جهنم اسمه سَقَر ، ولم يُجرَّ سقر لأنه اسم من أسماء جهنم (وَما أدْرَاكَ ما سَقَرُ) يقول تعالى ذكره : وأىّ شىء أدراك يا محمد ، أىّ شىء سقر؟ ثم بيَّن الله تعالى ذكره ما سقر ، فقال : هى نار (لاتُبْقِى) من فيها حيا ، (وَلا تَذَرُ) من فيها ميتا ، ولكنها تحرقهم كلما جُدِّد خلقهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لاتُبْقِى وَلا تَذَرُ) قال : لاتميت ولا تحيى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن مرثد ، فى قوله (لاتُبْقِى وَلا تَذَرُ) قال : لاتبقى منهم شيئا أن تأكلهم ، فإذا خُلِقوا لها ، لاتذرهم حتى تأخذهم فتأكلهم .

وقوله (لَوَّاحَةٌ للبَشَرِ) يعنى جلّ ثناؤه مُغَيِّرة لبشر أهلها ، واللوّاحة من نعت سَقَر ، وبالردّ عليها رُفعت ، وحسُن الرفع فيها ، وهى نكرة ، وسَقَر معرفة ، لما فيها من معنى المدح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : الجِلْد .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبى رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تلفح الجِلْد لفحة ، فتدعه أشدّ سوادا من الليل .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبى وشعيب بن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبى هلال ، قال : قال زيد بن أسلم (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) : أى تُلَوِّح أجسادهم عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) : أى حرّاقة للجلد

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : مُحْرِق بشرة الإنسان .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) قال : تغير البشر ، تحرق البشر ؛ يقال : قد لاحه استقباله السماء ، ثم قال : النار تغير ألوانهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رزين (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) غيرت جلودهم فاسودّت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رَزِين ، مثله .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يعنى بشر الإنسان ، يقول : تحرق بشره .

ورُوى عن ابن عباس فى ذلك ، ما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) يقول : معرِّضة ، وأخشى أن يكون خبر علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس هذا غلطا ، وأن يكون موضع معرّضة : مغيِّرة ، لكن صحّف فيه .

وقوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) يقول تعالى ذكره : على سَقَر تسعة عشر من الخَزَنة .

وذُكر أن ذلك لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل ما حدثنى به محمد بن سعد قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) . . . إلى قوله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهم ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم ؟ فأوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى أبا جهل ، فيأخذ بيده فى بطحاء مكة ، فيقول له (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فلما فعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل والله لا تفعل أنت وربك شيئا ، فأخزاه الله يوم بدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) : ذُكر لنا أن

أبا جهل حين أُنزلت هذه الآية قال : يا معشر قريش ، ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدا من خزَنة النار وأنتم الدَّهم[1] ؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال أبوجهل : يخبركم محمد أن خزَنة النار تِسْعَةَ عَشَرَ ، وأنتم الدَّهم ، ليجتمعْ كلّ عشرة على واحد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : خزَنتها تسعة عشر .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا خزَنة النار إلا ملائكة ، يقول لأبي جهل في قوله لقريش : أما يستطيع كلّ عشرة منكم أن تغلب منها واحدا ؟ فمن ذا يغلب خزَنة النار ، وهم الملائكة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً) قال : ما جعلناهم رجالا ، فيأخذ كلّ رجل رجلا ، كما قال هذا .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مُشركي قريش .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) : إلا بلاء .

وإنما جعل الله الخبر عن عدّة خزنة جهنم فتنة للذين كفروا ، لتكذيبهم بذلك ، وقول بعضهم لأصحابه : أنا أكفيكموهم .

ذكر الخبر عمن قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تِسْعَةَ عَشَرَ) قال : جعلوا فتنة ، قال أبو الأشدّ بن الجُمَحيّ : لايبلغون رتوتى حتى أجهضهم عن جهنم .

وقوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) يقول تعالى ذكره : ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزَنة جهنم ، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) في النهاية لابن الأثير وذكر الآية : الدهم ، بفتح الدال : العدد الكثير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) قال : وإنها فى التوراة والإنجيل تسعة عشر ، فأراد الله أن يستيقن أهلُ الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : يجدونه مكتوبا عندهم ، عِدّة خزنة أهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) : يصدّقُ القرآنُ الكتب التى كانت قبله فيها كلها ، التوراة والإنجيل : أن خزنة النار تسعة عشر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّةُ خزنة النار ما فى كتبهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) قال : عِدّة خزنة جهنم تسعة عشر فى التوراة والإنجيل .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ، ماحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) : أنك رسول الله .

وقوله (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) يقول تعالى ذكره : وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله ، بتصديقهم بعِدّة خزنة جهنم .

وقوله (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) يقول : ولا يشكّ أهل التوراة والإنجيل فى حقيقة ذلك ، والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وليقول الذين فى قلوبهم مرضُ النفاق ، والكافرون بالله من مشركى قريش : (مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا) ؟

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) : أى نفاق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ : مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا) يقول : حتى يخوّفنا بهؤلاء التسعة عشر .

وقوله (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول تعالى ذكره : كما أضلّ الله هؤلاء المنافقين والمشركين ، القائلين فى خبر الله عن عدّة خزنة جهنم : أىّ شىء أراد الله بهذا الخبر من المثَل حتى يخوّفنا بذكر عِدّتهم ، ويهتدى به المؤمنون ، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانا (كَذَلِكَ يُضِلُّ

اللهُ مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ) فيخذله عن إصابة الحقّ (وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ) منهم، فيوفقه لإصابة الصواب(وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) من كثرتهم (إلاَّ هُوَ) : يعنى الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ) أى من كثرتهم .

وقوله (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره: وما النار التى وصفتُها إلا تذكرةٌ ذكّر بها البشر ، وهم بنوآدم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ)يعنى النار.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) قال : النار .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلاَّ وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)

يعنى تعالى ذكره بقوله (كَلاَّ):ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفى أصحابَه المشركين خزنةُ جهنم، حتى يجهضهم عنها ، ثم أقسم ربنا تعالى فقال : (وَالقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) بقه، ل : والليل إذ ولّى ذاهبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ) : إذ ولّى .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال:ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (والليل إذْ أدْبَرَ) دُبورُه : إظلامه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (إذْ أدْبَرَ)، وبعضُ قرّاء مكة والكوفة : (إذا دَبَرَ) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب فى ذلك ، فقال بعض الكوفيين : هما لغتان ، يقال: دَبَرَ النهار وأدبر ، ودبر الصيف وأدبر ؛ قال: وكذلك قَبِل وأقبل ؛ فإذا قالوا : أقبل الراكب وأدبر ، لم يقولوه إلا بالألف . وقال بعض البصريين : (واللَّيْلِ إذَا دَبَرَ) يعنى : إذا دبر النهار ، وكان فى آخره ؛ قال : ويقال : دبرنى : إذا جاء خلفى ،وأدبر : إذا ولّى .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما لغتان بمعنى ، وذلك أنه محكىّ عن العرب : قَبَحَ الله ما قبِل منه وما دبر . وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا فى تفسيرهم بين القراءتين ، وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك ، لأنهما بمعنى واحد .

وقوله (والصُّبْحِ إذَا أسْفَرَ) يقول تعالى ذكره : والصبح إذا أضاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصُّبْحِ إذَا أسْفَرَ) إذا أضاء وأقبل (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم لإحدى الكُبَر ، يعنى الأمور العظام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) يعنى : جهنم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رَزِين (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) قال : جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) قال : هذه النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) قال : هى النار .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) يعنى : جهنم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إنَّها لَإحْدَى الكُبَرِ) يعنى : جهنم .

وقوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول تعالى ذكره : إن النارَ لإحدى الكبر ، نذيرا لبنى آدم .

* واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) ، وما الموصوف بذلك ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك النار ، وقالوا : هى صفة للهاء التى فى قوله « إنها » ، وقالوا : هى النذير ، فعلى قول هؤلاء ، النذير نصب على القطع من إحدى الكبر ، لأن إحدى الكبر معرفة ، وقوله (نَذِيرًا) نكرة ، والكلام قد يحسُن الوقوف عليه دونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : والله ما أُنذِرَ الناسُ بشىء أدهى منها ، أو بداهية هى أدهى منها .

وقال آخرون : بل ذلك من صفة الله تعالى ، وهو خبر من الله عن نفسه ، أنه نذير لخلقه ، وعلى هذا القول ، يجب أن يكون نصب قوله (نَذِيرًا) على الخروج من جملة الكلام المتقدّم ، فيكون معنى الكلام :

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكةً نذيرا للبشر ، يعنى : إنذارا لهم ، فيكون قوله (نَذِيرًا) بمعنى : إنذارا لهم ، كما قال : (فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ) بمعنى إنذارى ، ويكون أيضا بمعنى : إنها لإحدى الكُبَر ، صيرنا ذلك كذلك نذيرا ، فيكون قوله (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) مؤدّيا عن معنى صيَّرنا ذلك كذلك ، وهذا المعنى قصد من قال ذلك إن شاء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبى رَزِين (إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ) قال : جهنم (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يقول الله : أنا لكم منها نذير ، فاتقوها .

وقال آخرون : بل ذلك من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نصب نذيرا على الحال ، مما فى قوله « قم » ، وقالوا : معنى الكلام : قم نذيرا للبشر فأنذر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) قال : الخلق ، قال بنو آدم : البشر ، فقيل له محمد النذير ، قال : نعم ينذرهم .

وقوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) يقول تعالى ذكره : نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدّم فى طاعة الله ، أو يتأخّر فى معصية الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) قال : من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخر عنها .

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) : يتقدّم فى طاعة الله ، أو يتأخر فى معصيته .

القول فى تأويل قوله تعالى

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ : (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : كلّ نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله فى الدنيا ، رهينة فى جهنم (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) فإنهم غير مرتهنين ، ولكنهم (فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) عن المجرمين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) يقول : مأخوذة بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : غَلِق الناس كلهم إلا أصحابَ اليمين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : لايحاسَبون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) أصحاب اليمين لايُرْتَهنون بذنوبهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، وقرأ قول الله : (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) قال : لايؤاخذهم الله بسيِّئ أعمالهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، ويتجاوزها عنهم كما وعدهم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) قال : كلّ نفس سبقت له كلمة العذاب ، يرتهنه الله فى النار ، لايرتهن الله أحدا من أهل الجنة ، ألم تسمع أنه قال : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) يقول : ليسوا رهينة فى جنات يتساءلون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : إن كان أحدهم سبقتْ له كلمة العذاب جُعِل منزله فى النار ، يكون فيها رهنا ، وليس يرتهن أحد من أهل الجنة ، هم فى جنات يتساءلون .

❊ واختلف أهل التأويل فى أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم أطفال المسلمين

ذكر من قال ذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فُضَيل ، عن الأعمش ، عن عثمان ، عن زاذان ، عن علىّ رضى الله عنه فى هذه الآية (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : هم الولدان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان أبى اليقظان ، عن زاذان أبى عمر ، عن علىّ ، فى قوله (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أطفال المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عثمان بن عمير أبى اليقظان ، عن زاذان أبى عمر ، عن علىّ رضى الله عنه (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : أولاد المسلمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى اليقظان ، عن زاذان ، عن علىّ رضى الله عنه (إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ) قال : هم الولدان .

وقال آخرون : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : هم الملائكة ، وإنما قال من قال : أصحاب اليمين فى هذا الموضع : هم الولدان وأطفال المسلمين ؛ ومن قال : هم الملائكة ، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب ، وقالوا : لم يكونوا ليسألوا المجرمين : (ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) ، إلا أنهم لم يقترفوا فى الدنيا مآثم ، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها ، لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم فى سقر ، لأن كلّ من دخل من بنى آدم ممن بلغ حدّ التكليف ، ولزمه فرض الأمر والنهى ، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية .

وقوله (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) يقول : أصحاب اليمين فى بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سُلِكوا فى سقر : أىّ شىء سلككم فى سقر ؟ (قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) يقول : قال المجرمون لهم : لم نك فى الدنيا من المصلّين لله ، (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) بخلا بما خوّلهم الله ، ومنعا له من حقه .

(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) يقول : وكنا نخوض فى الباطل ، وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) قال : كلما غَوَى غاو غَوَى معه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) قال : يقولون : كلما غَوَى غاو غَوَينا معه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩)

وقوله (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره : قالوا : وكنا نكذّب بيوم المجازاة والثواب والعذاب ، ولا نصدّق بثواب ولا عقاب ولا حساب (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) يقول : قالوا : حتى أتانا الموت الموقن به (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) يقول : فما يشفع لهم الذين شفّعهم الله فى أهل الذنوب من أهل التوحيد ، فتنفعهم شفاعتهم ، وفى هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مُشَفِّع بعض خلقه فى بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله فى قصة ذكرها فى الشفاعة ، قال : ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون ، ويشفعهم الله فيقول : أنا أرحم الراحمين ، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار ؛ ثم يقول : أنا أرحم الراحمين ؛ ثم قرأ عبد الله يا أيها الكفار (ما سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ؟ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ، ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ ، وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ ، وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) وعقد بيده أربعا ، ثم قال : هل ترون فى هؤلاء من خير ؟ ألا ما يُترك فيها أحد فيه خير .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عمى وإسماعيل بن أبى خالد ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الزعراء ، قال : قال عبد الله : لا يبقى فى النار إلا أربعة ، أو ذو الأربعة « الشك من أبى جعفر الطبرى » ، ثم يتلو (ما سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ؟ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ، ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ وكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ ، وكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ) تَعَلَّمُنَّ أن الله يُشَفع المؤمنين يوم القيامة . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّ مِنْ أُمَّتِى رَجُلاً يُدْخِلُ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ » .

قال الحسن : أكثر من ربيعة ومضر ، كنا نحدّث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ) قال : تَعَلَّمُنَّ أن الله يُشَفِّعُ بعضَهُم فى بعض .

قال : ثنا أبو ثور ، قال معمر : وأخبرنى من سمع أنس بن مالك يقول : إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل .

قال : ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، قال : « يُدْخِلُ الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة ، مثلَ بنى تميم ، أو قال : أكثرَ من بنى تميم ، وقال الحسن : مثل ربيعة ومضر » .

وقوله (فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) يقول : فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين ، لا يستمعون لها ، فيتعظوا ويعتبروا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) أى عن هذا القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين ، مولّين عنها تولية الحُمُر المستنفرة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مُسْتَنْفِرَةٌ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بكسر الفاء ، وفى قراءة بعض المكيين أيضا بمعنى نافرة [١] .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنهما قراءتان معروفتان ، صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وكان الفرّاء يقول : الفتح والكسر فى ذلك كثيران فى كلام العرب ؛ وأنشد :

أمْسِكْ حِمارَكَ إنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ ... فِي إثْرِ أحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ [٢]

وقوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) اختلف أهل التأويل فى معنى القسورة ، فقال بعضهم : هم الرماة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن أبى موسى (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هى الرماة .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

---

(١) أى وقرأه المكيون بالفتح ، بمعنى منفرة مذعورة .

(٢) البيت إلى (اللسان : نفر) غير منسوب : قال : الاستنفار : النفور . وأنشد ابن الأعرابى : « اربط حمارك إنه مستنفر . . . البيت» . وغرب اسم موضع ، وفى معجم البكرى : (٩٩٤) غرب : موضع تلقاء الستار . وقال الرياشى : موضع دون الشام إلى العراق . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٤٨) : وقوله « كأنهم حمر مستنفرة » : قرأها عاصم والأعمش : مستنفرة ، بالكسر وقرأها أهل الحجاز : مستنفرة ، بفتح الفاء . وهما جميعا كثيرتان فى كلام العرب ، قال الشاعر : « أمسك حمارك . . . البيت » . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) : حمر مستنفرة : مذعورة ، ومستنفرة : نافرة . اهـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (قَسْوَرَةٍ) قال : عَصَبَة قَنّاص من الرماة . زاد الحارث فى حديثه قال : وقال بعضهم فى القَسْوَرة : هو الأسد ، وبعضهم : الرماة .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سِماك ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : القسورة : الرماة ، فقال رجل لعكرِمة : هو الأسد بلسان الحبشة ، فقال عكرِمة : اسم الأسد بلسان الحبشة : عنبسة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الرماة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله السَّلُولىّ ، عن ابن عباس ، قال : هى الرماة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) وهم الرماة القنّاص .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : قَسورة : النبل .

وقال آخرون : هم القُنّاص .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) يعنى : رجال القَنْص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير فى هذه الآية (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هم القناص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، قال : هم القُنّاص .

وقال آخرون : هم جماعة الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، قال : سألت ابن عباس عن القَسْورة ، فقال : ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسدَ ، هى عُصَبُ الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسدَ ، هى عِصَبُ الرجال .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : سمعت أبى يحدّث ، قال : ثنا داود ، قال : ثنى عباس بن عبد الرحمن مولى بنى هاشم ، قال : سُئل ابن عباس عن القَسْورة ، قال : جمع الرجال ، ألم تسمع ما قالت فلانة فى الجاهلية :

يا بِنْتَ لُؤْيٍ خَيْرَةً لِخَيْرَهْ أَحْوَالُها فى الحَىِّ مثلُ القَسْوَرَهْ[١]

وقال آخرون : هى أصوات الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : ركز الناس أصواتهم .

قال أبو كريب ، قال سفيان : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) .

وقال آخرون : بل هو الأسد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبى هريرة (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن سيلان ، أن أبا هريرة كان يقول فى قول الله : (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا هشام ، عن زيد بن أسلم ، فى قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : الأسد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى داود بن قيس عن زيد بن أسلم ، فى قول الله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو الأسد .

حدثنى محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثنى سلم بن قتيبة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أنه سُئل عن قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالنبطية : أريا ، وبالحبشية : قسورة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) يقول : الأسد .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبى هريرة قال : الأسد .

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لم أعثر عليهما ولا على قائلهما . أنشدهما المؤلف عند قوله تعالى « فرت من قسورة » . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٤٨) : والقسورة يقال إنها الرماة . وقال الكلبى بإسناده : هو الأسد . وقال ثعلب بإسناده إلى عكرمة مولى ابن عباس قال : قيل له : القسورة : الأسد بلسان الحبشة . فقال : القسورة الرماة ، والأسد بلسان الحبشة : عنبسة . اهـ . وفى (اللسان : قسر) : والقسور : الصياد ، والقسور : الأسد ، والجمع قسورة . وفى التنزيل العزيز : « فرت من قسورة » : قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة . وتحريره : أن القسور والقسورة : اسمان للأسد ، أنثوه كما قالوا : أسامة . إلا أن أسامة معرفة . وقيل فى قوله : « فرت من قسورة » : قيل هم الرماة من الصيادين . قال الأزهرى : أخطأ الليث فى قوله القسور : الصياد خطأ ، إنما القسورة : اسم جامع للرماة ، ولا واحد له من لفظه . وقال ابن الأعرابى : القسورة : الرماة ، والقسورة الأسد ، والقسورة الشجاع ، والقسورة : آخر الليل ، والقسورة : ضرب من الشجر . اهـ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال : القسورة : الأسد .

وقوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين فى إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لايعلمون أنه من عند الله ، ولكن كلّ رجل منهم يريد أن يؤتى كتابا من السماء ينزل عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) قال : قد قال قائلون من الناس : يامحمد إن سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان ، نؤمر فيه باتباعك ، قال قتادة : يريدون أن يُؤْتوا براءة بغير عمل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) قال : إلى فلان من ربّ العالمين .

وقوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعمون ، من أنهم لو أوتوا صحفا منشّرة صدّقوا ، بل لايخافون الآخرة ، يقول : لكنهم لايخافون عقاب الله ، ولا يصدّقون بالبعث والثواب والعقاب ، فذلك الذى دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله ، وهوّن عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) إنما أفسدهم أنهم كانوا لايصدّقون بالآخرة ، ولا يخافونها ، هو الذى أفسدهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون فى هذا القرآن من أنه سحر يؤثر ، وأنه قول البشر ، ولكنه تذكرة من الله لخلقه ، ذكرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) أى القرآن .

وقوله (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) يقول تعالى ذكره : فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره ، فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه (وَما يَذْكُرُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) يقول تعالى ذكره: وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به ، ويستعملون ما فيه ، إلا أن يشاء الله أن يذكروه ، لأنه لاأحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه ، ويعطيه القدرة عليه .

وقوله (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقى عبادُه عقابَه على معصيتهم إياه ، فيجتنبوا معاصيه ، ويُسارعوا إلى طاعته ، وأهل المغفرة : يقول : هو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك ، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) ربنا محقوق أن تتقى محارمه ، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (هُوَ أهْلُ التَّقْوَى وأهْلُ المَغْفِرَةِ) قال : أهل أن تُتقى محارمه ، وأهل المغفرة : أهل أن يغفر الذنوب .

آخر تفسير سورة المدثر

تفسير سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤)

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار (لأُقْسِمُ): [لا][1] مفصولة من أقسم ، سوى الحسن والأعرج ، فإنه ذكر عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك (لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) بمعنى : أقسم بيوم القيامة ، ثم أدخلت عليها لام القسم .

والقراءة التى لاأستجيز غيرها فى هذا الموضع « لا » مفصولة ، أقسمُ مبتدأة على ماعليه قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقد اختلف الذين قرءوا ذلك على الوجه الذى اخترنا قراءته فى تأويله ، فقال بعضهم « لا » صلة ، وإنما معنى الكلام : أقسم بيوم القيامة .

(١) (لا) : زيادة يقتضيها المعنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ابن يناق ، عن سعيد بن جُبير (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) قال : أقسم بيوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جُبير (لاأُقْسِمُ) قال : أُقسِم .

وقال آخرون منهم : بل دخلت « لا » توكيدا للكلام .

ذكر من قال ذلك

سمعت أبا هشام الرفاعىّ يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : قوله (لاأُقْسِمُ) توكيد للقسم ، كقوله لاوالله . وقال بعض نحوىّ الكوفة ، (لا) : ردّ لكلام قد مضى من كلام المشركين الذين كانوا ينكرون الجنة والنار ، ثم ابتدئ القسم ، فقيل : أقسم بيوم القيامة ، وكان يقول : كلّ يمين قبلها ردّ لكلام ، فلا بدّ من تقديم « لا » قبلها ، ليُفْرَق بذلك بين اليمين التى تكون جحدا ، واليمين التى تستأنف ، ويقول : ألا ترى أنك تقول مبتدئا : والله إن الرسول لحقّ ؛ وإذا قلت : لا ، والله إن الرسول لحقّ ، فكأنك أكذبت قوما أنكروه .

☆ واختلفوا أيضا فى ذلك ، هل هو قسم أم لا ؟ فقال بعضهم : هو قسم أقسم ربنا بيوم القيامة ، وبالنفس اللوّامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل العراق ، فقال : أيّهم ؟ فقلت : من بنى أسد ، فقال : من حريبهم[1] ، أوممن أنعم الله عليهم ؟ فقلت : لا ، بل ممن أنعم الله عليهم ، فقال لى : سل ، فقلت : لاأقسم بيوم القيامة ، فقال : يقسم ربك بما شاء من خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ ، وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ) قال : أقسم بهما جميعا .

وقال آخرون : بل أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوّامة . وقال : معنى قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ) ولست أقسم بالنفس اللوّامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوّامة .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : إن الله أقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوّامة ، وجعل « لا » ردّا لكلام قد كان تقدّمه من قوم ، وجوابا لهم .

(١) لعل المراد بالحريب هنا : الفقير المحروب ، أى الذى ذهب ماله .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب : لأن المعروف من كلام الناس فى محاوراتهم إذا قال أحدهم : لاوالله ، لافعلت كذا ، أنه يقصد بلا ردّ الكلام ، وبقوله : والله ، ابتداء يمين ، وكذلك قولهم : لأقسم بالله لافعلت كذا ؛ فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا ، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه ، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له . وبعد : فإن الجميع من الحجة مجمعون على أن قوله (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ) قسم، فكذلك قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)، إلا أن تأتى حجة تدلّ على أن أحدهما قسم والآخر خبر . وقد دللنا على أن قراءة من قرأ الحرف الأوّل لأقسم بوصل اللام بأقسم : قراءة غير جائزة، بخلافها ما عليه الحجة مجمعة، فتأويل الكلام إذًا : لا ما الأمر كما تقولون أيها الناس، من أن الله لايبعث عباده بعد مماتهم أحياء ، أقسم بيوم القيامة، وكانت جماعة تقول : قيامة كلّ نفس موتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ومسعر ، عن زياد بن علاقة ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : يقولون : القيامة القيامة ، وإنما قيامة أحدهم : موته .

قال : ثنا وكيع ، عن مسعر وسفيان ، عن أبى قبيس ، قال : شهدت جنازة فيها علقمة ، فلما دفن قال : أما هذا فقد قامت قيامته .

وقوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (اللَّوَّامَة) فقال بعضهم : معناه : ولا أقسم بالنفس التى تلوم على الخير والشرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : تلوم على الخير والشرّ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن عكرِمة (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : تلوم على الخير والشرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قلت لابن عباس (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال : هى النفس اللَّئُوم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها تلوم على ما فات وتندم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، قوله (بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) قال: تندم على مافات، وتلوم عليه .

وقال آخرون : بل اللوّامة : الفاجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) : أى الفاجرة .

وقال آخرون : بل هى المذمومة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) يقول : المذمومة .

وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه ، وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها ، فمتقاربات المعانى ، وأشبه القول فى ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشرّ ، وتندم على ما فات ، والقرّاء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل « لا » من أقسم .

وقوله (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ) يقول تعالى ذكره : أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها ؟ بلى قادرين على أعظم من ذلك ، أن نسوى بنانه ، وهى أصابع يديه ورجليه ، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير ، أو حافر الحمار ، فكان لايأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها ، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط ، فحسن خلقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم ، عن سعيد بن جُبير ، قال : قال لى ابن عباس : سل ، فقلت : (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ ، بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : لوشاء لجعله خُفّا أو حافرا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : أنا قادر على أن أجعل كفه مُجْمَرة مثل خفّ البعير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن مغيرة ، عمن حدثه ، عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس (قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : نجعله خفا أوحافرا .

قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرِمة (على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : على أن نجعله مثل خفّ البعير ، أو حافر الحمار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّىَ بَنانَهُ) قال : جعلها يدا ، وجعلها أصابع يقبضهنّ ويبسطهنّ ، ولو شاء لجمعهنّ ، فاتقيت الأرض بفيك ، ولكن سوّاك خلقا حسنا . قال أبو رجاء : وسُئل عكرِمة فقال : لوشاء لجعلها كخفّ البعير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) رجليه ، قال : كخفّ البعير فلا يعمل بهما شيئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلَى قادِرِينَ على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة ، أو كخفّ البعير ، ولو شاء لجعله كذلك ، فإنما يتقى طعامه بفيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال : لو شاء جعل بنانه مثل خفّ البعير ، أو حافر الدابة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (على أنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ) قال : البنان : الأصابع ، يقول : نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خفّ البعير .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب (قادِرِينَ) فقال بعضهم : نصب لأنه واقع موقع نفعل ، فلما ردّ إلى فاعل نصب ، وقالوا : معنى الكلام : أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ، بلى نقدر على أن نسوّى بنانه ؛ ثم صرف نقدر إلى قادرين . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : نصب على الخروج من نجمع ، كأنه قيل فى الكلام : أيحسب أن لن نقوى عليه ؟ بلى قادرين على أقوى منك . يريد : بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . وقال : قول الناس بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ ، لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل . ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حوّلتها إلى فاعل قلت : أقائم ، وكان خطأ أن تقول قائما ؛ قال : وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

عَلَى قَسَمٍ لا أشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِما وَلا خارِجا مِنْ فِيَّ زورُ كَلامِ[1]

فقالوا : إنما أراد : لأشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى خارج نصبها ، وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربى لاشاتما أحدا ، ولا خارجا من فىّ زور كلام ؛ وقوله : لأشتم ، فى موضع نصب . وكان بعض نحويّ البصرة يقول : نصب على نجمع : أى بل نجمعها قادرين على أن نسوّى بنانه ، وهذا القول الثانى أشبه بالصحة على مذهب أهل العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧)

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٧٦٩ طبع الصاوى) من قصيدة قالها فى المربد : ويروى « على حلفة » فى موضع « على قسم » . وقد أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٤٩) عند قوله تعالى « بلى قادرين » قال : وقوله « بلى قادرين » : نصبت على الخروج من نجمع ، كأنك قلت فى الكلام : أتحسب أن لن نقوى عليك ، بلى قادرين على أقوامك ، يريد : بلى نقوى قادرين ، بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا . قال : ولو كانت رفعا على الاستئناف ، كأنه قال : بلى نحن قادرون على أكثر من ذا ، كان صوابا ، وقول الناس : بلى نقدر ، فلما صرفت إلى قادرين نصبت خطأ لأن الفعل لاينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل ، ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا ، فإن حولتها إلى فاعل ، قلت : أقائم إلينا ؟ وكان خطأ أن تقول : أقائما إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق : « على قسم . . . البيت ، فقالوا : إنما أراد : لا أشتم ولا يخرج ، فلما صرفها إلى يخرج نصبها ، إنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربى لاشاتما أحدا ، ولاخارجا من فى زور كلام . اهـ .

وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢)

❊ يقول تعالى ذكره : ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، ولكنه يريد أن يمضى أمامه قُدُما فى معاصى الله ، لايثنيه عنها شىء ، ولا يتوب منها أبدا ، ويسوّف التوبة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير بن تميم الضَّبّى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يمضى قُدُما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) يعنى الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال : هو الكفر بالحقّ بين يدى القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يمضى أمامه راكبا رأسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قال الحسن : لاتلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُما قُدُما ، إلا من قد عصم الله

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قُدُما فى المعاصى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن إسماعيل السدى : (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : قُدُما .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرِمة (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) : قال : قُدُما لاينزِع عن فُجور .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير (لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : سوف أتوب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يركب رأسه فى طلب الدنيا دائبا ، ولا يذكر الموت .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله :

(بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) : هو الأمل يؤمل الإنسان ، أعيش وأصيب من الدنيا كذا ، وأصيب كذا ، ولا يذكر الموت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان الكافر . ليكذب بيوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) يقول : الكافر يكذّب بالحساب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ) قال : يكذّب بما أمامه يوم القيامة والحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل يريد الإنسان ليكفر بالحقّ بن يدى القيامة ، والهاء على هذا القول فى قوله (أمامَهُ) من ذكر القيامة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبلُ .

وقوله (يَسْأَلُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ) يقول تعالى ذكره : يسأل ابن آدم السائر دائبا فى معصية الله قُدُما : متى يوم القيامة ، تسويفا منه للتوبة ، فبين الله له ذلك ، فقال : (فإذَا بَرِقَ البَصَرُ ، وخَسَفَ القَمَرُ ، وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) . . . الآية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن قتادة ، قوله (يَسْأَلُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ) يقول : متى يوم القيامة ؛ قال : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من سُئل عن يوم القيامة ، فليقرأ هذه السورة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَسْأَلُ أيَّانَ يَوْمُ القِيامَةِ)؟ متى يكون ذلك ؟ فقرأ (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : فكذلك يكون يو م القيامة .

وقوله (فإذَا بَرِقَ البَصَرُ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارئ ونافع وابن أبى إسحاق (فإذَا بَرَقَ) بفتح الراء ، بمعنى شَخَصَ وفُتِح عند الموت ؛ وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو وعامّة قرّاء الكوفة (بَرِقَ) بكسر الراء ، بمعنى : فزع وشقّ .

وقد حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، قال : سألت أبا عمرو ابن العلاء عنها ، فقال (بَرِقَ) بالكسر ، بمعنى حار . قال : وسألت عنها عبدَ الله بن أبى إسحاق ، فقال : (بَرَقَ) بالفتح ، إنما برق الخيطل[1] والنارُ والبرق . وأما البصَر فبَرَق عند الموت . قال : وأخبرت بذلك ابن

(١) من معانى الخيطل فى اللسان : السنور ، والكلب .

أبى إسحاق ، فقال : أخذت قراءتى عن الأشياخ : نصر بن عاصم وأصحابه ، فذكرت ذلك لأبى عمرو ، فقال : لكن لا آخذ عن نصر ، ولا عن أصحابه ، فكأنه يقول : آخذ عن أهل الحجاز .

وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب : كسر الراء (فإذَا برِقَ) بمعنى : فزِع فشُقّ وفتُح ، من هول القيامة ، وفزع الموت . وبذلك جاءت أشعار العرب . أنشدنى بعض الرواة عن أبى عُبيدة للكلابىّ :

لَمَّا أتانى ابْنُ صُبَيْح رَاغِبَا　　أعْطَيْتُهُ عَيْساء مِنْها فَبَرِقْ[1]

وحُدثت عن أبى زكريا الفرّاء ، قال : أنشدنى بعض العرب :

نَعانِى حَنانَةُ طُوْبالَةً　　تَسَفُّ يَبَيسا مِنَ العِشْرِقِ

فنَفْسَكَ فانْعَ وَلا تَنْعَنِى　　وداوِ الْكُلُومَ وَلا تَبْرَقِ[2]

بفتح الراء ، وفسّره : أنه يقول : لاتفزع من هول الجراح التى بك ؛ قال : وكذلك يبرُق البصر يوم القيامة. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا برِقَ البَصَرُ) يعنى ببرق البصر : الموت ، وبروق البصر : هى الساعة .

---

(١) الرجز من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) عند قوله تعالى : « فإذا برق البصر » . وأنشده أبو زكريا التبريزى فى تهذيب إصلاح المنطق (طبع القاهرة ٧٥) قال : البرق (بالتحريك) أن يبرق البصر ، وهو أن يتحير فلا يطرف ، قال الأعور ابن براء الكلابى : كلاب مرة : « لما أتانى بن صبيح . . . . البيت » ومعه بيت آخر ، وهو :

أعْطَيْتُــهُ مَبْذِيَّةً دَأْيَاتُها　　مائِرَةَ الضَّبْعَيْنِ سَطْعاءَ العُنُقْ

قال : صبيح : من هلال بن عامر ، وكان الأعور خاله ، فسأل ابن صبيح الأعور ، فأعطاه ناقة من إبله ، فذهب بها الهلالى ، وهجا الأعور فقال :

أعْطَيْتَنِى ساقِطَــةً أضْرَاسُها　　لَوْ تَعْجُمُ البَيْضَ إذَنْ لم يَنْفَلِقْ

مع أبيات غيرها ، فأجابه الأعور بقصيدة فيها البيتان المتقدمان . والدأيات : فقار الظهر ، الواحدة دأية . والضبعان : العضدان . ومائرة الضبعين : أى سريعة . والسطعاء : الطويلة العنق . اهـ .

وفى (اللسان : برق) : وبرق بصره برقا (كفرح فرحا) وبرق يبرق بروقا (كقعد يقعد قعودا) الأخيرة عن اللحيانى — : دهش فلم يبصر . وقيل : تحير فلم يطرف . وفى التنزيل : « فإذا برق البصر وبرق (من باب فرح وقعد) قرىء بهما جميعا . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٤٩) وقوله « فإذا برق البصر » : قرأها الأعمش وعاصم والحسن وبعض أهل المدينة : برق ، بكسر الراء . وقرأها نافع المدنى : برق البصر ، بفتح الراء ، من البريق : لمن فتح عينيه : أى شخص . وقوله برق (بالكسر) : أى فزع . اهـ .

(٢) البيتان فى ديوان طرفة طبعة « أدرنه ك » سنة ١٩٠٩ ص ١٥ قال : وقال فى شأن إبل أخيه ، وكان بشيكة امرىء القيس ، فوثب حنانة الحاجب ليضربه ، فانتزع طرفة سيفه ، فقال فى ذلك ، ولم يروها الشنتمرى . وفى (اللسان : حنن) وحنانة : اسم راع فى قول طرفة « تعانى حنانة . . . . البيت » . قال ابن برى : رواه ابن القطاع : بغانى حنانة ، بالباء والغين المعجمة . والصحيح بالنون والعين غير المعجمة ، كما وقع فى الأصول ، بدليل قوله بعد هذا البيت : « فنفسك فانع . . . . البيت » . وفى (اللسان : طبل) الطوبالة النعجة . اهـ . ونصبها على الذم له ، كأنه قال : أعنى طوبالة . وتسف تأكل . والعشرق : نبت معروف عندهم . وقوله : «لاتبرق» : فسره اللسان بقوله : لا تفزع من هول الجراح التى بك . وفسره شارح الديوان السابق الذكر : أى لاتهددنى . وفسره الفراء فى معانى القرآن (٣٤٩) فقال : وقوله «برق» : فزع ، أنشدنى بعض العرب « تعانى حنانة . . . . البيتين » . فتح الراء : أى لا تفزع من هول الجراح التى بك . اهـ .

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بَرِقَ البَصَرُ) قال : عند الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإذَا بَرِقَ البصَرُ) شَخَصَ البصر .

وقوله (وَخَسَفَ القَمَرُ) يقول : ذهب ضوء القمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَخَسَفَ القَمَرُ) : ذهب ضوؤه فلا ضوء له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (وَخَسَفَ القَمَرُ) هو ضؤه ، يقول : ذهب ضوؤه .

وقوله (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) يقول تعالى ذكره : وجمع بين الشمس والقمر فى ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منهما ، وهى فى قراءة عبد الله فيما ذُكر لى (وجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ والقَمَرِ) وقيل : إنهما يجمعان ثم يُكَوَّران ، كما قال جلّ ثناؤه (إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) ، وإنما قيل : (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) لما ذكرت من أن معناه : جمع بينهما . وكان بعض نحوى الكوفة يقول : إنما قيل : وجُمع على مذهب وجمع النُّوران ، كأنه قيل : وجمع الضياءان ، وهذا قول الكسائىّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : كوّرا يوم القيامة

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : جُمِعا فرُمى بهما فى الأرض .

وقوله (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّرت فى الأرض والقمر معها .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن أبى شيبة الكوفىّ ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار : أنه تلا هذه الآية يوما (وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ) قال : يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان فى البحر ، فيكون نار الله الكبرى .

وقوله (يَقُولُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَرُّ) بفتح الفاء ، قرأ ذلك قرّاء الأمصار ، لأن العين فى الفعل منه مكسورة ، وإذا كانت العين من يفعل مكسورة ، فإن العرب تفتحها فى المصدر منه ، إذا نطقت به على مَفْعَل ، فتقول : فرّ يفرّ مفرّا ، يعنى فرّا ، كما قال الشاعر :

يا لَبَكْرٍ أنْشِرُوا لى كُلَيْبًا　　يا لَبَكْرٍ أيْنَ أيْنَ الْفِرَارُ؟[1]

إذا أريد هذا المعنى من مَفْعَل قالوا: أين المفرّ بفتح الفاء، وكذلك المدبّ من دَبّ يَدِبّ، كما قال بعضهم:

كأنّ بَقايا الأثْرِ فَوْقَ مُتُونِهِ　　مَدَبُّ الدَّبَى فَوْقَ النَّقا وَهْوَ سارِحُ

وقد يُنشَد بكسر الدال، والفتح فيها أكثر، وقد تنطق العرب بذلك، وهو مصدر بكسر العين وزعم الفرّاء أنهما لغتان، وأنه سُمع: جاء على مَدَبّ السيل، ومَدِبّ السيل، وما فى قميصه مَصَحّ ومَصِحّ. فأما البصريون فإنهم فى المصدر يفتحون العين من مَفْعَل إذا كان الفعل على يفعِل، وإنما يُجيزون كسرها إذا أريد بالمفعل المكان الذى يُفَرّ إليه، وكذلك المضرب: المكان الذى يضرب فيه، إذا كُسرت الراء. ورُوِي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء، ويقول: إنما المِفرّ: مَفِرّ الدابة حيث تَفِرّ.

والقراءة التى لاأستجيز غيرها: الفتح فى الفاء من المَفرّ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها، وأنها اللغة المعروفة فى العرب، إذا أريد بها الفرار، وهو فى هذا الموضع الفِرار. وتأويل الكلام: يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة: أين المَفرّ من هول هذا الذى قد نزل، ولا فِرار.

يقول تعالى ذكره (كَلاَّ لاوَزَرَ) يقول جلّ ثناؤه: ليس هناك فِرار ينفع صاحبه، لأنه لاينجيه فِراره، ولا شىء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا مَعْقِل، من أمر الله الذى قد حَضَر، وهو الوَزَر.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) يقول: لاحِرْزَ.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) يعنى: لاحِصْنَ، ولا مَلْجَأ.

---

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة، يرثى أخاه كليب بن ربيعة (العقد الفريد: فى يوم الذنائب). وقافيته مختلفة عن رواية المؤلف، وبعده:

تِلْكَ شَيْبانُ تَقُولُ لِبَكْرٍ　　صَرَّحَ الشَّرُّ وَبانَ السِّرارُ
وبنو عِجْلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ　　وَلِتَمِيمٍ اللاَّتِ سِيرُوا فَسارُوا

وفى (اللسان: فر): وقوله تعالى: « أين المفر؟ »: أين الفرار؟ وقرئ: أين المفر؟ (بكسر الفاء) أى أين موضع الفرار؟ عن الزجاج. وفى معانى القرآن للفراء (٣٤٩) وقوله « أين المفر » بفتح الفاء. وبإسناد ثعلب إلى ابن عباس أنه قرأ: « أين المفر » (أى بكسر الفاء) وقال: إنما المفر (أى بالفتح) مفر الدابة: حيث تفر. وهما لغتان: المفر والمفر، والمذب والمذب (أى بفتح الفاء والدال، وبكسرهما). اهـ.

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء (٣٥٠) وكلامه فيه متمم لكلامه فى الشاهد الذى قبله، قال: وما كان « يفعل » (المضارع) فيه مكسورا (مكسور العين) مثل يدب ويفر، ويصح تقول: مفر ومفر، ومصح ومصح، ومدب ومدب (أى بفتح العين وكسرها) وأنشدنى بعضهم: « كأن بقايا الأثر . . . البيت ». ينشدونه مدب (لعله بفتح الدال) وهو أكثر من مدب. ويقال: جاء على مدب السيل ومدب السيل؛ وما فى قميصه مصح ولا مصح. اهـ. والأثر (بفتح الهمزة وكسرها وبضمتين) على فعل، هو واحد ليس بجمع: فرند السيف ورونقه. والجمع: أثور (اللسان: أثر). اهـ.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال: ثنا إبراهيم بن طريف، قال: سمعت مُطَرِّف بن الشِّخِّير يقرأ (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامَةِ) فلما أتى على (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : هو الجَبَل ، إن الناس إذا فرّوا قالوا عليك بالوَزَر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهدىّ، عن شعبة ، عن أدهم ، قال : سمعت مُطَرِّفا يقول : (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : كلا لاجَبَل .

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمىّ ، قال : ثنى أبى، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنى يعقوب ، قال: ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : كانت العرب تُخيف بعضها بعضا، قال : كان الرجلان يكونان فى ماشيتهما، فلا يشعران بشىء حتى تأتيهما الخيل ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان الوَزَر الوَزَر ، الجَبَل الجَبَل .

حدثنى أبو حفص الحيرىّ ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا أبو مودود ، عن الحسن ، فى قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى مودود ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لاوَزَرَ) لاملْجَأ ولا جبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ لاوَزَرَ) لاجبل ولا حِرْز ولا مَنْجًى. قال الحسن : كانت العرب فى الجاهلية إذا خَشُوا عدوّا قالوا : عليكم الوَزَر : أى عليكم الجبل .

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان، عن سليمان التَّيمِىّ، عن شبيب ، عن أبى قِلابة فى قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : لاحِصْن .

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سليمان التَّيمىّ ، عن شبيب ، عن أبى قِلابة بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن شبيب ، عن أبى قِلابة ، مثله.

قال[1] : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مسلم بن طهمان ، عن قتادة، فى قوله (لاوَزَرَ) يقول : لاحصن.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاوَزَرَ) قال : لاجبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن مولًى للحسن ، عن سعيد بن جُبير (لاوَزَرَ) : لاحصن .

قال : ثنا وكيع ، عن أبى حُجَير ، عن الضحاك : لاحِصْن .

(١) لعله قد أسقط صدر السند من هذا الحديث ، لأنه كالذى قبله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (كَلاَّ لاوَزَرَ) يعنى : الجبل بلغة حِمْير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلاَّ لاوَزَرَ) قال : لامُتَغَيَّب يُتَغيب فيه من ذلك الأمر ، لامنجًى له منه.

وقوله (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ) يقول تعالى ذكره : إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار ، وهو الذى يُقِرّ جميعَ خلقه مَقَرَّهم .

❊ واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرّ) قال : استقرّ أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار . وقرأ قول الله (وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : إلى ربك المنتهَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ) : أى المنتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُنَبَّؤُا الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)

يقول تعالى ذكره: يُخْبَر الإنسان يومئذ ، يعنى يوم يُجْمَع الشمس والقمر ، فيكوّران بما قدّم وأخّر.

❊ واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : بما قدّم من عمل خير ، أو شرّ أمامه ، مما عمله فى الدنيا قبل مماته ، وما أخّر بعد مماته من سيئة وحسنة ، أو سيئة يعمل بها من بعده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) يقول : ما عَمِل قبل موته ، وما سَنّ ، فعُمِل به بعد موته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن زياد بن أبى مريم عن ابن مسعود قال (بِمَا قَدَّمَ) من عمله (وأخَّرَ) من سُنَّة عمل بها من بعده ، من خير أو شرّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يُنبَأُ الإنسان بما قَدَّم من المعصية ، وأخَّر من الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) يقول : بما قدّم من المعصية ، وأخَّر من الطاعة ، فينبأ بذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يُنبَأ بأوّل عمله وآخره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : بأوّل عمله وآخره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (بِما قَدَّمَ) من طاعة (وأخَّرَ) من حقوق الله التى ضيَّعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ) من طاعة الله (وأخَّرَ) مما ضيع من حقّ الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِمَا قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : بما قدّم من طاعته ، وأخَّر من حقوق الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بما قدّم من خير أو شرّ مما عمله ، وما أخَّر مما ترك عمله من طاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأخَّرَ) قال : ما أخر ماترك من العمل لم يعمله ، ماترك من طاعة الله لم يعمل به ، وما قدم : ما عمل من خير أو شرّ .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ما قدّم أمامه ، مما عمل من خير أو شرّ فى حياته ، وأخَّر بعده ، من سنة حسنة أو سيئة ، مما قدّم وأخَّر كذلك ، ما قدّم من عمل عمله من خير أو شرّ ، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيَّعه ، فلم يعمله مما قدّم وأخَّر ، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض ، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة .

وقوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول تعالى ذكره : بل للإنسان على نفسه من نفسه رُقَباء يرقبونه بعمله ، ويشهدون عليه به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه . والبصيرة على هذا التأويل : ما ذكره ابن عباس من جوارح ابن آدم ، وهى مرفوعة بقوله (عَلى نَفْسِهِ) ، والإنسان مرفوع بالعائد من ذكره فى قوله : نفسه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل الإنسان شاهد على نفسه وحدَه ، ومن قال هذا القول جعل البصيرة خبرا للإنسان ، ورفع الإنسان بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) يقول : الإنسان شاهد على نفسه وحدَه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : شاهد عليها بعملها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) : إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم ، غافلا عن ذنوبه ؛ قال : وكان يقال : إن فى الإنجيل مكتوبا : يا بن آدم تُبصِر القذاة فى عين أخيك ، ولا تبصر الجِذْل المعترض فى عينك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : هو شاهد على نفسه ، وقرأ (اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) . ومن قال هذه المقالة يقول : أدخلت الهاء فى قوله (بَصِيرَةٌ) وهى خبر للإنسان ، كما يقال للرجل : أنت حُجة على نفسك ، وهذا قول بعض نحوِّيِّ البصرة . وكان بعضهم يقول : أدخلت هذه الهاء فى بصيرة وهى صفة للذكر ، كما أدخلت فى راوية وعلامة .

وقوله (وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ) : اختلف أهل الرواية فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل للإنسان على نفسه شهود من نفسه ، ولو اعتذر بالقول مما قد أتى من المآثم ، وركب من المعاصى ، وجادل بالباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ) يعنى الاعتذار ، ألم تسمع أنه قال (لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) ، وقال الله : « وألقَوا إلى الله يومئذ السَّلَم ، ما كنا نعمل من سُوء »[1] وقولهم (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ) .

(١) فى سورة النحل « فألقوا السلم ما كنا » الخ . وفى آية أخرى منها « وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم » . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) قال : شاهد على نفسه ولو اعتذر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) : ولو جادل عنها ، فهو بصيرة عليها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن عمران بن حُدَير ، قال : سألت عكرِمة ، عن قوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) قال : فسكت ، فقلت له : إن الحسن يقول : ابنَ آدم ، عملك أولى بك . قال : صدق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) قال معاذيرهم التى يعتذرون بها يوم القيامة ، فلا ينتفعون بها ، قال : يوم لا يُؤذن لهم فيعتذرون ، ويوم يؤذن لهم فيعتذرون ، فلا تنفعهم ، ويعتذرون بالكذب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل للإنسان على نفسه من نفسه بصيرة ولو تجرّد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى نصر بن علىّ الجهضمىّ ، قال : ثنى أبى ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) قال : لو تجرّد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو أرخى الستور ، وأغلق الأبواب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنا رَوّاد ، عن أبى حمزة ، عن السدىّ ، فى قوله (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) ولو أرخى الستور ، وأغلق الأبواب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) لم تُقْبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنى أبى ، عن خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) : لم تُقبل معاذيره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ) قال : ولو اعتذر .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معناه : ولو اعتذر ، لأن ذلك أشبه المعانى بظاهر التنزيل ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهدا من نفسه بقوله (بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) فكان الذى هو أولى أن يتبع ذلك ، ولو جادل عنها بالباطل ، واعتذر بغير الحقّ ، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره بالباطل .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتحرّك يا محمد بالقرآن لسانك ، لتعجل به .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل له (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) فقال بعضهم : قيل له ذلك ، لأنه كان إذا نزل عليه منه شىء عَجِل به ، يريد حفظه ، من حبه إياه ، فقيل له : لاتعجل به ، فإنّا سنحفظه عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجّل يريد حفظه ، فقال الله تعالى ذكره : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وقال ابن عباس : هكذا وحرّك شفتيه .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهَبَّارىّ ويونس قالا : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن سعيد بن جُبير ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجّل به ، يريد حفظه ؛ وقال يونس : يحرّك شفتيه ليحفظه ، فأنزل الله : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهَبارىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى عائشة ، سمع سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس مثله ، وقال (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ) قال : هكذا ، وحرّك سفيان فاه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحى ، كان يحرّك به لسانه وشفتيه ، فيشتدّ عليه ، فكان يعرف ذلك فيه ، فأنزل الله هذه الآية فى « لاأقسم بيوم القيامة » : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن ، حرّك شفتيه ، فيعرف بذلك ، فحاكاه سعيد ، فقال (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : لتعجل بأخذه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سمعت سعيد بن جُبير يقول : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) . قال : كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن ، فيحرّك به لسانه ، يستعجل به ، فقال (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا رِبْعِىٌّ بن عُلَيَّة ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ فى هذه الآية (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان إذا نزل عليه الوحى عَجِل يتكلم به ، من حبه إياه ، فنزل (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : لاتتكلّم بالذى أوحينا إليك ، حتى يقضى إليك وحيه ، فإذا قضينا إليك وحيه ، فتكلم به .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ) قال : كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحى من القرآن حرّك به لسانه ، مخافة أن ينساه .

وقال آخرون : بل السبب الذى من أجله قيل له ذلك ، أنه كان يُكثر تلاوة القرآن ، مخافة نسيانه ، فقيل له : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) إن علينا أن نجمعه لك ، ونقرئكه ، فلا تنس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان لايفتر من القرآن مخافة أن ينساه ، فقال الله : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) إن علينا أن نجمعه لك ، وقرآنه : أن نقرئك فلا تنسى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ) قال : كان يستذكر القرآن ، مخافة النسيان ، فقال له : كفيناكه يامحمد .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه ليستذكره ، فقال الله : (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) : إنا سنحفظه عليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه ، مخافة النسيان ، فأنزل الله ما تسمع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاتُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فيكثرُ مخافةَ أن ينسى .

❊ وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، القولُ الذى ذُكر عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، وذلك أن قوله (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به ، مستعجلا فيه قبل جمعه ، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبىّ صلى الله عليه وسلم من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك .

وقوله (إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) يقول تعالى ذكره : إن علينا جمع هذا القرآن فى صدرك يامحمد ، حتى نثبته فيه (وقُرآنَهُ) يقول : وقرآنه : حتى تقرأه بعد أن جمعناه فى صدرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) قال : فى صدرك . (وَقُرْآنَهُ) : قال : تقرؤه بعد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) أن نجمعه لك ، وقرانه : أن نُقرئك فلا تنسى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يقول : إن علينا أن نجمعه لك حتى نثبته فى قلبك .

وكان آخرون يتأوّلون قوله (وَقُرْآنَهُ) وتأليفه . وكان معنى الكلام عندهم : إن علينا جمعه فى قلبك حتى تحفظه ، وتأليفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) يقول حفظه وتأليفه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قال : حفظه وتأليفه . وكأنّ قتادة وجّه معنى القرآن إلى أنه مصدر من قول القائل : قد قَرَأَتْ هذه الناقةُ فى بطنها جَنينا ، إذا ضمت رحمها على ولد ، كما قال عمرو بن كُلْثوم .

ذِرَاعَىْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينا[1]

يعنى بقوله : « لم تقرأ » : لم تضمّ رحما على ولد . وأما ابن عباس والضحاك فإنما وجها ذلك إلى أنه مصدر من قول القائل : قرأت أقرأ قُرآنا وقِراءة .

وقوله (فإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور وابن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (فإذَا قَرَأْنَاهُ) : فإذا أنزلناه إليك (فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) قال : فاستمع قرآنه .

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات) وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٢) « فإذا قرأناه » : جمعناه ، وهو من قول العرب : ما قرأت هذه المرأة نسلا قط ؛ قال عمرو بن كلثوم : « لم تقرأ جنينا » . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥٠) « إن علينا جمعه وقرآنه » : جمعه فى قلبك ، وقرآنه : قراءته . أى أن جبريل سيعيد عليك . وقوله : « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » : إذا قرأه عليك جبريل . والقراءة والقرآن : مصدران ، كما تقول : راجح بين الرجحان والرجوح ، والمعرفة والعرفان ، والطواف والطوفان (بتحريك الطاء والواو) . اهـ . وفى شرح الزوزنى : العيطل : الطويلة العنق من النوق . والأدماء : البيضاء منها ، والأدمة : البياض فى الإبل . والبكر : الناقة التى حملت بطنا واحدا ، ويروى بفتح الباء ، وهو الفتى من الإبل ، وكسر الباء أعلى الروايتين . والهجان الأبيض الخالص البياض . يستوى فيه الواحد والتثنية والجمع ، وينعت به الإبل والرجال وغيرها . ولم تقرأ جنينا : أى لم تضم فى رحمها ولدا . اهـ .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (فإذَا قرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) : فإذا أنزلناه إليك فاستمع له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا تُلى عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فإذَا قَرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) يقول : إذا تلى عليك فاتبع ما فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذا قَرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) يقول : اتبع حلالَه ، واجتنب حرامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإذَا قَرَأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) يقول : فاتبع حلاله ، واجتنب حرامه .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) يقول : اتبع ما فيه .

وقال آخرون : بل معناه : فإذا بيَّنَّاه فاعمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا قَرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ) يقول : اعمل به .

❊ وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك : قول من قال : فإذا تُلي عليك فاعمل به ، من الأمر والنهي ، واتبع ما أُمرت به فيه ، لأنه قيل له : إن علينا جمعه في صدرك وقرآنه ، ودللنا على أن معنى قوله (وقُرآنَهُ) : وقراءته ، فقد بين ذلك عن معنى قوله (فإذَا قَرأناهُ فاتَّبِعْ قُرآنَهُ ، ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) يقول تعالى ذكره : ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه ، وأحكامه لك مفصلة .

❊ واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) يقول : حلاله وحرامه ، فذلك بيانه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) بيان حلاله ، واجتناب حرامه ، ومعصيته وطاعته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم إن علينا تبيانه بلسانك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ) قال : تبيانه بلسانك .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن ، المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة ، ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لاتُبْعَثون بعد مماتكم ، ولا تجازَوْن بأعمالكم ، لكن الذى دعاكم إلى قيل ذلك ، محبتكم الدنيا العاجلة ، وإيثاركم شهواتها ، على آجل الآخرة ونعيمها ، فأنتم تؤمنون بالعاجلة ، وتكذّبون بالآجلة.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ) اختار أكثر الناس العاجلة ، إلا من رحم اللهُ وعَصَم .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ ، يعنى يوم القيامة ناضرة : يقول حسنة جميلة من النعيم ؛ يقال من ذلك : نضر وجه فلان : إذا حَسُن من النَّعْمة ، ونضَّر الله وجهه : إذا حسَّنه كذلك .

واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم بالذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل البُخارىّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : حسنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : نَضرة الوجوه : حُسنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : الناضرة : الناعمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : الوجوه الحسنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : من السرور والنعيم والغبطة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنها مسرورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : مسرورة (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنها تنظر إلى ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، وإبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قالا : ثنا علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرِمة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ ، إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) : قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبى يقول : أخبرنى الحسين بن واقد فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) من النعيم (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : أخبرنى يزيدُ النحوىّ ، عن عكرِمة وإسماعيل بن أبى خالد ، وأشياخ من أهل الكوفة ، قال : تنظر إلى ربها نظرا .

حدثنا محمد بن إسماعيل البخارىّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا المبارك ، عن الحسن ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : حسنة (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنظر إلى الخالق ، وحقّ لها أن تنضُر وهى تنظر إلى الخالق .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عَرْفَجة ، عن عطية العوفىّ ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) : قال : هم ينظرون إلى الله ، لاتحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره محيط بهم ، فذلك قوله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنها تنتظر الثواب من ربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ ، إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر منه الثواب .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب من ربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إلى رَبِّها ناظِرةٌ) قال : تنتظر الثواب من ربها ، لايراه من خلقه شىء .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ) قال : نَضَرَةٌ من النعيم (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر رزقه وفضله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان أناس يقولون فى حديث ، « فيرون ربهم » فقلت لمجاهد : إن ناسا يقولون إنه يُرى ، قال : يَرى ولا يراه شىء .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر من ربها ما أمرها.

حدثنى أبو الخطاب الحسانىّ ، قال : ثنا مالك ، عن سفيان ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ ، إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنتظر الثواب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن ثُوَير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى مُلكه وسُرُره وخدمه مسيرة ألف سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لَمَن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية » .

قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أشجع ، عن أبى الصهباء المَوصلىّ ، قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة ، من يرى سُرُره وخدمه ومُلكه فى مسيرة ألف سنة ، فيرى أقصاه كما يرى أدناه ؛ وإن أفضلهم منزلة ، من ينظر إلى وجه الله غُدْوة وعشية » .

❁ وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب : القول الذى ذكرناه عن الحسن وعكرِمة ، من أن معنى ذلك : تنظر إلى خالقها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى علىّ بن الحسين بن أبجر ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا إسرائيل بن يونس ، عن ثوير ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ ألْفَىْ سَنَةٍ ؛ قال : وإنَّ أفْضَلَهُمْ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ؛ قال : ثم تلا : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : بالبياض والصفاء ، قال : (إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : تنظر كلّ يوم فى وجه الله عزّ وجلّ » .

وقوله (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ) يقول تعالى ذكره : ووجوه يومئذ متغيرةُ الألوان ، مُسْوَدّة كالحة ، يقال : بَسَرْتُ وجهَه أبسُره بسْرا : إذا فعلت ذلك ، وبَسَر وجهه فهو باسر بيِّن البُسور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (باسِرَةٌ) قال : كاشرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ) : أى كالحة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (باسِرَةٌ) قال : عابسة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (باسِرَةٌ) قال : عابسة .

وقوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) يقول تعالى ذكره: تعلم أنه يُفْعل بها داهية، والفاقرة : الداهية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) قال : داهية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) : أى شرّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ) قال: تظنّ أنها ستدخل النار . قال: تلك الفاقرة، وأصل الفاقرة : الوسْم الذى يُفْقَر به على الأنف .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون من أنهم لا يُعاقَبون على شركهم ومعصيتهم ربهم ، بلى إذا بلغت نفس أحدهم التّراقىَ عند مَماته وحشرج بها .

وقال ابن زيد فى قول الله : (كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِى) قال : التراقى : نفسه .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) يقول تعالى ذكره : وقال أهله : من ذا يَرْقِيه ليشفيَه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذى قد نزل به شيئا .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مَنْ رَاقٍ) فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرِمة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : هَلْ مِنْ راق يَرْقِى ؟

حدثنا أبو كُرَيب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن شبيب ، عن أبى قِلابة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : هل من طبيب شافٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن شبيب، عن أبى قِلابة، مثله.

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن أبى بسطام ، عن الضحاك بن مزاحم فى قول الله تعالى ذكره : (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : هو الطبيب .

حدثنا أبو كريب ، قال: ثنا ابن إدريس ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك فى (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : هل من مداوٍ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) : أى التمسوا له الأطباء فلم يُغْنوا عنه من قضاء الله شيئا .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن يزيد فى قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : أين الأطباء ، والرُّقاة : مَن يَرقيه من الموت .

وقال آخرون : بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض ، يقول بعضهم لبعض : من يرقى بنفسه فيصعد بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس (كَلاَّ إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِىَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : إذا بلغت نفسه يرقى ربها ، قالت الملائكة : مَن يَصْعَد بها ، ملائكة الرحمة ، أو ملائكة العذاب ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، فى قوله (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) قال : بلغنى عن أبى قِلابة قال : هل من طبيب ؟ قال : وبلغنى عن أبى الجوزاء أنه قال : قالت الملائكة بعضهم لبعض : من يرقَى : ملائكةُ الرحمة ، أو ملائكة العذاب .

وقوله (وَظَنَّ أنَّه الفِرَاقُ) يقول تعالى ذكره : وأيقن الذى قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَنَّ أنَّهُ الفِرَاقُ) : أى استيقن أنه الفِراق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وظَنَّ أنَّهُ الفِراقُ) قال : ليس أحد من خلق الله يدفع الموت ، ولا ينكره ، ولكن لايدرى يموتُ من ذلك المرض أو من غيره ، فالظنّ كما هاهنا هذا .

وقوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : والتفَّت شدّة أمر الدنيا ، بشدّة أمر الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : الدنيا بالآخرة شدّة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْتَفَّتِ

السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول : آخر يوم من الدنيا ، وأوّل يوم من الآخرة ، فتلتقى الشدّة بالشدّة ، إلا من رحم الله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) يقول : والتفّت الدنيا بالآخرة ، وذلك ساق الدنيا والآخرة ، ألم تسمع أنه يقول : (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : آخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : قال الحسن : ساق الدنيا بالآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن مجاهد ، قال : هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت .

حدثنى علىّ بن الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى سنان الشيبانى ، عن ثابت ، عن الضحاك فى قوله (وَالْتَفَّتِ الساقُ بالسَّاقِ) قال : أهل الدنيا يُجَهِّزون الجَسَد ، وأهل الآخرة يُجَهِّزون الروح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك ، قال : اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ساق الدنيا بساق الآخرة .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، مثله ؛ وزاد : ويقال : التفافهما عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : الدنيا والآخرة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : أمر الدنيا بأمر الآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : الشدّة بالشدّة ، ساق الدنيا بساق الآخرة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سألت إسماعيل بن أبى خالد ، فقال : عمل الدنيا بعمل الآخرة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : هما الدنيا والآخرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) قال العلماء يقولون فيه قولين : منهم من يقول : ساق الآخرة بساق الدنيا . وقال آخرون : قَلَّ ميت يموت إلا التفَّت إحدى ساقيه بالأخرى . قال ابن زيد : غير أنَّا لانشكّ أنها ساق الآخرة ، وقرأ (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ) قال : لما التفَّت الآخرة بالدنيا ، كان المَسَاقُ إلى الله ، قال : وهو أكثر قول من يقول ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : التفَّت ساقا الميت إذا لُفَّتا فى الكَفَن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، فى قوله (والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : لفَّهما فى الكفن .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا وكيع وابن اليمان ، عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، قال : هما ساقاك إذا لفَّتا فى الكفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع عن بشير بن المهاجر ، عن الحسن ، مثله .

وقال آخرون : بلى ، معنى ذلك : التفاف ساقى الميت عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشربن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : ساقا الميت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب وعبد الأعلى ، قالا : ثنا داود ، عن عامر ، قال : التفَّت ساقاه عند الموت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ ، مثله .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، بنحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين عن أبى مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : التفَّت ساقاك عند الموت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) : لفَّهما أمر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : ساقا ابن آدم عند الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : هما ساقاه إذا ضُمَّت إحداهما بالأخرى .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال قتادة : أما رأيته إذا ضرب برجله رجلَه الأخرى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) : ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شىء ، فقد كان عليهما جوّالا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : ساقاه عند الموت .

وقال آخرون : عُنِى بذلك يُبْسُهما عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : يُبْسهما عند الموت .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : والتفّ أمر بأمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا ابن أبى خالد ، عن أبى عيسى (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) قال : الأمر بالأمر .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : والتفّ بَلاء ببلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، قال : بلاء ببلاء .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة عندى : قَول من قال : معنى ذلك : والتفّت ساق الدنيا بساق الآخرة ، وذلك شدّة كرب الموت ، بشدّة هَوْل المطلع ، والذى يدلّ على أن ذلك تأويله ، قوله (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَساقُ) والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ : قد شمَّر عن ساقه ، وكَشَف عن ساقه ؛ ومنه قول الشاعر :

إذْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقِها فَرِنْها رَبِيعُ وَلا تَسأَمِ[1]

(١) لم أقف على قائل البيت ، وقد جاءت فيه كلمة « فرنها » هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، ولم نهتد إلى تصويبها . وقد أنشده المؤلف عند تفسير قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣) « والتفت الساق بالساق » : مثل شمرت عن ساقها . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥٠) : أتاه أول شدة أمر الآخرة ، وأشد آخر أمر الدنيا . ويقال : التفت ساقاه كما يقال للمرأة إذا التصقت فخذاها : هى لفاء .

عنى بقوله (الْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ) : التصقت إحدى الشدّتين بالأخرى ، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيها بالأخرى : لفّاء .

وقوله (إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَساقُ) يقول : إلى ربك يامحمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)

يقول تعالى ذكره : فلم يصدّق بكتاب الله ، ولم يصلّ له صلاة ، ولكنه كذّب بكتاب الله ، وتولى فأدبر عن طاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى) لاصدّق بكتاب الله ، ولا صلى لله ، (وَلَكِنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى) كذّب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى) يقول تعالى ذكره : ثم مضى إلى أهله منصرفا إليهم ، يتبختر فى مِشيته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى) : أى يتبختر .

حدثنى سعيد بن عمرو السَّكونىّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن ميسرة بن عبيد ، عن زيد بن أسلم ، فى قوله (ثُمَّ ذَهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : يتبختر ، قال : هى مِشية بنى مخزوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن إسماعيل بن أمية ، عن مجاهد (ذَهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : رأى رجلا من قريش يمشى ، فقال : هكذا كان يمشى كما يمشى هذا ، كان يتبختر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَتَمَطَّى) قال : يتبختر وهو أبو جهل بن هشام ، كانت مِشيته .

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى أبى جهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَتَمَطَّى) قال أبو جهل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى) قال : هذا فى أبى جهل متبخترا .

وإنما عُنِى بقوله (يَتَمَطَّى) يَلوِى مَطاه تبخترا ، والمَطَا : هو الظهر ، ومنه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذَا مَشَتْ أُمَّتِى المُطَيْطاءَ » وذلك أن يُلْوِىَ الرجلُ بيديه ويتكفأ .

وقوله (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) هذا وعيد من الله على وعيد لأبى جهل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) : وعيد على وعيد ، كما تسمعون ، زعم أن هذا أنزل فى عدوّ الله أبى جهل . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه فقال : (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال عدوّ الله أبو جهل : أيوعدنى محمد ، والله ما تستطيع لى أنت ولا ربك شيئا ، والله لأنا أعزّ من مشى بين جَبَلَيها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيده ، يعنى بيد أبى جهل ، فقال : (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) فقال : يامحمد ما تستطيع أنت وربك فىّ شيئا ، إنى لأعزّ من مشى بين جَبَلَيها ؛ فلما كان يوم بدر أشرف عليهم ، فقال : لا يُعْبَدَ الله بعد هذا اليوم ، وضَرَب الله عنقه ، وقتله شرّ قتلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) قال : قال أبو جهل : إن محمدا ليُوعِدنى ، وأنا أعزّ أهل مكة والبطحاء ، وقرأ : (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ ، كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : قلت لسعيد بن جُبير أشىء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل نفسه ، أم أمر أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قِبَل نفسه ، ثم أنزل الله : (أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) .

وقوله (أيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول تعالى ذكره : أيظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هَمَلا ، ألا يُؤْمر ولا يُنْهَى ، ولا يُتَعَبَّدَ بعبادة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى) يقول : هَمَلا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى) قال : لايُؤمر ، ولا يُنْهى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى) قال السُّدّىّ : الذى لايفترض عليه عمل ولا يعمل .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) .

يقول تعالى ذكره : ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته ، وإيجاده من بعد فنائه (نُطْفَةً)؟ يعنى : ماء قليلا فى صلب الرجل من مَنِىّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يُمْنَى) فقرأه عامة قرّاء المدينة والكوفة (تُمْنَى) بالتاء بمعنى : تمنى النطفة ، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة والبصرة (يُمْنَى) بالياء ، بمعنى : يُمْنَى المنىّ .

والصواب من القول : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (ثُمَّ كانَ عَلَقَةً) يقول تعالى ذكره : ثم كان دما من بعد ما كان نطفة ، ثم علقة ، ثم سوّاه بشرا سَوِيًّا ، ناطقا سميعا بصيرا (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يقول تعالى ذكره : فجعل من هذا الإنسان بعد ماسوّاه خلقا سَوِيًّا أولادا له ، ذكورا وإناثا (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) ؟ يقول تعالى ذكره : أليس الذى فعل ذلك ، فخلق هذا الإنسان من نطفة ، ثم علقة ، حتى صيره إنسانا سَوِيًّا ، له أولاد ذكور وإناث ، بقادر على أن يُحيى الموتى من مماتهم ، فيوجِدهم كما كانوا من قبل مماتهم ، يقول : معلوم أن الذى قَدَر على خلق الإنسان من نطفة من منىّ يمنى ، حتى صيره بشرا سَوِيًّا ، لايُعجزه إحياء ميت من بعد مماته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك قال : بلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى) ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : سبحانك وبلى .

آخر تفسير سورة القيامة .

تفسير سورة هل أتى على الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ) : قد أتى على الإنسان ، وهل فى هذا الموضع خبر لاجحد ، وذلك كقول القائل لآخر يقرّره ؛ هل أكرمتك ؟ وقد أكرمه ؛ أو هل زرتك ؟ وقد زاره ، وقد تكون جحدا فى غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل لآخر : هل يفعل مثل هذا أحد ؟ بمعنى : أنه لايفعل ذلك أحد . والإنسان الذى قال جلّ ثناؤه فى هذا الموضع (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) : هو آدم صلى الله عليه وسلم كذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ) آدم أتى عليه (حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) إنما خلق الإنسان هاهنا حديثا ما يعلم من خليقة الله كانت بعد الإنسان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) قال : كان آدم صلى الله عليه وسلم آخرَ ما خلق من الخلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) قال : آدم .

وقوله (حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) اختلف أهل التأويل فى قدر هذا الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو أربعون سنة ؛ وقالوا : مكثت طينة آدم مُصَوّرة لاتنفخ فيها الرّوح أربعين عاما ، فذلك قَدْر الحين الذى ذكره الله فى هذا الموضع ؛ قالوا : ولذلك قيل : (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) لأنه أتى عليه وهو جسم مُصوَّر لم تنفخ فيه الروح أربعون عاما ، فكان شيئا ، غير أنه لم يكن شيئا مذكورا ؛ قالوا : ومعنى قوله (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) : لم يكن شيئا له نباهة ولا رِفعة ، ولا شَرَف ، إنما كان طينا لازبا ، وحمأ مسنونا .

وقال آخرون : لاحدّ للحين فى هذا الموضع ، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر ، وغير مفهم فى الكلام أن يقال : أتى على الإنسان حين قبل أن يوجد ، وقبل أن يكون شيئا ، وإذا أُريد ذلك قيل : أتى حين قبل أن يُخلق ، ولم يقل أتى عليه . وأما الدهر فى هذا الموضع ، فلا حدّ له يوقف عليه .

وقوله (إنَّا خلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) يقول تعالى ذكره : إنا خلقنا ذرّية آدم من نطفة ، يعنى : من ماء الرجل وماء المرأة ، والنطفة : كلّ ماء قليل فى وعاء ، كان ذلك رَكيَّة أو قِرْبة ، أو غير ذلك ، كما قال عبد الله بن رواحة :

هَلْ أنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ [١]

وقوله (أمْشاجٍ) يعنى : أخلاط ، واحدها : مشج ومشيج ، مثل خدن وخدين ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :

يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ　　لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فى دَمٍ أمْشاجِ [٢]

يقال منه : مشجت هذا بهذا : إذا خلطته به ، وهو ممشوج به ومشيج : أى مخلوط به ، كما قال أبو ذؤيب :

كأنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ مِنْهُ　　خِلالَ النَّصْلِ سِيطَ بِهِ مَشِيجُ [٣]

* واختلف أهل التأويل فى معنى الأمشاج الذى عُنِىَ بها فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعىّ ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانىّ ، عن عكرمة (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال : ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن عكرمة قال : ماء الرجل وماء المرأة يختلطان .

---

(١) البيت من مشطور الرجز لسيدنا عبد الله بن رواحة الأنصارى ، من أبيات قالها فى غزوة مؤتة من أرض الشام (سيرة ابن هشام : طبعة الحلبى الأولى ٤ : ٢١) والنطفة : الماء القليل الصافى . والشنة السقاء البالى . ومعناه : فيوشك أن تهراق النطفة ، أو ينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج (ديوانه ٣٢) . وقبله : حتى مسيناهن بالإخداج ، يقذفن كل معجل نشاج والنون : راجعة إلى النياق ومسيناهن ومسوناهن : أى أدخلنا أيدينا فى حيائهن ، لإخراج الأجنة من بطونهن ، من كل ولد ذى صوت ، ولكنه لم يكس جلد ابعد ، تخرجهن مع دم مختلط بغيره ، مما يتجمع فى الرحم والمشيمة . قال فى (اللسان : مشج) وفى التنزيل العزيز : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج » : قال الفراء : الأمشاج : هى الأخلاط : ماء الرجل وماء المرأة ، والدم والعلقة ؛ ويقال للشىء من هذا إذا خلط : مشيج ، كقولك : حليط ، وممشوج : كقولك مخلوط ، مشجت بدم ، وذلك الدم دم الحيض . وقال أبو إسحاق (الزجاج) أمشاج : أخلاط من منى ودم . ثم ينقل من حال إلى حال . ويقال : نطفة أمشاج : لماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها . اه .

(٣) البيت فى (اللسان : مشج) ونسبه لزهير بن حرام الهذلى ، وهو الملقب بالداخل . (وانظره فى شرح السكرى لأشعار الهذليين طبعة لندن ٢٦٩) . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣) إلى أبى ذؤيب ، وعنه نقل المؤلف . ونسب فى الكامل للمبرد (طبعة الحلبى ٨٣٨) إلى الشماخ ، وليس بصحيح . أما رواية البيت فتختلف ألفاظها فى المراجع ، وأجودها رواية الكامل ، (لسان العرب شرخ) وهى :

كأنَّ المَتْنَ والشَّرْخَيْنِ مِنْهُ　　خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ بِهِ مَشِيجُ

قال المبرد : يريد سهما رمى به ، فأنفذ الرمية ، وقد اتصل به دمها . والمتن متن السهم . وشرخ كل شىء حده . فأراد شرخى الفوق وهما حرفاه . والمشيج : اختلاط الدم بالنطفة . هذا أصله . وفى (اللسان : شرخ) : وشرخ كل شىء : حرفه الناقّ ، كالسهم ونحوه . وشرخا الفوق : حرفاه المشرفان اللذان يقع بينهما الوتر . اه .

قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا زكريا، عن عطية، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يُمْشَجان.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن السدىّ، عمن حدّثه، عن ابن عباس، قال: ماء المرأة وماء الرجل يختلطان.

قال: ثنا عبد الله، قال: أخبرنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج.

قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا المبارك، عن الحسن، قال: مُشِيج ماء المرأة مع ماء الرجل.

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله: (يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى).

قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبى يحيى، عن مجاهد، قال: خلق من تارات ماء الرجل وماء المرأة.

وقال آخرون: إنما عُنِى بذلك: إنا خلقنا الإنسان من نطفة ألوان ينتقل إليها، يكون نطفة، ثم يصير علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم كُسِيَ لحما.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (إنَّا خلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) الأمشاج: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهى النطفة، ثم علَقَة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم أنشأه خلقا آخر، فهو ذلك.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرِمة، فى هذه الآية (أمْشاجٍ) قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما.

حدثنا الرفاعى، قال: ثنا وهب بن جرير ويعقوب الحَضْرمىّ، عن شعبة، عن سماك، عن عكرِمة، قال: نطفة، ثم علقة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إنَّا خلَقْنا الإنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ) أطوار الخلق، طورا نُطْفة، وطورا علَقَة، وطورا مُضْغة، وطورا عظاما، ثم كسا الله العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت له الشعر.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال: الأمشاج: اختلط الماء والدم، ثم كان علقة، ثم كان مضغة.

وقال آخرون: عنى بذلك اختلاف ألوان النطفة.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، فى قوله (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) يقول: مختلفة الألوان.

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ألوان النطفة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أىّ الماءين سبق ، أشبه عليه أعمامه وأخواله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ) قال : ألوان النطفة ، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، و نطفة المرأة حمراء وخضراء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل هى العروق التى تكون فى النطفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا المسعودىّ ، عن عبد الله بن المخارِق ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : أمشاجها : عروقها .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، قال : هى العروق التى تكون فى النطفة .

* وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى ذلك (مِنْ نُطْفَةٍ أمْشاجٍ) : نطفة الرجل ونطفة المرأة ، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج ، وهى إذا انتقلت فصارت علقة ، فقد استحالت عن معنى النطفة ، فكيف تكون نطفة أمشاجا وهى عَلَقة ؟ وأما الذين قالوا : إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها صَفْراء على لون واحد ، وهى بيضاء تضرب إلى الحمرة ، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلفة ، وأحسب أن الذين قالوا : هى العروق التى فى النطفة ، قصدوا هذا المعنى .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : إنما خلق الإنسان من الشىء القليل من النطفة . ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرِّير ؟ وإنما خُلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة : (أمشاج نبتليه) .

وقوله (نَبْتَلِيهِ) نختبره . وكان بعض أهل العربية يقول : المعنى : جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، فهى مقدّمة معناها التأخير ، إنما المعنى خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، ولا وجه عندى لما قال يصحّ ، وذلك أن الابتلاء إنما هو بصحة الآلات ، وسلامة العقل من الآفات ، وإن عدم السمع والبصر . وأما إخباره إيانا أنه جعل لنا أسماعا وأبصارا فى هذه الآية ، فتذكير منه لنا بنعمه ، وتنبيه على موضع الشكر ؛ فأما الابتلاء فبالخلق مع صحة الفطرة ، وسلامة العقل من الآفة ، كما قال : (وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ لِيَعبُدُونِ) .

وقوله (فَجَعَلْناهُ سَمِيعا بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : فجعلناه ذا سمع يسمع به ، وذا بصر يبصر به ، إنعاما من الله على عباده بذلك ، ورأفة منه لهم ، وحجة له عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا (٤)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) : إنا بيّنا له طريق الجنة ، وعرّفناه سبيله ، إن شكر ، أو كفر . وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت إما وإما فى معنى الجزاء . وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد ، كما قال : (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ، وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) فيكون قوله (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) حالا من الهاء التى فى هديناه ، فيكون معنى الكلام إذا وُجه ذلك إلى هذا التأويل : إنا هديناه السبيل ، إما شقيا وإما سعيدا . وكان بعضُ نحويي البصرة يقول ذلك ، كما قال : إما العذاب وإما الساعة ، كأنك لم تذكر إما ؛ قال : وإن شئت ابتدأت ما بعدها فرفعته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : الشقوة والسَّعادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا) للنعم (وإِمَّا كَفُورًا) . لها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) . . . إلى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) قال : ننظر أىّ شىء يصنع ، أىّ الطريقين يسلك ، وأىّ الأمرين يأخذ ، قال : وهذا الاختبار .

وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ) يقول تعالى ذكره : إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا ، وخالف أمرنا ، سلاسل يُسْتَوْثَق بها منهم شدّا فى الجحيم (وأَغْلَالًا) يقول : وتشدّ بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم .

وقوله (وَسَعِيرًا) يقول : ونارا تُسْعَر عليهم فتتوقد .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)

يقول تعالى ذكره : إن الذين برّوا بطاعتهم ربهم فى أداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، يشربون من كأس ، وهو كل إناء كان فيه شراب (كَانَ مِزَاجُهَا) يقول : كان مزاج ما فيها من الشراب (كَافُورًا)

يعنى : فى طيب رائحتها كالكافور . وقد قيل : إن الكافور اسم لعين ماء فى الجنة ، فمن قال ذلك ، جعل نصب العين على الردّ على الكافور ، تبيانا عنه ، ومن جعل الكافور صفة للشراب نصبها ، أعنى العين على الحال ، وجعل خبر كان قوله (كافُورًا) ، وقد يجوز نصب العين من وجه ثالث ، وهو نصبها بإعمال يشربون فيها ، فيكون معنى الكلام : إن الأبرار يشربون عينا يشرب بها عباد الله ، من كأس كان مزاجها كافورا . وقد يجوز أيضا نصبها على المدح ، فأما عامة أهل التأويل فإنهم قالوا : الكافور صفة للشراب ، على ماذكرت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِزَاجُها كافُورًا) قال : تمزج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الأبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزَاجُها كافُورًا) قال : قوم تمزج لهم بالكافور ، وتختم لهم بالمسك .

وقوله (عَيْنًا يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ) يقول تعالى ذكره : كان مزاج الكأس التى يَشْرب بها هؤلاء الأبرار ، كالكافور فى طيب رائحته ، من عين يشرب بها عباد الله ، الذين يدخلهم الجنة ، والعين على هذا التأويل نصب على الحال من الهاء التى فى مزاجها ، ويعنى بقوله (يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ) يُرْوَى بها ويُنتفع ؛ وقيل : يشرب بها ويشربها بمعنى واحد . وذكر الفرّاء أن بعضهم أنشده :

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ　　مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[1]

وعنى بقوله : « متى لجج » مِن ، ومثله : إنه يتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاما حسنا .

وقوله (يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا) يقول تعالى ذكره : يفجرون تلك العين التى يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا ، ويعنى بالتفجير : الإسالة والإجراء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥١) قال : وقوله « يشرب بها » ويشربها سواء فى المعنى . وكأن يشرب بها : يروى بها وينقع . وأما يشربونها فبين . وقد أنشدنى بعضهم : « شربن بماء » ومثله : إنه ليتكلم بكلام حسن ، ويتكلم كلاما حسنا . اهـ . وفى خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ١٩٣ – ١٩٥) استشهد به على أن (متى) عند هذيل حرف جر ؛ بمعنى « من » أو « فى » ، أو اسم بمعنى « وسط » والباء فى قوله « بماء البحر » قيل على بابها ، وشربن مضمن معنى « روين » . وقيل هى للتبعيض . وقيل زائدة ، كقول الفراء ، وقال ابن جنى فى سر الصناعة : الباء فيه زائدة ، إنما معناه : شربن ماء البحر . هذا هو الظاهر من الحال . والعدول عنه تعسف . اهـ . قلت : هذه هى الرواية المشهورة فى كتب اللغويين والنحاة . وفى شعر أبى ذؤيب (ديوان الهذليين ١ : ٥١) :

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ　　حَنَاتِمُ سُودٌ مَاؤُهُنَّ ثَجِيجُ
تَرَوَّتْ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ　　عَلَى حَبَشِيَّاتٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

شبه السحاب الأسود بالحناتم ، ويقال للسحاب إذا كان ريان : « أسود كأنه الحنتم . يقول : إن تلك الحناتم » وهى الجرار ، قد تروت من ماء البحر ، ثم ارتفعت على سحائب سود لهن نئيج : أى مر سريع مع صوت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يعدّلونها حيث شاءوا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يقودونها حيث شاءوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : مستقيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاءوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) قال : يصرفونها حيث شاءوا.

القول في تأويل قوله تعالى

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الأَبْرَارَ) الذين (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا ينذرونها في طاعة الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : إذا نذروا في حق الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة ، والحجّ والعمرة ، وما افترض عليهم ، فسماهم الله بذلك الأبرار ، فقال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ، وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : بطاعة الله ، وبالصلاة ، وبالحجّ ، وبالعمرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) قال : في غير معصية ، وفي الكلام محذوف اجتزئ بدلالة الكلام عليه منه ، وهو كان ذلك . وذلك أن معنى الكلام : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، كانوا يُوفون بالنذر ، فترك ذكر كانوا ، لدلالة الكلام عليها ، والنذر : هو كلّ ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل ؛ ومنه قول عنترة :

الشَّاتِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتُمْهُمَا ... وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمَ الْقَهُمَا دَمِي[1]

(١) البيت لعنترة في معلقته المشهورة يهجو حصينا وهرما ابني ضمضم وقد ذكرهما في البيت قبله ، وهو :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ ... لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ =

وقوله (وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) يقول تعالى ذكره : ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من برّ ، فى يوم كان شرّه مستطيرا ، ممتدّا طويلا فاشيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) : استطاروا لله شرّ ذلك اليوم ، حتى ملأ السموات والأرض ، وأمّا رجل يقول عليه نذر ألّا يصل رحما ، ولا يتصدّق ، ولا يصنع خيرا ، فإنه لاينبغى أن يكفر عنه ، ويأتى ذلك ، ومنه قولهم : استطار الصَّدْع فى الزجاجة ، واستطال : إذا امتدّ ، ولا يقال ذلك فى الحائط ؛ ومنه قول الأعشى :

فَبانَتْ وَقد أثأرَتْ فِي الفُؤا دِ صَدْعاً عَلى نَأْيِها مُسْتَطِيرا [1]

يعنى : ممتدّا فاشيا .

وقوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً) يقول تعالى ذكره : كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه ، وشهوتهم له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فُضَيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ) قال : وهم يشتهونه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو العُريان ، قال : سألت سليمان بن قيس . أبا مقاتل بن سليمان ، عن قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً) قال : على حُبِّهم للطعام .

وقوله (مِسْكِيناً) يعنى جلّ ثناؤه بقوله مسكينا : ذوى الحاجة الذين قد أذلّتهم الحاجة ، (وَيَتِيماً) : وهو الطفل الذى قد مات أبوه ولا شىء له (وأسِيرًا) : وهو الحربىّ من أهل دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة ؛ أومن أهل القبلة ، يُؤخذ فيُحبس بحقّ ، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار ، بإطعامهم هؤلاء ، تقرّبا بذلك إلى الله ، وطلب رضاه ، ورحمة منهم لهم .

* واختلف أهل العلم فى الأسير الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأسِيرًا) قال : لقد أمر الله بالأُسَراء أن يُحْسَن إليهم ، وإن أَسْراهم يومئذ لأهل الشرك .

= يقول : اللذان يشتمان عرضى ولم أشتمهما أنا ، والموجبان على أنفسهما سفك دمى إذا لم أرهما . يريد أنهما يتوعدانه حال غيبته ، فأما فى الحضور فلا يتجاسران عليه .

(١) البيت للأعشى (ديوانه ٩٣) والرواية فيه : « أورثت » فى موضع « أثارت » ويظهر أن رواية المؤلف محرفة عن « أسارت » بالسين ، لا بالثاء ، لأنه لامعنى للإثآر هنا . والصدع : الشق . والمستطير كما فى اللسان : المنتشر . وفى مجاز القرآن عند قوله تعالى : « كان شره مستطيرا » : أى فاشيا ، وفى معانى القرآن للفراء (٣٥١) : « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » ممتد البلاء ، والعرب تقول : استطار الصدع فى القارورة وشبهها ، واستطال . اهـ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأسيرًا) قال : كان أسراهم يومئذ المشرك ، وأخوك المسلم أحقّ أن تطعمه .

قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، أن عكرمة قال في قوله (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأسِيرًا) زعم أنه قال : كان الأسرى في ذلك الزمان المشركَ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا أشعث ، عن الحسن (وَيَتِيماً وأسِيرًا) قال : ما كان أسراهم إلا المشركين .

وقال آخرون : عُنِي بذلك : المسجون من أهل القبلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي عن نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأسير : المسجون .

حدثني أبو شيبة بن أبي شيبة ، قال : ثنا عُمر بن حفص ، قال : ثني أبي ، عن حجاج ، قال : ثني عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جُبير في قول الله (مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأسِيرًا) : من أهل القبلة وغيرهم ، فسألت عطاء ، فقال مثل ذلك .

حدثني عليّ بن سهل الرملي ، قال : ثنا يحيى يعني بن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وأسِيرًا) قال : الأسير : هو المحبوس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

⁂ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الأبرار ، بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير ، والأسير الذي قد وصفت صفته ؛ واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين ، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم ، فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له . وأما قول من قال : لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فلم يُخْصَصْ بالخبر المُوفون بالنذر يومئذ ، وإنما هو خبر من الله عن كلّ من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة ، وكذلك الأسير معنيّ به أسير المشركين والمسلمين يومئذ ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة .

وقوله (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : يقولون : إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم ، لوجه الله ، يَعنُون طلب رضا الله ، والقُربة إليه (لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام : لانريد منكم أيها الناس ، على إطعامناكم ، ثوابا ولا شكورا .

وفي قوله (وَلا شُكُورًا) وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون جمع الشكر كما الفُلوس جمع فَلس ، والكفور جمع كُفْر . والآخر : أن يكون مصدرا واحدا في معنى جمع ، كما يقال : قَعَدَ قعودا ، وخرج خروجا .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سالم ، عن مجاهد (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

لِوَجْهِ اللهِ ، لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) قال : أما إنهم ما تكلموا به ، ولكن علمه الله من قلوبهم ، فأثنى به عليهم ، ليرغب فى ذلك راغب .

حدثنا محمد بن سِنان القَزّاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ، لانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) قال : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن عَلِمه الله من قلوبهم ، فأثنى عليهم ، ليرغب فى ذلك راغب .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم ، أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة : ما نطعمكم طعامنا نطلب منكم عوضا على إطعامناكم ، جزاء ولا شكورا ، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته فى يوم شديد هَوْلُه ، عظيم أمره ، تَعْبِس فيه الوجوه من شدّة مكارهه ، ويطول بلاء أهله ، ويشتدّ . والقمطرير : هو الشديد ، يقال : هو يوم قَمْطَرِير ، أو يوم قُماطر ، ويوم عصيب ، وعَصَبْصَب ، وقد اقمطرّ اليوم يَقْمَطِرّ اقمطرارا ، وذلك أشدّ الأيام ، وأطوله فى البلاء والشدّة ؛ ومنه قول بعضهم :

بنى عَمِّنا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنا　　عليكُمْ إذا ما كانَ يَوْمٌ قُماطِرُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف منهم فى العبارة عن معناه ، فقال بعضهم : هو أن يَعبِس أحدهم ، فيقبض بين عينيه ، حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن سلام التميمىّ ، عن سعيد ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : يعبِس الكافر يومئذ ، حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطِران .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : القَمْطَرِير : المُقَبِّض بين عينيه .

---

(١) البيت فى (اللسان : قمطر) ولم ينسبه . قال : ويوم مقمطر ، وقماطر ، وقمطرير : مقبض ما بين العينين لشدته . وقيل إذا كان شديدا غليظا ، قال الشاعر : وقماطر : بضم القاف ، واقمطريومنا : اشتد . وفى التنزيل العزيز : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » : جاء فى التفسير أنه يعبس الوجه ، فيجمع ما بين العينين وهذا شائع فى اللغة . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٣) العبوس ، والمقمطر ، والقماطر ، والعصيب : أشد ما يكون من الأيام ، وأطولها فى البلاء . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥١) وقوله « عبوسا قمطريرا » : والقمطرير : الشديد . يقال : يوم قمطرير ، ويوم قماطر . أنشدنى بعضهم : « بنى عمنا . . . البيت » . اهـ .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله (قَمْطَرِيرًا) قال : يُقَبِّض ما بين العينين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : يقبِّض ما بين العينين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : يوم يُقَبِّض فيه الرجل ما بين عينيه ووجهه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) عبست فيه الوجوه ، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَمْطَرِيرًا) قال : تُقَبِّض فيه الجباه ؛ وقوم يقولون : القمطرير : الشديد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : المقبض ما بين العينين .

قال : ثنا وكيع ، عن عمر بن ذرّ ، عن مجاهد ، قال : هو المُقَبِّض ما بين عينيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبى عمرو ، عن عكرمة ، قال : القَمْطَرِير : ما يخرج من جباههم مثل القطران ، فيسيل على وجوههم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَمْطَرِيرًا) قال : يُقَبِّض الوجه بالبُسور .

وقال آخرون : العَبوس : الضَّيِّق ، والقَمْطَرِير : الطويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (عَبُوساً) يقول : ضيقا . وقوله (قَمْطَرِيرًا) يقول : طويلا .

وقال آخرون : القَمْطَرِير : الشديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى (إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْما عَبُوساً قَمْطَرِيرًا) قال : العَبوس : الشرّ ، والقَمْطَرِير : الشديد .

وقوله (فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) يقول جلّ ثناؤه : فدفع الله عنهم ما كانوا فى الدنيا يحذرون ، من شرّ اليوم العَبوس القَمْطَرير بما كانوا فى الدنيا يعملون ، مما يرضى عنهم ربهم ، لقّاهم نَضرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وسُرُورًا) قال : نَضْرة فى الوجوه ، وسرورا فى القلوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) نَضْرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) قال : نعمة وسرورا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)

يقول تعالى ذكره : وأثابهم الله بما صبروا فى الدنيا على طاعته ، والعمل بما يرضيه عنهم ، جنة وحريرا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) يقول : وجزاهم بما صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن معصيته ومحارمه ، جنة وحريرا .

وقوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) يقول : متكئين فى الجنة على السُّرر فى الحجال ، وهى الأرائك ، واحدتها أريكة . وقد بيَّنا ذلك بشواهده ، وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع من الرواية بعض ما لم نذكره إن شاء الله تعالى قبل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) يعنى : الحجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكَ) كنا نُحدّث أنها الحجال فيها الأسرّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) قال : السُّرُر فى الحجال ، ونصب (مُتَّكِئِينَ) فيها على الحال من الهاء والميم .

وقوله (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيرًا) يقول تعالى ذكره : لا يرَوْن فيها شمسا ، فيؤذيهم حرّها ولا زَمْهريرا ، وهو البرد الشديد ، فيؤذيهم بردها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال الزمهرير : البرد المفظع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (لايَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً) يعلم أن شدّة الحرّ تؤذى ، وشدّة القرّ تؤذى ، فوقاهم الله أذاهما .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن السُّدّىّ ، عن مرّة بن عبد الله ، قال فى الزمهرير : إنه لون من العذاب ، قال الله : (لايَذُوقُون فيها بَرْداً وَلا شَرَاباً) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن أبى سَلَمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّها ، فَقالَتْ رَبِّ أكَلَ بَعْضِي بَعْضًا ، فَنَفَّسْنِي ، فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عامٍ بِنَفَسَيْنِ ، فأشَدَّ ما تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ ، وَأشَدَّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا) وقَرُبت منهم ظلال أشجارها .

ولنصب دانية أوجه : أحدها : العطف به على قوله (مُتَّكِئِينَ فِيها) . والثانى : العطف به على موضع قوله (لايَرَوْنَ فِيها شَمْساً) ، لأن موضعه نصب ؛ وذلك أن معناه : متكئين فيها على الأرائك ، غير رائين فيها شمسا . والثالث : نصبه على المدح ، كأنه قيل : متكئين فيها على الأرائك ، ودانية بعدُ عليهم ظلالهُا ، كما يقال : عند فلان جارية جميلة ، وشابة بعد طرية ، تضمر مع هذه الواو فعلا ناصبا للشابة ، إذا أريد به المدح ، ولم يُرَد به النَّسَق ؛ وأُنثت دانية لأن الظلال جمع . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بالتذكير (وَدَانِياً عَلَيْهِمْ ظِلالُها) وإنما ذكر لأنه فعل متقدّم ، وهى فى قراءة فيما بلغنى (وَدَانٍ) رفع على الاستئناف .

وقوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) يقول : وذُلِّل لهم اجتناء ثمر شجرها ، كيف شاءوا قعودا وقياما ومتكئين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : إذا قام ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلّت حتى يناالها ، وإن اضطجع تدلّت حتى يناالها ، فذلك تذليلها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا ، وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : لايردّ أيديهم عنها بُعد ولا شوك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُطُوفُها دَانِيَةٌ) قال : الدانية : التى قد دنتْ عليهم ثمارُها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً) قال : يتناوله كيف شاء جالسا ومتكئا .

وقوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأكْوَابٍ كانَتْ قَوَارِيرَا) يقول تعالى ذكره : ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأوانى التى يشربون فيها شَرابهم ، هى من فضة كانت قوارير ، فجعلها فضة ، وهى فى صفاء القوارير ، فلها بياض الفضة ، وصفاء الزجاج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأكْوَابٍ كانَتْ قَوَارِيرَ) يقول : آنية من فضة ، وصفاؤها وتهيؤها كصفاء القوارير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد (مِنْ فِضَّةٍ) قال فيها رقة القوارير فى صفاء الفضة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير ، وهى من فضة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ) : أى صفاء القوارير فى بياض الفضة .

وقوله (وأكْوَابٍ) يقول : ويُطاف مع الأوانى بجرار ضِخام فيها الشراب ، وكلّ جَرّة ضخمة لاعروة لها فهى كوب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأكْوَابٍ) قال : ليس لها آذان .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان بهذا الحديث بهذا الإسناد عن مجاهد ، فقال : الأكواب : الأقداح .

وقوله (كانَتْ قَوَارِيرَ) يقول : كانت هذه الأوانى والأكواب قوارير ، فحوّلها الله فضة . وقيل : إنما قيل : ويطاف عليهم بآنية من فضة ، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة ، لأن كل آنية تُتَّخذ فإنما تُتَّخذ من تربة الأرض التى فيها ، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفه الآنية التى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة ، ليعلم عباده أن تُرْبة أرض الجنة فضة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله « قوارير ، وسلاسل » ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة غير حمزة سَلاسلاً ، وقواريرًا (قَوَارِيرًا) بإثبات الألف والتنوين ، وكذلك هى فى مصاحفهم ، وكان حمزة يُسقط الألفات من ذلك كله ، ولا يجرى شيئا منه ؛ وكان أبو عمرو يُثبت الألف فى الأولى من قوارير ، ولا يثبتها فى الثانية ، وكلّ ذلك عندنا صواب ، غير أن الذى ذكرت عن أبى عمرو أعجبهما إلىّ ، وذلك أن الأوّل من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رءوس آيات السورة أعجب إلىّ ، إذ كان ذلك بإثبات الألفات فى أكثرها .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨)

يقول تعالى ذكره (قَوَارِيرَ) فى صفاء الصفاء من فضة الفضة ، من البياض [١] .

كما حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : قال الحسن ، فى قوله (كانَتْ قَوَارِيرَ ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء القوارير فى بياض الفضة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قول الله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : بياض الفضة فى صفاء القوارير .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (كانَتْ قَوَارِيرَ ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : كان ترابها من فضة .

وقوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : صفاء الزجاج فى بياض الفضة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قوله (قَوَارِيرَ ، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : لو احتاج أهل الباطل [٢] أن يعملوا إناء من فضة ، يرى ما فيه من خلفه ، كما يُرى ما فى القوارير ما قدروا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : هى من فضة ، وصفاؤها : صفاء القوارير فى بياض الفضة .

---

(١) لعله قوارير فى الصفاء من فضة : كالفضة فى البياض .

(٢) فى الدر المنثور : أهل الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قال : على صفاء القوارير ، وبياض الفضة .

وقوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) يقول : قدّروا تلك الآنية التى يُطاف عليهم بها تقديرا على قَدْر رِيِّهم ، لاتزيد ولا تنقص عن ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قُدِّرت لرِىِّ القوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قدر رِيِّهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : لاتنقص ، ولا تفيض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : لاتترَع فتُهْراق ، ولا ينقصون من مائها فتنقص ، فهى ملأى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) لريهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قدرت على رىّ القوم.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) : قال : قدّروها لريهم على قدر شربهم أهل الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال ممتلئة لاتهراق ، وليست بناقصة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قَدَّروها على قَدْر الكفّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) قال : قدرت للكفّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَدَّرُوها تَقْدِيرًا) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (قَدَّرُوها) بفتح القاف ، بمعنى : قدّرها لهم السُّقاة ، الذين يطوفون بها عليهم . ورُوى عن الشعبىّ وغيره من المتقدمين ، أنهم قرءوا ذلك بضمّ القاف ، بمعنى : قُدِّرت عليهم ، فلا زيادة فيها ، ولا نقصان .

والقراءة التى لاأستجيز القراءة بغيرها : فتح القاف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (وَيُسْقَوْنَ فيها كأساً كانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلا) يقول تعالى ذكره : ويُسْقَى هؤلاء القوم الأبرار فى الجنة كأسا ، وهى كلّ إناء كان فيه شراب ، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له كأس ، وإنما يقال له إناء، كما يقال للطبق الذى تهدى فيه الهدية المِهْدَى مقصورا ما دامت عليه الهدية، فإذا فرغ مما عليه كان طبقا أو خِوَانا ، ولم يكن مِهْدًى (كانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلا) يقول : كان مِزاج شراب الكأس التى يُسقون منها زنجبيلا .

❊ واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يمزج لهم شرابهم بالزنجبيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِزَاجُها زَنْجَبِيلا) قال : مُمْزَج بالزنجبيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلا) قال : يأْثُر لهم ما كانوا يشربون فى الدنيا ، زاد الحارث فى حديثه : فيحَبِّبه إليهم .

وقال بعضهم : الزنجبيل : اسم للعين التى منها مِزاج شراب الأبرار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيُسْقَوْنَ فيها كأساً كانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلاً ، عَيْنا فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً) رقيقة يشربها المقرّبون صِرْفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة . وقوله (عَيْناً فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً) يقول تعالى ذكره : عينا فى الجنة تسمى سلسبيلا . قيل : عُنِى بقوله سلسبيلا : سلسة مُنقادا ماؤها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَيْنا فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) : عينا سلسة مستقيدا ماؤها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) قال : سلسة يصرّفونها حيث شاءوا .

وقال آخرون : عُنِى بذلك أنها شديدة الجِرْية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَيْناً فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) قال : حديدة الجِرْية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : سلسة الجِرية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عَيْنًا فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) : حديدة الجِرِيَّة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

❁ واختلف أهل العربية فى معنى السلسبيل وفى إعرابه ، فقال بعضُ نحوِّيى البصرة ، قال بعضهم : إن سلسبيل صفة للعين بالتسلسل . وقال بعضهم : إنما أراد عينا تسمى سلسبيلا : أى تسمى من طيبها السلسبيل : أى توصف للناس كما تقول : الأعوجىّ والأرحبىّ والمَهْرِىّ من الإبل ، وكما تنسب الخيل إذا وصفت إلى هذه الخيل المعروفة المنسوبة ، كذلك تنسب العين إلى أنها تسمى ، لأن القرآن نزل على كلام العرب ، قال : وأنشدنى يونس :

صَفْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ يُسَمَّى سَهْمُها　　مِنْ طُولِ ما صَرَعَ الصُّيُودَ الصَّيْبُ[1]

فرفع الصَّيْبُ ، لأنه لم يرد أن يسمى بالصَّيب ، إنما الصَّيب من صفة الاسم والسهم ، وقوله : « يسمى سهمها » أى يذكر سهمها . قال : وقال بعضهم : لا ، بل هو اسم العين ، وهو معرفة ، ولكنه لما كان رأس آية ، وكان مفتوحا ، زيدت فيه الألف ، كما قال : كانت قواريرا . وقال بعض نحوِّيى الكوفة : السلسبيل : نعت أراد به سلس فى الحلق ، فلذلك حَرِىّ أن تسمى بسلاستها .

وقال آخر منهم : ذكروا أن السلسبيل اسم للعين ، وذكروا أنه صفة للماء لسلسه وعذوبته ؛ قال : ونرى أنه لو كان اسما للعين ، لكان ترك الإجراء فيه أكثر ، ولم نر أحدا ترك إجراءها ، وهو جائز فى العربية ، لأن العرب تجرى ما لا يجرى فى الشعر ، كما قال متمم بن نُوَيْرة :

فَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاثٍ رَوَائِمٍ　　رَأَيْنَ مَجَرًّا مِنْ حُوَارٍ ومَصْرَعَا[2]

فأجرى روائم ، وهى مما لا يُجرى .

---

(١) هذا بيت رواه يونس النحوى ولم يذكر قائله . يصف قوسا من شجر النبع . والشاهد عند المؤلف فى البيت أن « الصيب مرفوع ، لأنه صفة للسهم ، وأنه ليس كقوله تعالى « يسمى سلسبيلا » يريد أن هذه القوس ينعت سهمها الصيب ، ويوصف لكثرة ما أصاب به الصيود ، وهى جمع صيد . هذا معنى كلامه . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥٢) وقوله « تسمى سلسبيلا » : ذكروا أن السلسبيل اسم العين ، وذكر أنه صفة للماء لسلسله وعذوبته . ونرى أنه لو كان اسما للعين ، لكان ترك الإجراء (الصرف) فيه أكثر ، ولم نر أحدا من القراء ترك إجراءها وهو جائز فى العربية ، كما كان فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) : ولاتذرن ودا ولا سواعا ويغوثا ويعوقا ، بالألف . وكما قال : سلاسلا وقواريرا ، بالألف ، فأجروا ما لا يجرى ، وليس بخطأ ، لأن العرب تجرى مالا يجرى فى الشعر ، فلو كان خطأ ما أدخلوه فى أشعارهم . قال متمم بن نويرة :

فَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاثٍ رَوَائِمٍ　　رَأَيْنَ مَجَرًّا مِنْ حُوَارٍ ومَصْرَعَا

فأجرى روائم ، وهى مما لا يجرى ، فيما لا أحصيه من أشعارهم . اهـ .

(٢) البيت لمتمم بن نويرة ، كما قال الفراء (تقدم فى الشاهد قبله) . وهو فى (اللسان : ظأر) قال : تقول (ظئرت) الناقة مبنيا للمجهول ، على ولد غيرها ، أو على بو (فأظأرت) بالظاء ، فهى ظئور ومظئورة . وجمع « الظئور » أظآر وظؤار ، قال متمم : « فما وجد أظآر . . . . البيت » . والروائم : جمع رائم ، يقال : رئمت الناقة ولدها ترأمه رأما ورأمانا : عطفت عليه ولزمته . وفى التهذيب : رئمانا : أحبته . ومخرا : مصدر ميمى بمعنى الخرور ، أى السقوط على الأرض ، وقد يكون معناه الموت ، من خريخر : إذا مات . ومصرعا : أى مهلكا ، وهو مصدر ميمى بمعنى الصرع . وأما موضع الشاهد فى البيت فهو صرف « روائم » لضرورة الشعر ، وهو مما لا يصرف ، كما قال الفراء فى الشاهد قبله .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن قوله (تُسَمَّى سَلْسَبِيلا) صفة للعين ، وصفت بالسلاسة فى الحلق ، وفى حال الجرى ، وانقيادها لأهل الجنة ، يصرّفونها حيث شاءوا ، كما قال مجاهد وقتادة . وإنما عنى بقوله (تُسَمَّى) : توصف .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لإجماع أهل التأويل على أن قوله (سَلْسَبِيلا) : صفة لااسم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ويطوف على هؤلاء الأبرار ولدان ، وهم الوصفاء مخلّدون .

اختلف أهل التأويل فى معنى (مُخَلَّدُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أنهم لايموتون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) : أى لايموتون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : عُنِى بذلك (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) : مُسَوَّرون .

وقال آخرون : بل عُنِى به أنهم مقرَّطون . وقيل : عُنِى به أنهم دائم شبابهم ، لايتغيرون عن تلك السن .

وذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره : إنه لمخلّد ؛ وكذلك إذا كبر وثبتت أضراسه وأسنانه ، قيل : إنه لمخلّد ، يراد به أنه ثابت الحال ، وهذا تصحيح لما قال قتادة ، من أن معناه : لايموتون ، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة ، فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت ، فهم مخلّدون . وقيل : إن معنى قوله (مُخَلَّدُونَ) مُسَوَّرون بلغة حِمْير ؛ وينشد لبعض شعرائهم :

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازَهُنَّ أَقَاوِزُ الْكُثْبَانِ [1]

وقوله (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) يقول تعالى ذكره : إذا رأيت يا محمد هؤلاء الولدان مجتمعين أو مفترقين ، تحسبهم فى حُسنهم ، ونقاء بياض وجوههم ، وكثرتهم ، لؤلؤا مبدّدا ، أو مجتمعا مصبوبا .

---

(١) هذا البيت لا أعرف قائله ، أنشده المؤلف عند قوله تعالى : « ولدان مخلدون » قال فى (اللسان : خلد) : وقوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » : قال الزجاجى : محلون . وقال أبوعبيدة مسورون . يمانية ، وأنشد : « ومخلدات باللجين » . ولم أجد قول أبى عبيدة هذا فى المخطوط التى بين يدى منه ، ولعل العبارة والشاهد سقطا من بعض أصول الكتاب . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٢) وقوله « مخلدون » : يقول : محلون مسورون (بأساور) ويقال : مقرطون . ويقال : مخلدون : دائم شبابهم ، لايتغيرون عن تلك السن ، وهو أشبهها بالصواب . والله أعلم . وذلك أن العرب إذا أكبر الرجل ، وثبت سواد شعره ، قيل : إنه لمخلد . وكذلك يقال إذا كبر وثبتت له أسنانه وأضراسه ، قيل إنه لمخلد ، ثابت الحال ، كذلك الولدان ثابتة أسنانهم . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) قال : من كثرتهم وحُسنهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إذَا رأيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) من حسنهم وكثرتهم (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) وقال قتادة عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى عليه ألف غلام كلّ غلام على عمل ما عليه صاحبه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : (حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) قال : فى كثرة اللؤلؤ ، وبياض اللؤلؤ .

وقوله (وإذَا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعِيمًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا نظرت ببصرك يامحمد ، ورَميتَ بطرفك فيما أعْطيتُ هؤلاء الأبرار فى الجنة من الكرامة . وعُنِى بقوله (ثَمَّ) : الجنة (رأيْتَ نَعِيمًا) ، وذلك أن أدناهم منزلة من ينظر فى مُلكه فيما قيل ، فى مسيرة ألفى عام ، يُرَى أقصاه ، كما يرى أدناه .

وقد اختلف أهل العربية فى السبب الذى من أجله لم يذكر مفعول رأيت الأول ، فقال بعض نحويّ البصرة : إنما فعل ذلك ، لأنه يريد رُؤْية لاتتعدى ، كما تقول : ظننت فى الدار ، أخبر بمكان ظنه ، فأخبر بمكان رؤيته . وقال بعض نحوِيِّ الكوفة : إنما فعل ذلك ، لأن معناه : وإذا رأيت ما ثم رأيت نعيما ؛ قال : وصلح إضمار ما كما قيل : (لقد تقطّع بينكم) يريد : ما بينكم ؛ قال : ويقال : إذا رأيت ثم ، يريد : إذا نظرت ثم ، أى إذا رميت ببصرك هناك رأيت نعيما .

وقوله (مُلْكًا كَبِيرًا) يقول : ورأيت مع النعيم الذى ترى لهم ثَمَّ ، مُلْكا كبيرا . وقيل : إن ذلك الملك الكبير : تسليم الملائكة عليهم ، واستئذانهم عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى من سمع مجاهدا يقول : (وَإذَا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) قال : تسليم الملائكة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : سمعت سفيان يقول فى قوله (ومُلْكا كَبِيرًا) قال : بلغنا أنه تسليم الملائكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، فى قوله (وَإذَا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) قال : فسّرها سفيان قال : تستأذن الملائكة عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإذَا رأيْتَ ثَمَّ رأيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) قال : استئذان الملائكة عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ، وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ، وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)

يقول تعالى ذكره: فوقهم، يعنى فوق هؤلاء الأبرار ثياب سُنْدُسٍ. وكان بعض أهل التأويل يتأوّل قوله (عالِيَهُمْ) فوق حِجالهم المثبتة عليهم (ثِيابُ سُنْدُسٍ) وليس ذلك بالقول المدفوع، لأن ذلك إذا كان فوق حِجالٍ هم فيها، فقد علاهم، فهو عاليهم.

وقد اختلف أهل القراءة فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة وبعض قرّاء مكة (عالِيَهُمْ) بتسكين الياء. وكان عاصم وأبو عمرو وابن كثير يقرءونه بفتح الياء، فمن فتحها جعل قوله (عالِيَهُمْ) اسما مرافعا للثياب، مثل قول القائل: ظاهرهم ثياب سندس.

والصواب من القول فى ذلك عندى: أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله (ثِيابُ سُنْدُسٍ) يعنى: ثياب دِيباج رقيق حسن، والسندس: هو ما رقّ من الديباج.

وقوله (خُضْرٌ) اختلف القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القارئ وأبو عمرو برفع (خُضْرٌ) على أنها نعت للثياب، وخفض (إسْتَبْرَقٍ) عطفا به على السندس، بمعنى: وثياب إستبرق. وقرأ ذلك عاصم وابن كثير (خُضْرٍ) خفضا (وإسْتَبْرَقٌ) رفعا، عطفا بالإستبرق على الثياب، بمعنى: عاليهم إستبرق، وتصييرا للخضر نعتا للسندس. وقرأ نافع ذلك (خُضْرٌ) رفعا على أنها نعت للثياب (وإسْتَبْرَقٌ) رفعا عطفا به على الثياب. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: (خُضْرٍ وإسْتَبْرَقٍ) خفضا كلاهما. وقرأ ذلك ابن مُحَيْصِن بترك إجراء الإستبرق (وإسْتَبْرَقَ) بالفتح بمعنى: وثياب إستبرق، وفتَح ذلك، لأنه وجّهه إلى أنه اسم اعجمىّ، ولكل هذه القراءات التى ذكرناها وجه ومذهب، غير الذى سبق ذكرنا عن ابن محيصن، فإنها بعيدة من معروف كلام العرب، وذلك أن الإستبرق نكرة، والعرب تجرى الأسماء النكرة وإن كانت أعجمية، والإستبرق: هو ما غَلُظ من الديباج. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى ذلك، فيما مضى قبلُ، فأغنى ذلك عن إعادته هاهنا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الإستبرق: الديباج الغليظ.

وقوله (وَحُلُّوا أساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) يقول: وحَلاّهم ربهم أَساور، وهى جمع أَسْوِرة من فضة.

وقوله (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) يقول تعالى ذكره: وسقى هؤلاء الأبرارَ ربُّهم شرابا طهورا، ومن طهره أنه لايصير بولا نجسا، ولكنه يصير رَشْحا من أبدانهم، كرشح المسك.

كالذى حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم التيمىّ: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) قال: عَرَق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن منصور، عن إبراهيم التيمى، مثله.

قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم التيمىّ، قال: « إن الرجل من أهل الجنة يُقْسَم له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سُقِى شرابا طهورا، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحا من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (شَرَابًا طَهُورًا) قال: ماذكر الله من الأشربة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن أبان، عن أبى قِلابة « إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا، دُعُوا بالشراب الطهور فيشربونه، فتطهر بذلك بطونهم، ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحا وريحَ مسك، فتضمر لذلك بطونهم ».

حدثنا علىّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر الرازىّ، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية الرياحىّ، عن أبى هريرة أو غيره « شكّ أبو جعفر الرازىّ » قال: « صعد جبرائيل بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به إلى السماء السابعة، فاستفتح، فقيل له: من هذا؟ فقال: جبرائيل؛ قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أو قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجىءُ جاء؛ قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسىّ عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم فى ألوانهم شىء، فقام الذين فى ألوانهم شىء، فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلَص من ألوانهم شىء، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلَصت ألوانهم، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: ياجبريل من هذا الأشمط، ومن هؤلاء البيض الوجوه، ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء، وما هذه الأنهار التى اغتسلوا فيها، فجاءوا وقد صفت ألوانهم، قال: هذا أبوك إبراهيم، أوّل من شَمِط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فقوم لم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم. وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فتابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار، فأوّلها رحمة الله، والثانى نعمة الله، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً، وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ، وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ: إن هذا الذى أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابا على ما كنتم فى الدنيا تعملون من الصالحات (وكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) يقول: كان عملكم فيها مشكورا، حمدكم عليه ربكم، ورضيه لكم، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه.

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ، وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) غفر لهم الذنب ، وشكر لهم الحسن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : تلا قتادة (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) قال : لقد شكر الله سعيا قليلا .

وقوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا نحن نزّلنا عليك يامحمد هذا القرآن تنزيلا، ابتلاء منا واختبارا . (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) يقول : اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به فى تنزيله الذى أوحاه إليك . (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) يقول : ولا تطع فى معصية الله من مشركى قومك آثما يريد : بركوبه معاصيه ، أو كفورا : يعنى جحودا لنعمه عنده ، وآلائه قِبلَه ، فهو يكفر به ، ويعبد غيره .

وقيل : إن الذى عنى بهذا القول أبو جهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال : نزلت فى عدوّ الله أبى جهل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمدا يصلى لأطأنّ عنقه ، فأنزل الله : (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال : الآثم : المذنب الظالم ، والكفور هذا كله واحد . وقيل : (أَوْ كَفُورًا) والمعنى : ولا كفورا . قال الفرّاء : « أو » هاهنا بمنزلة الواو ، وفى الجحد والاستفهام والجزاء تكون بمعنى « لا » ، فهذا من ذلك مع الجحد ؛ ومنه قول الشاعر :

لا وَجْدُ ثُكْلَى كما وَجِدْتُ وَلا وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّها رُبَعُ

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ ناقَتَهُ يَوْمَ تَوَافَى الْحَجِيجُ فانْدَفَعُوا[1]

أراد : ولا وجدُ شيخ ، قال : وقد يكون فى العربية : لاتطيعنّ منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى فى أو قريبا من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطينك سألت أو سكتّ ، معناه : لأعطينك على كلّ حال .

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن قال (٣٥٢ – ٣٥٣) : عند قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » : أو هاهنا : بمنزلة « لا » . وأو فى الجحد والاستفهام والجزاء تكون فى معنى « لا » ، فهذا من ذلك . وقال الشاعر : « لا وجد ثكلى » . . . البيتين . قال : وقد يكون فى العربية لا تطيعن منهم من أثم أو كفر ، فيكون المعنى فى « أو » قريبا من معنى الواو ، كقولك للرجل : لأعطينك سكت أو سألت ، معناه : لأعطينك على كل حال . اهـ . والثكل : التى فقدت ولدها أو أخاها أو زوجها . والوجد : الحزن والعجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها ، الثكل لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا . والجمع عجل وعجائل ومعاجيل . (اللسان : عجل) . اهـ . والربع : الفصيل ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج والجمع : رباع أرباع ، مثل رطب ورطاب وأرطاب وأضلها : فقدته وذهب عنها ، لاتدرى أين أخذ . وأضل ناقته : يقال : أضل البعير والفرس : ذهبا عنه . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (١٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧)

يقول تعالى ذكره : (وَاذْكُرْ) يا محمد (اسْمَ رَبِّكَ) فادعه به بكرة فى صلاة الصبح ، وعشيا فى صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ) يقول : ومن الليل فاسجد له فى صلاتك ، فسبحه ليلا طويلا ، يعنى : أكثر الليل ، كما قال جلّ ثناؤه : (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) يعنى : الصلاة والتسبيح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأَصِيلاً) قال : بُكْرة : صلاة الصبح ، وأصيلا : صلاة الظهر الأصيل .

وقوله (ومِنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) قال : كان هذا أوّل شىء فريضة . وقرأ (يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِصْفَهُ) ، ثم قال : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) . . . إلى قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) . . . إلى آخر الآية ، ثم قال : مُحِي هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الناس ، وجعله نافلة ، فقال : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ) قال : فجعلها نافلة .

وقوله (إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المشركين بالله يحبون العاجلة ، يعنى الدنيا ، يقول : يُحِبُّون البقاء فيها ، وتعجبهم زينتها (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلا) : يقول : ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة ، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ ، وقد تأوّله بعضهم بمعنى : ويذَرون أمامهم يوما ثقيلا ، وليس ذلك قولا مدفوعا ، غير أن الذى قلناه ، أشبه بمعنى الكلمة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً) قال : الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره : نحن خلقنا هؤلاء المشركين بالله ، المخالفين أمره ونهيه (وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) : وشددنا خَلْقهم ، من قولهم : قد أُسِر هذا الرجل فأُحْسِن أسره ، بمعنى : قد خُلق فأُحسِن خَلْقه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) يقول : شددنا خَلْقهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) قال : خَلْقهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) : خَلْقهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : الأَسْر : المفاصل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، سمعته ، يعنى خلادا يقول : سمعت أبا سعيد ، وكان قرأ القرآن على أبى هريرة ، قال : ما قال قرأت القرآن إلا على أبى هريرة ، هو أقرأنى ، وقال فى هذه الآية (وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) قال : هى المفاصل .

وقال آخرون : بل هو القوّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وشَدَدْنا أَسْرَهُمْ) قال : الأَسْر : القوّة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى اخترناه ، وذلك أن الأسر ، هو ما ذكرت عند العرب ؛ ومنه قول الأخطل :

مِنْ كلِّ مُجْتَنَبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَلِسِ القِيادِ تَخالُهُ مُخْتالا[1]

(١) البيت للأخطل (ديوانه : ٤٦) يصف خيلا . والمجتنب : الذى يجنبه صاحبه بجانب فرسه ولا يركب عليه ، وشديد الأسر قوى . ومختالا : أى تحسبه من نشاطه فيه اختيال ، لحسن مشيته . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى : « وشددنا أسرهم » : أسرهم شدة الخلق . يقال للفرس شديد الأسر : شديد الخلق ، وكل شىء شددته ، من قتب أو من غبيط ، فهو مأسور . اه . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٥٣) وقوله : « وشددنا أسرهم » : والأسر الخلق . تقول : لقد أسر هذا الرجل أحسن الأسر ، كقولك : أحسن الخلق . اه .

ومنه قول العامة : خذه بأسره : أى هو لك كله .

وقوله (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً) يقول : وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء، وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم ، أمثالهم من الخلق ، مخالفين لهم فى العمل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً) قال : بنى آدم الذين خالفوا طاعة الله ، قال : وأمثالهم من بنى آدم .

قوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) يقول : إنّ هذه السورة تذكرة لمن تذكر واتعظ واعتبر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) قال : إن هذه السورة تذكرة .

وقوله (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) يقول : فمن شاء أيها الناس اتخذ إلى رضا ، ربه بالعمل بطاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ، وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١) .

يقول تعالى ذكره : (وَما تَشاءُونَ) اتخاذ السبيل إلى ربكم أيها الناس (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) ذلك لكم، لأن الأمر إليه لا إليكم ، وهو فى قراءة عبد الله فيما ذُكر : (وَما تَشاءُونَ إِلَّا ما شاءَ اللهُ) .

وقوله (إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيما حَكِيما) فلن يعدُوَ منكم أحد ما سبق له فى علمه بتدبيركم .

وقوله (يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ) يقول : يدخل ربكم من يشاء منكم فى رحمته ، فيتوب عليه حتى يموت تائبا من ضلالته ، فيغفر له ذنوبه ، ويُدخله جنته (والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيما) يقول الذين ظلموا أنفسهم ، فماتوا على شركهم ، أعدّ لهم فى الآخرة عذابا مؤلما موجعا ، وهو عذاب جهنم ونصب قوله (والظَّالِمِينَ) لأن الواو ظرف لأعدّ ، والمعنى : وأعدّ للظالمين عذابا أليما . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (وَلِلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ) بتكرير اللام ، وقد تفعل العرب ذلك ، وينشد لبعضهم :

أقولُ لَهَا إِذا سألَتْ طَلاقاً　　لِأَمْ تُسارِعِينَ إِلى فِراقِى؟(١)

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٣) قال : وقوله « والظالمين أعد لهم » لأن الواو فى أولها تصير كالظرف لأعد ، ولو كانت رفعا لكان صوابا ، كما قال : « والشعراء يتبعهم الغاوون » . وهى فى قراءة عبد الله (ابن مسعود) « وللظالمين أعد لهم » ،=

ولآخر :

فأصْبَحْنَ لايسألْنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ أصَعَّد فِي غاوِي الهَوَى أمْ تَصَوَّبا ؟[1]

بتكرير الباء ، وإنما الكلام لايسألنه عما به .

آخر تفسير سورة الإنسان

تفسير سورة والمرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)

❊ اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) فقال بعضهم : معنى ذلك : والرياح المرسلات يتبع بعضها بعضا ، قالوا : والمرسَلات : هى الرياح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب قال : ثنا المحاربى ، عن المسعودىّ ، عن سَلَمة بن كَهَيل ، عن ابى العَبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال (والمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودىّ ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر نحوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والمُرْسَلاتِ عُرْفاً) يعنى الريح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى صالح صاحب الكلبى ، فى قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : هى الرياح .

= فكرر اللام فى « للظالمين » وفى « لهم » ، وربما فعلت العرب ذلك ، أنشدنى بعضهم : « أقول لها إذا سألت . . . البيت » وأنشدنى بعضهم « فأصبحن لايسألنه عن بما به ... البيت » . فكرر الباء مرتين ، ولوقال : « يسألنه عما به » كان أبين وأجود ، ولكن الشاعر ربما زاد أو نقص ، ليكمل الشعر . اهـ .

(١) البيت من شواهد النحويين . وقد ذكره الفراء فى معانى القرآن (كما بيناه فى الشاهد قبله) . وذكر البيت صاحب الخزانة ، وذكر أنه لم يقف على قائله ، ولا تتمته ، يريد الأبيات التى هومنها . وقال إنه شاهد على أنه من الغريب زيادة الباء فى المجرور ، فإنها زيدت مع ما المجرورة بعن . وقال ابن جنى فى سر الصناعة : إنه من غريب مواضعها . ثم ذكر كلام الفراء الذى ذكرناه فى الشاهد قبله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سُفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله عن (المُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : هى الريح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والملائكة التى تُرسَل بالعرف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول فى المرسلات : هى الملائكة .

حدثنا إسرائيل بن أبى إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله فى قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : الملائكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ووكيع عن إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : هى الرسل ترسل بالعُرف .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله (وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً) قال : هى الرسل ترسل بالمعروف ؛ قالوا : فتأويل الكلام والملائكة التى أرسلت بأمر الله ونهيه ، وذلك هو العُرف .

وقال بعضهم : عُنى بقوله (عُرْفاً) : متتابعا كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عُرْف واحد : إذا توجهوا إليه فأكثروا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن داود بن الزبرقان ، عن صالح بن بُرَيدة ، فى قوله (عُرْفاً) قال : يتبع بعضها بعضا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عُرْفا ، وقد ترسل عُرْفا الملائكة ، وترسل كذلك الرياح ، ولا دلالة تدلّ على أن المعنىّ بذلك أحد الحزْبين دون الآخر ، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكلّ ما كانت صفته ما وصف ، فكلّ من كان صفته كذلك ، فداخل فى قسمه ذلك : ملكا أو ريحا أو رسولا من بنى آدمَ مرسلا .

وقوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) يقول جلّ ذكره : فالرياح العاصفات عصفا ، يعنى الشديدات الهبوب السريعات الممرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك، عن خالد ، عن عُرْعرة أن رجلا قام إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما العاصفات عصفا ؟ قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن المسعودىّ ، عن سَلَمة بن كهيل، عن أبى العُبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود ، فقال : ما العاصفات عصفا ؟ قال : الريح .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودىّ ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : هى الرياح .

حدثنا عبد الحميد بن بَيَان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل قال : سألت أبا صالح عن قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : هى الرياح .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنى أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ عن أبى صالح صاحب الكلبى ، فى قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : هى الرياح .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير وسعيد بن محمد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : هى الريح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة ، عن علىّ رضى الله عنه (فالْعاصِفاتِ عَصْفا) قال : الريح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالْعاصِفاتِ عَصْفاً) قال : الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (والنَّاشِراتِ نَشْرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى بالناشرات : نَشْرا الريح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن المسعودىّ ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين أنه سأل ابن مسعود عن (النَّاشِراتِ نَشْرًا) قال : الريح .

حدثنا خلد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودىّ ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن أبى العُبيدين ، عن ابن مسعود ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله بن مسعود ، فذكر مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سَلَمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبى العُبيدين ، قال : سألت عبد الله ، فذكر مثله .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنَّاشِراتِ نَشْرًا) قال : الريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبيد الله بن معاذ ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى صالح صاحب الكلبىّ ، فى قوله (والنَّاشِراتِ نَشْرًا) قال : هى الرياح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والنَّاشِراتِ نَشْرًا) قال : الرياح . وقال آخرون : هى المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح ، عن قوله (والنَّاشِراتِ نَشْرًا) قال : المطر

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : هى المطر .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

وقال آخرون : بل هى الملائكة التى تنشُر الكتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى صالح (والنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) قال : الملائكة تنشُر الكتب .

* وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا ، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شىء ، فالرياح تنشر السحاب ، والمطر ينشر الأرض ، والملائكة تنشُر الكتب ، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له ، على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فذلك على كل ما كان ناشرا .

وقوله (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك : الملائكة التى تفرق بين الحقّ والباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال : الملائكة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال : الملائكة .

قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) قال : الملائكة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْفارِقاتِ فَرْقاً) يعنى القرآن ، ما فرق الله فيه بين الحقّ والباطل .

* والصواب من القول فى ذلك أن يقال : أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات ، وهى الفاصلات بين الحقّ والباطل ، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض ، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل ، مَلَكا كان أو قرآنا ، أو غير ذلك .

وقوله (فالْمُلْقِياتِ ذِكْرًا) يقول : فالمبلِّغات وحى الله رسله ، وهى الملائكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فالْمُلْقِياتِ ذِكْرًا) يعنى : الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالْمُلْقِياتِ ذِكْرًا) قال : هى الملائكة تلقى الذكر على الرسل وتبلغه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالْمُلْقِياتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة تلقى القرآن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فالْمُلْقِياتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

وقوله (عُذْرًا أوْ نُذْرًا) يقول تعالى ذكره : فالملقيات ذكرا إلى الرسل ، إعذارا من الله إلى خلقه ، وإنذارا منه لهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) قال: عُذْراً: من الله، ونُذْرا: منه إلى خلقه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا): عذرا لله على خلقه، ونذرا للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) يعنى: الملائكة.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام، وبعض المكيين، وبعض الكوفيين: (عُذْرًا) بالتخفيف، أونُذْرا بالتثقيل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة وبعض البصريين، بتخفيفهما، وقرأه آخرون من أهل البصرة، بتثقيلهما؛ والتخفيف فيهما أعجب إلىّ وإن لم أدفع صحة التثقيل، لأنهما مصدران بمعنى الإعذار والإنذار.

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ (١٣) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره: والمرسلات عُرفا، إن الذى توعَدون أيُّها الناس من الأمور لواقع، وهو كائن لامحالة، يعنى بذلك يوم القيامة، وما ذكر الله أنه أعدّ لخلقه يومئذ، من الثواب والعذاب.

وقوله (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) يقول: فإذا النجوم ذهب ضياؤها، فلم يكن لها نور ولا ضوء (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) يقول: وإذا السماء شُقّقت وصُدّعت (وَإِذَا الجِبالُ نُسِفَتْ) يقول: وإذا الجبال نسفت من أصلها، فكانت هباء منبثا (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) يقول تعالى ذكره: وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس. قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) يقول: جمعت.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدّثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (أُقِّتَتْ) قال: أُجِّلَتْ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال: أجلت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع؛ وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران جميعا، عن سفيان، عن منصور عن إبراهيم (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال: أُوعِدَت.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال: أقتت ليوم القيامة، وقرأ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ) قال: والأجل: الميقات، وقرأ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ)، وقرأ (إلى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) قال: إلى يوم القيامة، قال: لهم أجلٌ إلى ذلك اليوم حتى يبلغوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) قال: وعدت.

واختلفت القرّاء في قراءه ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة غير أبي جعفر، وعامة قرّاء الكوفة (أُقِّتَتْ) بالألف وتشديد القاف، وقرأه بعض قرّاء البصرة بالواو وتشديد القاف (وُقِّتَتْ) وقرأه أبو جعفر (وُقِتَتْ) بالواو وتخفيف القاف.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن كلّ ذلك قراءات معروفات، ولغات مشهورات، بمعنى واحد، فبأيّها قرأ القارئ فمصيب، وإنما هو فُعِّلَتْ من الوقت، غير أن من العرب من يستثقل ضمة الواو، كما يستثقل كسرة الياء في أوّل الحرف، فيهمزها، فيقول: هذه أُجوه حسان بالهمزة، وينشد بعضهم:

يَحُلُّ أحِيدَهُ ويُقالُ بَعْلٌ ومِثْلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقارُ[1]

وقوله (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) يقول تعالى ذكره مُعَجِّبًا عباده من هول ذلك اليوم وشدّته، لأيّ يوم أجّلت الرسل ووُقِّتت؟ ما أعظمه وأهوله! ثم بين ذلك: وأيّ يوم هو؟ فقال أجلت (لِيَوْمِ الفَصْلِ). يقول: ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء، فيأخذ للمظلوم من الظالم، ويَجْزِي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ! لِيَوْمِ الْفَصْلِ): يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم: إلى الجنة وإلى النار.

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٣٥٣) والكلمة الأولى منه في الخط «بحل» باء وجيم ولام، وهي غامضة. قال وقوله: «وإذا الرسل أقتت»: اجتمع القراء على همزها، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «وقتت» بالواو. وقرأها أبو جعفر المدني «وقتت» خفيفة. وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت. من ذلك «صلى القوم أحدانا». وأنشدني بعضهم: «يحل وحيده... البيت». ويقولون: هذه أجوه حسان، بالهمز، لأن ضمة الواو ثقيلة، كما كان كسر الياء ثقيلا. اهـ. وموضع الشاهد في البيت أن همزة «أحيده» مقلوبة عن واو، وأصله «وحيده». كما قلبت في «أحدانا» وأصلها: «وحدانا». قلت: وفي (اللسان: وحد): الوحيد: موضع بعينه، ونق من أنقاء الدهناء. و(في بعل): البعل: كل شجر أو زرع لا يسقى. ومن النحل: ما شرب بعروقه من غير سقى. والأرض المرتفعة لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة. اهـ.

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأىّ شىء أدراك يا محمد ما يوم الفصل ؟ معظما بذلك أمره ، وشدّة هوله .

كما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تعظيما لذلك اليوم .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : الوادى الذى يسيل فى جهنم من صديد أهلها : للمكذّبين بيوم الفصل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ويل والله طويل .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ؟ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : ألم نهلك الأمم الماضين الذين كذّبوا رسلى ، وجحدوا آياتى ، من قوم نوح وعاد وثمود ، ثم نُتْبِعُهُم الآخرين بعدهم ، ممن سلك سبيلهم فى الكفر بى وبرسولى ، كقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، فنهلكهم كما أهلكنا الأوّلين قبلهم ، (كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بى ، وتكذيبهم برسلى ، كذلك سنّتى فى أمثالهم من الأمم الكافرة ، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بأخبار الله ، التى ذكرناها فى هذه الآية ، الجاحدين قُدرته على ما يشاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لله : (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ) أيها الناس (مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) يعنى من نطفة ضعيفة .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) يعنى بالمَهين : الضعيف .

وقوله (فَجَعَلْناه فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) يقول : فجعلنا الماء المَهين فى رحمٍ استقرّ فيها فتمكن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى قَرَارٍ مَكِينٍ) قال : الرحم .

وقوله (إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) يقول : إلى وقت معلوم لخروجه من الرحم عند الله ، (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (فَقَدَّرْنا) بالتشديد . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة بالتخفيف .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كنت أُوثر التخفيف لقوله (فَنِعْمَ القادِرُونَ) ، إذ كانت العرب قد تجمع بين اللغتين ، كما قال : (فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) فجمع بين التشديد والتخفيف ، كما قال الأعشى :

وأَنْكَرَتْنِى وَما كانَ الَّذِى نَكِرَتْ مِنَ الْحَوادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعا (١)

وقد يجوز أن يكون المعنى فى التشديد والتخفيف واحدا ، فإنه محكىّ عن العرب ، قُدِرَ عليه الموت ، وقُدِّرَ ، بالتخفيف والتشديد .

وعُنِىَ بقوله (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ) ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن ابن المبارك عن جويبر ، عن الضحاك (فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ) قال : فملكنا فنعم المالكون .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول جلّ ثناؤه : ويل يومئذ للمكذّبين بأن الله خلقهم من ماء مَهِين .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنا فِيها رَوَاسِىَ شَمِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره منبها عباده على نعمه عليهم (أَلَمْ نَجْعَلِ) أيها الناس (الأَرْضَ) لكم (كِفاتًا) يقول : وعاء ؟ تقول : هذا كِفْتُ هذا وكَفِيته ، إذا كان وعاءَه . وإنما معنى الكلام : ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائكم وأمواتكم ، تَكْفِت أحياءكم فى المساكن والمنازل ، فتضمهم فيها وتجمعهم ، وأمواتكم فى بطونها فى القبور ، فيُدفَنون فيها .

(١) هذا البيت فى (ديوان الأعشى ، طبعة القاهرة ١٠١) من قصيدة يمدح بها هوذة بن على الحنفى ، ملك اليمامة . وأنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٥٤) قال : وقوله « فقدرنا فنعم القادرون » : ذكر عن على بن أبى طالب ، وعن أبى عبد الرحمن السلمى ، أنهما شددا ؛ وخففها الأعمش وعاصم ؛ ولا تبعدن أن يكون المعنى فى التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب قد تقول : قدر عليه الموت ، وقدر عليه الموت ، وقدر عليه رزقه ، وقدر عليه ، بالتخفيف والتشديد . وقد احتج الذين خففوا ، فقالوا : لو كان كذلك لكانت « فنعم المقدرون » ؛ وقد تجمع العرب بين اللغتين ؛ قال الله تعالى : « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » . وقال الأعشى : « فأنكرتنى وما كان الذى نكرت . . . . البيت » . اهـ . وهذا الشاهد قد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (١٢ : ٧١) .

وجائز أن يكون عُنِى بقوله (كِفاتاً أحْياءً وأمْوَاتاً) تَكْفِت أذاهم فى حال حياتهم ، وجِيفَتهم بعد مماتهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً) يقول : كِنًّا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا خالد ، عن مسلم ، عن زاذان أبى عمر ، عن الربيع بن خيثم ، عن عبد الله بن مسعود ، أنه وجد قَمْلة فى ثوبه ، فدفنها فى المسجد ، ثم قال : (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأمْوَاتاً) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا مسلم الأعور ، عن زاذان ، عن ربيع بن خيثم ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، قال : قال مجاهد ، فى الذى يرى القملة فى ثوبه وهو فى المسجد ، ولا أدرى قال فى صلاة أم لا ، إن شئت فألقها ، وإن شئت فوارِها (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً ، أحْياءً وأمْوَاتاً) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شريك ، عن بيان ، عن الشعبىّ (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأمْوَاتاً) قال : بطنها لأمواتكم ، وظهرها لأحيائكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً) ، قال : تَكْفِت أذاهم ، (أحْياءً) : تواريه ، (وأمْوَاتاً) : يدفنون تَكْفِتهم .

وقد حدثنى به ابن حميد مرّة أخرى ، فقال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً) قال : تكفت أذاهم وما يخرج منهم (أحْياءً وأمْوَاتاً) قال : تكفتهم فى الأحياء والأموات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأمْوَاتاً) قال : أحياء يكونون فيها ، قال محمد بن عمرو : يغيبون فيها ما أرادوا ؛ وقال الحارث : ويغيبون فيها ما أرادوا . وقوله (أحْياءً وأمْوَاتاً) قال : يدفنون فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ كِفاتاً أحْياءً وأمْوَاتاً) : يسكن فيها حَيَّهم ، ويُدْفَن فيها ميتهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أحْياءً وأمْوَاتا) قال : أحياء : فوقها على ظهرها ، وأمواتا : يُقبرون فيها .

واختلف أهل العربية فى الذى نصب (أحْيَاءً وأمْوَاتاً) فقال بعض نحوىّ البصرة : نصب على الحال. وقال بعض نحوىّ الكوفة : بل نصب ذلك بوقوع الكِفات عليه، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحياءٍ وأموات، فاذا نوّنت نصبت، كما يقرأ من يقرأ (أوْ إطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيما ذَا مَقْرَبَةٍ) وهذا القول أشبه عندى بالصواب .

وقوله (وَجَعَلْنا فِيها رَوَاسِيَ شامِخاتٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا فى الأرض جبالا ثابتات فيها ، باذخات شاهقات .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنا فِيها رَوَاسِيَ شامِخاتٍ) : يعنى الجبال .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَوَاسِيَ شامِخاتٍ) يقول : جبالا مشرفات .

وقوله (وأسْقَيْناكُمْ ماءً فُرَاتاً) يقول : وأسقيناكم ماء عذبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وأسْقَيْناكُمْ ماءً فُرَاتاً) يقول : عذبا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماءً فُرَاتاً) قال : عذبا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأسْقَيْناكُمْ ماءً فُرَاتاً) : أى ماء عذبا

حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس : (وأسْقَيْناكُمْ ماءً فُرَاتاً) قال : من أربعة أنهار : سيحان ، وجِيحانَ ، والنيلِ ، والفُراتِ ، وكل ماء يشربه ابن آدم ، فهو من هذه الأنهار ، وهى تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس . وأما سيحان فهو ببلْخ ، وأما جيحان فدجلة ، وأما الفرات ففرات الكوفة ، وأما النيل فهو بمصر .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل يومئذ للمكذّبين بهذه النعم، التى أنعمتها عليكم من خلقى الكافرين بها .

القول فى تأويل قوله تعالى

انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠)

لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بهذه النّعم، والحجج التى احتجّ بها عليهم يوم القيامة: (انْطَلِقُوا إلى ما كُنْتُمْ بِهِ) فى الدنيا (تُكَذِّبُونَ) من عذاب الله لأهل الكفر به (انْطَلِقُوا إلى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ) يعنى تعالى ذكره : إلى ظلّ دخان ذى ثلاث شعب (لاظَلِيلٍ) ، وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر ، فإذا تصاعد تفرّق شعبا ثلاثا ، فذلك قوله (ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ) قال : دخان جهنم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ) قال : هو كقوله (نارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها) قال : والسرادق : دخان النار ، فأحاط بهم سرادقها ، ثم تفرّق ، فكان ثلاث شُعَب ، فقال : انطلقوا إلى ظلّ ذى ثلاث شُعَب : شُعْبة هاهنا ، وشُعْبة هاهنا ، وشُعْبة هاهنا (لاظَلِيلٍ وَلا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ) .

وقوله (لاظَلِيلٍ) يقول : لاهو يظلهم من حرّها (وَلا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ) ولا يُكِنُّهم من لهبها .

وقوله (إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) يقول تعالى ذكره : إن جهنم ترمى بشرر كالقصر ، فقرأ ذلك قرّاء الأمصار (كالْقَصْرِ) بجزم الصاد .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك فى معناه ، فقال بعضهم : هو واحد القصور .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) يقول : كالقصر العظيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) قال : ذكر القصر [1] .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يزيد بن يونس ، عن أبى صخر فى قول الله (إِنَّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) قال : كان القُرَظِىّ يقول : إن على جهنم سورا ، فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها فى عظم القصر ، ولون القار .

وقال آخرون : بل هو الغليظ من الخشب ، كأصول النخل وما أشبه ذلك .

(١) لعله : ذاك القصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سألت ابن عباس عن قوله : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : القصر : خشب كنا ندّخره للشتاء ثلاث أذرع ، وفوق ذلك ، ودون ذلك كنا نسميه القصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن عابس ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى قوله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : القصر : خشب كان يُقْطع فى الجاهلية ذراعا وأقلّ أو أكثر ، يُعْمَد به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سمعت ابن عباس يقول فى قوله : (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : كنا فى الجاهلية نقصر ذراعين أوثلاث أذرع ، وفوق ذلك ودون ذلك نسميه القصر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) فالقصر : الشجر المقطّع ، ويقال : القصر : النخل المقطوع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كَالْقَصْرِ) قال : حزم الشجر ، يعنى الحزمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا ابن أبى عديّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : مثل قَصْر النخلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) أصول الشجر ، وأصول النخل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) قال : كأصل الشجر .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) القصر : أصول الشجر العظام ، كأنها أجواز الإبل الصفر . وسط كل شىء : جَوْزُه ، وهى الأجواز .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : قرأها الحسن : (كالْقَصْرِ) وقال : هو الجَزْل من الخشب ، قال : واحدته : قصرة وقصر ، مثله : جمرة وجمر ، وتمرة وتمر .

وذُكر عن ابن عباس أنه قرأ ذلك (كالْقَصَرِ) بتحريك الصاد .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرنى حسين المعلم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه قرأها (كالقَصَرِ) بفتح القاف والصاد . قال : وقال هارون : أخبرنى أبو عمرو أن ابن عباس قرأها (كالْقَصَرِ) وقال : قصر النخل ، يعنى الأعناق .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا : ماعليه قرّاء الأمصار ، وهو سكون الصاد . وأولى التأويلات به

أنه القصر من القصور ، وذلك لدلالة قوله (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) على صحته ، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية ، كما قال الأخطل فى صفة ناقة :

كأنها بُرْجُ رُومىّ يُشَيِّدُهُ لُزَّ بِجصّ وآجُرٌّ وأحْجارِ[1]

وقيل (بِشَرَرٍ كالقَصْرِ) ولم يقل كالقصور ، والشَّرر جماع ، كما قيل : (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) ولم يقل الأدبار ، لأن الدبر بمعنى الأدبار ، وفعل ذلك توفيقا بين رءوس الآيات ومقاطع الكلام ، لأن العرب تفعل ذلك كذلك ، وبلسانها نزل القرآن . وقيل : كالقصر ، ومعنى الكلام : كعظم القصر ، كما قيل (تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ) ولم يقل : كعيون الذى يغشى عليه ، لأن المراد فى التشبيه الفعل لا العين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، أنه سأل الأسود عن هذه الآية (تَرْمِى بِشَرَرٍ كالْقَصْرِ) فقال : مثل القصر .

وقوله (جِمالاتٌ صُفْرٌ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : كأن الشرر الذى ترمى به جهنم كالقصر جمالات سود : أى أينق سود ؛ وقالوا : الصفر فى هذا الموضع ، بمعنى : السود . قالوا : وإنما قيل لها صفر وهى سود ، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة ، ولذلك قيل لها صُفْر ، كما سميت الظباء أدما ، لما يعلوها فى بياضها من الظلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا بدل بن المحبّر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود بن أبى هند ، عن الحسن (كأنَّهُ جِمالَةٌ صُفْرٌ) قال : الأينق السود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) كالنُّوق السود الذى رأيتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : نوق سود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : هى الإبل .

قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (كأنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : كالنوق السود الذى رأيتم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : قُلُوس السفن ، شبَّه بها الشَّرَر .

---

(١) البيت للأخطل (ديوانه : ١١٣) ولز الشىء بالشىء : شده وألصقه . وقد استشهد به المؤلف على تشبيه الشرر المتطاير من جهنم بالقصر ، وأن الجمال الضخام قد تشبه بالقصور ، أى البيوت العالية ، كما قال الأخطل ، وكما قال طرفة قبله فى صفة ناقته :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أقْسَمَ رَبُّها لَتُكْتَنَفَنْ حَتَّى تُشادَ بِقَرْمَدِ

وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت فى الجزء (١٩ : ٣٠) فارجع إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعيد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (كَأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) فالجِمالات الصفر : قلوس السفن ، التى تجمع فتوثق بها السفن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سعيد ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سألت ابن عباس عن قوله (كأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلُوس سفن البحر يجمل بعضها على بعض ، حتى تكون كأوساط الرجال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : سمعت ابن عباس سُئل عن (جِمالاتٌ صُفْرٌ) فقال : حبال السفن ، يجمع بعضها إلى بعض ، حتى تكون كأوساط الرجال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت عبد الرحمن بن عابس ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله ، قال : ثنا هلال بن خباب ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : قُلوس الجسر .

حدثنى محمد بن حويرة بن محمد المنقرى ، قال : ثنا عبد الملك بن عبد الله القطان ، قال : ثنا هلال ابن خبّاب ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير (كأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : الحبال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن عبد الله ، عن ابن عباس (كأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : قلوس سفن البحر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) قال : حبال الجسور .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنه قطع النُّحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كأَنَّهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) يقول : قطع النحاس .

* وأولى الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : عُنِى بالجمالات الصفر : الإبل السود ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وأن الجِمالات جمع جِمال ، نظير رِجال ورِجالات ، وبُيوت وبُيوتات .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (جِمالاتٍ) ، بكسر الجيم والتاء ، على أنها جمع جِمال ، وقد يجوز أن يكون أريد بها جمع جِمالة ، والجِمالة جمع جَمَل ، كما الحِجارة جمع حَجَر ، والذِّكارة جمع ذَكَر . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين كأنه (جِمالَةٌ) بكسر الجيم ، على أنها جمع جمل

جُمع على جمالة، كما ذكرت من جمع حجَر حِجارة . ورُوى عن ابن عباس أنه كان يقرأ (جُمالاتٌ) بالتاء، وضمّ الجيم ، كأنه جمع جُمالة من الشيء المجمل .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن الحسين المعلم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس .

والصواب من القول فى ذلك : أن لقارئ ذلك اختيارَ أىّ القراءتين شاء، من كسر الجيم وقراءتها بالتاء، وكسر الجيم وقراءتها بالهاء ، التى تصير فى الوصل تاء ، لأنهما القراءتان المعروفتان فى قرّاء الأمصار ، فأما ضم الجيم ، فلا أستجيزه ، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يوم القيامة للمكذّبين ، هذا الوعيد الذى توعد الله به المكذّبين من عباده .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بثواب الله وعقابه (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) أهل التكذيب بثواب الله وعقابه (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) مما اجترموا فى الدنيا من الذنوب .

فإن قال قائل : وكيف قيل (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) وقد علمت بخبر الله عنهم، أنهم يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا) وأنهم يقولون (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) ، فى نظائر ذلك ، مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه ؟ قيل : إن ذلك فى بعض الأحوال دون بعض .

وقوله (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) يخبر عنهم أنهم لاينطقون فى بعض أحوال ذلك اليوم ، لأنهم لاينطقون ذلك اليوم كله .

فإن قال : فهل من بُرهان يعلم به حقيقة ذلك ؟ قيل : نعم ، وذلك إضافة يوم إلى قوله (لَا يَنْطِقُونَ) والعرب لاتُضيف اليوم إلى فعل يفعل ، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم، والوقت منه ، وذلك كقولهم : آتيك يومَ يقدمُ فلان ، وأتيتك يوم زارك أخوك ، فمعلوم أن معنى ذلك : أتيتك ساعة زارك ، أو آتيك ساعة يقدُم ، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله ، لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يضف اليوم إلى فعل ويفعل ، ولكن فعل ذلك إذا كان اليوم بمعنى إذ وإذا اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء .

وقوله (فَيَعْتَذِرُونَ) رفعا عطفا على قوله (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد، لأنه رأس آية ، قرن بينه وبين سائر رءوس الآيات التى قبلها، ولو كان جاء نصبا كان جائزا ، كما

قال (لايُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا) وكلّ ذلك جائز فيه ، أعنى الرفع والنصب ، كما قيل : (مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) رفعا ونصبا .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذّبين بخبر الله عن هؤلاء القوم ، وما هو فاعل بهم يوم القيامة .

وقوله (هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث يوم يبعثون : هذا يوم الفصل الذى يَفْصل الله فيه بالحقّ بين عباده (جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ) يقول : جمعناكم فيه لموعدكم الذى كنا نعدكم فى الدنيا الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة ، فقد وفّينا لكم بذلك (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) يقول : والله منجز لكم ما وعدكم فى الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه ، بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها فى التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل يومئذ للمكذّبين بهذا الخبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه فى الدنيا ، واجتناب معاصيه (فِي ظِلَالٍ) ظليلة ، وكنّ كنين ، لايصيبهم أذى حرّ ولا قرّ ، إذ كان الكافرون بالله فى ظلّ ذى ثلاث شعب ، لاظليل ولايغنى من اللهب (وعُيُونٍ) : أنهار تجرى خلال أشجار جناتهم (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) يأكلون منها كلما اشتهوا ، لايخافون ضرّها ، ولا عاقبة مكروهها .

وقوله (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : يقال لهم : كلوا أيها القوم من هذه الفواكه ، واشربوا من هذه العيون كلّ ما اشتهيتم هنيئا : يقول : لاتكدير عليكم ، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه ، ولكنه لكم دائم ، لايزول ومرىء لايورثكم أذى فى أبدانكم .

وقوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه يقال لهم : هذا جزاء بما كنتم فى الدنيا تعملون من طاعة الله ، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا فى الدنيا ، كذلك نجزى ونثيب أهل الإحسان فى طاعتهم إيانا ، وعبادتهم لنا فى الدنيا على إحسانهم لانضيع فى الآخرة أجرهم .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) : يقول : ويل للذين يكذبون خبر الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتقين ، بما أكرمهم به يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره تهدّدا ووعيدا منه للمكذّبين بالبعث : كلوا فى بقية آجالكم ، وتمتعوا ببقية أعماركم ، (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) مَسْنُونٌ بكم سنة من قبلكم من مجرمى الأمم الخالية ، التى متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها ، ثم انتقم الله منها بكفرها ، وتكذيبها رسلها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) قال : عُنِى به أهل الكفر .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذّبين الذين كذّبوا خبر الله الذى أخبرهم به عما هو فاعل بهم فى هذه الآية .

وقوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذّبين بوعيد الله أهل التكذيب به : اركعوا ، لا يركعون .

واختلف أهل التأويل فى الحين الذى يقال لهم فيه . فقال بعضهم : يقال ذلك فى الآخرة حين يُدْعون إلى السجود فلا يستطيعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) يقول : يُدْعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود ، من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله فى الدنيا .

وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) عليكم بحسن الركوع ، فإن الصلاة من الله بمكان . وقال قتادة عن ابن مسعود ، أنه رأى رجلا يصلى ولا يركع ، وآخر يجرّ إزاره ، فضحك ، قالوا : ما يُضحكك ؟ قال : أضحكنى رجلان ؛ أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته ، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه .

وقيل : عُنِى بالركوع فى هذا الموضع الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ) قال : صَلُّوا .

٭ وأولى الأقوال فى ذلك أن يقال : إن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم المجرمين ، أنهم كانوا له مخالفين فى أمره ونهيه ، لا يأتمرون بأمره ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول : ويل للذين كذّبوا رسل الله ، فردّوا عليهم ما بلغوا من أمر الله إياهم ، ونهيه لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) .

٭ يقول تعالى ذكره : فبأىّ حديث بعد هذا القرآن ؟ أى أنتم أيها القوم كذّبتم به مع وضوح برهانه ، وصحة دلائله ، أنه حقّ من عند الله (تؤمنون) : يقول : تصدّقون ؟

وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدّقوا بهذه الأخبار التى أخبرهم بها فى هذا القرآن ، مع صحة حججه على حقيقته ، لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شىء من الأخبار التى لم يشاهدوا المخبَر عنه ، ولم يعاينوه ، وأنهم إن صدّقوا بشىء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك فى أخبار هذا القرآن . والله أعلم .

آخر تفسير سورة والمرسلات

تمّ الجزء التاسع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى

ويليه الجزء الثلاثون

وأوله : تفسير سورة النبأ

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور بإذن
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »
قرآن كريم

« ما أعلم على أديم الأرض أعلم
من ابن جرير » .
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثلاثون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

فهارس الجزء الثلاثون

من

جامع البيان، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

١ – فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الفصحة
	سورة النبأ	
١	عمّ يتساءلون ؟	١
٢	عن النبأ العظيم .	١
٣	الذى هم فيه مختلفون .	١
٤	كلا سيعلمون .	١
٥	ثم كلا سيعلمون .	١
٦	ألم نجعل الأرض مهادا ؟	٣
٧	والجبال أوتادا .	٣
٨	وخلقناكم أزواجا .	٣
٩	وجعلنا نومكم سباتا .	٣
١٠	وجعلنا الليل لباسا .	٣
١١	وجعلنا النهار معاشا .	٣
١٢	وبنينا فوقكم سبعا شدادا .	٤
١٣	وجعلنا سراجا وهاجا .	٤
١٤	وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا .	٤
١٥	لنخرج به حبا ونباتا .	٦
١٦	وجنات ألفافا .	٦
١٧	إن يوم الفصل كان ميقاتا .	٦
١٨	يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا .	٦
١٩	وفتحت السماء فكانت أبوابا .	٦
٢٠	وسيرت الجبال فكانت سرابا .	٦
٢١	إن جهنم كانت مرصادا .	٨
٢٢	للطاغين مآبا .	٨
٢٣	لابثين فيها أحقابا .	٨
٢٤	لايذوقون فيها بَرْدا ولا شرابا .	٨
٢٥	إلا حميما وغَسّاقا .	٨
٢٦	جزاءا وِفاقا .	١٥
٢٧	إنهم كانوا لايرجون حسابا .	١٥
٢٨	وكذّبوا بآياتنا كِذّابا .	١٥
٢٩	وكلّ شىء أحصيناه كتابا .	١٥
٣٠	فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا .	١٥
٣١	إن للمتقين مفازا .	١٧
٣٢	حدائق وأعنابا .	١٧
٣٣	وكواعب أترابا .	١٧
٣٤	وكأسا دِهاقا .	١٧
٣٥	لايسمعون فيها لغوا ولا كذّابا .	١٧
٣٦	جزاء من ربك عطاء حسابا .	٢٠
٣٧	ربّ السموات والأرض وما بينهما ...	٢٠
٣٨	يوم يقوم الروح والملائكة . . .	٢٠
٣٩	ذلك اليوم الحقّ ، فمن شاء اتخذ . . .	٢٤
٤٠	إنا أنذرناكم عذابا قريبا . . .	٢٤
	سورة النازعات	
١	والنازعات غرقا .	٢٧
٢	والناشطات نشْطا .	٢٧
٣	والسابحات سبحا .	٢٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	فالسابقات سبقا .	٢٧
٥	فالمدبرات أمرا .	٢٧
٦	يوم ترجُف الراجفة .	٢٧
٧	تتبعها الرادفة .	٢٧
٨	قلوب يومئذ واجفة .	٢٧
٩	أبصارها خاشعة .	٢٧
١٠	يقولون أئنا لمردودون فى الحافِرة .	٣٣
١١	أئذا كنا عظاما نَخِرة .	٣٣
١٢	قالوا تلك إذا كرّة خاسرة .	٣٣
١٣	فإنما هى زَجْرة واحدة .	٣٣
١٤	فإذا هم بالساهرة .	٣٣
١٥	هل أتاك حديث موسى ؟	٣٨
١٦	إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى .	٣٨
١٧	اذهب إلى فرعون إنه طغى .	٣٨
١٨	فقل هل لك إلى أن تزكّى .	٣٨
١٩	وأهديَك إلى ربك فتخشى .	٣٩
٢٠	فأراه الآية الكبرى .	٣٩
٢١	فكذّب وعصى .	٣٩
٢٢	ثم أدبر يسعى .	٣٩
٢٣	فحشر فنادى .	٣٩
٢٤	فقال أنا ربكم الأعلى .	٣٩
٢٥	فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .	٤١
٢٦	إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى .	٤١
٢٧	أأنتم أشدّ خلقا أم السماء بناها ؟	٤١
٢٨	رفع سمكها فسوّاها .	٤١
٢٩	وأغطش ليلها وأخرج ضُحاها .	٤٣
٣٠	والأرض بعد ذلك دَحاها .	٤٣
٣١	أخرج منها ماءَها ومرعاها .	٤٣
٣٢	والجبال أرساها .	٤٣
٣٣	متاعا لكم ولأنعامكم .	٤٧
٣٤	فإذا جاءت الطامة الكبرى .	٤٧
٣٥	يوم يتذكر الإنسان ما سعى .	٤٧
٣٦	وبُرِّزت الجحيم لمن يرى .	٤٧
٣٧	فأما من طغى .	٤٨
٣٨	وآثر الحياة الدنيا .	٤٨
٣٩	فإن الجحيم هى المأْوَى .	٤٨
٤٠	وأما من خاف مقام ربه . . .	٤٨
٤١	فإن الجنة هى المأوى .	٤٨
٤٢	يسألونك عن الساعة .	٤٨
٤٣	فيم أنت من ذكراها ؟	٤٨
٤٤	إلى ربك منتهاها .	٤٨
٤٥	إنما أنت منذر من يخشاها .	٤٨
٤٦	كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية . . .	٤٨

سورة عبس

١	عبس وتولى .	٥٠
٢	أن جاءه الأعمى .	٥٠
٣	وما يدريك لعله يزكى .	٥٠
٤	أو يذكر فتنفعه الذكرى .	٥٠
٥	أما من استغنى .	٥٢
٦	فأنت له تصدّى .	٥٢
٧	وما عليك ألا يزكّى .	٥٢
٨	وأما من جاءك يسعى .	٥٢
٩	وهو يخشى .	٥٢
١٠	فأنت عنه تلَهّى .	٥٢
١١	كلا إنها تذكرة .	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	فمن شاء ذكره .	٥٣
١٣	فى صحف مُكَرَّمة .	٥٣
١٤	مرفوعة مُطَهَّرة .	٥٣
١٥	بأيدى سَفَرَة .	٥٣
١٦	كِرام بَرَرَة .	٥٣
١٧	قُتِل الإنسان ما أكفره !	٥٣
١٨	من أىّ شىء خلقه ؟	٥٤
١٩	من نطفة خلقه فقدّره .	٥٤
٢٠	ثم السبيل يسره .	٥٤
٢١	ثم أماته فأقبره .	٥٤
٢٢	ثم إذا شاء أنشره .	٥٤
٢٣	كلا لما يقض ما أمره .	٥٤
٢٤	فلينظر الإنسان إلى طعامه .	٥٦
٢٥	أنا صببنا الماء صَبًّا .	٥٦
٢٦	ثم شققنا الأرض شقا .	٥٦
٢٧	فأنبتنا فيها حبا .	٥٦
٢٨	وعنبا وقضبا .	٥٦
٢٩	وزيتونا ونخلا .	٥٦
٣٠	وحدائق غلبا .	٥٦
٣١	وفاكهة وأبا .	٥٩
٣٢	متاعا لكم ولأنعامكم .	٥٩
٣٣	فإذا جاءت الصاخة .	٥٩
٣٤	يوم يفرّ المرء من أخيه .	٥٩
٣٥	وأمه وأبيه .	٥٩
٣٦	وصاحبته وبنيه .	٥٩
٣٧	لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .	٥٩
٣٨	وجوه يومئذ مُسفرة .	٥٩
٣٩	ضاحكة مستبشرة .	٥٩
٤٠	ووجوه يومئذ عليها غَبَرة .	٥٩
٤١	ترهقها قَتَرة .	٥٩
٤٢	أولئك هم الكَفَرة الفَجَرة .	٥٩

سورة إذا الشمس كورت

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	إذا الشمس كُوِّرت .	٦٣
٢	وإذا النجوم انكدرت .	٦٣
٣	وإذا الجبال سُيِّرت .	٦٣
٤	وإذا العشار عُطِّلت .	٦٣
٥	وإذا الوحوش حُشِرت .	٦٦
٦	وإذا البحار سُجِّرت .	٦٦
٧	وإذا النفوس زُوِّجت .	٦٦
٨	وإذا الموءودة سُئِلت .	٦٦
٩	بأىّ ذنب قتلت ؟	٦٦
١٠	وإذا الصحف نُشِرت .	٦٦
١١	وإذا السماء كُشِطت .	٧٣
١٢	وإذا الجحيم سُعِّرت .	٧٣
١٣	وإذا الجنة أُزلِفت .	٧٣
١٤	علمت نفس ما أحضرت .	٧٣
١٥	فلا أقسم بالخُنَّس .	٧٣
١٦	الجوار الكُنَّس .	٧٣
١٧	والليل إذا عَسعس .	٧٧
١٨	والصبح إذا تنفّس .	٧٧
١٩	إنه لقول رسول كريم .	٧٧
٢٠	ذى قوّة عند ذى العرش مكين .	٧٧
٢١	مُطاع ثمّ أمين .	٨٠
٢٢	وما صاحبكم بمجنون .	٨٠
٢٣	ولقد رآه بالأفق المبين .	٨٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	وما هو على الغيب بضنين .	٨٠
٢٥	وما هو بقول شيطان رجيم .	٨٠
٢٦	فأين تذهبون ؟	٨٠
٢٧	إن هو إلا ذكر للعالمين .	٨٤
٢٨	لمن شاء منكم أن يستقيم .	٨٤
٢٩	وما تشاءون إلا أن يشاء الله . . .	٨٤
	سورة الانفطار	
١	إذا السماء انفطرت .	٨٥
٢	وإذا الكواكب انتثرت .	٨٥
٣	وإذا البحار فُجِّرت .	٨٥
٤	وإذا القبور بُعثِرت .	٨٥
٥	علمت نفس ما قدّمت وأخرت .	٨٥
٦	يا أيها الإنسان ماغرّك بربك الكريم .	٨٦
٧	الذى خلقك فسوّاك فعدلك .	٨٦
٨	فى أىّ صورة ما شاء ركبك .	٨٦
٩	كلا بل تكذّبون بالدين .	٨٨
١٠	وإن عليكم لحافظين .	٨٨
١١	كراما كاتبين .	٨٨
١٢	يعلمون ما تفعلون .	٨٨
١٣	إن الأبرار لفى نعيم .	٨٨
١٤	وإن الفجار لفى جحيم .	٨٨
١٥	يَصْلَونها يوم الدين .	٨٨
١٦	وما هم عنها بغائبين .	٨٨
١٧	وما أدراك مايوم الدين ؟	٨٨
١٨	ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟	٨٨
١٩	يوم لاتملك نفس لنفس شيئا . . .	٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المطففين	
١	ويلٌ للمطففين .	٩٠
٢	الذين إذا اكتالوا على الناس . . .	٩٠
٣	وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ؟	٩٠
٤	ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون .	٩٠
٥	ليوم عظيم .	٩٠
٦	يوم يقوم الناس لربّ العالمين .	٩٠
٧	كلا إن كتاب الفجار لفى سجين .	٩٤
٨	وما أدراك ما سجين ؟	٩٤
٩	كتاب مرقوم .	٩٤
١٠	ويل يومئذ للمكذّبين .	٩٤
١١	الذين يكذبون بيوم الدين .	٩٤
١٢	وما يكذّب به إلا كل معتد أثيم .	٩٧
١٣	إذا تتلى عليه آياتنا . . .	٩٧
١٤	كلا بل ران على قلوبهم . . .	٩٧
١٥	كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .	١٠٠
١٦	ثم إنهم لصالوا الجحيم .	١٠٠
١٧	ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذّبون .	١٠٠
١٨	كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين .	١٠١
١٩	وما أدراك ما عليون ؟	١٠١
٢٠	كتاب مرقوم .	١٠١
٢١	يشهده المقرّبون .	١٠١
٢٢	إن الأبرار لفى نعيم .	١٠١
٢٣	على الأرائك ينظرون .	١٠٤
٢٤	تعرف فى وجوههم نَضْرة النعيم .	١٠٤
٢٥	يُسْقَون من رحيق مختوم .	١٠٤
٢٦	ختامه مسك . . .	١٠٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ومِزاجه من تسنيم .	١٠٨
٢٨	عينا يشرب بها المقرّبون .	١٠٨
٢٩	إن الذين أجرموا . . .	١٠٨
٣٠	وإذا مرّوا بهم يتغامزون .	١١٠
٣١	وإذا انقلبوا إلى أهلهم . . .	١١٠
٣٢	وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون .	١١٠
٣٣	وما أُرسلوا عليهم حافظين .	١١٠
٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون.	١١١
٣٥	على الأرائك ينظرون .	١١١
٣٦	هل ثُوّب الكفار ما كانوا يفعلون ؟	١١١

سورة إذا السماء انشقت

١	إذا السماء انشقت .	١١٢
٢	وأذِنت لربها وحُقّت .	١١٢
٣	وإذا الأرض مدّت .	١١٢
٤	وألقت ما فيها وتخلت .	١١٢
٥	وأَذِنت لربها وحُقّت .	١١٢
٦	يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك . . .	١١٥
٧	فأما من أوتى كتابه بيمينه .	١١٥
٨	فسوف يحاسب حسابا يسيرا .	١١٥
٩	وينقلب إلى أهله مَسْرُورا .	١١٥
١٠	وأما من أوتى كتابه وراء ظهره .	١١٧
١١	فسوف يدعو ثُبورا .	١١٧
١٢	ويصلَى سعيرا .	١١٧
١٣	إنه كان فى أهله مسرورا .	١١٧
١٤	إنه ظنّ أن لن يَحُور .	١١٧
١٥	بلى ، إن ربه كان به بصيرا .	١١٧
١٦	فلاأقسم بالشفَق .	١١٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٧	والليل وما وَسَق .	١١٩
١٨	والقمر إذا اتّسَق .	١١٩
١٩	لتركَبُنّ طبقا عن طبق .	١١٩
٢٠	فما لهم لايؤمنون ؟	١١٩
٢١	وإذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون .	١١٩
٢٢	بل الذين كفروا يكذّبون .	١٢٥
٢٣	والله أعلم بما يُوعُون .	١٢٥
٢٤	فبشرهم بعذاب أليم .	١٢٥
٢٥	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٢٥

سورة البروج

١	والسماء ذات البروج .	١٢٧
٢	واليوم الموعود .	١٢٧
٣	وشاهد ومشهود .	١٢٧
٤	قُتِل أصحاب الأخدود .	١٢٧
٥	النار ذات الوقود .	١٢٧
٦	إذ هم عليها قعود .	١٣٥
٧	وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .	١٣٥
٨	وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله . . .	١٣٥
٩	الذى له ملك السموات والأرض . . .	١٣٦
١٠	إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات . . .	١٣٦
١١	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٧
١٢	إنّ بطش ربك لشديد .	١٣٧
١٣	إنه هو يُبْدِئ ويُعيد .	١٣٨
١٤	وهو الغفور الودود .	١٣٨
١٥	ذو العرش المجيد .	١٣٨
١٦	فعال لما يريد .	١٣٨
١٧	هل أتاك حديث الجنود ؟	١٣٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٨	فرعون وثمود .	١٣٨
١٩	بل الذين كفروا فى تكذيب .	١٣٩
١٠	والله من ورائهم محيط .	١٣٩
٢١	بل هو قرآن مجيد .	١٣٩
٢٢	فى لوح محفوظ .	١٣٩

سورة والسماء والطارق

١	والسماء والطارق	١٤١
٢	وما أدراك ما الطارق .	١٤١
٣	النجم الثاقب .	١٤١
٤	إن كلّ نفس لما عليها حافظ .	١٤١
٥	فلينظر الإنسان مِمّ خُلق ؟	١٤١
٦	خُلق من ماء دافق .	١٤١
٧	يخرج من بين الصلب والترائب .	١٤١
٨	إنه على رجعه لقادر .	١٤١
٩	يوم تُبْلى السرائر .	١٤١
١٠	فما له من قوّة ولا ناصر .	١٤١
١١	والسماء ذات الرَّجْع .	١٤٧
١٢	والأرض ذات الصدع .	١٤٧
١٣	إنه لقول فصل .	١٤٧
١٤	وما هو بالهزل .	١٤٧
١٥	إنهم يكيدون كيدا .	١٤٧
١٦	وأكيد كيدا .	١٤٧
١٧	فمهل الكافرين أمهلهم رويدا .	١٤٧

سورة سبح اسم ربك الأعلى

١	سبح اسم ربك الأعلى .	١٥١
٢	الذى خلق فسوّى .	١٥١
٣	والذى قدّر فهدى .	١٥١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤	والذى أخرج المرعى .	١٥١
٥	فجعله غثاء أحوى .	١٥١
٦	سَنُقْرئك فلا تنسى .	١٥١
٧	إلا ما شاء الله، إنه يعلم الجهر ومايخفى.	١٥١
٨	ونُيَسِّرك لليسرى .	١٥٤
٩	فذكر إن نفعت الذكرى .	١٥٤
١٠	سيذكّر من يخشى .	١٥٤
١١	ويتجنبها الأشقى .	١٥٥
١٢	الذى يصلى النار الكبرى .	١٥٥
١٣	ثم لايموت فيها ولا يحيا .	١٥٥
١٤	قد أفلح من تزكى .	١٥٥
١٥	وذكر اسم ربه فصلى .	١٥٥
١٦	بل تؤثرون الحياة الدنيا .	١٥٥
١٧	والآخرة خير وأبقى .	١٥٥
١٨	إن هذا لفى الصحف الأولى .	١٥٥
١٩	صحف إبراهيم وموسى .	١٥٥

سورة الغاشية

١	هل أتاك حديث الغاشية .	١٥٩
٢	وجوه يومئذ خاشعة .	١٥٩
٣	عاملة ناصبة .	١٥٩
٤	تصلى نارا حامية .	١٥٩
٥	تُسْقى من عين آنية .	١٥٩
٦	ليس لهم طعام إلا من ضريع .	١٥٩
٧	لايُسْمِن ولا يُغْنى من جوع .	١٥٩
٨	وجوه يومئذ ناعمة .	١٦٢
٩	لسعيها راضية .	١٦٢
١٠	فى جنة عالية .	١٦٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	لا تَسْمع فيها لاغية .	١٦٢
١٢	فيها عين جارية .	١٦٣
١٣	فيها سرر مرفوعة .	١٦٣
١٤	وأكواب موضوعة .	١٦٣
١٥	ونمارق مصفوفة .	١٦٣
١٦	وزرابىّ مبثوثة .	١٦٣
١٧	أفلا ينظرون إلى الإبل . . .	١٦٥
١٨	وإلى السماء كيف رفعت .	١٦٥
١٩	وإلى الجبال كيف نصبت .	١٦٥
٢٠	وإلى الأرض كيف سُطِحت .	١٦٥
٢١	فذكر إنما أنت مذكر .	١٦٦
٢٢	لست عليهم بمصيطر .	١٦٦
٢٣	إلا من تولّى وكفر .	١٦٦
٢٤	فيعذبه الله العذاب الأكبر .	١٦٦
٢٥	إن إلينا إيابهم .	١٦٦
٢٦	ثم إن علينا حسابهم .	١٦٦

سورة الفجر

١	والفجر .	١٦٨
٢	وليال عَشْر .	١٦٨
٣	والشفع والوَتْر .	١٦٨
٤	والليل إذا يسر .	١٦٨
٥	هل فى ذلك قسم لذى حِجر .	١٦٨
٦	ألم تر كيف فعل ربك بعاد .	١٧٥
٧	إرَمَ ذات العماد .	١٧٥
٨	التى لم يُخْلق مثلها فى البلاد .	١٧٥
٩	وثمود الذين جابوا الصخر بالواد .	١٧٥
١٠	وفرعون ذى الأوتاد .	١٧٥
١١	الذين طغَوا فى البلاد .	١٧٥
١٢	فأكثروا فيها الفساد .	١٨٠
١٣	فصبّ عليهم ربك سَوْط عذاب .	١٨٠
١٤	إن ربك لبالمرصاد .	١٨٠
١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه . . .	١٨٠
١٦	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه . . .	١٨١
١٧	كلاّ بَلْ لاتكرمون اليتيم .	١٨٢
١٨	ولا تحاضون على طعام المسكين .	١٨٢
١٩	وتأكلون التُّراث أكْلاً لما .	١٨٢
٢٠	وتحبون المال حبا جَمّا . . .	١٨٤
٢١	كلا إذا دُكَّت الأرض دَكا دكا	١٨٤
٢٢	وجاء ربك والملك صفا صفًّا .	١٨٤
٢٣	وجىء يومئذ بجهنم . . .	١٨٤
٢٤	يقول يا ليتنى قدمت لحياتى .	١٨٨
٢٥	فيومئذ لايعذّب عذابه أحد .	١٨٨
٢٦	ولا يوثِق وَثاقه أحد .	١٨٨
٢٧	يا أيتها النفس المطمئنة .	١٨٨
٢٨	ارجعى إلى ربك راضية مَرْضية .	١٨٨
٢٩	فادخلى فى عبادى .	١٨٨
٣٠	وادخلى جنتى .	١٨٨

سورة البلد

١	لا أقسم بهذا البلد .	١٩٣
٢	وأنت حِلٌّ بهذا البلد .	١٩٣
٣	ووالدٍ وما ولد .	١٩٣
٤	لقد خلقنا الإنسان فى كَبَد .	١٩٣
٥	أيحسب أن لن يقدر عليه أحد .	١٩٣
٦	يقول أهلكت مالا لُبَدا .	١٩٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	أيحسب أن لم يَرَه أحد .	١٩٣
٨	ألم نجعل له عينين .	١٩٩
٩	ولسانا وشفتين .	١٩٩
١٠	وهديناه النَّجْدين .	١٩٩
١١	فلا اقتحم العقَبة .	١٩٩
١٢	وما أدراك ما العقبة .	١٩٩
١٣	فك رقَبة .	١٩٩
١٤	أو إطعام فى يوم ذى مَسْغبة .	١٩٩
١٥	يتيما ذا مقربة .	١٩٩
١٦	أو مسكينا ذا متربة .	١٩٩
١٧	ثم كان من الذين آمنوا . . .	٢٠٦
١٨	أولئك أصحاب الميمنة .	٢٠٦
١٩	والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب . . .	٢٠٦
٢٠	عليهم نار مؤصدة .	٢٠٦

سورة الشمس

١	والشمس وضحاها .	٢٠٧
٢	والقمر إذا تلاها .	٢٠٧
٣	والنهار إذا جلّاها .	٢٠٧
٤	والليل إذا يَغْشاها .	٢٠٧
٥	والسماء وما بناها .	٢٠٧
٦	والأرض وما طحاها .	٢٠٧
٧	ونفس وما سَوّاها .	٢٠٧
٨	فألهمها فجورَها وتقواها .	٢٠٧
٩	قد أفلح من زَكّاها .	٢١١
١٠	وقد خاب من دساها .	٢١١
١١	كذبت ثمودُ بطَغْواها .	٢١١
١٢	إذ انبعث أشقاها .	٢١١
١٣	فقال لهم رسول الله ناقةَ الله . . .	٢١١
١٤	فكذبوه فعقروها . . .	٢١١
١٥	ولا يخاف عُقْباها .	٢١١

سورة والليل إذا يغشى

١	والليل إذا يغشَى .	٢١٦
٢	والنهار إذا تجلّى .	٢١٦
٣	وما خلق الذكرَ والأنثى .	٢١٦
٤	إن سعيكم لشتّى .	٢١٦
٥	فأما من أعطى واتّقى .	٢١٦
٦	وصدق بالحُسنَى .	٢١٦
٧	فسنيسره لليُسرَى .	٢١٦
٨	وأما من بخل واستغنى .	٢١٦
٩	وكذب بالحسنى .	٢١٦
١٠	فسنيسره للعُسْرَى .	٢١٦
١١	وما يغنى عنه ماله إذا تردَّى .	٢٢٥
١٢	إن علينا للهدى .	٢٢٥
١٣	وإن لنا للآخرةَ والأولى .	٢٢٥
١٤	فأنذرتكم نارا تلظّى .	٢٢٥
١٥	لا يصلاها إلا الأشقَى .	٢٢٥
١٦	الذى كذب وتولّى .	٢٢٥
١٧	وسيجنبها الأتقى .	٢٢٥
١٨	الذى يُؤتى ماله يتزكّى .	٢٢٥
١٩	وما لأحد عنده من نعمة تُجزَى .	٢٢٧
٢٠	إلا ابتغاء وجه ربك الأعلى .	٢٢٧
٢١	ولسوف يرضى .	٢٢٧

سورة الضحى

١	والضحى .	٢٢٩
٢	والليل إذا سَجَى .	٢٢٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	ما ودَّعك ربك وما قَـلَى.	٢٢٩
٤	وللآخرة خير لك من الأولى .	٢٢٩
٥	ولسوف يعطيك ربك فترضَى .	٢٢٩
٦	ألم يجدك يتيما فآوَى .	٢٢٩
٧	ووجدك ضالّا فهدى .	٢٢٩
٨	ووجدك عائلا فأغنى .	٢٢٩
٩	فأما اليتيم فلا تقهر .	٢٣٣
١٠	وأما السائل فلا تنهر .	٢٣٣
١١	وأما بنعمة ربك فحدثْ .	٢٣٣
	سورة ألم نشرح	
١	ألم نشرح لك صدرك .	٢٣٤
١	ووضعنا عنك وِزرك .	٢٣٤
٣	الذى أنقض ظهرك .	٢٣٤
٤	ورفعنا لك ذكرك .	٢٣٤
٥	فإن مع العسر يسرا .	٢٣٤
٦	إن مع العسر يسرا .	٢٣٤
٧	فإذا فرغت فانصَب .	٢٣٤
٨	وإلى ربك فارغب .	٢٣٤
	سورة التين	
١	والتين والزيتون .	٢٣٨
٢	وطُور سينين .	٢٣٨
٣	وهذا البلد الأمين .	٢٣٨
٤	لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم .	٢٣٨
٥	ثم رددناه أسفلَ سافلين .	٢٣٨
٦	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٣٨
٧	فما يُكَذِّبك بعدُ بالدين ؟	٢٤٩
٨	أليس الله بأحكم الحاكمين ؟	٢٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة اقرأ باسم ربك	
١	اقرأ باسم ربك الذى خلق .	٢٥٠
٢	خلق الإنسان من عَلَق .	٢٥٠
٣	اقرأ وربك الأكرم .	٢٥٠
٤	الذى علم بالقلم .	٢٥٠
٥	علم الإنسان ما لم يعلم .	٢٥٠
٦	كلا إن الإنسان ليطغى .	٢٥٠
٧	أن رآه استغنى .	٢٥٠
٨	إن إلى ربك الرُّجْعَى .	٢٥٠
٩	أرأيت الذى ينهى .	٢٥٣
١٠	عبدا إذا صلى .	٢٥٣
١١	أرأيت إن كان على الهدى .	٢٥٤
١٢	أو أمر بالتقوى .	٢٥٤
١٣	أرأيت إن كذّب وتولى .	٢٥٤
١٤	ألم يعلم بأن الله يرى .	٢٥٥
١٥	كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية .	٢٥٥
١٦	ناصية كاذبة خاطئة .	٢٥٥
١٧	فليدعُ نادِيه .	٢٥٥
١٨	سندع الزَّبانية .	٢٥٥
١٩	كلاّ لا تطعْه واسجد واقترب .	٢٥٥
	سورة القدر	
١	إنا أنزلناه فى ليلة القدْر .	٢٥٨
٢	وما أدراك ما ليلة القدْر .	٢٥٨
٣	ليلة القدْر خير من ألف شهر .	٢٥٨
٤	تنزل الملائكة والروح فيها . . .	٢٥٨
٥	سلام هى حتى مَطْلَع الفجر .	٢٥٨
	سورة لم يكن	
١	لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ...	٢٦٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	رسول من الله يتلو صحفا مطهرة .	٢٦٢
٣	فيها كتب قيمة .	٢٦٢
٤	وما تفرق الذين أوتوا الكتاب	٢٦٢
٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ...	٢٦٣
٦	إن الذين كفروا من أهل الكتاب ...	٢٦٤
٧	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...	٢٦٤
	سورة إذا زلزلت	
١	إذا زلزلت الأرض زلزالها .	٢٦٥
٢	وأخرجت الأرض أثقالها .	٢٦٥
٣	وقال الإنسان مالها ؟	٢٦٥
٤	يومئذ تحدث أخبارها .	٢٦٥
٥	بأن ربك أوحى لها .	٢٦٥
٦	يومئذ يصدُر الناس أشتاتا . . .	٢٦٥
٧	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .	٢٦٥
٨٢	ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	٦٥
	سورة العاديات	
١	والعاديات ضَبْحا .	٢٧١
٢	فالمُوريات قَدْحا .	٢٧١
٣	فالمغيرات صُبْحا .	٢٧١
٤	فأثرن به نَقْعا .	٢٧١
د	فوسَطْن به جَمعا .	٢٧١
٦	إن الإنسان لربه لكَنود .	٢٧١
٧	وإنه على ذلك لشهيد .	٢٧١
٨	وإنه لحب الخير لشديد .	٢٧١
٩	أفلا يعلم إذا بُعْثر ما فى القبور .	٢٧١
١٠	وحُصِّل ما فى الصدور .	٢٧١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١	إن ربهم بهم يومئذ لخبير .	٢٧١
	سورة القارعة	
١	القارعة .	٢٨٠
٢	ما القارعة ؟	٢٨٠
٣	وما أدراك ما القارعة ؟	٢٨٠
٤	يوم يكون الناس كالفراش المبثوث .	٢٨٠
٥	وتكون الجبال كالعهن المنفوش .	٢٨٠
٦	فأما من ثقلت موازينه .	٢٨٠
٧	فهو فى عيشة راضية .	٢٨٠
٨	وأما من خفت موازينه .	٢٨
٩	فأمه هاوية .	٢٨٠
١٠	وما أدراك ما هيه ؟	٢٨٠
١١	نار حامية .	٢٨٠
	سورة الهاكم	
١	ألهاكم التكاثر .	٢٨٣
٢	حتى زرتم المقابر .	٢٨٣
٣	كلا سوف تعلمون .	٢٨٣
٤	ثم كلا سوف تعلمون .	٢٨٣
٥	كلا لو تعلمون علم اليقين .	٢٨٣
٦	لترَوُنَّ الجحيم .	٢٨٣
٧	ثم لترَوُنَّها عين اليقين .	٢٨٣
٨	ثم لتُسْأَلن يومئذ عن النعيم .	٢٨٣
	سورة العصر	
١	والعصر .	٢٨٩
٢	إن الإنسان لفى خسر .	٢٨٩
٣	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة ويل لكل همزة	
١	ويلٌ لكل هُمَزة لُمَزَة .	٢٩١
٢	الذى جمع مالا وعدَّده .	٢٩١
٣	يحسَب أن ماله أخلده .	٢٩١
٤	كلا لَيُنبذَنّ فى الحُطَمة .	٢٩١
٥	وما أدراك ما الحطمة .	٢٩١
٦	نار الله المُوقدة .	٢٩١
٧	التى تَطَّلِع على الأفئدة .	٢٩١
٨	إنها عليهم مُؤْصَدة .	٢٩١
٩	فى عَمَد ممددة .	٢٩١
	سورة الفيل	
١	ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ .	٢٩٦
٢	ألم يجعل كيدهم فى تضليل ؟	٢٩٦
٣	وأرسل عليهم طيرا أبابيل .	٢٩٦
٤	ترميهم بحجارة من سِجِّيل .	٢٩٦
٥	فجعلهم كعصْف مأكول .	٢٩٦
	سورة قريش	
١	لإيلاف قُريش .	٣٠٥
٢	إيلافهم رحلة الشتاء والصيف .	٣٠٥
٣	فليعبدوا رب هذا البيت .	٣٠٥
٤	الذى أطعمهم من جُوع ، وآمنهم . . .	٣٠٥
	سورة أرأيت	
١	أرأيت الذى يكذب بالدين ؟	٣١٠
٢	فذلك الذى يدعّ اليتيم .	٣١٠
٣	ولا يحضُّ على طعام المسكين .	٣١٠
٤	فويل للمصلين .	٣١٠
٥	الذين هم عن صلاتهم ساهون .	٣١٠
٦	الذين هم يراءون .	٣١٠
٧	ويمنعون الماعون .	٣١٠
	سورة الكوثر	
١	إنا أعطيناك الكوثر .	٣٢٠
٢	فصل لربك وانحر .	٣٢٠
٣	إن شانئك هو الأبتر .	٣٢٠
	سورة الكافرون	
١	قل يا أيها الكافرون .	٣٣٠
٢	لا أعبد ما تعبدون .	٣٣٠
٣	ولا أنتم عابدون ما أعبد .	٣٣٠
٤	ولا أنا عابد ما عبدتم .	٣٣٠
٥	ولا أنتم عابدون ما أعبد .	٣٣٠
٦	لكم دينكم ولى دين .	٣٣٠
	سورة النصر	
١	إذا جاء نصر الله والفتح .	٣٣٢
٢	ورأيت الناس يدخلون فى دين الله ...	٣٣٢
٣	فسبح بحمد ربك واستغفره . . .	٣٣٢
	سورة تبت	
١	تَبَّتْ يدا أبى لهب وتَبّ .	٣٣٦
٢	ما أغنى عنه ماله وما كسب .	٣٣٦
٣	سيصلى نارا ذات لهب .	٣٣٦
٤	وامرأته حمالةَ الحطب .	٣٣٦
٥	فى جيدها حبل من مَسَد .	٣٣٦
	سورة الإخلاص	
١	قل هو الله أحد .	٣٤٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	الله الصَّمَد .	٣٤٢
٣	لم يلد ولم يولد .	٣٤٢
٤	ولم يكن له كُفُوا أحد .	٣٤٢
	سورة الفلق	
١	قل أعوذ برب الفلقَ .	٣٤٩
٢	من شر ما خلق .	٣٤٩
٣	ومن شرّ غاسق إذا وقَبَ .	٣٤٩
٤	ومن شر النفاثات فى العُقَد .	٣٤٩
٥	ومن شرّ حاسد إذا حسد .	٣٤٩
	سورة الناس	
١	قل أعوذ برب الناس .	٣٥٤
٢	ملك الناس .	٣٥٤
٣	إله الناس .	٣٥٤
٤	من شرّ الوسواس الخناس .	٣٥٤
٥	الذى يوسوس فى صدور الناس .	٣٥٤
٦	من الجِنَّة والناس .	٣٥٤

٢ – فهرس الموضوعات

الصفحة

١ تفسير سورة النبأ ، والخبر الذى كانت قريش تتجادل فيه .

٤ المطر ينزل من السحاب بواسطة الريح .

٩ جهنم مرصاد لكل أحد يمرّ عليها .

١١ معنى الأحقاب التى يلبثها أهل النار فيها ، وأن الآية لا تقتضى انصرام العذاب .

١٥ الثواب والعقاب على قدر الأعمال .

٢٢ المراد بالرُّوح هنا ، وذكر الصواب فى ذلك .

٢٧ تفسير سورة النازعات .

٣٤ أسماء النار .

٣٩ الآية الكبرى التى أُعطيها موسى عليه السلام .

٤١ كان لفرعون كلمتان فى دَعوَى الألوهية . ما بينهما من المدة وأنه جوزى عليهما .

٤٥ الخلاف فى خلق السموات والأرض وأيهما كان قبل ؟ والجمع بين الآيات فى ذلك .

٥٠ تفسير سورة عبس . وأسباب نزول تلك الآيات .

٥٣ التنزيل مكتوب فى اللوح المحفوظ .

٥٩ ما كان يعدّه الصحابة تكلفا .

٦٣ تفسير سورة إذا الشمس كوّرت .

٦٧ كل إنسان يحشر مع شيعته :

٧٣ تأويل قوله « وإذا السماء كُشِطت » . وما للنجوم فى سيرها من الظهور والخفاء .

٨١ رؤية النبىّ جبريل عليه السلام على صورته الأصلية .

الصفحة

٨٥ تفسير سورة الانفطار .

٨٧ الإنسان حين يخلق يشبه أحد أجداده .

٩٠ تفسير سورة ويل للمطففين .

٩٢ ما يكون الناس فيه من العَرَق يوم القيامة .

٩٤ معنى سِجِّين ومقرها .

١٠١ عِلِّيون وما قيل فيه .

١٠٨ ما قيل فى التسنيم .

١١٢ تفسير سورة إذا السماء انشقت .

١١٥ الحساب اليسير بأى كيفية يكون ؟

١٢٣ ما يلقاه الناس من الشدائد يوم القيامة .

١٢٧ تفسير سورة البروج .

١٣١ أصحاب الأخدود ، وذكر طَرَف من تاريخهم .

١٤١ تفسير سورة والسماء والطارق .

١٤٣ ما قيل فى التراثب .

١٥١ تفسير سورة سبح .

١٥٥ معنى التزكى الذى جعل المتصف به مُفْلِحا .

١٥٩ تفسير سورة الغاشية .

١٦٧ ما أجمع عليه أهل التأويل لا يجوز خلافه ، وإن كان له وجه من الصحة .

١٦٨ تفسير سورة الفجر .

١٧٢ الصواب فى معنى الشفع والوتر .

١٧٦ الصواب فى معنى إرم ذات العماد .

١٨٥ نزول أهل كل سماء يوم القيامة ، وجعلهم صفوفا .

الصفحة

١٩٠ بيان النفس المطمئنة .
١٩٣ تفسير سورة البلد .
١٩٦ ما خلق عليه الإنسان من مكابدة المشاقّ .
٢٠٤ معنى اليتيم ذى المَتْربة .
٢٠٧ تفسير سورة والشمس وضحاها .
٢١١ ما ورد فى أن كل الأشياء بقضاء وقدر .
٢١٦ تفسير سورة والليل إذا يغشى .
٢٢١ ما ورد فى الحثّ على الصدقة .
٢٢٩ تفسير سورة والضحى .
٢٣١ ما قيل له صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه السورة .
٢٣٤ تفسير سورة ألم نشرح .
٢٣٨ تفسير سورة والتين .
٢٤٠ الصواب فى معنى التين والزيتون المقْسَم بهما.
٢٤٢ الإنسان خُلِق فى أحسن صورة .
٢٥٠ تفسير سورة اقرأ ، وبيان أنها أوّل ما أنزل .
٢٥٣ ما عزم أبو جهل على فعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتمكن منه .
٢٥٨ تفسير سورة القَدْر ، وما فيها من الفضائل.
٢٦٢ تفسير سورة لم يكن .
٢٦٥ تفسير سورة إذا زلزلت .
٢٦٧ ما يصيب المؤمنَ فى الدنيا فهو من مثاقيل ذرّ الشرّ .
٢٧١ تفسير سورة والعاديات .
٢٨٠ تفسير سورة القارعة .
٢٨٣ تفسير سورة ألهاكم .

الصفحة

٢٨٤ بيان أن هذه السورة نزلت فى عذاب القبر .
٢٨٩ تفسير سورة والعصر .
٢٩١ تفسير سورة ويل لكل هُمَزة .
٢٩٦ تفسير سورة الفيل .
٣٠٠ قصة أصحاب الفيل .
٣٠٥ تفسير سورة قريش .
٣٠٧ ما كانت قريش تفعله من الرحلتين.
٣١٠ تفسير سورة أرأيت .
٣١٣ الخلاف فى الماعون الذى ذمّ ما نعه .
٣٢٠ تفسير سورة الكوثر .
النهر الذى أعطيه صلى الله عليه وسلم فى الجنة .
٣٢٥ المراد بالصلاة والنحر اللذين أمر الله بهما نبيه.
٣٣٠ تفسير سورة الكافرون .
٣٣٢ تفسير سورة النصر .
٣٣٤ ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة .
٣٣٦ تفسير سورة تَبَّتْ .
٣٣٩ ما كانت تفعله امرأة أبى لهب مع النبىّ صلى الله عليه وسلم من الأذى .
٣٤٢ تفسير سورة الإخلاص .
٣٤٣ ما قالته اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غضب فنزلت هذه السورة .
٣٤٩ تفسير سورة الفلَق .
٣٥٤ بيان الحسد وأن العين حقّ .
٣٥٤ تفسير سورة الناس .
٣٥٦ بيان أن الجنّ يقال لهم ناس .

٣ - فهرس القوافى

القافية	الصفحة
ا	
شَعْوَاءُ	٣٤٤
العَذْرَاءُ	٣٤٤
باتِّقَاءِ	٩٧
ب	
الطَّالِبْ	٣٠٣
الْغَالِبْ	٣٠٣
لايَثُوبُ	٢
رَبْرَبُ	٧٧
كِذَابُهْ	٢٠
صَبًّا	٣١٤
ث	
مَشَيْتُ	٥٤
فَشَلَّتِ	٩٢
دُوْلاتِها	٥٢
لَمَّاتِها	٥٢
زَفْرَاتِها	٥٢
غُلاَّتِها	٥٢
ج	
السَّاجْ	٢٣٠
النَّسَّاجْ	٢٣٠
ح	
دَالِحُ	٣
لِلصَّبَاحِ	٨٣
داحِي	٤٦
د	
الصَّمَدْ	٣٤٧
يَرْقُدُ	٤
أَمْجَدُ	٤٦
البَرْدُ	١٢
صَمَدُ	٣٤٧
كَبَدِ	١٩٨
بالرَّفَدِ	٣٤٨
أَحَدِ	٢٢٨
بِأَوْحَدِ	٢٢٧
مُؤَيَّدِ	١٧٧
وَمَارِدِ	١٧٩
السَّوَاعِدِ	١٧٩
المُعْتَادِ	٢٧٧
الأَمْسَادِ	٣٤٢
المُتَشَدِّدِ	٢٧٩
مُخَلِّدِي	٢٠٣
ر	
كَسَرْ	٢١٢
فانْكَدَرْ	٦٥
تامِرْ	١٦٣
والنَّحْرُ	١٤٥
سُفُورُها	٦٢
قابِرِ	٥٦
النَّاشِرِ	٥٦
وشاعِرِ	٣٠٦
المُتَنَاحِرِ	٣٢٨
دارِها	٥٠
سِرارِها	٥٠
إعْسارِي	١٧٣
اسْتَثَارَا	٥٧
ساهِرَةْ	٣٦
الأَساوِرَهْ	٣٦
نادِرَهْ	٣٦
السَّاهِرَهْ	٣٦
الحافِرَهْ	٣٦
ناخِرَهْ	٣٦
ز	
اللُّمَزَهْ	٢٩١

القافية	الصفحة
س	
مَقْبَسُ	٧٩
تَنَفَّسا	
وعَسْعَسا	٧٩
القَوَانِسا	١٠
ش	
وطَيْشِ	٣٣
ص	
الدَّعامِصَا	٢٣٠
ض	
بَعْضِ	٤٥
ط	
وَاسِطا	٢٩
ع	
تَقَمَّعُ	٧٧
رُوعُ	٢٩
ودافِعُ	٧٢
وَازِعُ	٩٠
مَعِي	٩٧
تَتَبَّعا	٧٩
نَتَصَدَّعا	١٠
ف	
سَرَفْ	٢٤٨
الكَرَانِيفِ	١٠
ق	
الوَهَقْ	٢٩
أيانِقِ	٣٤١
زَاهِقِ	٣٤١
سائِقَا	١٢٠
ك	
كَذَلِكْ	٣٠٢
هُنالِكْ	٣٠٢
حَرامِكْ	٣٠٢
عِيالَكْ	٣٠٢
حِلالَكْ	٣٠٢
مَحالَكْ	٣٠٢
بِدَالَكْ	٣٠٢
فَعالَكْ	٣٠٢
سِوَاكا	٣٠٢
حِماكا	٣٠٢
عادَاكا	٣٠٢
قُرَاكا	٣٠٢
ل	
يَعِيلُ	٢٣٣
يَخْتَلِي	١٤٧
السَّلْسَلِ	١٠٥
عاقِلِ	٢٢٧
عاطِلِ	٣٤٠
التَّهْلِيلا	٣١٤
م	
تَغِيمْ	٣١٤
مُقِيمُ	٣٦
وكُلُومُ	١٠
عَمِيمُ	١٧٨
البَرَاعِيمُ	١٥٣
قُلاَّمُها	٩٦
الخِتامِ	١٠٧
المُتَخَيِّمِ	١٨٤
دَمِي	٧١
غَمَاهُما	٢٢٢
ن	
أَذِنُوا	١٢٠
غُضُونِ	١٤٥
مِيزَانُهُ	٢٨٢
أُمِيْنِي	٢٤١
عُرْيانا	٧١
وأُبَيْكِرِيْنا	١٠٣
الوَابِلِينا	١٠٣
التَّظَنِّي	٢١٢
ى	
شِفائِيَا	١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (١) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٢) ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : عن أىّ شىء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يامحمد ؟ وقيل ذلك له صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشا جعلت فيما ذُكر عنها تختصم وتتجادل، فى الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار بنبوّته ، والتصديق بما جاء به من عند الله ، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبيه : فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون ؟ و « فى » و « عن » فى هذا الموضع بمعنى واحد .

ذكر من قال ما ذكرت

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ، عن مِسعر ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن ، قال : «لما بُعِث النبىّ صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ؟عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ) يعنى : الخبر العظيم » .

قال أبو جعفر : ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الذى يتساءلونه ، فقال : يتساءلون عن النبأ العظيم : يعنى : عن الخبر العظيم .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالنبأ العظيم ، فقال بعضهم : أريد به القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال : القرآن .

وقال آخرون : عُنِى به البعث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) وهو البعث بعد الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال : النبأ العظيم : البعث بعد الموت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) قال : يوم القيامة ، قال : قالوا هذا اليوم الذى تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا ، قال : فهم فيه مختلفون ، لايؤمنون به ، فقال الله : بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ، يوم القيامة لايؤمنون به .

وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : عمّ يتحدّث به قريش فى القرآن ، ثم أجاب فصارت عمّ كأنها فى معنى : لأىّ شىء يتساءلون عن القرآن ، ثم أخبر فقال (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) بين مصدق ومكذّب ، فذلك إخلافهم ، وقوله : (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : الذى صاروا هم فيه مختلفون فريقين : فريق به مصدّق ، وفريق به مكذّب . يقول تعالى ذكره : فتساؤلهم بينهم فى النبأ الذى هذه صفته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة عن النبأ (الَّذِى هم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) البعث بعد الموت ، فصار الناس فيه فريقين : مصدّق ومكذّب ، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه ، واختلفوا فى البعث بعد الموت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) : صار الناس فيه رجلين : مصدّق ، ومكذّب ، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم ، لمعاينتهم إياه ، واختلفوا فى البعث بعد الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) قال : مصدّق ومكذّب .

وقوله (كَلَّا) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم ، وتوعدهم جلّ ثناؤه على هذا القول منهم ، فقال (سَيَعْلَمُونَ) يقول : سيعلم هؤلاء الكفار المُنكرون وعيد الله أعداءه ، ما الله فاعل بهم يوم القيامة ، ثم أكد الوعيد بتكرير آخر ، فقال :

ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم ، ولا معاقبهم على كفرهم به ، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقُوا الله ، وأفضوا إلى ما قدّموا من سيئ أعمالهم .

وذُكر عن الضحاك بن مزاحم فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ) الكفار (ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ) المؤمنون ، وكذلك كان يقرؤها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ؟ (١١)

يقول تعالى ذكره معدّدا على هؤلاء المشركين نِعَمه وأياديه عندهم ، وإحسانه إليهم ، وكفرانهم ما أنعم به عليهم ، ومتوعدهم بما أعدّ لهم عند ورودهم عليه ، من صنوف عقابه ، وأليم عذابه ، فقال لهم : (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ) لكم (مِهَادًا) تمتهدونها وتفترشونها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا) : أى بساطا (والجِبالَ أَوْتادًا) يقول : والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً) ذُكرانا وإناثا ، وطوالا وقصارا ؛ أو ذوى دَمامة وجمال ، مثل قوله (الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يعنى به : صيرناهم (وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً) يقول : وجعلنا نومكم لكم راحة ودَعة ، تهدءون به وتسكنون ، كأنكم أموات لا تشعرون ، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح ، والسبت والسبات : هو السكون ، ولذلك سمى السبت سبتا ، لأنه يوم راحة ودعة (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا الليل لكم غِشاء يتغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطى الثوب لابسه ، لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا ؛ ومنه قول الشاعر :

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ ... له مِنْ خَذا آذانِها وَهْوَ دَالِجُ[1]

يعنى بقوله « لبسن الليل » : أدخلن فى سواده فاسترن به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً) قال : سكنا .

وقوله (وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً) يقول : وجعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم ، وتتصرّفوا فيه لمصالح دنياكم ، وابتغاء فضل الله فيه ، وجعل جلّ ثناؤه النهار إذ كان سببا لتصرّف عباده لطلب المعاش فيه معاشا ، كما فى قول الشاعر :

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت فى الجزء (١١ : ١٤٦) وهو فى ديوان ذى الرمة . والرواية فيه « جانح » فى موضع « دالح » . والدالح : الذى يمشى بحمله وقد أثقله . (انظر ديوان ذى الرمة ١٠٨) .

وأخو الهموم إذا الهموم تحضرت جنح الظلام وساده لا يرقد[1]

فجعل الوساد هو الذى لايرقد ، والمعنى لصاحب الوساد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (النَّهارَ مَعاشاً) قال : يبتغون فيه من فضل الله.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤)

يقول تعالى ذكره (وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ) : وسقفنا فوقكم ، فجعل السقف بناء ، إذ كانت العرب تسمى سقوف البيت ، وهى سماؤها بناء ، وكانت السماء للأرض سقفا ، فخاطبهم بلسانهم ، إذ كان التنزيل بلسانهم ، وقال (سَبْعاً شِدَاداً) إذ كانت وثاقا محكمة الخلق ، لاصدوع فيهنّ ولا فطور ، ولا يبليهنّ مرّ الليالى والأيام .

وقوله (وَجَعَلْنا سِرَاجاً وَهَّاجاً) يقول تعالى ذكره : وجعلنا سراجا ، يعنى بالسراج : الشمس . وقوله (وَهَّاجاً) يعنى : وقادا مضيئا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلْنا سِرَاجاً وَهَّاجاً) يقول : مضيئا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وهَّاجاً) يقول : سراجا منيرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سِرَاجاً وَهَّاجاً) قال : يتلألأ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سِرَاجاً وَهَّاجاً) قال : الوهاج : المنير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (سِرَاجاً وَهَّاجاً) قال : يتلألأ ضوءه .

وقوله (وأنْزَلْنا مِنَ المُعْصِرَاتِ) اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالمعصرات ، فقال بعضهم : عُنِى بها الرياح التى تعصر فى هبوبها .

---

(١) يقال : حضره الهم ، واحتضره ، وتحضره : نزل به . يقول الشاعر : إن أخا الهموم إذا كثرت عليه الهموم وازدحمت فإن وساده لاينام ، يريد صاحب وساده ، يعنى نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) فالمعصرات : الريح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، أنه كان يقرأ (وَأَنْزَلْنا بالْمُعْصِرَاتِ) يعنى : الرياح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : الريح .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : هى فى بعض القراءات (وَأَنْزَلْنا بالْمُعْصِرَاتِ) : الرياح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : المعصرات : الرياح ، وقرأ قول الله (الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولمَّا تمطر ، كالمرأة المعصر التى قد دنا أوان حيضها ولم تحض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : المعصرات : السحاب .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) يقول : من السحاب .

قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (الْمُعْصِرَاتِ) السحاب .

وقال آخرون : بل هى السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : من السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : من السموات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) قال : من السماء .

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات ، وهى التى قد تحلبت بالماء من السحاب ماء .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن القول فى ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التى ذكرت ، والرياح لا ماء فيها ، فينزل منها ، وإنما ينزل بها ، وكان يصحّ أن تكون الرياح ، ولو كانت القراءة (وَأَنْزَلْنا بالمُعْصِرَاتِ) فلما كانت القراءة (منَ المُعْصِرَاتِ) علم أن المعنىّ بذلك ما وصفت .

فإن ظنّ ظانّ أن الباء قد تعقب فى مثل هذا الموضع من قيل ذلك ، وإن كان كذلك ، فالأغلب من معنى « من » غير ذلك ، والتأويل على الأغلب من معنى الكلام . فإن قال : فإن السماء قد يجوز أن تكون مرادا بها . قيل : إن ذلك وإن كان كذلك ، فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره .

وأما قوله (مَاءً ثَجَّاجاً) يقول : ماء منصبا يتبع بعضه بعضا ، كثجّ دماء البدن ، وذلك سفكها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (ماءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ماءً ثَجَّاجاً) ماء من السماء منصبا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ماءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : (ماءً ثَجَّاجاً) قال : الثجاج : المنصب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع : (مَاءً ثَجَّاجاً) قال : منصبا .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ماءً ثَجَّاجاً) قال : متتابعا .

وقال بعضهم : عُنِى بالثجّاج : الكثير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب (ماءً ثَجَّاجاً) قال : كثيرا ، ولا يُعرف فى كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ ، وإنما الثجّ : الصبّ المتتابع . ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أفْضَلُ الحَجِّ العَجُّ والثَّجُّ » : يعنى بالثجّ : صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها ، يقال منه : ثَجَجت دمه ، فأنا أثُجُّه ثجا ، وقد ثَجَّ الدم ، فهو يثجّ ثجوجا .

القول فى تأويل قوله تعالى

لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)

* يقول تعالى ذكره : لنخرج بالماء الذى ننزله من المعصِرات إلى الأرض حبا ، والحب كلّ ما تضمنه كمام الزرع التى تحصد ، وهى جمع حبّة ، كما الشعير جمع شعيرة ، وكما التمر جمع تمرة . وأما النبات فهو الكلأ الذى يُرْعَى ، من الحشيش والزروع .

وقوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) يقول : ولنخرج بذلك الغيث جنات وهى البساتين ، وقال : وجنات ، والمعنى : وثمر جنات ، فترك ذكر الثمر استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره . وقوله (أَلْفافاً) يعنى : ملتفة مجتمعة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : مجتمعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) يقول : وجنات التفّ بعضها ببعض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : ملتفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : التفّ بعضها إلى بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : التفّ بعضها إلى بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : ملتفة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَنَّاتٍ أَلْفافاً) قال : هى الملتفة ، بعضها فوق بعض .

واختلف أهل العربية فى واحد الألفاف ، فكان بعض نحوىّ البصرة يقول : واحدها : لَفٌّ . وقال بعض نحوىّ الكوفة : واحدها : لَفّ ولفيف ؛ قال : وإن شئت كان الألفاف جمعا ، واحده جمع أيضا ، فتقول : جنة لفّاء ، وجنات لَفّ ، ثم يجمع اللَّفّ ألفافا .

وقال آخر منهم : لم نسمع شجرة لفة ، ولكن واحدها لفاء ، وجمعها لفّ ، وجمع لفّ : ألفاف ، فهو جمع الجمع .

والصواب من القول فى ذلك أن الألفاف جمع لَفّ أو لفيف ، وذلك أن أهل التأويل مجمعون على أن معناه : ملتفة ، واللَّفاء : هى الغليظة ، وليس الالتفاف من الغلظ فى شىء ، إلا أن يوجه إلى أنه غلظ الالتفاف ، فيكون ذلك حينئذ وجها .

وقوله (إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) يقول تعالى ذكره : إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه ، فيأخذ فيه من بعضهم لبعض ، كان ميقاتا لما أنفذ الله لهؤلاء المكذّبين بالبعث ، ولضربائهم من الخلق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً) وهو يوم عظَّمه الله ، يفصل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم .

وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) تَرْجَم بيوم ينفخ ،عن يوم الفصل ، فكأنه قيل : يوم الفصل كان أجلا لما وعدنا هؤلاء القوم ، يوم ينفخ فى الصور . وقد بيَّنت معنى الصور فيما مضى قبل ، وذكرت اختلاف أهل التأويل فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، وهو قَرْن يُنْفَخ فيه عندنا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : الصُّور : قَرْن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) والصُّور : الخَلْق .

وقوله (فَتَأْتُونَ أفْوَاجاً) يقول : فيجيئون زمرا زمرا ، وجماعة جماعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ،قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أفْوَاجاً) قال : زُمَرا زُمَرا .

وإنما قيل (فَتَأْتُونَ أفْوَاجاً) لأن كلّ أمة أرسل الله إليها رسولا تأتى مع الذى أرسل إليها، كما قال : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ) .

وقوله (وَفُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أبْوَاباً) يقول تعالى ذكره : وشققت السماء فصدّعت ، فكانت طُرُقا ،وكانت من قبل شِدادا لافُطُور فيها ولا صدوع . وقيل: معنى ذلك : وفُتحت السماء فكانت قِطعا كقطع الخشب المشقَّقة لأبواب الدور والمساكن ، قالوا : ومعنى الكلام : وفُتحت السماء فكانت قِطعا كالأبواب ، فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر . كما يقال فى الكلام : كان عبد الله أسدا ، يعنى : كالأسد .

وقوله (وَسُيِّرَتِ الجِبالُ فَكانَتْ سَرَاباً) يقول: ونُسفت الجبال فاجْتُثَّت من أصولها ، فصيرت هباء منبثا ، لعين الناظر ، كالسراب الذى يظنّ من يراه من بُعد ماء ، وهو فى الحقيقة هَبَاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَئَابًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)

* يعنى تعالى ذكره بقوله : إن جهنم كانت ذات رَصْد لأهلها ، الذين كانوا يكذّبون فى الدنيا بها ، وبالمعاد إلى الله فى الآخرة ، ولغيرهم من المصدّقين بها . ومعنى الكلام : إن جهنم كانت ذات ارتقاب ، ترقب من يجتازها وترصُدهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المازنىّ ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : ألا إنّ على الباب الرَّصَد ، فمن جاء بجواز جاز ، ومن لم يجىء بجواز احتبس .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : لايدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) يُعْلِمُنا أنه لاسبيل إلى الجنة حتى يَقطَع النار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصَادًا) قال : عليها ثلاث قناطر .

وقوله (للطَّاغِينَ مآبًا) يقول تعالى ذكره : إن جهنم للذين طَغَوا فى الدنيا ، فتجاوزوا حدود الله ، استكبارا على ربهم ، كانت منزلا ومرجعا يرجعون إليه ، ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (للطَّاغِينَ مآبًا) : أى منزلا ومأوًى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران عن سفيان (مآبًا) يقول : مرجعا ومنزلا .

وقوله (لابِثِينَ فِيها أحْقابًا) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الطاغين فى الدنيا لابثون فى جهنم ، فماكثون فيها أحقابا .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لابِثِينَ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة : (لابِثِينَ) بالألف . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لَبِثِينَ) بغير ألف ، وأفصح القراءتين وأصحهما مخرجا فى العربية ، قراءة من قرأ ذلك بالألف ؛ وذلك أن العرب لاتكاد توقع الصفة إذا جاءت على فَعِل ، فتعملها فى شىء ، وتنصبه بها ، لايكادون أن يقولوا : هذا رجل بَخِل بماله ، ولاعَسِر علينا ، ولاهو خَصِم لنا ، لأن فَعِل لايأتى صفة إلا مدحا أو ذما ، فلا يعمل المدح والذمّ فى غيره ، وإذا أرادوا إعمال ذلك فى الاسم أو غيره جعلوه فاعلا ، فقالوا : هو باخل بماله ، وهو طامع فيما عندنا ، فلذلك قلت : إن (لابِثِينَ) أصحّ مخرجا فى العربية وأفصح ، ولم أُحِلّ قراءة من قرأ (لَبِثِينَ) وإن كان غيرُها أفصح ، لأن العرب ربما أعملت المدح فى الأسماء ، وقد يُنشد بيت لبيد :

أوْ مِسْحَلٌ عَمِلٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بِسَرَاتِهَا نَدَبٌ لَهُ وَكُلُومُ[١]

فأعمل عَمِلٍ فى عِضادة ، ولو كانت عاملا كانت أفصح ، ويُنشد أيضا :

وبالفأسِ ضَرَّابٌ رُءُوسَ الكَرَانِفِ[٢]

ومنه قول عباس بن مِرداس :

أكَرَّ وأحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وأضْرَبَ مِنَّا بالسُّيُوفِ القَوَانِسا[٣]

وأما الأحقاب فجمع حُقْب ، والحِقَب : جمع حِقْبة ، كما قال الشاعر :

عِشْنا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حتى قيلَ لَنْ نَتَصَدَّعا[٤]

---

(١) البيت للبيد يصف حمار وحش وأتانه (اللسان : عمل) . والمسحل : هو الحمار الوحشى ، صفة غالبة . وسحيله : أشد نهيقه (اللسان : سحل) والعمل ، بوزن نهم : وصف بمعنى عامل . والعضادة : ما يكتنف الشىء ، ويكون عونا له ، يقال : فلان عضد فلان وعضادته ومعاضده : إذا كان يعاونه ويرافقه . ويروى « أو مسحل سنق » . والسنق : البشم والتخمة . والسمحج : الأتان الطويلة الظهر . وسراتها : وسط ظهرها . والندب : جمع ندبة بالتحريك ، وهى أثر الجرح . والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح ، أى أنه دائم العض لها ، فى ظهرها منه ندوب التأمت ، وجروح لم تلتئم بعد . يقول : هو يعضدها ، مرة عن يمينها ، ومرة عن يسارها لايفارقها. (التهذيب : عمل) . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٥) وقوله : « لابثين فيها أحقابا » : حدثت عن الأعمش أنه قال : بلغنا عن علقمة أنه قرأ : « لبثين » ، وهى قراءة أصحاب عبد الله (ابن مسعود) ، والناس بعد يقرءون « لابثين » وهو أجود الوجهين ؛ لأن لابثين إذا كانت فى موضع تقع فتنصب ، كانت بالألف ، مثل الطامع والباخل عن قليل ، وهو جائز كما يقال : رجل طمع وطامع ، ولو قلت : هذا طمع فيما قبلك ، كان جائزا ، وقال لبيد « أو مسحل عمل . . . . البيت » . فأوقع (عمل) على العضادة ،ولو كانت (عامل) كان أبين فى العربية . وكذلك إذا قلت للرجل ضراب وضروب ، فلا توقعنهما على شىء ، لأنهما مدح ، فإذا احتاج إلى إيقاعهما فعل ؛ أنشدنى بعضهم « وبالفأس ضراب رءوس الكرانف » واحدها : كرنافة ، وهى أصول السعف . اهـ .

(٢) هذا عجز بيت للبيد وصدره : والكرناف والكرنافة (بضم الكاف وكسرها ، كما فى (اللسان : كرنف) : أصول الكرب التى تبقى فى جذع السعف . وما قطع من السعف فهو الكرب ، والجمع : كرانيف . وقال ابن سيده : الكرنافة والكرنوفة : أصل السعفة الغليظ ، الملتزق بجذع النخلة . وقد تقدم كلام الفراء على هذا الشاهد مع الشاهد الذى قبله . وخلاصته أن اسم الفاعل وصيغ المبالغة قد تنصب المفعول به ؛ أما ماكان على وزن فعل منها كحذر ، فإنه لايعمل فى المفعول به ، وقد جاء الشاهد السابق بعمله فى المفعول به .

(٣) البيت لعباس بن مرداس السلمى (خزانة الأدب للبغدادى ٣ : ٥١٨) وقبله :

فَلَمْ أرَ مِثْلَ الْحَىِّ حَيًّا مُصَبَّحا وَلا مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا

والشاهد فى قوله « وأضرب منا بالسيوف القوانسا » فإن القوانس منصوب مفعول به ، لا لقوله «أضرب» الذى هو أفعل تفضيل ، لأن أفعل التفضيل ضعيف فى العمل ، فإذا جاء بعده ما هو مفعول به ، فهو مفعول لفعل مقدر ، من لفظ أفعل التفضيل ، أى ونضرب بالسيوف القوانسا . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « القوانس : منصوب عندنا بفعل مضمر يدل عليه « أضرب » ، أى ضربنا أو نضرب القوانس .

(٤) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعى ، من قصيدة له فى رثاء أخيه مالك بن نويرة ، ذكرها صاحب المفضليات (طبعة السندوبى ١٢٦ – ١٣٠) وهذا بيت الشاهد مع الذى قبله ، قال :

وَعِشْنا بِخَيْرٍ فِى الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أصَابَ الْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا

وكُنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ حتى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

ندمانى جذيمة : مالك وعقيل ، وهما قصة مع جذيمة الأبرش ملك الحيرة . والبرهة : مدة من الزمان تطول وتقصر . وفى رواية المؤلف « حقبة » ، قال فى (اللسان : حقب) : الحقبة من الدهر مدة لاوقت لها ، والجمع حقب كغرفة وغرف . والحقب (كقفل) والحقب (كعنق) ثمانون سنة ، وقيل أكثر من ذلك . اهـ . والجمع : أحقاب .

فهذه جمعها حِقَب، ومن الأحقاب التى جمعها حقب[1] قول الله (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) فهذا واحد الأحقاب .

وقد اختلف أهل التأويل فى مبلغ مدة الحُقْب، فقال بعضهم : مدة ثلاث مئة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سُويد ، عن بشير ابن كعب ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا) قال : بلغنى أن الحُقْب ثلاث مئة سنة ، كلّ سنة ثلاث مئة وستون يوما ، كل يوم ألف سنة .

وقال آخرون : بل مدة الحُقْب الواحد : ثمانون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : ثنى عمار الدُّهْنىّ ، عن سالم بن أبى الجعد، قال : قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لهلال الهجَرِىّ : ما تجدون الحُقْب فى كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، عن أبى صالح، عن أبى هريرة : أنه قال : الحُقْب : ثمانون سنة ، والسنة : ستون وثلاث مئة يوم ، واليوم : ألف سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس ، قال : الحُقْب : ثمانون سنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا) قال : الحقب : ثمانون سنة ، السنة : ثلاث مئة وستون يوما ، اليوم : سنة أو ألف سنة « الطبرى يشكّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا) وهو ما لاانقطاع له ، كلما مضى حُقْب جاء حُقْب بعده . وذُكر لنا أن الحُقْب ثمانون سنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَحْقابًا) قال : بلغنا أن الحُقب ثمانون سنة من سِنِى الآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : تنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا) لايعلم عدّة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحُقْب الواحد : ثمانون سنة ، والسنة : ثلاث مئة وستون يوما ، كلّ يوم من ذلك ألف سنة .

وقال آخرون : الحُقْب الواحد : سبعون ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنى عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير ، عن سالم ، قال : سمعت الحسن يُسْأَلُ عن قول الله (لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا) قال : أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود فى النار ؛

(١) لعله : التى هى جمع حقب .

ولكن ذكروا أن الحُقْب الواحد سبعون ألف سنة ، كلّ يوم من تلك الأيام السبعين ألفا ، كألف سنة مما تَعُدّون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِيّ ، قال : ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن الحسن ، فى قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) قال : أما الأحقاب ، فلا يَدرِى أحد ما هى ، وأما الحُقْب الواحد : فسبعون ألف سنة ، كلّ يوم كألف سنة .

ورُوى عن خالد بن معدان فى هذه الآية ، أنها فى أهل القِبلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشب ، عن خالد ابن معدان فى قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) ، وقوله (إلا ما شاءَ رَبُّكَ) إنهما فى أهل التوحيد من أهل القبلة.

فإن قال قائل : فما أنت قائل فى هذا الحديث ؟ قيل : الذى قاله قتادة عن الربيع بن أنس فى ذلك أصحّ .

فإن قال : فما للكفار عند الله عذابٌ إلا أحقابا ؛ قيل : إن الربيع وقتادة قد قالا : إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع . وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : لابثين فيها أحقابا ، فى هذا النوع من العذاب ، هو أنهم (لايَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً إلاّ حَمِيماً وغَسّاقاً) فإذا انقضت تلك الأحقاب ، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال جلّ ثناؤه فى كتابه (وَإنّ للطّاغِينَ لَشَرّ مآبٍ ، جَهَنّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ المِهادُ ، هَذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وغَسّاقٌ ، وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ) وهذا القول عندى أشبه بمعنى الآية .

وقد رُوى عن مقاتل بن حيان فى ذلك ، ما حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سَلَمة ، قال : سألت أبا معاذ الخراسانىّ ، عن قول الله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) فأخبرنا عن مقاتل بن حيّان ، قال : منسوخة ، نسختها (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَاباً) ولا معنى لهذا القول ، لأن قوله (لابِثِينَ فِيها أحْقاباً) خبر ، والأخبار لايكون فيها نسخ ، وإنما النسخ يكون فى الأمر والنهى .

وقوله (لايَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً) يقول : لايَطْعَمون فيها بردا يُبَرّد حرّ السعير عنهم ، إلا الغساق ، ولا شرابا يُرْوِيهم من شدّة العطش الذى بهم ، إلا الحميم . وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد فى هذا الموضع النوم ، وأن معنى الكلام : لايذوقون فيها نوما ولا شرابا ، واستشهد لقيله ذلك بقول الكندىّ :

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَلَىّ فَصَدَّنى عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ[1]

(١) نسبه المؤلف للكندى . (وقال إن المراد بالبرد ، هو النعاس ، على ما قاله بعض العارفين بكلام العرب . وفى اللسان : برد) قال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما يحملكم على نومة الضحى ؟ قال : إنها مبردة فى الصيف ، مسخنة فى الشتاء . اهـ . وقال الأزهرى فى قوله تعالى : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » : روى عن ابن عباس قال : لايذوقون فيها برد الشراب ، ولا الشراب قال : وقال بعضهم : لا يذوقون فيها بردا ، يريد نوما ، وإن النوم ليبرد صاحبه ، وإن العطشان لينام فيبرد بالنوم » . اهـ . والقول الأخير هو قول الفراء فى (معانى القرآن ٣٥٥) .

يعنى بالبرد : النُّعاس، والنوم إن كان يُبرد غليلَ العطَش، فقيل له من أجل ذلك البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب ، دون غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (لايَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلا شَرَاباً ، إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) فاستثنى من الشراب الحميم ، ومن البَرْد : الغَسّاق .

وقوله (إلاَّ حَمِيما وغَسَّاقاً) يقول تعالى ذكره : لايذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما قد أغلى حتى انتهى حرّه ، فهو كالمُهْل يَشْوِى الوجوه ، ولا برد إلا غَسَّاقا .

واختلف أهل التأويل فى معنى الغَسَّاق ، فقال بعضهم : هو ما سال من صديد أهل جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى قالا : ثنا ابن ادريس ، عن أبيه ، عن عطية بن سعد ، فى قوله (حَمِيما وَغَسَّاقاً) قال : هو الذى يَسيل من جلودهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : زعم عكرِمة أنه حدثهم فى قوله (وَغَسَّاقاً) قال : ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا سفيان ، عن منصور عن إبراهيم وأبى رَزِين (إلاَّ حَمِيما وَغَسَّاقاً) قالا : غُسالة أهل النار لفظ ابن بشار ؛ وأما ابن المثنى فقال فى حديثه : ما يسيل من صديدهم .

وحدثنا ابن بشار مرّة أخرى عن عبد الرحمن ، فقال كما قال ابن المثنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى رَزين (وَغَسَّاقاً) قال : ما يَسِيل من صديدهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور وأبى رَزِين ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (غَسَّاقاً) كنا نحدَّث أن الغَسّاق : ما يسيل من بين جلده ولحمه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، أنه قال : بلغنى أنه مايسيل من دموعهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَغَسَّاقاً) قال : ما يسيل من صديدهم من البرد ، قال سفيان وقال غيره : الدموع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إلاَّ حَمِيما وغَسَّاقاً) قال : الحميم : دموع أعينهم فى النار ، يجتمع فى خنادق النار فيُسْقَونه ، والغساق : الصديد الذى يخرج من جلودهم ، مما تصهرهم النار فى حياض يجتمع فيها فيسقونه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) قال : الغساق : ما يقطر من جلودهم ، وما يسيل من نتنهم .

وقال آخرون : الغساق : الزمهرير .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) يقول : الزمهرير .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن المثنى ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، في قوله (إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) قال : الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً) قال : الذي لا يستطيعونه من برده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : الغساق : الذي لا يستطاع من برده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع قال : الغساق : الزمهرير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : الغساق : الزمهرير .

وقال آخرون : هو المُنْتِن ، وهو بالطَّخارية .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن المسيب بن شريك ، عن صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، قال : الغساق : بالطَّخارية : هو المنتن .

والغساق عندي : هو الفعال ، من قولهم : غَسَقَت عين فلان : إذا سالت دموعها ، وغَسَق الجرح : إذا سال صديده ، ومنه قول الله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) يعني بالغاسق : الليل إذا لَبِس الأشياء وغطاها ، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء ، هجوم السيل السائل ، فإذا كان الغسَّاق هو ما وصفت من الشيء السائل ، فالواجب أن يقال : الذي وعد الله هؤلاء القوم ، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب ، هو السائل من الزمهرير في جهنم ، الجامع مع شدّة برده النتن .

كما حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : ثنا رشدين بن سعد ، قال : ثنا عمرو بن الحارث ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَوْ أن دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ إلى الدُّنْيا ، لأَنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيا » .

حُدِّثت عن محمد بن حرب ، قال : ثنا ابن لَهِيعة ، عن أبي قبيل ، عن أبي مالك ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : « أتدرون أيّ شيء الغسَّاق ؟ قالوا : الله أعلم ، قال : هو القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب ، لأنتن أهل المشرق ، ولو تهراق بالمشرق ، لأنتن أهل المغرب » .

فإن قال قائل : فإنك قد قلت : إن الغَسَاق : هو الزمهرير ، والزمهرير : هو غاية البرد ، فكيف يكون الزمهرير سائلا ؟ قيل : إن البرد الذى لايُستطاع ولا يُطاق ، يكون فى صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره : هذا العقاب الذى عُوقِب به هؤلاء الكفار فى الآخرة ، فعلَه بهم ربهم جزاء، يعنى : ثوابا لهم على أفعالهم وأقوالهم الرديئة التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، وهو مصدر من قول القائل : وافق هذا العقاب هذا العمل وِفاقا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (جَزَاءً وِفاقاً) يقول : وافق أعمالهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَزَاءً وِفاقاً) وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (جَزَاءً وِفاقاً) قال : بحسب أعمالهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : ثواب وافَق أعمالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : عملوا شرّا ، فجزوا شرّا ، وعملوا حسنا ، فجزوا حسنا ، ثم قرأ قول الله (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأى).

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جَزَاءً وِفاقاً) قال : جزاء وافق أعمال القوم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَزَاءً وِفاقاً) قال : وافق الجزاء العمل .

وقوله (إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء الكفار كانوا فى الدنيا لايخافون محاسبة الله إياهم فى الآخرة على نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وسوء شكرهم له على ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَرْجُونَ حِساباً) قال : لايبالون فيصدّقون بالغيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُمْ كانُوا لايَرْجُونَ حِساباً) أى لايخافون حسابا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّهُمْ كانُوا لايَرْجُونَ حِسابا) قال : لايؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وكيف يرجو الحساب من لايُوقن أنه يحيا ، ولا يوقن بالبعث ، وقرأ قول الله (بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الأوَّلُونَ ، قالُوا أئِذا مِتْنا وكُنَّا تُرَاباً) ... إلى قوله (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) ، وقرأ (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) ... إلى قوله (جَدِيدٍ) فقال بعضهم لبعض : ماله (أفْتَرَى عَلى اللهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ) الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا.

وقوله (وكَذَّبُوا بآياتِنا كِذَّاباً) يقول تعالى ذكره : وكذّب هؤلاء الكفار بحُجَجِنا وأدلتنا تكذيبا . وقيل (كِذَّاباً) ، ولم يقل تكذيبا ، تصديرا على فعله .

وكان بعض نحوىّ البصرة يقول : قيل ذلك لأن فعل منه على أربعة ، فأراد أن يجعله مثل باب أفعلت ، ومصدر أفعلت إفعالا ، فقال : كذّابا ، فجعله على عدد مصدره ، قال : وعلى هذا القياس تقول : قاتل قتالا ، قال : وهو من كلام العرب . وقال بعض نحوىّ الكوفة : هذه لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذّبت به كذّابا ، وخرّقت القميص خِرّاقا ، وكلٌ فَعَّلْت ، فمصدرها فِعّال بلغتهم مشدّدة . قال : وقال لى أعرابى مرّة على المروة يستفتينى : أالحلق أحبّ إليك أم القِصّار ؟ قال : وأنشدنى بعض بنى كلاب :

لَقَدْ طالَ ما ثَبَّطْتَنِى عَنْ صَحابَتِى وَعَنْ حِوَجٍ قِضّاؤُها مِنْ شِفائِيا[1]

وأجمعت القرّاء على تشديد الذال من الكِذّاب فى هذا الموضع . وكان الكسائى خاصة يخفّف الثانية ، وذلك فى قوله (لايَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذّاباً) ويقول : هو من قولهم : كاذبته كِذّابا ومكاذبة ، ويشدّد هذه ، ويقول قوله كَذّبوا يقيد الكِذّاب بالمصدر .

وقوله (وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْناه كِتاباً) يقول تعالى ذكره : وكلّ شىء أحصيناه فكتبناه كتابا كتبنا ،

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٥) قال وقوله « وكذبوا بآياتنا كذابا » : خففها على بن أبى طالب : كذابا ، وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصرى ، وهى لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذبت به كذابا ، وخرقت القميص خراقا ، وكل فعلت (بتشديد العين) فصدره فعال فى لغتهم مشدد ، وأنشدنى بعض بنى كلاب : لقد طال ما ثبطتنى . . . . البيت » وكان الكسائى يخفف « لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا » ، لأنها ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرا ، ويشد فى « وكذبوا بآياتنا كذابا ، لأن كذبوا يقيد الكذاب بالمصدر ، والذى قال حسن ، ومعناه : « لايسمعون فيها لغوا » : يقول : باطلا ، « ولا كذابا » : لايكذب بعضهم بعضا . وفى (اللسان : قضى) وقوله – أنشده أبو زيد : « لقد طال ما لبثتنى . . . . البيت » قال ابن سيدة هو عندى من قضى (بالتشديد) ككذاب من كذب . قال : ويحتمل أن يريد : اقتضاؤها ، فيكون من باب قتال (بتشديد التاء) كما حكاه سيبويه فى اقتتال . اهـ .

عدده ومبلغه وقدره ، فلا يعزُب عنا علم شيء منه ، ونصب كتابا ، لأن فى قوله (أحْصَيْناهُ) مصدر أثبتناه وكتبناه ، كأنه قيل : وكلّ شيء كتبناه كتابا .

وقوله (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَاباً) يقول جلّ ثناؤه : يقال لهؤلاء الكفار فى جهنم إذا شربوا الحميم والغَسّاق : ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذى كنتم به فى الدنيا تكذّبون ، فلن نزيدكم إلا عذاباً على العذاب الذى أنتم فيه لاتخفيفا منه ، ولا ترفُّها .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب الأزدىّ ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لم تنزل على أهل النار آية أشدّ من هذه (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلا عَذَاباً) قال : فهم فى مزيد من العذاب أبدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذُوقُوا فلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَاباً) : ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول : مانزلت على أهل النار آية أشدّ منها (فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاّ عَذَاباً) فهم فى مزيد من الله أبدا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥)

يقول : إن للمتقين مَنجًى من النار إلى الجنة ، ومخلصا منها لهم إليها ، وظفرا بما طلبوا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) قال : فازوا بأن نَجَوا من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) : إى والله مفازا من النار إلى الجنة ، ومن عذاب الله إلى رحمته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) قال : مفازا من النار إلى الجنة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) يقول : مُنْتَزَها[1] .

وقوله (حَدَائِقَ) والحدائق : ترجمة وبيان عن المفاز ، وجاز أن يترجم بها عنه ، لأن المفاز مصدر

(١) قوله : منتزها : كذا فى الأصل ، وهى كلمة عامية ، إذ ليس فى المعاجم انتزه أى طلب النزهة فى الحدائق ونحوها . وإنما الذى فى اللغة : تنزه ، واسم المكان منه « متنزه » ، بتقديم التاء .

من قول القائل : فاز فلان بهذا الشيء : إذا طلبه فظفر به ، فكأنه قيل : إن للمتقين ظفرا بما طلبوا من حدائق وأعناب ؛ والحدائق : جمع حديقة ، وهى البساتين من النخل والأعناب والأشجار المُحَوَّط عليها الحيطان المحدقة بها ، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة ، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة ، لم يُقَل لها حديقة ، وإحداقها بها : اشتمالها عليها .

وقوله (وأعْنَاباً) يعنى : وكروم أعناب ، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم .

وقوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يقول : ونواهد فى سنّ واحدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكَوَاعِبَ) يقول : ونواهد . وقوله (أتْرَاباً) يقول : مُسْتَوِيات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يعنى : النساء المستويات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) قال : نواهد أترابا ، يقول : لسنّ واحدة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ثم وصف ما فى الجنة قال (حَدَائِقَ وأعْنَاباً وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) يعنى بذلك النساء ، أتراباً : لسنّ واحدة .

حدثنى عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الكواعب : النواهد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) قال : الكواعب : التى قد نهدت وكَعَّب ثديها ، وقال : أتراباً : مستويات ، فلانة تربة فلانة ، قال : الأتراب : اللِّدات .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) لِدات .

وقوله (وكَأْساً دِهَاقاً) يقول : وكأسا ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء ، وأصله من الدَّهْق : وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف ، وكذلك الكأس الدهاق : متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا أبو يزيد يحيى بن ميسرة ، عن مسلم بن نَسْطَاس ، قال : قال ابن عباس لغلامه : اسقنى دِهَاقاً ، قال : فجاء بها الغلام ملأى ، فقال ابن عباس : هذا الدَّهاق

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : ملأى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن جعفر ابن محمد ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن عباس يُسئل عن (كأْساً دِهاقاً) قال : دراكاً ، قال يونس ، قال ابن وهب : الذى يتْبع بعضُه بعضا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وكأْساً دِهاقاً) يقول : ممتلئا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا حميد الطويل ، عن ثابت البُنَانىّ ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : دمادم [1] .

قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : مَمْلأى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن يونس ، عن الحسن (وكأْساً دِهاقاً) قال : المَلأَى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وكأْساً دِهاقاً) قال : مَمْلأَى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : مُتْرَعة مَمْلأَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكأْساً دِهاقاً) قال : الدهاق : المَلأَى المُتْرَعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : الدهاق : الممتلئة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كأْساً دِهاقاً) قال : الدِّهاق المملوءة .

وقال آخرون : الدِّهاق : الصافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن يحيى الأزدىّ وعباس بن محمد ، قالا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنا عمر ابن عطاء ، عن عكرِمة ، فى قوله (وكأْساً دِهاقا) قال : صافية .

وقال آخرون : بل هى المتتابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جُبير فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) دهاقاً : المتتابعة .

(١) فى الدر : دمادم : لفظ فارسى ، بمعنى : متتابعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : المتتابع .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا جرير ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وكأْساً دِهاقاً) قال : الملأَى المتتابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وكأْساً دِهاقا) قال : المتتابعة .

وقوله (لايَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذّاباً) يقول تعالى ذكره : لايسمعون فى الجنة لغوا ، يعنى باطلا من القول ، ولا كذّاباً ، يقول : ولا مكاذبة ، أى لا يكذب بعضهم بعضا ، وقرأت القرّاء فى الأمصار بتشديد الذال على ما بيّنت فى قوله (وكَذّبُوا بآياتِنا كِذّاباً) سوى الكسائىّ فإنه خفّفها لما وصفت قبل ، والتشديد أحبّ إلىّ من التخفيف ، وبالتشديد القراءة ، ولا أرى قراءة ذلك بالتخفيف لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه . ومن التخفيف قول الأعشى :

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَغْواً وَلا كِذّاباً) قال : باطلا وإثماً .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لايَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَلا كِذّاباً) قال : وهى كذلك ليس فيها لغوٌ ولا كذّابٌ .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)

يعنى بقوله جلّ ثناوه (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً) أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف فى هذه الآيات ثواباً من ربك بأعمالهم ، على طاعتهم إياه فى الدنيا .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، وليس من قصيدته التى يمدح بها رجلا من كندة ، يقال له ربيعة بن حبوة (ديوانه ٢٨٥ – ٢٩١) وإنما هو كما يقول المبرد فى الكتاب الكامل (طبعة الحلبى ٥٦٤) مما أنشد المازنى للأعشى ، وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة ، وعلى هذا فهو بيت مفرد ، ولذلك لم أجده فى ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين . وموضع الشاهد فيه أن قوله « ينفعه كذابه » بتخفيف الذال يؤيد قراءة بعض القراء لقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » فيمن قرأه بتخفيف الذال . وهى قراءة أخرى غير قراءة من قرأه بتشديدها . وقد تقدم تفصيل ذلك فى الشاهد الذى قبله .

وقوله (عَطاءً) يقول : تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء ، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا فى بعض ، وفى بعض بالواحد سبع مئة ، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله .

وقوله (حِساباً) يقول : محاسبة لهم بأعمالهم لله فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) قال : عطاء منه حساباً لما عملوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً) : أى عطاء كثيرا ، فجزاهم بالعمل اليسير ، الخير الجسيم ، الذى لا انقطاع له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، فى قوله (عَطاءً حِساباً) قال : عطاء كثيرا ؛ وقال مجاهد : عطاء من الله حسابا بأعمالهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول فى قول الله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حساباً) فقرأ (إنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا ، حَدَائِقَ وأعْنَاباً ، وكَوَاعِبَ أتْرَاباً) . . . إلى (عَطاءً حساباً) قال : فهذه جزاء بأعمالهم عطاء الذى أعطاهم ، عملوا له واحدة ، فجزاهم عشرا ، وقرأ قول الله (مَنْ جاءَ بالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) ، وقرأ قول الله (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ ، فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) قال : يزيد من يشاء ، كان هذا كله عطاء ، ولم يكن أعمالا يحسبه لهم ، فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له ، قال : ولم يعملوا إنما عملوا عشرا ، فأعطاهم مئة ، وعملوا مئة ، فأعطاهم ألفا ، هذا كله عطاء ، والعمل الأوّل ، ثم حَسَّب ذلك حتى كأنهم عملوا ، فجزاهم كما جزاهم بالذى عملوا .

وقوله (رَبِّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرَّحْمَنِ) يقول جلّ ثناؤه : جزاء من ربك ربّ السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلق .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما الرَّحْمَنُ) بالرفع فى كليهما . وقرأ ذلك بعضُ أهل البصرة وبعضُ الكوفيين (رَبِّ) خفضاً (والرَّحْمَنُ) رفعاً ولكلّ ذلك عندنا وجه صحيح ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الخفض فى الربّ ، لقربه من قوله (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ) : أعجب إلىّ ، وأما (الرَّحْمَنُ) بالرفع ، فإنه أحسن ، لبعده من ذلك .

وقوله (الرَّحْمَنُ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطاباً) يقول تعالى ذكره : الرحمن لايقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة ، إلا من أذن له منهم ، وقال صواباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لا يَمْلِكونَ مِنْهُ خطاباً) قال : كلاما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يَمْلِكُونَ مِنْه خِطاباً) : أى كلاما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لا يَمْلِكُونَ مِنْه خِطابا) قال : لايملكون أن يخاطبوا الله ، والمخاطِب : المخاصم الذى يخاصم صاحبه .

وقوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) اختلف أهل العلم فى معنى الروح فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو ملك من أعظم الملائكة خَلْقاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن خلف العَسْقَلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبى حمزة ، عن الشعبىّ ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : « الرُّوح ملك فى السماء الرابعة ، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح الله كلّ يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلَكا من الملائكة ، يجىء يوم القيامة صفًّا وحده » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلائِكَةُ) قال : هو ملك أعظم الملائكة خَلْقاً .

وقال آخرون : هو جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال جبريل عليه السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الضحاك (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوح) قال : الروح : جبريل عليه السلام .

حدثنا محمد بن خَلَف العَسْقَلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبى حمزة عن الشعبىّ (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) قال : الروح جبريل عليه السلام .

وقال آخرون : خَلْق من خلق الله فى صورة بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال (الرُّوحُ) خَلْقٌ على صورة بنى آدم ، يأكلون ويشربون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن مسلم ، عن مجاهد ، قال (الرُّوح) : خلق لهم أيد وأرجل ، وأراه قال : ورءوس ، يأكلون الطعام ، ليسوا ملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، قال : يشبهون الناس ، وليسوا بالناس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن مجاهد ، قال (الرُّوحُ) : خَلْق كخلق آدم .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفًّا) قال : الروح خلق من خلق الله يُضْعِفون على الملائكة أضعافاً ، لهم أيد وأرجل .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح مولى أم هانئ (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ) قال : الروح : خلق كالناس ، وليسوا بالناس .

وقال آخرون : هم بنو آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوح) قال : هم بنو آدم ، وهو قول الحسن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ) : قال : الروح بنو آدم . وقال قتادة : هذا مما كان يكتمه ابن عباس .

وقال آخرون : قيل : ذلك أرواح بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ) قال : يعنى حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة ، فيما بين النفختين ، قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد .

وقال آخرون : هو القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يقول : الروح : القرآن ، وقرأ (وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي ما الْكِتابُ وَلا الإِيمانُ) .

❁ والصواب من القول أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقه لا يملكون منه خطابا ، يوم يقوم الرُّوح ، والرُّوح : خَلْق من خلقه . وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التى ذكرت ، والله أعلم أىّ ذلك هو ؟ ولا خبر بشىء من ذلك أنه المعنىّ به دون غيره ، يجب التسليم له ، ولا حجة تدلّ عليه ، وغير ضائر الجهل به .

وقيل : إنه يقول : سِماطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا منصور بن عبد الرحمن ، عن الشعبىّ ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا، لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) قال: هما سِماطان[1] لربّ العالمين ، يوم القيامة: سِماط من الروح ، وسِماط من الملائكة .

وقوله (لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) قيل: إنهم يُؤْذَنُ لهم فى الكلام، حين يُؤْمَرُ بأهل النار إلى النار ، وبأهل الجنة إلى الجنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عمرو ، الذى يقصّ فى طيء عن عكرمة ، وقرأ هذه الآية (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) قال : يمرّ بأناس من أهل النار على ملائكة ، فيقولون : أين تذهبون بهؤلاء ؟ فيقال : إلى النار، فيقولون : بما كَسَبَت أيديهم ، وما ظلمهم الله ، ويمرّ بأناس من أهل الجنة على ملائكة ، فيقال : أين تذهبون بهؤلاء ؟ فيقولون : إلى الجنة ، فيقولون : برحمة الله دخلتم الجنة ، قال : فيُؤْذَنُ لهم فى الكلام ، أو نحو ذلك .

وقال آخرون : (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ) بالتوحيد (وَقَالَ صَوَاباً) فى الدنيا ، فوحّد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) يقول: إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلا الله ، وهى منتهى الصواب.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَالَ صَوَاباً) قال حقا فى الدنيا، وعمل به .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَاباً) قال : لا إله إلا الله .

قال أبو حفص : فحدثت به يحيى بن سعيد ، فقال : أنا كتبته عن عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن أبى معاوية ، حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر العَدَنىّ ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابا) قال : لا إله إلا الله .

☆ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، إلا من أذن له منهم فى الكلام الرحمن ، وقال صوابا ، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا فى كتابه ، ولا على لسان رسوله، أنه عنَى بذلك نوعا من أنواع الصواب ، والظاهر محتمل جميعه.

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا (٤٠)

(١) سماطان : صفان .

يقول تعالى ذكره : (ذلكَ اليَوْمُ) يعنى : يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفا (الْحَقُّ): يقول : إنه حقّ كائن ، لاشكّ فيه .

وقوله (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مآباً) يقول : فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحقّ ، والاستعداد له ، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله (مآباً)، يعنى : مرجعا ، وهو مَفْعَل، من قولهم : آب فلان من سفره ، كما قال عَبيد :

وكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مآباً) قال : اتخذوا إلى الله مآباً بطاعته ، وما يقرّبهم إليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلى رَبِّهِ مآباً) قال : سبيلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (مآباً) يقول : مرجعاً منزلاً .

وقوله (إنَّا أنْذَرْناكُمْ عَذَاباً قَرِيباً) يقول : إنا حذّرناكم أيها الناس عذاباً قد دنا منكم وقرُب ، وذلك (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ) المؤمن (ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير اكتسبه فى الدنيا ، أو شر سَلَفَه ، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله ، ويخاف عقابه على سيئها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأو ل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن يحذَر الصغيرة ، ويخاف الكبيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان، عن محمد بن جَحَّادة ، عن الحسن (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) قال : المرء المؤمن .

وقوله (وَيَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً) يقول تعالى ذكره : ويقول الكافر يومئذ تمنيا لما يلقى من عذاب الله الذى أعدّه لأصحابه الكافرين به ، يا ليتنى كنت تراباً ، كالبهائم التى جُعِلت تُراباً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص (ديوانه طبعة الحلبى بتحقيق الدكتور حسين نصار ص ١٣) . وقد سبق الكلام عليه فى التفسير فى الجزء (١٥ : ٧١) . وفى (اللسان : أوب) : الأوب : الرجوع . آب إلى الشىء يئوب أوبا ، وإيابا ، وأوبة ، وأيبة . . والمآب : المرجع . اهـ . وهو مصدر ميمى ، وقد يكون اسما للزمان أو المكان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبي عديّ ، قالا : ثنا عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « إذا كان يوم القيامة ، مدّ الأديم ، وحشر الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدوابّ، يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فُرِغ من القصاص بين الدوابّ، قال لها : كوني تراباً ، قال : فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ؛ قال: وحدثني جعفر بن بُرْقان ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن أبي هريرة ، قال : « إن الله يحشرُ الخلق كلهم ، كل دابة وطائر وإنسان ، يقول للبهائم والطير كونوا تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا المحاربيُّ عبدُ الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدَنيّ ، عن يزيد ابن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن رجل من الأنصار ،عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ والبَهائِمِ ، وإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمّاءَ مِنَ القَرْناءِ ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى ، قالَ اللهُ كُونُوا تُرَاباً ، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ : يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً) وهو الهالك المُفْرِط العاجز ، وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَوْراتُ عمله ، وقد استقبل الرحمن وهو عليه غضبان ، فتمنى الموت يومئذ ، ولم يكن في الدنيا شيء أكرهَ عنده من الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن أبي الزِّناد عبد الله بن ذَكْوان ، قال: إذا قُضِي بين الناس ، وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولد آدم : عُودُوا تراباً ، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا تراباً ، قال الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، في قوله (وَيَقُولُ الْكافِرُ يالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً): قال : إذا قيل للبهائم : كونوا تراباً ، قال الكافر : يا ليتني كنت تراباً .

آخر تفسير سورة عمّ يتساءلون

تفسير سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)

أقسم ربنا جلّ جلاله بالنازعات ، واختلف أهل التأويل فيها ، وما هى ؟ وما تنزع ؟ فقال بعضهم : هم الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم ، والمنزوع نفوس الآدميين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ، قال : ثنا النضْر بن شُمَيل ، قال : أخبرنا شُعبة ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضُّحى ، عن مسروق ، عن عبد الله (والنَّازِعاتِ غَرْقًا) قال : الملائكة .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق : أنه كان يقول فى النازعات : هى الملائكة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يوسف بن يعقوب ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى النازعات ، قال : حين تنزع نفسه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقًا) قال : تَنْزِع الأنفس .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقًا) قال : نزعت أرواحهم ، ثم غرقت ، ثم قذف بها فى النار .

وقال آخرون : بل هو الموت يَنْزِع النفوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنَّازِعاتِ غَرْقًا) قال : الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : هى النجوم تَنْزِع من أُفق إلى أفق .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبو قُتَيبة ، قال : ثنا أبو العوّام ، أنه سمع الحسن فى (النَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النجوم .

وقال آخرون : هى القِسِيّ تَنْزِع بالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : القِسِيّ .

وقال آخرون : هى النفس حين تنزع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) قال : النفس حين تغرق فى الصدر .

* والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً ، ولم يخصُصْ نازعة دون نازعة ، فكلّ نازعة غَرْقاً ، فداخلة فى قَسَمه ، مَلَكاً كان أو موتاً ، أو نجماً ، أو قوساً ، أو غير ذلك . والمعنى : والنازعات إغراقاً ، كما يغرق النازع فى القوس .

وقوله (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) اختلف أهل التأويل أيضا فيهنّ ، وما هنّ ، وما الذى يَنْشِط ، فقال بعضهم : هم الملائكة ، تَنْشِط نفس المؤمن فتقبضها ، كما يُنْشَط العِقال من البعير إذا حُلّ عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : الملائكة .

وكان الفرّاء يقول : الذى سمعت من العرب : أن يقولوا : أنْشَطْت ، وكأنما أُنْشط من عِقال ، ورَبْطُها : نشطها ، والرابط : الناشِط ؛ قال : وإذا ربطت الحبل فى يد البعير فقد نَشَطْتَه تَنْشِطه ، وأنت ناشِط ، وإذا حللته فقد أنشطته .

وقال آخرون (النَّاشِطاتِ نَشْطاً) هو الموت يَنْشِط نفسَ الإنسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والنَّاشِطاتِ نَشْطا) قال : الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يوسف بن يعقوب ، قال : ثنا شعبة عن السدىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : حين تَنْشِط نفسَه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : نَشْطُها : حين تُنْشَط من القدمين .

وقال آخرون : هى النجوم تَنْشِط من أفق إلى أفق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : النجوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : هنّ النجوم .

وقال آخرون : هى الأوهاق [١] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والنَّاشِطاتِ نَشْطاً) قال : الأوهاق .

* والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نَشْطاً ، وهى التى تَنْشُط من موضع إلى موضع ، فتذهب إليه ، ولم يخصص الله بذلك شيئاً دون شىء ، بل عمّ القَسَم بجميع الناشطات ، والملائكة تَنْشُط من موضع إلى موضع ، وكذلك الموت ، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط ، كما قال الطِّرِمّاح :

وَهَلْ بِحَلِيفِ الخَيْلِ مِمَّنْ عَهِدْتُهُ ... بِهِ غَيْرُ أُحْدانَ النَّوَاشِطِ رُوْعُ [٢]

يعنى بالنواشط : بقر الوحش ، لأنها تنشَط من بلدة إلى بلدة ، كما قال رُؤْبة بن العجّاج :

تَنَشَّطَتْه كُلُّ مِغْلاةِ الوَهَقْ [٣]

والهموم تَنْشُط صاحبها ، كما قال هِمْيان بن قُحافة :

أمْسَتْ هُمُومى تَنْشِطُ المَناشِطَا ... الشَّامَ بى طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطَا [٤]

فكلّ ناشط فداخل فيما أقسم به ، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها ، بأن المعنىّ بالقسم من ذلك ، بعض دون بعض.

وقوله (والسَّابِحاتِ سَبْحا) يقول تعالى ذكره : واللواتى تسبحُ سَبْحا .

(١) الأوهاق : جمع وهق ، بسكون الهاء أو تحريكها ، وهى الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٢) البيت للطرماح بن حكيم (ديوانه ١١٥) قال شارحه فى تفسيره : يعنى بالنواشط بقر الوحش ، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة .

(٣) البيت لرؤبة الراجز (ديوانه ١٠٤) و (اللسان : نشط) قال : وتنشطت الناقة الأرض : قطعتها . وفاعل تنشط : هو الناقة ، والهاء راجعة إلى الخرق المذكور . قال : يقول : تناولته وأسرعت رجع يديها . والمغلاة البعيدة الخطو . والوهق : المباراة فى السير . يريد أنها ناقة سريعة السير . وجملة تنشطته خبر رب فى أول الأرجوزة : « وقاتم الأعماق » .

(٤) البيتان فى (اللسان : نشط) لهيمان بن قحافة . قال : قال الأخفش : الحمار ينشط من بلد إلى بلد ، والهموم تنشط بصاحبها وقال هيمان : « أمست همومى . . . » البيت . يقول صارت همومى تنقلنى من بلد إلى بلد ، فمرة إلى الشام ، ومرة إلى واسط بالعراق .

⁂ واختلف أهل التأويل فى التى أقسم بها جلّ ثناؤه من السابحات ، فقال بعضهم : هى الموت تسبح فى نفس ابن آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : الموت ، هكذا وجدته فى كتابى[1] .

وقد حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : الملائكة ، وهكذا وجدت هذا أيضا فى كتابى ، فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحاً ، فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سباحة ، كما يقال للفرس الجواد : إنه لسابح إذا مرّ يُسرع .

وقال آخرون : هى النجوم تَسْبح فى فلكها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : هى النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : هى السُّفُن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (والسَّابِحاتِ سَبْحاً) قال : السفن .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سَبْحاً من خلقه ، ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض ، فذلك[2] كل سابح ، لما وصفنا قبلُ فى « النازعات »[3] .

وقوله (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) اختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هى الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : الملائكة .

وقد حدثنا بهذا الحديث أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : الموت .

وقال آخرون : بل هى الخيل السابقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل بن السائب ، عن عطاء (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) . قال : الخيل

(١) كأن جابرا يرى تفسير السابحات وهى جمع ، بالموت وهو مفرد ، ليس بشىء ، ولذلك قال : هكذا وجدته فى كتابى . ولعله يريد : هكذا كتبته كما سمعته عن الشيوخ .

(٢) فذلك . . . لعل أصل العبارة : فشمل ذلك . . . الخ .

(٣) أى فى تأويل لفظ « النازعات » .

وقال آخرون : بل هى النجوم يَسبق بعضها بعضاً فى السير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالسَّابِقاتِ سَبْقاً) قال : هى النجوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

والقول عندنا فى هذه ، مثل القول فى سائر الأحرف الماضية .

وقوله (فالمُدَبِّراتِ أمْرًا) يقول : فالملائكة المدبرة ما أُمِرَت به من أمر الله ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُدَبِّراتِ أمْرًا) قال : هى الملائكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) يقول تعالى ذكره (يَوْمَ تَرْجُفُ الأرْضُ وَالجِبَالُ) للنفخة الأولى (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) تتبعها أخرى بعدها ، وهى النفخة الثانية التى رَدِفَتِ الأولى ، لبعث يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) يقول : النفخة الأولى .

وقوله (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) يقول : النفخة الثانية .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) يقول : تتبع الآخرةُ الأولى ، والراجفة : النفخةُ الأولى ، والرادفة : النفخة الآخرة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال : هما النفختان : أما الأولى فتُميت الأحياء ، وأما الثانية فتُحيى الموتى ، ثم تلا الحسن (ونُفِخَ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال : هما الصَّيْحتان ، أما الأولى فتُميت كلّ شىء بإذن الله ، وأما الأخرى فتُحيى كل شى بإذن الله ، إن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « بَيْنَهُما أرْبَعُونَ » قال أصحابه : والله ما زادنا على ذلك . وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يُبْعَثُ فِي تِلْكَ الأرْبَعِينَ مَطَرٌ يُقالُ لَهُ الحَياةُ ، حتى تَطِيبَ الأرْضُ وَتَهْتَزَّ ، وتَنْبُتَ أجْسادُ النَّاسِ نَباتَ البَقْلِ ، ثُمَّ تُنْفَخُ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المُحارِبىّ ، عن إسماعيل بن رافع المَدَنِىّ ، عن يزيد

ابن أبي زياد، عن رجل، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الصُّور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصُّور؟ قال: قَرْنٌ، قال: فكيف هو؟ قال: قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأُولى نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيامِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاء الله، ويأمر الله فيديمُها، ويطوّلها، ولا يَفْتُر، وهي التي تقول: ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فَوَاق، فيسير الله الجبال، فتكون سَراباً، وتُرَجّ الأرض بأهلها رجّاً، وهي التي يقول (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ)».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطُّفيل بن أبيّ، عن أبيه، قال: «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) فقال: جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى، (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ): النفخة الأخرى.

وقال آخرون في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة. وقوله (الرَّادِفَةُ) قال: هو قوله (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ ـ فدُكتا دَكةً واحدة).

وقال آخرون: ترجف الأرض، والرادفة: الساعة.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) الأرض، وفي قوله (تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ) قال: الرادفة: الساعة.

واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً) فقال بعضُ نحويّي البصرة: قوله (والنَّازِعاتِ غَرْقاً): قسم والله أعلم على (إنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى) وإن شئت جعلتها على (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا، وفي كلّ الأمور. وقال بعض نحويّي الكُوفة: جواب القسم في النازعات: ماتُرِك، لمعرفة السامعين بالمعنى، كأنه لو ظهر كان لَتُبْعَثُنَّ ولتحاسبنّ قال: ويدل على ذلك (أئِذَا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً) ألا ترى أنه كالجواب لقوله (لَتُبْعَثُنَّ) إذ قال (أئِذَا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً)، وقال آخر منهم نحو هذا، غير أنه قال: لايجوز حذف اللام في جواب اليمين، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها، وذلك أنها تلي كلّ كلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جواب القسم في هذا الموضع، مما استغنى عنه بدلالة الكلام، فتُرك ذكره.

وقوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول تعالى ذكره : قلوب خلق من خلقه يومئذ ، خائفة من عظيم الهول النازل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول : خائفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : واجفة : خائفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى « واجفة » ، قال : خائفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) يقول : خائفة ، وجفت مما عاينت يومئذ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) قال : الواجفة : الخائفة .

وقوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) يقول : أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم ، من عظيم هول ذلك اليوم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) قال : خاشعة للذل الذى قد نزل بها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) يقول : ذليلة .

القول فى تأويل قول تعالى

يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المكذبون بالبعث من مشركى قريش إذا قيل لهم : إنكم مبعوثون من بعد الموت : أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات ، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا ، وقبل مماتنا ، وهو من قولهم : رجع فلان على حافرته : إذا رجع من حيث جاء ؛ ومنه قول الشاعر :

أحافِرَةً عَلَى صَلَعٍ وشَيْبٍ مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وطَيْشِ [1]

(١) البيت فى (اللسان : حفر) ولم ينسبه . والرواية فيه وفى تفسير الشوكانى (٥ : ٣٦٣) « من سفه وعار » قال فى اللسان : يقال : رجع على حافرته : أى الطريق الذى جاء منه . والحافرة : الخلقة الأولى ، وفى التنزيل : « أئنا لمردودون فى الحافرة » : أى فى أول أمرنا . وأنشد ابن الأعرابى : « أحافرة ... البيت » . يقول : أترجع إلى ما كنت عليه فى شبابى وأمرى الأول ، من الغزل والصبا ، بعد ما شبت وصلعت . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : أئنا لمردودون فى الحافرة : من حيث كنا ، يقال : رجع فلان فى حافرته : من حيث جاء ، وعلى حافرته : من حيث كان . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الْحافِرَةُ) : يقول : الحياة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ) يقول : أئنا لنحيا بعد موتنا ، ونُبعث من مكاننا هذا ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة يقول (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ) : « أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيدا » ؟

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى الْحافِرَةِ) قال : أى مردودون خلقا جديدا .

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس أو محمد بن كعب القُرَظىّ (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ) قال : فى الحياة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحافِرَةِ) قال : فى الحياة .

وقال آخرون : الحافرة : الأرض المحفورة التى حُفرت فيها قبورهم ، فجعلوا ذلك نظير قوله (مِنْ ماءٍ دافِقٍ) يعنى مدفوق ، وقالوا : الحافرة بمعنى المحفورة ، ومعنى الكلام عندهم : أئنا لمردودون فى قبورنا أمواتا ؟

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْحافِرَةِ) قال : الأرض ، نُبعث خلقا جديدا ، قال : البعث .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَئِنَّا لَمَرْدُودونَ فِى الْحافِرَةِ) قال : الأرض ، نُبعث خلقا جديدا .

وقال آخرون : الحافرة : النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت ابن زيد يقول فى قول الله : (أَئِنَّا لَمَرْدُودونَ فِى الْحافِرَةِ) : قال : الحافرة : النار ، وقرأ قول الله (تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) قال : ما أكثر أسماءها ، هى النار ، وهى الجحيم ، وهى سَقَرُ ، وهى جَهَنَّم ، وهى الهاوية ، وهى الحافرة ، وهى لَظَى ، وهى الحُطَمة .

وقوله (أَئِذا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والحجاز والبصرة (نَخِرَةً) بمعنى : بالية . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (ناخِرَةً) بألف ، بمعنى : أنها مجوّفة ، تنخر

الرياح فى جوفها إذا مرّت بها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : الناخرة والنّخرة : سواء فى المعنى ، بمنزلة الطامع والطمع ، والباخل والبَخِل ، وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا (نَخِرَةٌ) ، بغير ألف ، بمعنى : بالية ، غير أن رءوس الآى قبلها وبعدها جاءت بالألف ، فأعْجَبُ إلىّ لذلك أن تُلْحَق ناخرة بها ، ليتفق هو وسائر رءوس الآيات ، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إلىّ حذف الألف منها .

ذكر من قال (نَخِرَةٌ) : بالية

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أئِذَا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً) فالنخرة : الفانية البالية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (عِظاما نَخِرَةً) قال : مَرْفوتة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئِذَا كُنَّا عِظاما) : تكذيبا بالبعث ، ناخرة : بالية . قالوا (تِلكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) يقول جلّ ثناؤه عن قيل هؤلاء المكذّبين بالبعث ، قالوا : تلك يعنون تلك الرجعة ، أحياء بعد الممات ، إذًا : يعنون الآن كرّة ، يعنون رَجْعة خاسرة ، يعنون غابنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) : أى رَجْعة خاسرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تِلكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) . قال : وأىّ كرّة أخسر منها ، أحيوا ثم صاروا إلى النار ، فكانت كرّة سوء .

وقوله (فإنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) يقول تعالى ذكره : فإنما هى صَيْحة واحدة ، ونفخة تُنفَخ فى الصُّور ، وذلك هو الزَّجْرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : صيحة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ) قال : الزَّجرة : النفخة فى الصور .

وقوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يقول تعالى ذكره : فإذا هؤلاء المكذّبون بالبعث ، المتعجبون من إحياء الله إياهم من بعد مماتهم ، تكذيبا منهم بذلك ، بالساهرة ، يعنى بظهر الأرض . والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض : ساهرة ، وأراهم سموا ذلك بها ، لأن فيه نوم الحيوان وسَهَرها ، فوصف بصفة مافيه ؛ ومنه قول أُميَّة بن أبى الصَّلْت :

وفيها لَحْمٌ ساهِرَةٍ وَبَحْر وَما فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ[1]

ومنه قول أخى نهم يوم ذى قار لفرسه :

أَقْدِمْ « مِحاجُ » إنها الأساوِرَهْ وَلا يَهُولَنَّكَ رِجْلٌ نادِرَه

فإنَّما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَهْ ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها فِى الْحافِرَهْ

مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ عِظاما ناخِرَهْ[2]

☆ واختلف أهل التأويل فى معناها ، فقال بعضهم مثل الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : على الأرض ، قال : فذكر شعرا قاله أُمية بن أبى الصلت ، فقال :

عِنْدَنا صَيْدُ بَحْرٍ وَصَيْدُ ساهِرَةٍ[3]

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن عكرِمة ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : الساهرة : الأرض ، أما سمعت : لهم صيد بحر ، وصيد ساهرة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يعنى : الأرض .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرِمة ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : فإذا هم على وجه الأرض ، قال : أو لم تسمعوا ما قال أُمية بن أبى الصلت لهم :

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت (ديوانه : ٥٢ واللسان : سهر) وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٤) قال : « الساهرة » : الفلاة ، ووجه الأرض . قال أمية بن أبى الصلت : « وفيها لحم ساهرة . . . البيت » : وفاهوا : تكلموا . وقال الفراء فى معانى القرآن (٤٥٦) : وقوله « فإذا هم بالساهرة » : وهو وجه الأرض كأنها سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان : نومهم وسهرهم . وبإسناده إلى ابن عباس ، أنه قال : الساهرة الأرض . وأنشد : « ففيها لحم ساهرة . . . البيت » . اهـ . ويصف الجنة بأنهم يطعمون فيها لحما من الصيد ولحم البحر ، وكل ما فاهت به أفواههم من شىء ، وجدوه حاضرا لديهم .

(٢) هذه خمسة أبيات من مشطور الرجز ، نسبها صاحب (اللسان : نخر) إلى الهمدانى . قال ابن برى : وقال الهمدانى يوم القادسية ، ورواية البيتين الأولين مختلفة شيئا ، وهى :

أَقْدِمْ أخا نَهْمٍ عَلَى الأساوِرَهْ وَلا يَهُولَنَّكَ رُءُوسٌ نادِرَهْ

وبعدها بقية الأبيات ، كرواية المؤلف . ومحاج فى رواية المؤلف بفتح الميم وكسرها : اسم فرس ، وأما على رواية ابن برى ، فإنه يخاطب رجلا . والأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها ؛ قيل كما فى تاج العروس : هو قائد الفرس ، بمنزلة الأمير فى العرب . وقيل : هو الملك الأكبر . وقيل : هو الجيد الرمى بالسهام . وقيل : هو الثابت على ظهر الفرس . والنادرة : التى ندرت عن الجمد وفارقته . وقصرك : نهاية أمرك وغايته ، والساهرة : الأرض أو الفلاة ، كما تقدم ذكره . والحافرة : الأولى قبل الموت . والناخرة بمعنى النخرة ، وهى البالية . وفى (اللسان : نخر) فى قوله تعالى : « أئذا كنا عظاما نخرة » : وقرئ : ناخرة ، قال : وناظرة أجود الوجهين ، لأن الآيات بالألف ؛ ألا ترى أن ناخرة مع الحافرة والساهرة ، أشبه بمجىء التأويل . قال : والناخرة والنخرة : سواء فى المعنى ، بمنزلة الطامع والطمع . قال ابن برى : قال الهمدانى يوم القادسية : « أقدم أخانهم . . . الأبيات الخمسة » . اهـ .

(٣) هذا كلام غير موزون ، وبيت أمية بن أبى الصلت تقدم قريبا ، ونعيده هنا كما وجدناه فى ديوانه : ٥٢ .

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وَبَحْرٍ وما فاهُوا بِهِ أبَدا مُقِيم

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرِ

حدثنا عمارة بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرةِ) قال : فإذا هم على وجه الأرض ، قال أمية :

وفيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرِ

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) فإذا هم على وجه الأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بالسَّاهِرَةِ) قال : المكان المستوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما تباعد البعث فى أعين القوم ، قال الله (فإنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) يقول : فإذا هم بأعلى الأرض ، بعد ما كانوا فى جوفها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بالسَّاهِرَةِ) قال : فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض ، والأرض : الساهرة ، قال : فإذا هم يخرجون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرمة وأبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبير (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : بالأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين ، عن عكرمة ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) : وجه الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرةِ) قال : الساهرة : ظهر الأرض فوق ظهرها .

وقال آخرون : الساهرة : اسم مكان من الأرض بعينه معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنى الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبى العاتكة ، قوله (فإنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : بالصُّقْع الذى بين جبل حَسَّان ، وجبل أريحاء ، يمدّه الله كيف يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : أرض بالشام .

وقال آخرون : هو جبل بعينه معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد ، قال : أخبرنا أبوسنان ، عن وهب ابن منبه ، قال فى قول الله (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : الساهرة : جبل إلى جنب بيت المقدس .

وقال آخرون : هى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن مروان العقيلى ، قال : ثنى سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة (فإذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ) قال : فى جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٩) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران ، وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدّس ، يعنى بالمقدّس : المطهَّر المبارك . وقد ذكرنا أقوال أهل العلم فى ذلك فيما مضى ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وكذلك بيّنا معنى قوله (طُوًى) وما قال فيه أهل التأويل ، غير أنا نذكر بعض ذلك هاهنا .

وقد اختلف أهل التأويل فى قوله (طُوًى) فقال بعضهم : هو اسم الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طُوًى) اسم الوادى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّكَ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : اسم المقدّس طُوًى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذْ نادَاهُ رَبُّهُ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) كنا نحدّث أنه قدّس مرّتين ، واسم الوادى طُوًى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : طَىُّ الأرض حافيا .

ذكر بعض من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (إنَّكَ بالْوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : طَىُّ الأرض بقدميك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الوادى قدّس طُوًى : أى مرّتين ، وقد بيّنا ذلك كله ووجوهه فيما

مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقرأ ذلك الحسن بكسر الطاء ، وقال : بُشَّتْ فيه البركة والتقديس مرّتين . حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (طُوًى) بالضمّ ولم يجرّوه ، وقرأ ذلك بعض أهل الشأم والكوفة (طُوًى) بضمّ الطاء والتنوين .

وقوله (اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى) يقول تعالى ذكره : نادى موسى ربَّه : أن اذهب إلى فرعون ، فحذفت « أن » ، إذ كان النداء قولا ، فكأنه قيل لموسى قال ربه : اذهب إلى فرعون . وقوله (إنَّهُ طَغَى) يقول : عتا وتجاوز حدّه فى العدوان ، والتكبر على ربه .

وقوله (فَقُلْ هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى) يقول : فقل له : هل لك إلى أن تتطهّر من دنس الكفر ، وتؤمن بربك ؟

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى) قال : إلى أن تسلم . قال : والتزكى فى القرآن كله : الإسلام ، وقرأ قول الله (وَذَلكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) قال : من أسلم ، وقرأ (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) قال : يسلم ، وقرأ (وَمَا عَلَيْكَ ألاَّ يَزَّكَّى) أن لا يسلم .

حدثنى سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عُمَرَ العَدَنِىّ ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قول موسى لفرعون (هَلْ لَكَ إلى أنْ تَزَكَّى) هل لك إلى أن تقول لا إله إلا الله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَزَكَّى) فقرأته عامة قرّاء المدينة (تزَّكَّى) بتشديد الزاى ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة (إلى أنْ تَزَكَّى) بتخفيف الزاى . وكان أبو عمرو يقول ، فيما ذُكر عنه : (تَزَّكَّى) بتشديد الزاى ، بمعنى : تتصدّق بالزكاة ، فتقول : تزكى ، ثم تدغم ، وموسى لم يدع فرعون إلى أن يتصدّق وهو كافر ، إنما دعاه إلى الإسلام ، فقال : تزكى : أى تكون زاكيا مؤمنا ، والتخفيف فى الزاى هو أفصح القراءتين فى العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى : قل لفرعون : هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضى ربك عنك ، وذلك الدين القيم فتخشى : يقول : فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه ، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه .

وقوله (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : فأرى موسى فرعونَ الآية الكبرى ، يعنى الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه ، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين ، وعصاه إذ تحوّلت ثعبانا مبينا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، عن محمد بن سيف أبى رجاء هكذا هو فى كتابى ، وأظنه عن نوح بن قيس ، عن محمد بن سيف ، قال : سمعت الحسن يقول فى هذه الآية (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : يده وعصاه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : عصاه ويده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : رأى يد موسى وعصاه ، وهما آيتان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الآيَةَ الكُبْرَى) قال : عصاه ويده.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى) قال : العصا والحية .

وقوله (فَكَذَّبَ وَعَصَى) يقول : فكذّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة ، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه ، وخشيته إياه .

وقوله (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) يقول : ثم ولى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه ، وخشيته وتوحيده يسعى : يقول : يعمل فى معصية الله ، وفيما يُسخطه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى) قال : يعمل بالفساد .

وقوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) يقول : فجمع قومه وأتباعه ، فنادى فيهم (فَقَالَ) لهم (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) الذى كلُّ ربّ دونى ، وكَذَبَ الأحمقُ .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) قال : صرخ وحشر قومه ، فنادى فيهم ، فلما اجتمعوا قال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نَكَالَ الآخرةِ والأولى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله (فأخَذَهُ اللهُ) فعاقبه الله (نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) يقول : عُقوبة الآخرة من كلمتيه ، وهى قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، والأولى قوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر ، وسُئل عن هذا ، فقال : كان بينهما أربعون سنة ، بين قوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وقوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، قال : هما كلمتاه ، (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قيل له : من ذَكَرَه ؟ قال : أبو حُصَين ، فقيل له : عن أبى الضُّحَى ، عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : أما الأولى فحين قال : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إلَهٍ غَيْرِى) ، وأما الآخرة فحين قال : (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضّاح ، عن عبد الكريم الجَزَرِىّ ، عن مجاهد ، فى قوله (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : هو قوله : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وقوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، وكان بينهما أربعون سنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عَوانة ، عن إسماعيل الأسدىّ ، عن الشعبىّ ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن زكريا ، عن عامر (نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : هما كلمتاه : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى — وأنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) : فذلك قوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، والآخرة فى قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَوْرٍ ، عن معمر ، قال : أخبرنى من سمع مجاهدا يقول : كان بين قول فرعون (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وبين قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) أربعون سنة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله

(نَكالَ الآخِرَةِ والأولى) أما الأولى فحين قال فرعون : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وأما الآخرة فحين قال : (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما ، فأغرقه فى اليم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : اختلفوا فيها ، فمنهم من قال : نكال الآخرة من كلمتيه ، والأولى قوله : (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) ، وقوله : (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

وقال آخرون : عذاب الدنيا ، وعذاب الآخرة ، عجّل الله له الغرق ، مع ما أعدّ له من العذاب فى الآخرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن خيثمة الجُعْفىّ ، قال : كان بين كلمتى فرعون أربعون سنة ، قوله (أنا رَبكُمُ الأعْلَى) ، وقوله (ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرِى) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ثُوير ، عن مجاهد ، قال : مكث فرعون فى قومه بعد ما قال (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) أربعين سنة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : فأخذه الله نكال الدنيا والآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذَة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : الدنيا والآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : عقوبة الدنيا والآخرة ، وهو قول قتادة .

وقال آخرون : الأولى عصيانه ربه وكفره به ، والآخرة قوله (أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن سميع ، عن أبى رَزِين (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : الأولى تكذيبه وعصيانه ، والآخرة قوله (أنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، ثم قرأ (فَكَذَّبَ وعَصَى ، ثُمَّ أدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أنا رَبُّكُمُ الأعْلَى) ، فهى الكلمة الآخرة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أنه أخذه بأوّل عمله وآخره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : أوّل عمله وآخره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : أول أعماله وآخرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ : (أَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : نكال الآخرة من المعصية والأولى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولى) قال : عمله للآخرة والأولى .

وقوله (إنَّ فِى ذلكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) يقول تعالى ذكره : إن فى العقوبة التى عاقب الله بها فرعون فى عاجل الدنيا ، وفى أخذه إياه ، نكالَ الآخرة والأولى : عظة ومعتبرا لمن يخاف الله ، ويخشى عقابه ، وأخرج نكالَ الآخرة مصدرا من قوله (فأَخَذَهُ اللهُ) لأن قوله (فأَخَذَهُ اللهُ) نكَّل به ، فجعل (نَكالَ الآخِرَةِ) مصدرا من معناه ، لامن لفظه .

وقوله (أأَنْتُمْ أشَدُّ خَلْقًا أمِ السَّمَاءُ بَنَاها) يقول تعالى ذكره للمكذّبين بالبعث من قريش ، القائلين (أئِذَا كُنَّا عِظاما نَخِرَةً ، قالُوا تِلكَ إذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ) : أأنتم أيها الناس أشدّ خلقا ، أم السماء بناها ربكم ؟ فإن من بنى السماء فرفعها سقفا ، هَيَّن عليه خلقكم وخلق أمثالكم ، وإحياؤكم بعد مماتكم ، وليس خلقكم بعد مماتكم بأشدّ من خلق السماء . وعُنِى بقوله (بَناها) : رَفَعها ، فجعلها للأرض سقفا .

وقوله (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) يقول تعالى ذكره : فسوّى السماء ، فلا شىء أرفع من شىء ، ولا شىء أخفض من شىء ، ولكن جميعها مستوى الارتفاع والامتداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) يقول : رفع بناءها فسوّاها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) قال : رفع بناءها بغير عمد .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَفَعَ سَمْكَها) يقول : بُنيانها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)

وقوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) يقول تعالى ذكره : وأظلم ليل السماء ، فأضاف الليل إلى السماء ، لأن الليل

غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها ، فأضيف إليها لمّا كان فيها ، كما قيل نحوم الليل ، إذ كان فيه الطلوع والغروب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) يقول : أظلم ليلها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأغْطَشَ لَيْلَها) يقول : أظلم ليلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) قال : أظلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) قال : أظلم ليلُها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأغْطَشَ لَيْلَها) قال : أظلم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) قال : الظُّلمة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأغْطَشَ لَيْلَها) يقول : أظلم ليلُها .

حدثنا محمد بن سِنانٍ القزّاز ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم عن عكرِمة (وأغْطَشَ لَيْلَها) قال : أظلم ليلها .

وقوله (وأخْرَجَ ضُحاها) يقول : وأخرج ضياءها ، يعنى : أبرز نهارها فأظهره ، ونوّر ضحاها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأخْرَجَ ضُحاها) نوّرها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) يقول : نوّر ضياءها .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) قال : نهارَها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأخْرَجَ ضُحاها) قال : ضوء النهار .

وقوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (بَعْدَ ذلكَ) فقال بعضهم : دُحِيت الأرض من بعد خلق السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها ، أخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها ، والجِبالَ أرْساها) يعنى : أن الله خلق السموات والأرض ، فلما فرغ من السموات قبل أن يخلق أقوات الأرض فيها ، بعد خلق السماء ، وأرسى الجبال ، يعنى بذلك دَحْوها الأقوات ، ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) ألم تسمع أنه قال (أخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفى عام ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفى سنة ، ومنه دُحيت الأرض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والأرض مع ذلك دحاها ، وقالوا : الأرض خُلِقت ودُحيت قبل السماء ، وذلك أن الله قال : (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الأرْضِ جَمِيعا ، ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ) قالوا : فأخبر الله أنه سَوَّى السموات بعد أن خلق ما فى الأرض جميعا ، قالوا فإذا كان ذلك كذلك ، فلا وجه لقوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) إلا ما ذكرنا ، من أنه مع ذلك دحاها ، قالوا : وذلك كقول الله عزّ وجلّ : (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلكَ زَنِيمٍ) بمعنى : مع ذلك زنيم ، وكما يقال للرجل : أنت أحمق ، وأنت بعد هذا لئيم الحسب ، بمعنى : مع هذا ، وكما قال جلّ ثناؤه (وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) : أى من قبل الذكر ، واستشهد بقول الهُذَلىّ :

حَمِدْتُ إلَهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجا خِراشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ [1]

وزعموا أن خراشا نجا قبل عُرْوة .

---

(١) البيت لأبى خراش الهذلى (شرح التبريزى على الحماسة ٢ : ٤٣) من قصيدة له قالها فى أخيه عروة وابنه خراش بن ابى خراش ، وكان قوم من العرب أسروهما ، فقتلوا عروة ، ونجا خراش . وقد ذهب المؤلف إلى أن (بعد) فى البيت بمعنى (مع) وكان الشاعر يقول : حمدت إلهى على نجاة خراش ، مع ما أصيبت به من قتل عروة أخى . وانظر (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

حدثنى ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، أنه قال (والأرْضَ عِنْدَ ذلكَ دَحاها) .

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا علىّ بن معبد ، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خصيف ، عن مجاهد (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

حدثنى محمد بن خلف العَسْقلانىّ ، قال : ثنا روّاد بن الجرّاح ، عن أبى حمزة ، عن السدىّ ، فى قوله (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) قال : مع ذلك دحاها .

* والقول الذى ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض ، وقدّر فيها أقواتها ، ولم يَدْحُها ، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها ومرعاها ، وأرسى جبالها ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، لأنه جلّ ثناؤه قال : (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) ، والمعروف من معنى « بَعْدَ » أنه خلاف معنى « قَبْل » ، وليس فى دحوّ الله الأرض بعد تسويته السموات السبع ، وإغطاشه ليلها ، وإخراجه ضحاها ، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحوّ إنما هو البسط فى كلام العرب ، والمدّ يقال منه : دحا يدحو دَحْوا ، ودَحَيْتُ أَدْحِى دَحْيا لغتان ؛ ومنه قول أُميّة بن أبى الصلت :

دَارٌ دَحاها ثُمَّ أعْمَرَنا بِها وأقامَ بالأخْرَى التى هىَ أمْجَدُ[1]

وقول أوس بن حجر فى نعت غيث :

يَنْفِى الحصَى عن جديد الأرْضِ مُبْتَرِكٌ كأنَّه فاحِصٌ أو لاعبٌ داحِى[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والأرْضَ بَعْدَ ذلكَ دَحاها) : أى بسطها .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا رَوّاد ، عن أبى حمزة ، عن السدىّ (دَحاها) قال : بسطها .

---

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت (ديوانه ٦٣ عن تفسير الطبرى) وفى (اللسان : دحا) الدحو : البسط . دحا الأرض يدحوها دحوا : بسطها . ودحيت الشىء أدحاه : بسطته ، لغة فى دحوته ، حكاها اللحيانى . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٤) دحاها : بسطها . تقول : دحوت ودحيت . اهـ .

(٢) البيت فى (اللسان : دحا) وفى الشطر الأول منه : « ينزع جلد الحصى أجش مبترك » . وهو فى وصف غيث . يقال : دحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا : نزعه ، والمطر الداحى : الذى ينزع الحصى عن وجه الأرض ، والأجش : الذى فى صوته خشونة . والمبترك : المعتمد على الشىء ، الملح عليه . والفاحص : الذى يفحص الأرض وينبشها ويحتفرها . والداحى : الذى يلعب بالمداحى ، وهى أحجار أمثال القرصة ، كانوا يحفرون حفرة ، ويدحون فيها تلك الأحجار ، فإن وقع الحجر فيها غلب صاحبها ، وإن لم يقع غلب . والدحو : هو رمى اللاعب بالحجر والجوز وغيره ، وتسمى الحفرة أدحية - والبيت شاهد كالذى قبله . وهو متنازع فى نسبته بين أوس وعبيد بن الأبرص . وهو فى ديوان أوس ص ٣ وفى ديوان عبيد ٣٥ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان : دحاها : بسطها .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَحاها) قال : حرثها شقّها وقال : (أخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها) ، وقرأ (ثُمَّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقًّا) . . . حتى بلغ (وَفاكِهَةً وأبًّا) ، وقال حين شقّها أنبتَ هذا منها ، وقرأ (والأرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ) .

وقوله (أخْرَجَ مِنْها ماءَها) يقول : فجّر فيها الأنهار . (ومَرْعاها) يقول : أنبت نباتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (ومَرْعاها) ما خلق الله فيها من النبات ، وماءَها : ما فجّر فيها من الأنهار .

وقوله (والجِبالَ أرْساها) يقول : والجبال أثبتها فيها ، وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فيها ، وذلك أن معنى الكلام : والجبال أرساها فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والجِبالَ أرْساها) : أى أثبتها لا تميد بأهلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، عن علىّ قال : « لما خلق الله الأرض قمصَت وقالت : تَخْلُق علىّ آدم وذرّيته يُلقون علىّ نَتْنهم ، ويعملون علىّ بالخطايا ، فأرساها الله ، فمنها ما ترون ، ومنها ما لاترون ، فكان أوّل قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِر يختلج لحمها » .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (متاعا لكُمْ ولأنْعامِكُمْ) أنه خلق هذه الأشياء ، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها ، منفعة لنا ، ومتاعا إلى حين .

وقوله (فإذَا جاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت التى تطمّ على كل هائلة من الأمور ، فتغمر ما سواها بعظيم هولها ، وقيل : إنها اسم من أسماء يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإذَا جاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذّره عباده .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك بن مِغْوَل ، عن القاسم بن الوليد ، فى قوله (فإذَا جاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى) قال : سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

وقوله (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ ما سَعَى) يقول : إذا جاءت الطامَّة يوم يتذكَّر الإنسان ما عَمِل فى الدنيا من خير وشرّ، وذلك سعيه (وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ) يقول : وأُظْهِرت الجحيم، وهى نار الله لمن يراها، يقول : لأبصار الناظرين .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٤١)

يقول تعالى ذكره : فأما من عتا على ربه ، وعصاه واستكبر عن عبادته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طَغَى) قال : عصى .

قوله (وآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا) يقول : وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة ، وما أعدّ الله فيها لأوليائه ، فعمل للدنيا ، وسعى لها ، وترك العمل للآخرة (فانَّ الجَحِيمَ هِيَ المأْوَى) يقول : فإن نار الله التى اسمها الجحيم ، هى منزلُهُ ومَأْواه ، ومصيُره الذي يصير إليه يوم القيامة .

وقوله (وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى) يقول : وأما من خاف مسئلة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، فاتقاه ، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ، ونهى النفس عن الهوى ، يقول : ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ، ولا يرضاه منها ، فزجرها عن ذلك ، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه (فإنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى) يقول : فإن الجنة هى مأواه ومنزله يوم القيامة .

وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى معنى قوله (ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ) فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ (٤٤) إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا (٤٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يسألك يامحمد هؤلاء المكذّبون بالبعث عن الساعة التى تبعث فيها المرتى من قبورهم أيانَ مرساها ، متى قيامها وظهورها . وكان الفرّاء يقول : إن قال القائل : إنما الإرساء للسفينة ، والجبال الراسية وما أشبههنّ ، فكيف وصَفَ الساعة بالإرساء ؟ قلت : هى بمنزلة

السفينة إذا كانت جارية فرست ، ورسوّها : قيامها ؛ قال : وليس قيامها كقيام القائم ، إنما هى كقولك : قد قام العدل ، وقام الحقّ : أى ظهر وثبت .

قال أبو جعفر رحمه الله : يقول الله لنبيه : (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها) يقول : فى أىّ شىء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها . وذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر ذكر الساعة ، حتى نزلت هذه الآية .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن عُروة ، عن عائشة ، قالت : «لم يزل النبىّ صلى الله عليه وسلم يَسأل عن الساعة ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ : (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها؟ إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاها) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن طارق بن شهاب ، قال : «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم لايزال يَذكر شأن الساعة حتى نزلت (يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها) ؟ . . إلى (مَنْ يَخْشاها) » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها) قال : الساعة .

وقوله (إِلى رَبِّكَ مُنْتَهَاها) يقول : إلى ربك منتهى علمها ، أى إليه ينتهى علم الساعة ، لايعلم وقت قيامها غيره .

وقوله (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) يقول تعالى ذكره لمحمد : إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه ، ولم تكلّف علمَ وقت قيامها ، يقول : فدع ما لم تكلف علمَه ، واعمل بما أُمرت به ، من إنذار من أُمرت بإنذاره .

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها) فكان أبو جعفر القارئ وابن محيصن يقرآن (مُنْذِرٌ) بالتنوين ، بمعنى : أنه منذرٌ مَنْ يخشاها ، وقرأ ذلك سائر قرّاء المدينة ومكة والكوفة والبصرة بإضافة (مُنْذِرِ) إلى من .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) يقول جلّ ثناؤه : كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة ، يوم يرون أن الساعة قد قامت ، من عظيم هولها ، لم يلبثوا فى الدنيا إلا عشية يوم ، أو ضحا تلك العشية ، والعرب تقول : آتيك العشية أو غَداتَها ، وآتيك الغداةَ أوعشيتها ، فيجعلون معنى الغداة ، بمعنى أوّل النهار ، والعشية : آخر النهار ، فكذلك قوله (إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) إنما معناه إلا آخر يوم أو أوّله ، وينشد هذا البيت :

نَحْنُ صَبَحْنا عامِرًا فِي دارِها عَشِيَّةَ الهِلالِ أوْ سِرارِها[1]

يعنى : عشية الهلال ، أو عشية سرار العشية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها) وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

آخر تفسير سورة النازعات

تفسير سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤)

يعنى تعالى ذكره بقوله (عَبَسَ) : قَبَضَ وجهه تكرُّها ، (وَتَوَلَّى) يقول : وأعرض (أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) يقول : لأن جاءه الأعمى . وقد ذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يطوّل الألف ويمدّها من (أَنْ جاءَهُ) فيقول : (آنْ جاءَهُ) ، وكأنّ معنى الكلام كان عنده : أآن جاءه الأعمى عبس وتولى ؟ كما قرأ من قرأ (أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ) بمدّ الألف من « أنْ » وقصرها .

وذُكر أن الأعمى الذى ذكره الله فى هذه الآية ، هو ابن أمّ مكتوم ، عوتب النبىّ صلى الله عليه وسلم بسببه .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : ثنا أبى ، عن هشام بن عُروة مما عرضه عليه عُروة ، عن عائشة قالت : أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فى ابن أمّ مكتوم ، قالت : « أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : أرشدنى ، قالت : وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين ، قالت : فجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم يُعْرِض عنه ، ويُقْبِل على الآخر ، ويقول : أترَى بما أقُولُهُ بأْسا ؟ فيقول : لا ، فى هذا أُنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) » .

(١) البيت لبعض بنى عقيل ، أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٥٧) عند قوله تعالى : « إلا عشية أوضحاها » ، يقول القائل : وهل للعشى ضحى ، إنما الضحى لصدر النهار ؟ فهذا بين ظاهر من كلام العرب ، أن يقولوا : آتيك العشية أو غداتها ، أو آتيك الغداة أو عشيتها ؛ تكون العشية فى معنى : آخر ، والغداة فى معنى أول ، أنشدنى بعض بنى عقيل : « نحن صبحنا . . . البيت » ، أراد : عشية الهلال ، أو عشية سرار العشية ، فهذا أخذ من آتيك الغداة أو عشيتها . اهـ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب ، وكان يتصدّى لهم كثيرا ، ويَحرِص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى ، يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم ، يمشى وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقرئ النبىّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، عَلِّمنى مما علَّمك الله ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَبَس فى وجهه وتولّى ، وكره كلامه ، وأقبل على الآخرين ؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره ، ثم خَفَق برأسه ، ثم أنزل الله (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) ، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه ، وقال له : ما حاجَتُك ، هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ ؟ وإذا ذهب من عنده قال له : هَلْ لَكَ حاجَةٌ فِى شَيْءٍ ؟ وذلك لما أنزل الله (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام ، عن أبيه ، قال : نزلت فى ابن أمّ مكتوم (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) قال : رجل من بنى فهر ، يقال له ابن أمّ مكتوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) : عبد الله بن زائدة ، وهو ابن أمّ مكتوم ، وجاءه يستقرئه ، وهو يناجى أُميَّة بن خَلَف ، رجلٌ من عِلْية قريش ، فأعرض عنه نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله فيه ماتسمعون (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) إلى قوله (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) « ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة ، فى غزوتين غزاهما يصلّى بأهلها » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء ، وعليه درع له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أُبَىّ بن خَلَف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله عليه (عَبَسَ وَتَوَلَّى) ، فكان النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يُكرمه . قال أنس : فرأيته يوم القادسية عليه دِرْع ، ومعه راية سوداء » .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى) « تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركى قريش كثير المال ، ورجا أن يؤمن ، وجاء رجل من الأنصار أعمى ، يقال له عبد الله بن أمّ مكتوم ، فجعل يسأل نبىّ الله صلى الله عليه

وسلم ، فكرهه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وتولّى عنه ، وأقبل على الغنيّ ، فوعظ الله نبيه ، فأكرمه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلفه على المدينة مرّتين ، فى غزوتين غزاهما » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله عزّ وجلّ : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى) قال : «جاء ابن أمّ مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائده يُبْصِر ، وهولايبصر ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى قائده يَكُفّ ، وابن أمّ مكتوم يدفعه ولا يُبصر ؛ قال : حتّى عَبَس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاتبه الله فى ذلك ، فقال : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءَهُ الأَعْمَى ، وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) . . . إلى قوله (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) قال ابن زيد : كان يقال : لوأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَتَمَ من الوحى شيئا ، كتم هذا عن نفسه ؛ قال : وكان يتصدّى لهذا الشريف فى جاهليته ، رجاء أن يسلم ، وكان عن هذا يتلهّى » .

وقوله (وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا محمد ، لعلّ هذا الأعمى الذى عَبَست فى وجهه يَزَّكَّى : يقول : يتطهّر من ذنوبه .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) : يُسْلِم .

وقوله (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) يقول : أو يتذكّر فتنفعَه الذكرى : يعنى يعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ ، والقراءة على رفع (فَتَنْفَعَهُ) عطفا به على قوله (يَذَّكَّرُ) ، وقد رُوى عن عاصم النصب فيه والرفع ، والنصب على أن تجعله جوابا بالفاء للعلّ ، كما قال الشاعر :

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِها ... يُدِلْنَنا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِها

فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفَراتِها ... وتُنْقَعَ الغُلَّةُ مِنْ غُلاَّتِها[1]

« وتنقع » يُروى بالرفع والنصب .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أما من استغنى بماله ، فأنت له تتعرّض ، رجاء أن يُسلِم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) قال : نزلت فى العباس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، وقد سبق الاستشهاد بالثلاثة الأولى فى الجزء (٢ : ٧٤) .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) قال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة (وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى) يقول : وأىّ شىء عليك أن لا يتطهّر من كفره فيُسلم؟ (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى) يقول : وأما هذا الأعمى الذى جاءك سعيا ، وهو يخشى الله ويتقيه ، (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) يقول : فأنت عنه تُعْرِض ، وتَشاغَلُ عنه بغيره وتَغافَل .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُ (١٧)

يقول تعالى ذكره : (كَلاَّ) ما الأمر كما تفعل يامحمد، من أن تعبس فى وجه من جاءك يسعى وهو يخشى ، وتتصدّى لمن استغنى (إِنَّها تَذْكِرَةٌ) يقول : إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة : يقول : عظة وعبرة (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ) يقول : فمن شاء من عباد الله ذكره ، يقول : ذكر تنزيل الله ووحيه ، والهاء فى قوله « إنّها » للسورة ، وفى قوله « ذَكَرَهُ » للتنزيل والوحى (فى صحف) يقول إنها تذكرة (فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ) يعنى فى اللوح المحفوظ ، وهو المرفوع المطهّر عند الله .

وقوله (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ) يقول : الصحف المكرّمة بأيدى سَفَرة ، جمع سافر .

واختلف أهل التأويل فيهم ما هم ؟ فقال بعضهم : هم كَتَبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ) يقول : كَتَبة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ) قال : الكَتَبة .

وقال آخرون : هم القُرّاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ، بِأَيْدِى سَفَرَةٍ) قال : هم القرّاء .

وقال آخرون : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ) يعنى الملائكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ) قال : السَّفَرة : الذين يُحْصون الأعمال .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحى وسفير القوم : الذى يسعى بينهم بالصلح ، يقال : سَفَرت بين القوم : إذا أصلحت بينهم ؛ ومنه قول الشاعر :

وَما أدَعُ السِّفارَةَ بَينَ قَوْمى وَما أمْشِى بغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[1]

وإذا وُجِّه التأويل إلى ماقلنا ، احتمل الوجه الذى قاله القائلون هم الكَتَبة ، والذى قاله القائلون هم القُرّاء ، لأن الملائكة هى التى تقرأ الكتب ، وتَسْفِر بين الله وبين رسله .

وقوله (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) والبَرَرة : جمع بارّ ، كما الكَفَرة جمع كافر ، والسَّحَرة جمع ساحر ، غير أن المعروف من كلام العرب إذا نطقوا بواحدة أن يقولوا : رجل بَرّ ، وامرأة برّة ، وإذا جمعوا ردّوه إلى جمع فاعل ، كما قالوا : رجل سَرِىّ ، ثم قالوا فى جمعه : قوم سَرَاة ، وكان القياس فى واحده أن يكون ساريا وقد حُكى سماعا من بعض العرب : قوم خَيِّرَة بَرَرَة ، وواحد الخَيِّرة : خَيِّر ، والبَرَرَة : برّ .

وقوله (قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ) يقول تعالى ذكره : لعن الإنسانَ الكافر ما أكفره !

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال مجاهد .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا عبد الحميد الحِمّانىّ ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : ماكان فى القرآن (قُتِلَ الإنْسانُ) أو فُعِل بالإنسان ، فإنما عنى به الكافر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ) بلغنى أنه الكافر .

وفى قوله (أكْفَرَهُ) وجهان . أحدهما : التعجب من كفره ، مع إحسان الله إليه ، وأياديه عنده . والآخر : ما الذى أكفره ، أى أىّ شىء أكفرَه ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : من أىّ شىء خلق الإنسانَ الكافرَ ربُّه حتى يتكبَّر . ويتعظَّم عن طاعة ربه ، والإقرار بتوحيده ، ثم بين جلّ ثناؤه الذى منه خلقه ، فقال : (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) أحوالا : نطفة تارة ، ثم علقة أخرى ، ثم مُضْغة ، إلى أن أتت عليه أحواله ، وهو فى رحم أمه (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) يقول : ثم يسّره للسبيل ، يعنى للطريق .

---

(١) البيت : من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٨) قال : وقوله « بأيدى سفرة » ، وهم الملائكة ، واحدهم سافر ؛ والعرب تقول : سفرت بين القوم : إذا أصلحت بينهم ، فجعلت الملائكة ، إذ نزلت بوحى الله وتأديبه كالسفير ، الذى يصلح بين القوم . وقال الشاعر : « وما أدع السفارة . . . البيت » . اهـ . وفى (اللسان : سفر) : وفى التنزيل « بأيدى سفرة » قال المفسرون : السفرة : يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم ، واحدهم : سافر ، مثل كاتب وكتبه . اهـ .

⁂ واختلف أهل التأويل فى السبيل الذى يسَّره لها ، فقال بعضهم : هو خروجه من بطن أمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) يعنى بذلك : خروجه من بطن أمه يسَّره له .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : سبيل الرَّحِم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : خروجه من بطن أمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : خروجه من بطن أمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : أخرجه من بطن أمه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : طريق الحقّ والباطل ، بيَّناه له وأعملناه ، وسهلنا له العمل به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : هو كقوله (إنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمَّا شاكِرًا وَإمَّا كَفُورًا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : على نحو (إنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : سبيل الشقاء والسعادة ، وهو كقوله (إنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : سبيل الخير .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) قال : هداه للإسلام الذى يسَّره له ، وأعلمه به ، والسبيل سبيل الإسلام .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب . قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسَّره .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه ، وتدبيره جسمه ، وتصريفه إياه فى الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده .

وقوله (ثُمَّ أماتَهُ فأقْبَرَهُ) يقول : ثم قَبَضَ رُوحه ، فأماته بعد ذلك . يعنى بقوله (أقْبَرَهُ) : صيره ذا قبر ، والقابر : هو الدافن الميت بيده ، كما قال الأعشى :

لَوْ أسْنَدَتْ مَيْتا إلى نَحْرِها عاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ[1]

والمُقْبِر : هو الله ، الذى أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته ، فصيره ذا قبر . والعرب تقول فيما ذُكر لى : بَتَرْتُ ذنب البعير ، والله أبتره ؛ وعَضَبْتُ قَرنَ الثور والله أعضبه ؛ وطردت عنى فلانا ، والله أطْرَدَه ، صَيَّره طريدا .

وقوله (ثُمَّ إذَا شاءَ أنْشَرَهُ) يقول : ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه ، يقال : أنْشَرَ الله الميت ، بمعنى : أحياه ، ونَشَرَ الميتُ بمعنى حيى هو بنفسه ؛ ومنه قول الأعشى :

حتى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رأوْا يا عَجَبا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[2]

وقوله (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أمَرَهُ) يقول تعالى ذكره : كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ، من أنه قد أدّى حقّ الله عليه ، فى نفسه وماله ، لما يقض ما أمره ، لم يؤدّ مافرض عليه من الفرائض ربُّه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمَّا يَقْضِ ما أمَرَهُ) قال : لايقضى أحد أبدا ما افتُرِض عليه . وقال الحارث : كلّ ما افترض عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (١٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره : فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره ؟

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ١٣٩) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المنافرة التى جرت بينهما . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) قال : فأقبره : أمر بأن يقبر . . . . والذى يدفن بيده هو القابر ، قال الأعشى : « لو أسندت . . . البيت » . اهـ . وفى (اللسان : قبر) : وقبره يقبره ويقبره (كيحفر ويدخل) : دفنه . وأقبره : جعل له قبرا ، وأقبر : إذا أمر إنسانا بحفر قبر . قال أبو عبيدة : قالت بنو تميم للحجاج ، وكان قتل صالح ابن عبد الرحمن : أقبرنا صالحا ؛ أى ائذن لنا فى أن نقبره ؛ فقال لهم : دونكموه . وقال الفراء فى قوله تعالى : ثم أماته فأقبره : أى جعله مقبورا ، ممن يقبر ، ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع ، ولا ممن يلقى فى النواويس ، كأن القبر مما أكرم به المسلم . اهـ .

(١) وهذا البيت أيضا للأعشى ، من تلك القصيدة (ص ١٤١) . وبعد البيت السابق بلا فاصل بينهما . وهو من شواهد أبى عبيدة فى (معانى القرآن ، الورقة ١٨٥) . قال : أنشره : أحياه ، وأنشر الميت (بالرفع على الفاعلية) : حيى نفسه ؛ وقال الأعشى : « حتى يقول الناس . . . البيت » .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ) وشرابه ، قال : إلى مأكله ومشربه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلى طَعامِهِ) : آية لهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أنَّا صَبَبْنا المَاءَ صَبًّا) فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة بكسر الألف من « أنَّا » ، على وجه الاستئناف ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة « أنَّا » بفتح الألف ، بمعنى : فلينظر الإنسان إلى أنا ، فيجعل « أنَّا » فى موضع خفض ، على نية تكرير الخافض . وقد يجوز أن يكون رفعا إذا فُتحت ، بنية طعامه أنَّا صببنا الماء صبا .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (أنَّا صَبَبْنا الماءَ صَبًّا) يقول : أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالا ، وصببناه عليها صبا (ثُمَّ شَقَقْنا الأرْضَ شَقًّا) يقول : ثم فتقنا الأرض ، فصدّعناها بالنبات (فأنْبَتْنا فِيها حَبًّا) : يعنى حبّ الزرع ، وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب ، كالحنطة والشعير وغير ذلك (وَعِنَبًا) يقول : وكرم عنب . (وَقَضْبًا) يعنى بالقَضْب : الرَّطْبة ، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَضْبًا) يقول : الفِصْفِصة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَضْبًا) قال : والقضب : الفَصافِص .

قال أبو جعفر رحمه الله : الفِصفصة : الرَّطبة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَضْبًا) يعنى الرطبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَقَضْبًا) قال : القضب : العَلَف .

وقوله (وَزَيْتُونًا) وهو الزيتون الذى منه الزيت (وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا) وقد بيّنا أن الحديقة البستان المحوَّط عليه . وقوله (غُلْبًا) يعنى : غِلاظا . ويعنى بقوله (غُلْبًا) أشجارا فى بساتين غلاظ . والغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة من الرجال ؛ ومنه قول الفرزدق :

عَوَى فأثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا فَوَيْلَ ابْنِ المَراغَةِ ما اسْتَثارَا (١)

(١) البيت للفرزدق يهجو جريرا (ديوانه الفرزدق ٤٤٣) . وفى اللسان : غلب . والغلب : غلظ العنق وعظمها ، وهو أغلب غليظ الرقبة ، وهم يصفون أبدا السادة بغلظ الرقبة وطولها ، وقد يستعمل ذلك فى غير الحيوان كقولهم حديقة غلباء : أى عظيمة متكاثفة ملتفة . =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، على اختلاف منهم فى البيان عنه ، فقال بعضهم : هو ما التفّ من الشجر واجتمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عاصم بن كُلَيب ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : الحدائق : ما التفّ واجتمع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : طيبة .

وقال آخرون : الحدائق : نبت الشجر كله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عاصم ، عن أبيه : الحدائق : نبت الشجر كلها .

حدثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس : (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : الشجر يُستظلّ به فى الجنة .

وقال آخرون : بل الغُلب : الطِّوال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) يقول : طوالا .

وقال آخرون : هو النخل الكرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) والغلب : النخل الكرام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) قال : النخل الكرام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَحَدَائِقَ غُلْبًا) : عِظام النخل العظيمة الجِذْع ، قال : والغلب من الرجال : العظام الرقاب ، يقال : هو أغلب الرقبة : عظيمها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة (حَدَائِقَ غُلْبًا) قال : عظام الأوساط .

= وفى التنزيل : « وحدائق غلبا » . وأسد أغلب : غليظ الرقبة . والضيغم والضيغمى : الشديد العض ، من الضغم . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) حدائق غلبا : يقال : نخلة وشجرة غلباء : إذا كانت غليظة . اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢) .

يقول تعالى ذكره: وفاكهة: ما يأكله الناس من ثمار الأشجار ، والأبّ : ما تأكله البهائم من العُشب والنبات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (وَفَاكِهَةً) قال : ما يأكل ابن آدم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفَاكِهَةً) قال : ما أكل الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفَاكِهَةً) قال : أما الفاكهة فلكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَفَاكِهَةً) قال : الفاكهة لنا.

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا حميد ، قال : قال أنس بن مالك : قرأ عمر (عَبَسَ وَتَوَلَّى) حتى أتى على هذه الآية (وَفَاكِهَةً وأبًّا) قال : قد علمنا ما الفاكهة ، فما الأبّ ، ثم أحسبه « شكّ الطبرىّ » قال : إن هذا لهو التكلف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فلما أتى على هذه الآية (وَفَاكِهَةً وأبًّا) قال : قد عرفنا الفاكهة ، فما الأبّ ، قال : لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن موسى بن أنس ، عن أنس ، قال . قرأ عمر (وَفَاكِهَةً وأبًّا) ومعه عصا فى يده ، فقال : ما الأبّ ، ثم قال : بحسبنا ما قد علمنا ، وألقى العصا من يده .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبى إياس معاوية بن قُرة ، عن أنس ، عن عمر رضى الله عنه أنه قال : إن هذا هو التكلف .

قال : وحدثنى قتادة ، عن أنس ، عن عمر بنحو هذا الحديث كله .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب، قالوا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عاصم بن كُلَيب، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: عدّ سبعا، جعل رزقه فى سبعة، وجعله من سبعة، وقال فى آخر ذلك: الأبّ ما أنبتت الأرض، مما لا يأكل الناس.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عاصم، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأبّ: نبت الأرض مما تأكله الدوابّ، ولا يأكله الناس.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا عبد الملك، عن سعيد بن جُبَير، قال: عدّ ابن عباس، وقال الأبّ: ما أنبتت الأرض للأنعام، وهذا لفظ حديث أبى كريب. وقال أبو السائب فى حديثه، قال: ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام.

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الأبّ: الكلأ والمرعى كله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبى رَزِين، قال: الأبّ النبات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن أبى رَزين، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش أو غيره، عن مجاهد، قال: الأبّ: المرعى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، قال: قال مجاهد (وأبًّا): المرعى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن (وأبًّا) قال: الأبّ: ماتأكل الأنعام.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (وأبًّا) قال: الأبّ: ما أكلت الأنعام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أما الأبّ: فلأنعامكم نعم من الله متظاهرة.

حدثنا ابن بشر، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا يونس، عن الحسن، فى قوله (وأبًّا) قال: الأبّ: العشب.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، وقتادة، فى قوله (وأبًّا) قال: هو ما تأكله الدوابّ.

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأبًّا) يعنى: المرعى.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (وأبًّا) قال: الأبّ لأنعامنا، قال: والأبّ: ما ترعى. وقرأ (مَتاعا لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ).

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى يونس وعمرو بن الحارث، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك

حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : قال الله (وَقَضْباً ، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ، وَحَدَائِقَ غُلْباً ، وَفَاكِهَةً وأَبًّا) كلّ هذا قد علمناه ، فما الأبّ ؟ ثم ضرب بيده ، ثم قال : لعمرُك إن هذا لهو التكلف ، واتبعوا ما يتبين لكم فى هذا الكتاب ، قال عمر وما يتبين فعليكم به ، وما لا فدعوه .

وقال آخرون : الأبّ : الثمار الرَّطبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأبًّا) يقول : الثمار الرطبة .

وقوله (مَتَاعاً لَكُمْ) يقول : أنبتنا هذه الأشياء التى يأكلها بنوآدم متاعا لكم أيها الناس ، ومنفعة تتمتعون بها ، وتنتفعون ، والتى يأكلها الأنعام لأنعامكم ، وأصل الأنعام الإبل ، ثم تستعمل فى كلّ راعية . بالذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ) قال : متاعا لكم الفاكهة ، ولأنعامكم العشب .

وقوله (فَإِذَا جاءَتِ الصَّاخَّةُ) ذُكر أنها اسم من أسماء القيامة ، وأحسبها مأخوذة من قولهم : صاخ فلان لصوت فلان : إذا استمع له ، إلا أن هذا يقال منه : هو مُصِيخ له ، ولعلّ الصوت هو الصاخ ، فإن يكن ذلك كذلك ، فينبغى أن يكون قيل ذلك لنفخة الصور .

ذكر من قال : هو اسم من أسماء القيامة

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإِذَا جاءَتِ الصَّاخَّةُ) قال : هذا من أسماء يوم القيامة عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) يقول : فإذا جاءت الصاخة ، فى هذا اليوم الذى يفرّ فيه المرء من أخيه . ويعنى بقوله : يفرّ من أخيه : يفرّ عن أخيه (وأُمِّهِ وأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) يعنى زوجته التى كانت زوجته فى الدنيا (وَبَنِيهِ) حَذِرا من مطالبتهم إياه ، بما بينه وبينهم من التَّبعات والمظالم .

وقال بعضهم : معنى قوله (يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ) : يفرّ عن أخيه لئلا يراه ، وما ينزل به ، (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) يعنى من الرجل وأخيه وأمه وأبيه ، وسائر من ذُكر فى هذه الآية (يَوْمَئِذٍ) يعنى يوم القيامة إذا جاءت الصاخّة يوم القيامة (شَأْنٌ يُغْنِيهِ) يقول : أمر يغنيه ، ويُشغله عن شأن غيره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) أفضى إلى كلّ إنسان ما يشغله عن الناس .

حدثنا أبو عمارة المَرْوَزِىّ الحسين بن حُريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن عائذ بن شريح ، عن أنس قال : « سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، إنى سائلتك

عن حديث أخبرنى أنت به، قال: إنْ كانَ عِنْدى مِنْهُ عِلْمٌ ؟ قالت: يا نبىّ الله، كيف يُحْشَرُ الرجال؟ قال: حُفَاةً عُرَاةً . ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبىّ الله كيف يُحْشر النساء ؟ قال: كَذلكَ حُفَاةً عُرَاةً ، قالت: واسوءتاه من يوم القيامة ، قال: وَعَنْ ذلكَ تَسألِينى ، إنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ علىّ آيَةٌ لايَضُرُّكِ كانَ عَلَيْكِ ثِيابٌ أمْ لا ، قالت: أىّ آية هى يا نبىّ الله ؟ قال (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) » .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قول الله (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) قال: شأن قد شغله عن صاحبه .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة ، وهى وجوه المؤمنين الذين قد رضى الله عنهم ، يقال: أسفر وجه فلان: إذا حَسُنَ ، ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء ، وكلّ مضىء فهو مُسْفِر ؛ وأما سَفَرَ بغير ألف ، فإنما يقال للمرأة إذا ألقت نقابها عن وجهها أو برقعها، يقال: قد سَفَرَت المرأة عن وجهها ، إذا فعلت ذلك ، فهى سافر ؛ ومنه قول تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر:

وكُنْتُ إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِى مِنْها الغَدَاةَ سُفُورُها[1]

يعنى بقوله « سفورُها »: إلقاءها برقعها عن وجهها .

(ضَاحِكَةٌ) يقول: ضاحكة من السرور بما أعطاها الله من النعيم والكرامة (مُسْتَبْشِرَةٌ) لما ترجو من الزيادة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مُسْفِرَةٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مُسْفِرَةٌ) يقول: مشرقة .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) قال: هؤلاء أهل الجنة .

وقوله (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) يقول تعالى ذكره: ووجوه وهى وجوه الكفار يومئذ عليها

---

(١) البيت لتوبة بن الحمير صاحب ليل الأخيلية . وفى (اللسان : سفر) سفر الصبح وأسفر : أضاء ، وأسفر القوم : أصبحوا . وسفر وجهه حسنا وأسفر : أشرق . وفى التنزيل العزيز « وجوه يومئذ مسفرة » : قال الفراء : أى مشرقة مضيئة ، وقد أسفر الوجه وأسفر الصبح . قال : وإذا ألقت المرأة نقابها ، قيل: سفرت ، فهى سافر ، بغير هاء . اهـ . قلت : وهذا البيت من قصيدة طويلة ذكرها داود الأنطاكى فى كتابه تزيين الأسواق ، بتفصيل احوال العشاق ٩٦ – ٩٧ ، و (الأغانى ١١ : ٢٠٤ ، ٢٥٠) قال أبو الفرج : كان توبة بن الحمير إذا أتى ليل الأخيلية ، خرجت إليه فى برقع ، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان ، فأباحهم دمه إن أتاهم ، فكثوا له فى الموضع الذى كان يلقاها فيه ، فلما علمت به خرجت سافرة ، حتى جلست فى طريقه ، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت ، وعلم أنه قد رصد ، وأنها أسفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجا ، وذلك قوله : « وكنت إذا ما جئت ليل . . . » البيت » . اهـ .

غبرة . ذُكر أن البهائم التى يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها، يحوّل ذلك التراب غَبَرة فى وجوه أهل الكفر (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) يقول : يغشى تلك الوجوه قَتَرة ، وهى الغَبَرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) يقول : تغشاها ذلة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْهَقُها قَتَرَةٌ) قال : هذه وجوه أهل النار ؛ قال : والقَتَرة من الغَبَرة ، قال : وهما واحد ؛ قال : فأما فى الدنيا فإن القَتَرة : ما ارتفع ، فلحق بالسماء ، ورفعته الريح ، تسميه العرب القَتَرة ، وما كان أسفل فى الأرض فهو الغبرة .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله ، كانوا فى الدنيا الفجرة فى دينهم ، لا يبالون ما أتوا به من معاصى الله ، وركبوا من محارمه ، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده .

آخر تفسير سورة عبس

تفسير سورة إذا الشمس كورت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إذا الشمس ذهب ضوءُها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : ثنى أبىّ بن كعب ، قال : « ستّ آيات قبل يوم القيامة بينا الناس فى أسواقهم ، إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك ، إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك ، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، فتحرّكت واضطربت واحترقت ، وفزعت الجنّ إلى الإنس ، والإنس إلى الجنّ ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش ، وماجوا بعضهم فى بعض (وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : اختلطت (وَإِذَا العِشارُ

عُطِّلَتْ) قال : أهملها أهلها (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ؛ قال : فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هى نار تأجَّج ؛ قال : فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة ، إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا ؛ قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم » .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) يقول : أظلمت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) يعنى : ذهبت .

حدثنى محمد بن عُمارة ، حدثنى عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : اضمحلت وذهبت .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : ذهب ضوءها فلا ضوء لها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : غُوِّرت ، وهى بالفارسية ، كور تكور .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) أما تكوير الشمس : فذهابها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّرت كورا بالفارسية .

وقال آخرون : معنى ذلك : رمى بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن علىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : نُكِّست .

حدثنى محمد بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح مثله .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت إسماعيل ، سمع أبا صالح فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : أُلقيت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يَعْلَى ، عن ربيع بن خيثم (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : رُمى بها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم ، مثله .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال (كُوِّرَتْ) كما قال الله جلّ ثناؤه ؛ والتكوير فى كلام العرب : جمع بعض الشىء إلى بعض ، وذلك كتكوير العمامة ، وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكارة ،

وهى جمع الثياب بعضها إلى بعض ، ولفها ، وكذلك قوله (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) إنما معناه : جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها . فعلى التأويل الذى تأوّلناه وبيّناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل ، وجه صحيح ، وذلك أنها إذا كُوِّرت ورُمى بها ، ذهب ضوءها .

وقوله (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) يقول : وإذا النجوم تناثرت من السماء فتساقطت ، وأصل الانكدار : الانصباب ، كما قال العجاج :

أبْصَرَ خِرْبانَ فَضَاءٍ فانْكَدَرْ[1]

يعنى بقوله : انكدر : انصبّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تناثرت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم ، مثله .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تناثرت .

حدثنى محمد بن موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : انتثرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : تساقطت وتهافتت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) قال : رمى بها من السماء إلى الأرض .

وقال آخرون : انكدرت : تغيرت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَإذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) يقول : تغيرت .

وقوله (وَإذَا الجِبالُ سُيِّرَتْ) يقول : وإذا الجبال سيرها الله ، فكانت سرابا ، وهباء منبثا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت : للعجاج الراجز (ديوانه ١٧) وقبله « تقضى البازى إذا البازى كسر » وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١٨٥) قال عند قوله تعالى : « وإذا النجوم انكدرت » : يقال : انكدر فلان : انصب ، قال العجاج : « أبصر خربان . . . البيت » . والخربان : جمع خرب بالتحريك : ذكر الحبارى ، وقيل : هو الحبارى كلها . يريد أن البازى قد انقض من أعلى الجو ، لأنه رأى أسراب الحبارى على الأرض ، فانقض ليصيدها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَإِذَا الجِبالُ سُيِّرَتْ) قال : ذهبت .

قوله (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) والعشار : جمع عشراء ، وهى التى قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها . يقول تعالى ذكره : وإذا هذه الحوامل التى يتنافس أهلها فيها أُهملت فتركت ، من شدّة الهول النازل بهم ، فكيف بغيرها ؟ ! .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : ثنى أبىّ بن كعب (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : إذا أهملها أهلها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : خلا منها أهلها لم تُحلَب ولم تُصَرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : لم تحلب ولم تُصَرّ ، وتخلّى منها أربابها .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : سُيِّبت : تُرِكت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : عِشار الإبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : سيبها أهلها فلم تصر ، ولم تحلب ، ولم يكن فى الدنيا مال أعجب إليهم منها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) قال : عشار الإبل سيبت .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإِذَا العِشارُ عُطِّلَتْ) يقول : لا راعىَ لها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ؟ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠)

⁂ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) فقال بعضهم : معنى ذلك : ماتت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن مسلم الطوسى ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : حُشِر البهائم : موتها ، وحشر كل شىء : الموت ، غير الجنّ والإنس ، فانهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع بن خيثم (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : أتى عليها أمر الله ، قال سفيان ، قال أبى ، فذكرته لعكرِمة ، فقال : قال ابن عباس : حَشْرُها : موتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم ، بنحوه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإذا الوُحوش اختلطت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، قال : ثنى أُبىّ بن كعب (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) قال : اختلطت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : جُمعت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة ، فيقضى الله فيها ما يشاء .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى حشرت : جمعت ، فأميتت لأن المعروف فى كلام العرب من معنى الحشر : الجمع ؛ ومنه قول الله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) يعنى : مجموعة .

وقوله (فَحَشَرَ فَنَادَى) وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لاعلى الأنكر المجهول .

وقوله (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وإذا البحار اشتعلت نارا وحميت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال : ثنى أُبىّ بن كعب (وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، فانطلقوا إلى البحار ، فإذا هى تأجّج نارا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب ، قال : قال علىّ رضى الله عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ فقال البحر ، فقال : ما أراه إلا صادقا (والْبَحْرِ المَسْجُورِ - وَإِذَا الْبِحارُ سُجِرَتْ) مخففة .

حدثنى حوثرة بن محمد المنقرىّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا مجالد ، قال : أخبرنى شيخ من بجيلة عن ابن عباس ، فى قوله (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : كوّر الله الشمس والقمر والنجوم فى البحر ، فيبعث عليها ريحا دبورا ، فتنفخه حتى يصير نارا ، فذلك قوله (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : إنها توقد يوم القيامة زعموا ذلك التسجير فى كلام العرب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، فى قوله (والْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) قال : بمنزلة التنور المسجور (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : أُوقدت .

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع بن خيثم (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : فاضت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى ، فى قوله (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : مُلئت ، ألا ترى أنه قال : (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) يقول : فُجِّرت .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أنه ذهب ماؤها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : غار ماؤها فذهب .

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسين ، فى هذا الحرف (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : يبست .

حدثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَإذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ) قال : يبست .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : مُلئت حتى فاضت ، فانفجرت وسالت

كما وصفها الله به فى الموضع الآخر ، فقال : وإذا البحار فجِّرت ، والعرب تقول للنهر أو للرَّكىّ المملوء : ماء مسجور ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِىّ وَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلاَّمُها[1]

ويعنى بالمسجورة : المملوءة ماء .

واختلفت القرّاء فى قراءه ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (سُجِّرَتْ) : بتشديد الجيم .

وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة : بتخفيف الجيم .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : ألحق كلّ إنسان بشكله ، وقرن بين الضُّرَباء والأمثال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر رضى الله عنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل الواحد يدخلان به الجنة ، ويدخلان به النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضى اللهعنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل ، فيدخلان به الجنة ، وقال : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) ، قال : ضرباءهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : هما الرجلان يعملان العمل ، يدخلان به الجنة أو النار .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب أنه سمع النعمان بن بشير يقول : سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب ، قال (وكُنْتُمْ أَزْوَاجا ثَلاثَةً ، فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ ، وأصحَابُ المَشْأَمَةِ ما أصحَابُ المَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ) ثم قال : (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : أزواج فى الجنة ، وأزواج فى النار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال : سُئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن قول الله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : يُقْرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ، وبين الرجل السَّوء مع الرجل السَّوء فى النار .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا محمد بن الصباح الدَّولابىّ ، عن الوليد ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والنعمان عن عمرو قال « (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : الضُّرَباء

(١) البيت للبيد فى معلقته (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى) وقد مر استشهاد المؤلف به فى الجزء ١٦ : ٧١ ، فارجع إليه ثمة .

كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ، وذلك أن الله يقول : (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً ، فأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ ، وأصحَابُ المَشْأَمَةِ ما أصحَابُ المَشْأَمَةِ ، والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال : هم الضُّرَبَاء » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ألحق كلّ امرئ بشيعته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : الأمثالُ من الناس جُمع بَينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : لحق كلّ إنسان بشيعته ، اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : يحشر المرء مع صاحب عمله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع ، قال : يجىء المرء مع صاحب عمله .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها : أى جعلت لها زوجا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبى عمرو ، عن عكرِمة (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : الأرواح تَرجع إلى الأجساد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن الشعبىّ أنه قال فى هذه الآية (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوّجت الأجساد فرُدّت الأرواح فى الأجساد .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن عكرِمة (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : ردّت الأرواح فى الأجساد .

حدثنى الحسن بن زريق الطهوى ، قال : ثنا أسباط ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوّجت الأرواح الأجساد .

* وأولى التأويلين فى ذلك بالصحة ، الذى تأوّله عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعلة التى اعتلّ بها ، وذلك قول الله تعالى ذكره : (وكُنْتُمْ أزْوَاجا ثَلاثَةً) ، وقوله (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ)

وذلك لاشكّ الأمثال والأشكال ، فى الخير والشرّ ، وكذلك قوله (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) بالقُرَناء والأمثال فى الخير والشرّ .

وحدثنى مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملى عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) قال : سيأتى أوّلها والناس ينظرون ، وسيأتى آخرها إذا النفوس زوّجت .

وقوله (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)؟ : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو الضُّحى مسلم ابن صبيح (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سَأَلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)؟ بمعنى : سألت الموءودة الوائدين : بأىّ ذنب قتلوها.

ذكر الرواية بذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، فى قوله (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سَأَلَتْ) ؟ قال : طلبت بدمائها .

حدثنا سوّار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن الأعمش ، قال : قال أبو الضحى : (وَإِذَا المَوْءُودَةُ سَأَلَتْ) ؟ قال : سألت قتلها .

ولو قرأ قارئ ممن قرأ (سَأَلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) كان له وجه ، وكان يكون معنى ذلك معنى من قرأ (بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) غير أنه إذا كان حكاية جاز فيه الوجهان ، كما يقال : قال عبد الله بأىّ ذنب ضُرب ؛ كما قال عَنترة :

الشَّاتِمَىْ عِرْضِى ولم أَشْتُمْهُما والنَّاذِرَىْنَ إِذَا لَقِيتُهُما دَمِى[1]

وذلك أنهما كانا يقولان : إذا لقينا عنترة لنقتلنّه ، فحكى عنترة قولهما فى شعره ؛ وكذلك قول الآخر :

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلاً عُرْيَانَا[2]

---

(١) البيت لعنترة ، وهذه الرواية مختلفة عن روايته التى رواها المؤلف فى الجزء (٢٩ : ٢٠٨) وهى : « والناذرين إذا لم ألقهما دمى » . بنى الفعل ، وهى كذلك فى (شرحى الزوزنى والتبريزى للمعلقات ، و مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣٨٠) . أما رواية بيت الشاهد فى هذا الموضع فصدرها الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٣٥٩) فهكذا أنشد البيت الفراء فى تفسير قوله تعالى « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » وقد نقلنا كلامه فى توجيهها تحت الشاهد الآتى : « رجلان من ضبة . . . البيتين » . ومعنى الروايتين فى الحقيقة يئول إلى شىء واحد ، وإن اختلف اللفظ بين الإثبات والنفى .

(٢) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٩) قال بإسناده عن ابن عباس أنه قرأ : « وإذا الموءودة سألت بأى ذنب قتلت » . وقال : هى التى تسأل (بفتح التاء) ولا تسأل (التاء مضمومة) . وقد يجوز أن تقرأ : أى ذنب قتلت ؟ (التاء الأخيرة تاء الفاعل مفتوحة ، والفعل مبنى للفاعل) كما تقول فى الكلام : عبد الله بأى ذنب ضرب ، وبأى ذنب ضربت ؟ وقد مر له نظائر من الحكاية ، من ذلك قول عنترة :

الشَّاتِمَىْ عِرْضِى ولم أَشْتُمْهُما والنَّاذِرَىْنَ إِذَا لَقِيتُهُما دَمِى

والمعنى : أنهما كان يقولان : إذا لقينا عنترة لنقتلنه ، فجرى الكلام فى شعره على هذا المعنى ، واللفظ مختلف . وكذلك قوله : « رجلان من ضبة . . . البيتان » والمعنى : أخبرنا أنهما . . . الخ ولكنه جرى على مذهب القول ، كما تقول : قال عبد الله : إنه ذاهب ، وإنى ذاهب ، والذهاب له فى الوجهين جميعا ، ومن قرأ « وإذا الموءودة سئلت » ففيه وجهان : سئلت هى ، فقيل لها بأى ذنب قتلت ؟ ثم يجوز قتلت ، كما جاز فى المسألة الأولى . ويكون « سئلت » : سئل عنها واندوها ، كأنك قلت : طلبت منهم ، فقيل : أين أولادكم ؟ وكيف قتلتموهم . وكل الوجوه حسن بين ، إلا أن الأكثر « سئلت » فهو أحبها إلى . اهـ .

بمعنى : أخبرانا أنهما، ولكنه جرى الكلام على مذهب الحكاية . وقرأ ذلك بعض عامة قرّاء الأمصار : (وإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) بمعنى : سُئلت الموءودة بأىّ ذنب قُتلت ، ومعنى قُتلت : قتلت ، غير أن ذلك ردّ إلى الخبر على وجه الحكاية على نحو القول الماضى قبل ، وقد يتوجه معنى ذلك إلى أن يكون : وإذا الموءودة سئلت قتلتُها ووائدوها ، بأىّ ذنب قتلوها ؟ ثم ردّ ذلك إلى ما لم يسمّ فاعله، فقيل : بأىّ ذنب قُتِلَت .

وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب : قراءة من قرأ ذلك (سُئِلَتْ) بضم السين (بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) على وجه الخبر ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . والموءودة : المدفونة حية ، وكذلك كانت العرب تفعل ببناتها ؛ ومنه قول الفرزدق بن غالب :

ومِنَّا الَّذى أحْيا الوَئِيدَ وَغائِبٌ وَعَمْرٌو ، ومِنَّا حامِلونَ وَدافِعُ[1]

يقال : وأده فهو يئده وأدا ، ووأدة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) : هى فى بعض القراءات : (سألَتْ بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟) لابذنب، كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ، ويغذو كلبه ، فعاب الله ذلك عليهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة، قال : « جاء قيس بن عاصم التميمىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية ، قال :(فأعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم (وَإذَا المَوْءُدَةُ سُئِلَتْ) قال : كانت العرب من أفعل الناس لذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن ربيع بن خيثم بمثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ) قال : البنات اللى كانت طوائف العرب يقتلونهنّ ، وقرأ (بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) .

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٥١٧) ولكنه ملفق من البيتين الخامس والسابع فى القصيدة ، وهما :

٥ – (ومِنَّا الذى أحْيا الوَئِيدَ وغالِبٌ وَعَمْرٌو وَمِنَّا حاجِبٌ والأقارِعُ

٩ – تَمَوَّنِى فأشْرَفْتُ العَلايَةَ فَوْقَكُمْ (بُحُورٌ وَمِنَّا حامِلُونَ وَدافِعُ)

والبيت أورده المؤلف بهذه الصورة شاهدا عند قوله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » ؟ وأنشد أبو عبيدة عند الآية شاهدا آخر للفرزدق أيضا ، وهو :

وَمِنَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَائِدَا تِ وأحْيا الْوَئِيدَ فَلَمْ يُوءَدِ

قال : وهو صعصعة بن ناجية جده .

وقوله (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم ، بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب ، من الحسنات والسيئات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) صحيفتك يا بن آدم ، تملى ما فيها ، ثم تُطوَى ، ثم تُنشَر عليك يوم القيامة .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (نُشِرَتْ) بتخفيف الشين ، وكذلك قرأه أيضا بعض الكوفيين ، وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء الكوفة ، بتشديد الشين . واعتلّ من اعتلّ منهم لقراءته ذلك كذلك ، بقول الله (أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) ولم يقل منشورة ، وإنما حسن التشديد فيه ، لأنه خبر عن جماعة ، كما يقال : هذه كِباش مُذَبَّحة ، ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخففة ، فقيل مذبوحة ، فكذلك قوله منشورة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (١٥) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا السماء نُزعت وجُذبت ، ثم طُويت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُشِطَتْ) قال : جُذبت . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (قُشِطَتْ) بالقاف ، والقَشْط والكَشْط : بمعنى واحد ، وذلك تحويل من العرب الكاف قافا ، لتقارب مخرجيهما ، كما قيل للكافور قافور ، وللقُسط : كُسْط ، وذلك كثير فى كلامهم ، إذا تقارب مخرج الحرفين ، أبدلوا من كلّ واحد منهما صاحبه ، كقولهم للأثافى : أثاثى ، وثوب فَرْقَبىّ وثَرْقَبِىّ .

وقوله (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الجحيم أُوقد عليها فأُحميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ) : سعرها غضب الله ، وخطايا بنى آدم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة (سُعِّرَتْ) بتشديد عينها ، بمعنى أُوقد عليها مرّة بعد مرّة ، وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالتخفيف . والقول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الجنة قرّبت وأُدنيت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع بن خيثم : (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قال : إلى هذين ما جرى الحديث : فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبى يعلى ، عن الربيع (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قال : إلى هذين ماجرى الحديث : فريق إلى الجنة ، وفريق إلى النار . يعنى الربيع بقوله : إلى هذين ما جرى : الحديث أن ابتداء الخبر (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) . . . إلى قوله (وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ) إنما عُدِّدت الأمور الكائنة التى نهايتها أحد هذين الأمرين ، وذلك المصير إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) يقول تعالى ذكره : علمت نفس عند ذلك ما أُحضرت من خير ، فتصير به إلى الجنة ، أو شرّ فتصير به إلى النار ، يقول : يتبين له عند ذلك ما كان جاهلا به ، وما الذى كان فيه صلاحه من غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) من عمل ، قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإلى هذا جرى الحديث . وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) جواب لقوله (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) وما بعدها ، كما يقال : إذا قام عبدالله قعد عمرو .

وقوله (فَلا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ) . اختلف أهل التأويل فى الخُنَّس الجوار الكُنَّس . فقال بعضهم : هى النجوم الدراريّ الخمسة ، تخنس فى مجراها فترجع ، وتكنس فتستتر فى بيوتها ، كما تكنس الظباء فى المغار ، والنجوم الخمسة : بَهْرام ، وزُحَل ، وعُطارد ، والزُّهَرَة ، والمُشْتَرِى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعُرة ، أن رجلا قام إلى علىّ رضى الله عنه ، فقال : ما (الجَوَارِ الكُنَّسِ) ؟ قال : هى الكواكب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت خالد بن عُرعرة ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وسُئل عن (لا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ) قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، وتكنس بالليل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن علىّ رضى الله عنه ، قال : النجوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من مُراد ، عن علىّ : أنه قال : هل تدرون ما الخنس ؟ هى النجوم تجرى بالليل ، وتخنس بالنهار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، أنه سمع الحسن يسئل ، فقيل : يا أبا سعيد ما الجوارى الكُنَّس ؟ قال : النجوم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة بن خليفة ، قال : ثنا عرف ، عن بكر بن عبد الله ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم الدرارىّ ، التى تجرى تستقبل المشرق .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هى النجوم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : يعنى النجوم ، تكنس بالنهار ، وتبدو بالليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ ، الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، والجوار الكنس : سيرهنّ إذا غبن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ) قال : الخنس والجوارى الكنس : النجوم الخنس ، إنها تخنس تتأخر عن مطلعها ، هى تتأخر كلّ عام لها فى كلّ عام تأخر عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه . والكنس : تكنس بالنهار فلا تُرَى . قال : والجوارى تجرى بعد ، فهذا الخنس الجوارى الكنس .

وقال آخرون : هى بقر الوحش التى تكنس فى كناسها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن زكريا بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق السَّبيعىّ ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال لأبى ميسرة : ما الجوارى الكنس ؟ قال : فقال بقر الوحش قال : فقال : وأنا أرى ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله ، فى قوله (الجَوَارِى الْكُنَّسِ) : قال : بقر الوحش .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : قال ابن مسعود : يا عمرو ما الجوارى الكنس ، أو ما تراها ؟ قال عمرو : أراها البقر ، قال عبد الله : وأنا أراها البقر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال : سألت عنها عبد الله ، فذكر نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني جرير بن حازم ، قال : ثني الحجاج بن المنذر ، قال : سألت أبا الشعثاء جابر بن زيد ، عن الجوارى الكنس ، قال : هي البقر إذا كنَسَت كوانسها .

قال يونس : قال لي عبد الله بن وهب : هي البقر إذا فرّت من الذئاب ، فذلك الذى أراد بقوله : كنست كوانسها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال جرير ، وحدثني الصلت بن راشد ، عن مجاهد مثل ذلك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله (الجَوَارِ الكُنَّسِ) قال : هي بقر الوحش .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : سُئل مجاهد ونحن عند إبراهيم ، عن قوله (الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : لا أدرى ، فانتهره إبراهيم وقال : لِمَ لا تدرى ؟ فقال : إنهم يروُون عن عليّ رضى الله عنه ، وكنا نسمع أنها البقر ، فقال إبراهيم : هي البقر . الجوارى الكنس : جِحَرَة بقر الوحش التي تأوى إليها ، والخنس الجوارى : البقر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها ما سمعت ، قال : فقال مجاهد : كنا نسمع فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم ؛ قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على عليّ رضى الله عنه ، هذا كما رَوَوا عن عليّ رضى الله عنه ، أنه ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، قال : سُئل مجاهد عن الجوارى الكنس قال : لا أدرى ، يزعمون أنها البقر ؛ قال : فقال إبراهيم : ما لا تدرى هي البقر ؛ قال : يذكرون عن عليّ رضى الله عنه أنها النجوم ، قال : يكذبون على عليّ عليه السلام .

وقال آخرون : هي الظباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) يعني : الظباء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ) قال : الظباء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) قال : كنا نقول : « أظنه قال » : الظباء ، حتى زعم سعيد بن جُبير أنه سأل ابن عباس عنها ، فأعاد عليه قراءتها .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الخُنَّسِ الجَوَارِ الْكُنَّسِ) يعنى الظباء .

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا : أى تغيب ، وتجرى أحيانا وتكنس أخرى ، وكنوسها : أن تأوى فى مكانسها ، والمكانس عند العرب ، هى المواضع التى تأوى إليها بقر الوحش والظباء ، واحدها مَكْنِس وكِناس ، كما قال الأعشى :

فلَمَّا لَحِقْنا الْحَيَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ المَكانِسِ رَبْرَبُ[1]

فهذه جمع مَكْنِس ، وكما قال فى الكِناس طَرَفة بن العبد :

كأنَّ كِناسَىْ ضَالَةٍ يَكْنُفانِهَا وأَطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ[2]

وأما الدلالة على أن الكِناس قد يكون للظباء ، فقول أوس بن حَجَر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مُزْنَةً وعُفْرُ الظِّباءِ فِى الْكِناسِ تَقَمَّعُ[3]

فالكِناس فى كلام العرب ما وصفت ، وغير مُنكر أن يُستعار ذلك فى المواضع التى تكون بها النجوم من السماء ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر ، ولا البقر دون الظباء ، فالصواب أن يُعَمَّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا ، والجرى أخرى ، والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه بتحقيق الدكتور محمد حسين ٢٠١ من قصيدة يهجو بها الحارث بن وعلة ، والبيت هو التاسع فيها وفيه « فلما أدركت الحى » أى لحقته . وأتلع : رفع رأسه . والأنس : جمع آنسة ، كركع جمع راكعة ، وهى الطيبة النفس . والمكانس : جمع مكنس ، وهو مدخل الظبى أو البقرة الوحشية فى أصل شجرة تسكن فيه من الحر . والربرب : القطيع من البقر الوحشى . يقول : فلما بلغت الحى تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولت أعناقهن ومددنها ، كأنهن قطيع من البقر الوحشى المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب . ومحل الشاهد فى قوله المكانس ، فإنها جمع مكنس ، وهو الكناس أيضا ، كما فسرناه .

(٢) البيت من معلقة طرفة (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣١٢) قال شارحه : الكناس : بيت يتخذه الوحش فى أصل شجرة . والثور يتخذ كناسين : لظل الغداة ، وفىء العشى . والضال : هو السدر البرى . ويكنفانها : يكونان فى ناحيتها . والأطر : العطف . والمؤيد : المقوى . شبه إبطيها فى السعة ببيتين من بيوت الوحش فى أصل ضالة . وشبه أضلاعها بقسى معطوفة تحت صلب قوى . وسعة الإبط أبعد لها من العثار . اهـ . وقال الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى : « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » : قال : وهى النجوم تخنس فى مجراها : ترجع . وتكنس : تستتر كما تكنس الظباء فى المغار ، وهو الكناس . اهـ .

(٣) البيت لأوس بن حجز التيمى كما قال المؤلف وكما فى (اللسان : قمع) . والكناس والمكنس : بيت يتخذه الظبى أو الثور الوحشى فى أصل شجرة ليتقى به حر الشمس ، وقد تقدم . وتقمع ، يقال قمعت الظبية قمعا ، وتقمعت : لسعتها القمعة (بالتحريك ، وهى ذباب أزرق عظيم يدخل فى أنف الدواب ، فيؤذيها ، والجمع قمع ومقامع) ودخلت فى أنفها ، فحركت رأسها عن ذلك . وتقمع الحمار : حرك رأسه من القمعة ، ليطرد النعرة عن وجهه أو من أنفه ، قال أوس بن حجر : « ألم تر أن الله أرسل مزنة . . . البيت » أى تحرك رءوسها من القمع . اهـ . والبيت شاهد على أن الكناس يكون للظباء ، كما يكون لبقر الوحش . اهـ .

⁂ أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالليل إذا عسعس ، يقول : وأقسم بالليل إذا عسعس .

⁂ واختلف أهل التأويل فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) فقال بعضهم : عنى بقوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يقول : إذا أدبر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يعنى : إذا أدبر .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرىّ ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن رجل عن أبى ظبيان ، قال : كنت أتبع علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وهو خارج نحو المشرق ، فاستقبل الفجر ، فقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : خرج علىّ عليه السلام مما يلى باب السوق ، وقد طلع الصبح أو الفجر ، فقرأ : (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أين السائل عن الوتر ؟ نعم ساعة الوتر هذه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : إقباله ، ويقال : إدباره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذَا عَسْعَسَ) قال : إذا أدبر .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أدبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن مسعر ، عن أبى حصين ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : خرج علىّ عليه السلام بعد ما أذّن المؤذّن بالصبح ، فقال : (واللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) أين السائل عن الوتر ؟ قال : نعم ساعة الوتر هذه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : عسعس : تولى ، وقال : تنفس الصبح من هاهنا ، وأشار إلى المشرق اطلاع الفجر .

وقال آخرون : عنى بقوله (إِذَا عَسْعَسَ) : إذا أقبل بظلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال : إذا غشى الناس .

حدثنا الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنى أبى ، عن الفضيل ، عن عطية (وَاللَّيْلِ إذَا عَسْعَسَ) قال : أشار بيده إلى المغرب .

* وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : معنى ذلك : إذا أدبر ، وذلك لقوله (وَالصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ) فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرا ، وبالنهار مقبلا ، والعرب تقول : عسعس الليل ، وسَعْسَعَ الليل : إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير ؛ ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج :

يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعا وَلَوْ رَجا تَبْعَ الصِّبا تَتَبَّعا[1]

فهذه لغة من قال : سعسع ؛ وأما لغة من قال : عسعس ، فقول علقمة بن قُرْط :

حتى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا وانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا[2]

يعنى أدبر . وقد كان بعض أهل المعرفة بكلام العرب ، يزعم أن عسعس : دنا من أوّله وأظلم . وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتا :

عَسْعَسَ حتى لَوْ يَشاءُ إدَّنا كانَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبَسُ[3]

يقول : لو يشاء إذ دنا ، ولكنه أدغم الذال فى الدال ، قال الفرّاء : فكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع .

وقوله (وَالصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ) يقول : وضوء النهار إذا أقبل وتبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (والصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ) قال : إذا نشأ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والصُّبْحِ إذَا تَنَفَّسَ) : إذا أضاء وأقبل .

وقوله (إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم ، يعنى جبريل ، نزله على محمد بن عبد الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيتان لرؤبة ديوانه ٨٨ ، واللسان : سعع (قال : وسعسع الشيخ وغيره وتسعسع : قارب الخطو ، واضطرب من الكبر أو الهرم . قال رؤبة يذكر امرأة تخاطب صاحبة لها : « قالت ولم تأل به أن يسععا » يا هند . . . البيتين » . أخبرت صاحبتها عنه أنه قد أدبر وفنى إلا أقله . والسعسعة : الفناء ونحوه . ومنه : تسعسع الشهر : إذا ذهب . اهـ .

(٢) البيتان لعلقمة بن قرط . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) : « والليل إذا عسعس » قال بعضهم : إذا أقبلت (كذا) بهاؤه . وقال بعضهم : إذا ولى ، ألا تراه قال : « والصبح إذا تنفس » . وقال علقمة بن قرط : « حتى إذا الصبح ... البيتين » . اهـ .

(٣) البيت مما أنشده أبو البلاد النحوى ، وأخذه عنه الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) قال : وقوله « والليل إذا عسعس » : اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر . وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وكان أبو البلاد النحوى ينشد فيه : « عسعس حتى . . . البيت » : يريد : إذ دنا ، ثم يلقى همزة ، ويدغم الذال فى الدال . وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع . اهـ . قلت : وإذا لم تصح رواية البيت ثبت أن عسعس بمعنى أدبر ، فيكون معناه كمعنى سعسع . وعلى هذا قال المؤلف : إن العرب تقول : عسعس الليل ، وسعسع الليل : إذا أدبر ، ولم يبق منه إلا اليسير . قلت : وهو الصواب . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أنه كان يقول : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) يعنى : جبريل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أنه كان يقول (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) قال : هو جبريل .

وقوله (ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ) يقول تعالى ذكره : ذى قوّة ، يعنى جبرائيل على ما كلف من أمر غير عاجز عند ذى العرش مكين : يقول : هو مكين عند ربّ العرش العظيم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : (مُطَاعٍ ثَمَّ) يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم ، مطاع فى السماء تطيعه الملائكة (أَمِينٍ) يقول : أمين عند الله على وحيه ورسالته ، وغير ذلك مما ائتمنه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا عمر بن شبيب المسلى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح : (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال جبريل عليه السلام ، أمين على أن يدخل سبعين سُرادقا من نور بغير إذن .

حدثنا محمد بن منصور الطوسىّ ، قال : ثنا عمر بن شبيب ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، قال : لا أعلمه إلا عن أبى صالح ، مثله .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الأقطع ، قال : ثنى أبى عمر بن خالد ، عن معقل بن عبيد الله الجَزَرِىّ ، قال : قال ميمون بن مِهْران فى قوله (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال : ذاكم جبريل عليه السلام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) قال : يعنى جبريل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ) مطاع عند الله (ثَمَّ أَمِينٍ) .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ) يعنى جبريل عليه السلام .

وقوله (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : وما صاحبكم أيها الناس محمد بمجنون ، فيتكلم عن جِنة ، ويهذى هذيان المجانين ، بل جاء بالحقّ ، وصدّق المرسلين .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقى ، قال : ثنا أبى عمرو بن خالد، عن مَعْقِل بن عبد الله الجَزَرِىّ، قال : قال ميمون بن مهران (وَما صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) قال : ذاكم محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) يقول تعالى ذكره : ولقد رآه أى محمد جبريلَ صلى الله عليه وسلم فى صورته بالناحية التى تبين الأشياء، فترى من قبلها، وذلك من ناحية مطلع الشمس من قِبَل المشرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (بِالأُفُقِ المُبِينِ) الأعلى . قال : بأفق من نحو «أجياد».

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : كنا نحدّث أن الأفق حيث تطلع الشمس .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) كنا نحدّث أنه الأفق الذى يجىء منه النهار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : رأى جبريل بالأفق المبين .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش، عن الوليد بن العيزار ، قال : سمعت أبا الأحوص يقول فى قول الله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) قال : رأى جبريل له ستّ مئة جناح فى صورته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، قال : ما رأى جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم فى صورته إلا مرّة واحدة ، وكان يأتيه فى صورة رجل يقال له دَحْيَة ، فأتاه يوم رآه فى صورته قد سدّ الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدرّ، فذلك قول الله (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ) وذُكر أن هذه الآية فى (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) فى جبريل ، إلى قوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (بِضَنِينٍ) بالضاد ، بمعنى : أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علّمه الله ، وأنزل إليه من كتابه . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بِظَنِينٍ) بالظاء ، بمعنى أنه غير متّهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء .

ذكر من قال ذلك بالضاد ، وتأوّله على ماوصفنا من التأويل من أهل التأويل

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ (وَما هُوَ عَلَى

الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : الظَّنين : المتهم . وفى قراءتكم (بِضَنِينٍ) والضنين : البخيل ، والغيب : القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الواسطى ، قال : ثنا مغيرة ، عن إبراهيم (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) ببخيل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : ما يضِنّ عليكم بما يعلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : إن هذا القرآن غيب ، فأعطاه الله محمدا ، فبذله وعلّمه ودعا إليه ، والله ما ضنّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : فى قراءتنا بمتهم ، ومن قرأها (بِضَنِينٍ) يقول : ببخيل .

حدثنا مهران ، عن سفيان (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال : ببخيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) الغيب : القرآن ، لم يضنّ به على أحد من الناس أدّاه وبلّغه ، بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدّى جبريل ما استودعه الله إلى محمد ، وأدّى محمد ما استودعه الله وجبريل إلى العباد ، ليس أحد منهم ضَنّ ، ولا كَتَم ، ولا تَحَرَّص .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك بالظاء ، وتأوّله على ما ذكرنا من أهل التأويل

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربى ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (بظَنِينٍ) قال : ليس بمتهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى المعلّى ، عن سعيد بن جُبير : أنه كان يقرأ هذا الحرف (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) فقلت لسعيد بن جُبير : ما الظنين ؟ قال : ليس بمتهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى المعلى ، عن سعيد بن جُبير أنه قرأ (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قلت : وما الظنين : قال المتهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) يقول : ليس بمتهم على ما جاء به ، وليس يظنّ بما أوتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الواسطىّ ، قال : ثنا المغيرة ، عن إبراهيم (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : بمتّهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ : (وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) قال : الغيب : القرآن . . وفى قراءتنا (بِضَنِينٍ) متّهم .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِظَنِينٍ) قال : ليس على ما أنزل الله بمتّهم .

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية أن معناه : وما هو على الغيب بضعيف ، ولكنه محتَمِل له مطيق ، ووجهه إلى قول العرب للرجل الضعيف : هو ظَنُون .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك (بِضَنِينٍ) بالضاد ، لأن ذلك كله كذلك فى خطوطها .

فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين بالصواب : فى ذلك تأويل من تأوّله ، وما محمد على ما علّمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس ، بل هو حريص على أن تومنوا به وتتعلّموه .

وقوله (وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ) يقول تعالى ذكره : وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون مطرود ، ولكنه كلام الله ووحيه .

وقوله (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟) يقول تعالى ذكره : فأين تذهبون عن هذا القرآن ، وتعدلون عنه ؟

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) يقول : فأين تعدلون عن كتابى وطاعتى . وقيل : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) ولم يقل : فإلى أين تذهبون ، كما يقال : ذهبت الشأم ، وذهبت السوق . وحُكى عن العرب سماعا : انطلق به الغَوْرَ ، على معنى إلغاء الصفة ، وقد ينشد لبعض بنى عُقَيل :

تَصِيحُ بِنا حَنِيفَةُ إذْ رأتْنا وأىَّ الأرْضِ تَذْهَبُ للصِّياحِ [1]

بمعنى : إلى أىّ الأرض تذهب ؟ واستُجيز إلغاء الصفة فى ذلك للاستعمال .

(١) البيت لبعض بنى عقيل . قال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) : وقوله « فأين تذهبون ؟ » . العرب تقول : إلى أين تذهب ؟ وأين تذهب ؟ ويقولون : ذهبت الشام ، وذهبت السوق ، وانطلقت الشام ، وانطلقت السوق ، وخرجت الشام . معناه فى هذه الأحرف الثلاثة : خرجت ، وانطلقت ، وذهبت . وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : انطلقت به الغور ، فتنصب على معنى إلقاء الصفة (حرف الجر عند الكوفيين) ، وأنشدنى بعض بنى عقيل : « تصيح بنا حنيفة . . . البيت » : يريد إلى أى الأرض تذهب ؟ واستجازوا فى هؤلاء الأحرف إلقاء « إلى » لكثرة استعمالهم إياها . قلت : النحويون منعوا نصب اسم المكان على الظرفية : إذا كان خاصا (له صورة وحدود محصورة) وأوجبوا الجر فيه بحرف الجر ، واستثنوا هذه الأحرف التى ذكرها الفراء إذ ورد السماع بها عن العرب بدون حرف الجر . وهو كما قال .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : (إنْ) هذا القرآن ، وقوله (هُوَ) من ذكر القرآن (إلاَّ ذِكْرٌ للْعَالَمِينَ) يقول : إلا تذكرة وعظة للعَالَمِين من الجنّ والإنس (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) فجعل ذلك تعالى ذكره ، ذكرا لمن شاء من العالَمين أن يستقيم ، ولم يجعله ذكرا لجميعهم ، فاللام فى قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ) إبدال من اللام فى للعالمَين . وكان معنى الكلام : إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحقّ فيتبعه ، ويؤمن به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال : يتبع الحقّ .

وقوله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : وما تشاءون أيها الناس الاستقامة على الحقّ ، إلا أن يشاء الله ذلك لكم .

وذُكِر أن السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى ، لما نزلت (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل : ذلك إلينا ، إن شئنا استقمنا ، فنزلت (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبّ الْعالَمِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى ، قال : لما نزلت هذه الآية (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

حدثنى ابن البَرْقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد ، عن سليمان بن موسى ، قال : لما نزلت هذه الآية (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل : ذلك إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله (وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) .

آخر تفسير سورة إذا الشمس كوّرت

تفسير سورة إذا السماء انفطرت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)

يقول تعالى ذكره : (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) : انشقّت ، وإذا كواكبها انتثرت منها فتساقطت ، (وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) يقول : فجّر الله بعضها فى بعض ، فملأ جميعها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى بعض ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) يقول : بعضها فى بعض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) فُجّر عذبها فى مالحها ، ومالحها فى عذبها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَإِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ) قال : فجّر بعضها فى بعض ، فذهب ماؤها . وقال الكلبى : ملئت .

وقوله (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) يقول : وإذا القبور أُثيرت ، فاستخرج من فيها من الموتى أحياء ، يقال : بعثر فلان حوض فلان : إذا جعل أسفله أعلاه ، يقال : بعثره وبحثره : لغتان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) يقول : بُحثت .

وقوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) يقول تعالى ذكره : علمت كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه ، وأخرت وراءه من شىء سنّه فعمل به .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنى عن القُرَظِىّ ، أنه قال

فى (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) قال : ما قدّمت مما عملت ، وأما ما أخّرت فالسنة يَسُنّها الرجل ، يعمل بها من بعده .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : ما قدّمت من الفرائض التى أدّتها ، وما أخّرت من الفرائض التى ضيعتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ) قال : ما افترض عليها (وَما أَخَّرَتْ) قال : مما افترض عليها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) قال : تعلم ما قدّمت من طاعة الله ، وما أخرت مما أُمِرَت به من حقّ لله عليه لم تعمل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ) قال : ما قدّمت من خير ، وأخّرت من حق الله عليها لم تعمل به .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، (ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ) قال : ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ) قال : ماقدّمت : عملت ، وما أخرت : تركت وضيّعت ، وأخرت من العمل الصالح الذى دعاها الله إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما قدّمت من خير أوشرّ ، وأخّرت من خير أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام ، عن إبراهيم التيمىّ ، قال : ذكروا عنده هذه الآية (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) قال : أنا مما أخّر الحجاج .

⁂ وإنما اخترنا القول الذى ذكرناه ، لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قدّمه ، وأن ما ضيّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله ، فهو مما قد قدّم من شرّ ، وليس ذلك مما أخّر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها ، فلذلك قلنا : ما أخر : هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة ، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨)

❊ يقول تعالى ذكره: يا أيها الإنسان الكافر، أىُّ شىء غرّك بربك الكريم، غرّ الإنسانَ به عدوُّه المسلَّط عليه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ) شىء مَّا غرّ ابنَ آدم هذا العدوُّ الشيطان.

وقوله (الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ) يقول: الذى خلقك أيها الإنسان فسوّى خلقك (فَعَدَلَكَ).

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والشام والبصرة (فَعَدَّلَكَ) بتشديد الدال، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بتخفيفها، وكأن من قرأ ذلك بالتشديد، وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلا معدّل الخلق مقوَّما، وكأنّ الذين قرءوه بالتخفيف، وجّهوا معنى الكلام إلى صرفك، وأمالك إلى أىّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته.

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأة الأمصار، صحيحتا المعنى، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجبهما إلىّ أن أقرأ به، قراءة من قرأ ذلك بالتشديد، لأن دخول «فى» للتعديل أحسن فى العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك فى كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك وذكرنا أن قارئى ذلك تأوّلوه، جاءت الرواية عن أهل التأويل أنهم قالوه.

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (فِى أىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: فى أىّ شبه أب أو أم أو خال أو عمّ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن إسماعيل، فى قوله (ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: إن شاء فى صورة كلب، وإن شاء فى صورة حمار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبى صالح (فِى أىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: خنزيرا أو حمارا.

حدثنى يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيّة، عن أبى رجاء، عن عكرمة، فى قوله (فِى أىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: إن شاء فى صورة قرد، وإن شاء فى صورة خنزير.

حدثنى محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا مطهر بن الهيثم، قال: ثنا موسى بن علىّ بن أبى رباح اللّخمى، قال: ثنى أبى، عن جدى، «أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال له: ما وُلِدَ لَكَ؟ قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لى، إما غلام، وإما جارية، قال: فَمَنْ يُشْبِهُ؟ قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه، وإما أمه؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم عندها: مَهْ، لاتَقُولَنَّ هَكَذَا، إنَّ النُّطْفَةَ إذا اسْتَقَرَّتْ فِى الرَّحِمِ أحْضَرَ اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ، أما قَرَأْتَ هَذِهِ الآيَةَ فِى كِتابِ اللهِ (فِى أىِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ) قال: سَلَكَكَ».

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون ، من أنكم على الحقّ فى عبادتكم غير الله ، ولكنكم تكذّبون بالثواب والعقاب ، والجزاء والحساب .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال : بالحساب .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال : بيوم الحساب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) قال : يوم شدّة ، يوم يدين الله العباد بأعمالهم .

وقوله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) يقول : وإن عليكم رُقَباء حافظين يحفظون أعمالكم ، ويُحْصونها عليكم (كِرَامًا كَاتِبِينَ) يقول : كراما على الله كاتبين ، يكتبون أعمالكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : قال بعض أصحابنا ، عن أيوب ، فى قوله (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ) قال : يكتبون ما تقولون وما تَعْنُون .

وقوله (يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) يقول : يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شرّ ، يحصون ذلك عليكم .

وقوله (إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ) يقول جلّ ثناؤه : إن الذين برّوا بأداء فرائض الله ، واجتناب معاصيه لفى نعيم الجنان ينعمون فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) .

* يقول تعالى ذكره : (وَإنَّ الفُجَّارَ) الذين كفروا بربهم (لَفِى جَحِيمٍ) .

وقوله (يَصْلَوْنَها يَوْمَ الدِّينِ) يقول جلّ ثناؤه : يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة ، يوم يُدان العباد بالأعمال ، فيُجازَوْنَ بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ الدِّينِ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

وقوله (وَما هُمْ عَنْها بِغائِبِينَ) يقول تعالى ذكره : وما هؤلاء الفجار من الجحيم بخارجين أبدا فغائبين عنها ، ولكنهم فيها مخلّدون ماكثون ، وكذلك الأبرار فى النعيم ، وذلك نحو قوله (وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ) .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أدراك يامحمد ، أى وما أشْعرك ما يوم الدين ؟ يقول : أىُّ شىء يومُ الحساب والمجازاة ، معظما شأنه جلّ ذكره ، بقيله ذلك :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أدْرَاكَ ما يَوْمُ الدينِ ؟) تعظيما ليوم القيامة ، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم .

وقوله (ثُمَّ ما أدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ؟) يقول : ثم أىّ شىء أشعرك أىّ شىء يوم المجازاة والحساب يامحمد تعظيما لأمره ، ثم فسّر جلّ ثناؤه بعض شأنه فقال : (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً) : يقول : ذلك اليوم ، يوم لاتملك نفس : يقول : يوم لاتُغْنى نفس عن نفس شيئا ، فتدفع عنها بليّة نزلت بها ، ولا تنفعها بنافعة ، وقد كانت فى الدنيا تحميها ، وتدفع عنها من بغاها سوءا ، فبطل ذلك يومئذ ، لأن الأمر صار لله الذى لايغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، واضمحلت هنالك الممالك ، وذهبت الرياسات ، وحصل الملك للملك الجبار ، وذلك قوله (وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) يقول : والأمر كله يومئذ ، يعنى الدين لله دون سائر خلقه ، ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) قال : ليس ثم أحد يومئذ يقضى شيئا ، ولا يصنع شيئا إلا ربّ العالمين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) والأمر والله اليوم لله ، ولكنه يومئذ لاينازعه أحد .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ) فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة بنصب (يَوْمَ) إذ كانت إضافته غير محضة . وقرأه بعض قرّاء البصرة بضم (يَوْمُ) ورفعه ردّا على اليوم الأوّل ، والرفع فيه أفصح فى كلام العرب ، وذلك أن اليوم مضاف إلى يفعل ، والعرب إذا أضافت اليوم إلى تفعل أو يفعل أو أفعل رفعوه فقالوا : هذا يوم أفعل كذا ، وإذا أضافته إلى فعل ماضٍ نصبوه ؛ ومنه قول الشاعر :

عَلَى حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ ؟ (١)

آخر تفسير سورة إذا السماء انفطرت

تفسير سورة ويل للمطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره : الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم فى أسفلها للذين يُطَفِّفون ، يعنى : للذين ينقصون الناس ، ويَبْخَسونهم حقوقهم فى مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك من الشىء الطفيف ، وهو القليل النَّزْر ، والمطفِّف : المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام فى كيل أو وزن ؛ ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء فى حسبة أو عدد : هم سواء كطَفّ الصاع ، يعنى بذلك : كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء .

وبنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضِرار ، عن عبد الله ، قال : قال له رجل :

(١) البيت للنابغة الذبيانى . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (٧ : ١٤١) وقد شرحناه ، فارجع إليه ثمة . وقد أنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٦٠) ، قال عند قوله تعالى « يوم لا تملك » : اجتمع القراء على نصب « يوم لا تملك » والرفع جائز لو قرئ به ، زعم الكسائى أن العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا « اليوم » إلى يفعل ، وأفعل ، ونفعل ، فيقولون : يوم نفعل ذاك ، وأفعل ذاك ، ونفعل ذاك ، فإذا قالوا : هذا يوم فعلت ، فأضافوا « يوم » إلى « فعلت » وإلى « إذ » آثروا النصب . وأنشدوا : « على حين عاتبت . . . البيت» . ويجوز فى الياء والتاء ، ما يجوز فى فعلت (يريد صيغتى المضارع : بيفعل ، وتفعل) . والأكثر : ما فسر الكسائى . اهـ .

يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة ليَوفون الكيل ، قال : وما يمنعهم من أن يوفوا الكيل ، وقد قال الله : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) حتى بلغ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما قَدِم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا. فأنزل الله (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل » .

حدثنى محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثنا سلم بن قتيبة ، عن قسام الصيرفى ، عن عكرِمة قال : أشهد أن كلّ كيال ووزّان فى النار ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنه ليس منهم أحد يزن كما يتزن[1] ،ولا يكيل كما يكتال ، وقد قال الله : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) .

وقوله (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قبلهم من حقّ ، يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيا ، و « على » و« من » فى هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اكتلت منك ، يراد : استوفيت منك .

وقوله (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) يقول : وإذا هم كالوا للناس أو وزنوا لهم.ومن لغة أهل الحجاز أن يقولوا : وزنتك حقك ، وكلتك طعامك ، بمعنى : وزنت لك وكلت لك . ومن وجَّه الكلام إلى هذا المعنى ،جعل الوقف على هم ، وجعل هم فى موضع نصب . وكان عيسى بن عمر فيما ذُكر عنه يجعلهما حرفين ، ويقف على كالوا ، وعلى وزنوا ، ثم يبتدئ : هم يُخسرون . فمن وجَّه الكلام إلى هذا المعنى ،جعل هم فى موضع رفع ، وجعل كالوا ووزنوا مكتفيين بأنفسهما .

والصواب فى ذلك عندى : الوقف على هم ، لأن كالوا ووزنوا لو كانا مكتفيين ، وكانت هم كلاما مستأنفا ، كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحد منهما ، إذ كان بذلك جرى الكتاب فى نظائر ذلك ، إذا لم يكن متصلا به شىء من كنايات المفعول ، فكتابهم ذلك فى هذا الموضع بغير ألف أوضح الدليل على أن قوله (هُمْ) إنما هو كناية أسماء المفعول بهم . فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا ، على ما بيّنا .

وقوله (يُخْسِرُونَ) يقول : ينقصونهم . وقوله (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول تعالى ذكره : ألا يظنّ هؤلاء المطففون الناس فى مكاييلهم وموازينهم، أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ، ليوم عظيم شأنه ، هائل أمره ، فظيع هوله ؟

وقوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فيوم يقوم تفسير عن اليوم الأوّل المخفوض ، ولكنه لما لم يعد عليه اللام ،ردّ إلى مبعوثون ، فكأنه قال : ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس ؟ وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض ، لأنها إضافة غير محضة ، ولوخفض ردّا على اليوم الأوّل لم يكن لحنا ، ولو رفع جاز ، كما قال الشاعر :

(١) يتزن : أى يأخذ الشىء لنفسه وزنا .

وكُنتُ كذى رِجْلَيْنِ : رِجلٍ صَحِيحةٍ وَرِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ[1]

وذُكر أن الناس يقومون لربّ العالمين يوم القيامة ، حتى يُلْجِمَهم العرق ، فبعض يقول : مقدار ثلاث مئة عام ، وبعض يقول : مقدار أربعين عاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يقوم أحدكم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا ابن عون ، عن نافع ، قال : قال ابن عمر : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) حتى يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ النَّاسَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لِعَظَمَةِ اللهِ ، حتى إنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُهُمْ إلى أنْصَافِ آذَانِهِمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يَوْمَ الْقِيامَةِ لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ » ، ثم ذكر مثله .

حدثنى محمد بن خلَف العَسقلانىّ ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يَقُومُونَ حتى يَبْلُغَ الرَّشْحُ إلى أنْصَافِ آذَانِهِمْ » .

حدثنا أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبى ، عن صالح ، قال : ثنا نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) : يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حتى يَغِيبَ أحَدُهُمْ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ فِى رَشْحِهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة بن سعيد ، عن محارب بن دِثار ، عن ابن عمر ، فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يقومون مئة سنة .

---

(١) البيت لكثير عزة . وقد استشهد به المؤلف فى الجزء (٣ : ١٩٤) وأنشده الفراء فى معانى القرآن (٣٦١) قال : وقوله : « يوم يقوم الناس » : هو تفسير اليوم المخفوض ، لما ألقى اللام من الثانى رده إلى « مبعوثون يوم يقوم الناس » ، فلو خفضت يوم بالرد على البيت الأول كان صوابا ، وقد يكون فى موضع خفض ، إلا أنها أضيفت إلى « يفعل » فنصبت إذ أضيفت إلى غير مخفوض ، ولو رفع على ذلك يوم يقوم كما قال الشاعر : « وكنت كذى رجلين . . . » . اهـ . وانظر ديوان كثير طبع الجزائر (١ : ٤٦) .

حدثنا تميم بن المنتصر، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يَوْمَ الْقِيامَةِ ، حَتَّى إنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُ الرَّجُلَ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى وابن وكيع ، قالا : ثنا يحيى ، عن عبد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَقُومَ أحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ » .

حدثنى محمد بن إبراهيم السُّلَيْمِىّ المعروف بابن صدران ، قال : ثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : ثنا عبد السلام بن عجلان ، قال : ثنا يزيد المدنى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغِفَارِىّ : « كَيْفَ أنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ ثَلاثِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ أيَّامِ الدُّنْيا ، لايأتِيهِمْ خَبَرٌ مِنَ السَّماءِ ، وَلا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بِأمْرٍ ، قال بشير : المستعان الله يا رسول الله ، قال : إذَا أنْتَ أوَيْتَ إلى فِراشِكَ فَتَعَوَّذْ بالله مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَسُوءِ الْحِسابِ » .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسعود « فى قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يمكثون أربعين عاما رافعى رءوسهم إلى السماء ، لايكلمهم أحد ، قد ألجم العرق كلّ برّ وفاجر ، قال : فينادى مناد أليس عدلا من ربكم أن خلقكم ثم صوّركم ، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره، أن يولّى كلّ عبد منكم ما تولى فى الدنيا ؟ قالوا : بلى » ثم ذكر الحديث بطوله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن سكن ، قال : حدث عبد الله ، وهو عند عمر « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدى ربّ العالمين أربعين عاما ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ، حفاة عراة يلجمهم العرق ، ولا يكلّمهم بشر أربعين عاما » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) قال : ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : يقومون ثلاث مئة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران وسعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : كان كعب يقول : يقومون مقدار ثلاث مئة سنة .

قال قتادة : وحدثنا العلاء بن زياد العدوىّ ، قال : « بلغنى أن يوم القيامة يَقْصُر على المؤمن ، حتى يكون كاحدى صلاته المكتوبة » .

قال : ثنا مهران ، قال : ثنا العمرىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) قال : يَقُومُ الرَّجُلُ فِي رَشْحِهِ إلى أنْصَافِ أُذُنَيهِ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : (يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) حتى يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

قال يعقوب ، قال إسماعيل : قلت لابن عون : « ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث قال : نَعَمْ إنْ شاءَ اللهُ » .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمى ، قال : أخبرنى مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، حتى إنَّ أحَدَهُمْ لَيَغِيبُ فِي رَشْحِهِ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١)

يقول تعالى ذكره : كلا ، أى ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء الكفار ، أنهم غير مبعوثين ولا معذّبين ، إن كتابهم الذى كتب فيه أعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا (لَفِى سِجِّينٍ) وهى الأرض السابعة السفلى ، وهو « فعِّيلٌ » من السَّجن ، كما قيل : رجل سِكِّير من السكر ، وفِسِيق من الفسق .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : مثل الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن مغيث بن سمى : (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : فى الأرض السابعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن مغيث بن سمىّ ، قال : (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : الأرض السفلى ، قال : إبليس مُوثَق بالحديد والسلاسل فى الأرض السفلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : كنا جلوسا إلى كعب أنا وربيع بن خيثم وخالد بن عُرْعُرة ، ورهط من أصحابنا ، فأقبل ابن عباس ، فجلس إلى جنب كعب ، فقال : يا كعب ، أخبرنى عن سِجِّين ، فقال كعب : أما سِجِّين : فإنها الأرض السابعة السفلى ، وفيها أرواح الكفار تحت حدّ إبليس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) : ذُكر أن عبد الله بن عمرو كان يقول : هى الأرض السفلى ، فيها أرواح الكفار ، وأعمالهم أعمال السَّوء .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِي سِجِّينٍ) قال : فى أسفل الأرض السابعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِى سِجِّينٍ) يقول : أعمالهم فى كتاب فى الأرض السفلى .

حدثنى محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فِي سِجِّينٍ) قال : عملهم فى الأرض السابعة لايصعد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله (١) .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا مطرّف بن مازن: قاضى اليمن، عن معمر ، عن قتادة قال: (سِجِّينٍ) : الأرض السابعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَفِى سِجِّينٍ) يقول : فى الأرض السفلى .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، فى قوله (إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : الأرض السابعة السفلى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : يقال سجين : الأرض السافلة ، وسجين : بالسماء الدنيا .

وقال آخرون : بل ذلك حدّ إبليس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا يعقوب القُمّى، عن حفص بن حميد ، عن شمر ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له ابن عباس : حدّثنى عن قول الله : (إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِى سِجِّينٍ) . . . الآية ، قال كعب : إن روح الفاجر يُصْعَد بها إلى السماء ، فتأبى السماء أن تقبلها، ويُهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلها ، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين ، حتى ينتهى بها إلى سجين ، وهو حدّ إبليس ، فيخرج لها من سجين من تحت حدّ إبليس رَقّ ، فيرقم ويختم، ويوضع تحت حدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : تحت حدّ إبليس .

وقال آخرون : هو جبّ فى جهنم مفتوح ، ورووا فى ذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا به إسحاق بن وهب الواسطىّ، قال: ثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطىّ، قال: ثنا نصر بن خُزيمة

(١) هذا الإسناد جاء فى الأصل مرتين : مرة هنا ومرة فى الذى قبله .

الواسطى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الفَلَقُ جُبٌّ فِى جَهَنَّمَ مُغْطًّى ، وأمَّا سِجِّينٌ فَمَفْتُوحٌ » .

وقال بعض أهل العربية : ذكروا أن سجين : الصخرة التى تحت الأرض ، قال : ويُرَى أن سجين صفة من صفاتها ، لأنه لو كان لها اسما لم يجرّ ، قال : وإن قلت أجريته لأنى ذهبت بالصخرة إلى أنها الحجر الذى فيه الكتاب كان وجها .

❊ وإنما اخترت القول الذى اخترت فى معنى قوله (سِجِّينٍ) لما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان أبى عمرو ، عن البراء ، قال (سِجِّينٍ) : الأرض السفلى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وذكر نفس الفاجر ، وأنَّهُ يُصْعَدُ بها إلى السَّماءِ ، قال : فَيَصْعَدُونَ بِها فَلا يَمُرُّونَ بِها عَلَى مَلإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إلاَّ قالُوا : ما هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ ؟ قال : فَيَقُولُونَ فُلانٌ بِأقْبَحِ أسْمَائِهِ الَّتِى كانَ يُسَمَّى بِها فِى الدُّنْيا حَتَّى يَنْتَهُوا بِها إلى السَّماءِ الدُّنْيا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَلا يُفْتَحُ لَهُ ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ ، وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِياطِ) فَيَقُولُ اللهُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِى أسْفَلِ الأرْضِ فِى سِجِّينٍ فِى الأرْضِ السُّفْلَى » .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال : سجين : صخرة فى الأرض السابعة ، فيجعل كتاب الفجار تحتها .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما سِجِّينٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأىّ شىء أدراك يا محمد ، أىّ شىء ذلك الكتاب ، ثم بين ذلك تعالى ذكره ، فقال : (هُوَ كِتابٌ مَرْقُومٌ) ، وعنى بالمرقوم : المكتوب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِى كِتابٍ مَرْقُومٍ) قال : كتاب مكتوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما أدْرَاكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ) قال : رقم لهم بشر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كِتابٌ مَرْقُومٌ) قال : المرقوم : المكتوب .

وقوله (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يقول تعالى ذكره : ويل يومئذ للمكذّبين بهذه الآيات ، الذين يكذّبون بيوم الدين ، يقول : الذين يكذّبون بيوم الحساب والمجازاة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) قال أهل الشرك يكذّبون بالدين ، وقرأ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وما يكذّب بيوم الدين (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) اعتدى على الله فى قوله ، فخالف أمره ، (أَثِيمٍ) بربه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) قال الله : (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) : أى بيوم الدين ، إلا كلّ معتد فى قوله ، أثيم بربه ، (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) يقول تعالى ذكره : إذا قُرِئَ عليه حججنا وأدلتنا التى بيّنّاها فى كتابنا الذى أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) يقول : قال : هذا ما سطّره الأوّلون فكتبوه ، من الأحاديث والأخبار .

وقوله (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول تعالى ذكره مكذّبا لهم فى قيلهم ذلك : كلا ، ما ذلك كذلك ، ولكنه ران على قلوبهم يقول : غلب على قلوبهم وغمرها ، وأحاطت بها الذنوب فغطّتها ، يقال منه : رانت الخمر على عقله ، فهى ترين عليه رَيْنا ، وذلك إذا سكر ، فغلبت على عقله ؛ ومنه قول أبى زُبيد الطائى :

ثُمَّ لَمَّا رآهُ رَانَتْ بِهِ الخَمْـــــرُ وأنْ لا ترِينَهُ باتِّقاءِ [1]

يعنى ترينه بمخافة ، يقول : سكر فهو لاينتبه ؛ ومنه قول الراجز :

لَمْ تَرْوَ حَتى هَجَّرَتْ وَرِينَ بِى　　وَرِينَ بالسَّاقى الَّذى أمْسَى مَعِى [2]

(١) البيت لأبى زبيد الطائى . قال أبوعبيدة فى مجاز القرآن : « كلا بل ران على قلوبهم » : غلب على قلبه . والخمر ترين على عقل السكران . والموت يرين على الميت . قال أبو زبيد « ثم لما رآوه . . . البيت » . وفى (اللسان : ران) الرين : الطبع والدنس . والرين : الصدأ الذى يعلو السيف والمرآة . وفى التنزيل : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » : أى غلب وطبع وختم. وقال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب . هـ .

(٢) البيت مما رواه ابن الأعرابى عن العرب ولم ينسبه . وفى (اللسان : ران) : قال أبو عبيد : كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك ، ورانك ، وران عليك . ورانت نفسه غثت . ورين به : مات . ورين به رينا : وقع فى غم ؛ وقيل : رين به : انقطع به ، وهو نحو ذلك ، أنشد ابن الأعرابى :

ضَحَّيْتُ حتى أظْهَرت وَرِينَ بِى　　وَرِينَ بالسَّاقى الَّذِى كانَ مَعِى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو خالد ، عن ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب صقل منها ، فإن عاد عادت حتى تعظم فى قلبه ، فذلك الران الذى قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا ابن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذى قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) »

حدثنى علىّ بن سهيل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنّ العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه ، فإن زاد زادت ، فذلك قول الله : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » .

حدثنى أبو صالح الضرارى محمد بن إسماعيل ، قال : أخبرنى طارق بن عبد العزيز ، عن ابن عجلان ، عن القعقاع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة كانت نكتة فى قلبه ، فإن تاب واستغفر ونزع صقلت قلبه ، وذلك الران الذى ذكر الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال أبو صالح : كذا قال : صقلت ، وقال غيره : سقلت .

حدثنى علىّ بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا الوليد ، عن خليد ، عن الحسن ، قال : وقرأ (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال : الذنب على الذنب حتى يموت قلبه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال : الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال : العبد يعمل بالذنوب ، فتحيط بالقلب ، ثم ترتفع ، حتى تغشى القلب .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملىّ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : أرانا مجاهد

بيده ، قال ، كانوا يرون القلب فى مثل هذا ، يعنى الكفّ ، فإذا أذنب العبد ذنبا ضمّ منه ، وقال بأصبعه الخنصر هكذا ، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى ، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى ، حتى ضمّ أصابعه كلها ، ثم يطبع عليه بطابع ، قال مجاهد : وكانوا يرون أن ذلك الرَّيْن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : القلب مثل الكفّ ، فإذا أذنب الذنب قبض أصبعا ، حتى يقبض أصابعه كلها ، وإن أصحابنا يرون أنه الران .

حدثنا أبو كريب مرّة أخرى بإسناده عن مجاهد، قال: القلب مثل الكفّ، وإذا أذنب انقبض، وقبَض أصبعه ، فإذا أذنب انقبض، حتى ينقبض كله ، ثم يطبع عليه ، فكانوا يرون أن ذلك هو الران (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : الخطايا حتى غمرته .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) يقول : يطبع .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) قال : طبع على قلوبهم ما كسبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن طلحة ، عن عطاء (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) قال: غَشِيت على قلوبهم فهوت بها ، فلا يفزعون ، ولا يتحاشَون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحسن (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) قال : هو الذنب حتى يموت القلب .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : الران : الطبع يطبع القلب مثل الراحة، فيذنب الذنب، فيصير هكذا، وعقد سفيان الخنصر ، ثم يذنب الذنب فيصير هكذا ، وقبَض سفيان كفه ، فيُطْبَعَ عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أعمال السوء ، إى والله ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : هذا الذنب على الذنب ، حتى يَرِين على القلب فيسودّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) قال : غلب على قلوبهم ذُنُوبهم ، فلا يَخْلُص إليها معها خير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ) قال : الرجل يذنب الذنب ، فيحيط الذنب بقلبه ، حتى تَغْشَى الذنوب عليه . قال مجاهد : وهى مثل الآية التى فى سورة البقرة (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، فأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذّبون بيوم الدين ، من أن لهم عند الله زُلْفة ، إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون ، فلا يرونه ، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إنهم محجوبون عن كرامته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد مسلم ، عن خليد ، عن قتادة (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) هو لاينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونىّ ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنى نمران أبو الحسن الذمارى ، عن ابن أبى مليكة أنه كان يقول فى هذه الآية (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال : المنّان ، والمختال ، والذى يقتطع أموال الناس بيمينه بالباطل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم محجوبون عن رؤية ربهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمار الرازىّ ، قال : ثنا أبو معمر المنقرىّ ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن فى قوله (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) قال : يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية ، أو كلاما هذا معناه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره اخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون . ويُحتمل أن يكون مرادا به الحجاب عن كرامته ، وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله ، ولا دلالة فى الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى ، ولا خبر به عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قامت حجته . فالصواب أن يقال : هم محجوبون عن رؤيته ، وعن كرامته ، إذ كان الخبر عاما ، لادلالة على خصوصه .

وقوله (إِنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم إنهم لوارِدُو الجحيم ، فمشويُّون فيها ، ثم يقال (هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) يقول جلّ ثناؤه : ثم يقال لهؤلاء المكذّبين بيوم الدين : هذا العذاب الذى أنتم فيه اليوم ، هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تخبرون أنكم ذائقوه ، فتكذّبون به ، وتنكرونه ، فذوقوه الآن ، فقد صَلَيتم به .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : (كَلاَّ إِنَّ كتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) والأبرار : جمع برّ ، وهم الذين برّوا الله بأداء فرائضه ، واجتناب محارمه . وقد كان الحسن يقول : هم الذين لايؤذون شيئا حتى الذرّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام ، عن شيخ ، عن الحسن ، قال : سُئل عن الأبرار ، قال : الذين لايؤذون الذرّ .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابىّ ، قال : ثنا الفِريابىّ ، عن السرىّ بن يحيى ، عن الحسن ، قال : الأبرار : هم الذين لايؤذون الذرّ .

وقوله (لَفِى عِلِّيِّينَ) اختلف أهل التأويل فى معنى عليين ، فقال بعضهم : هى السماء السابعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى جرير بن حازم ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن العِلِيين ، فقال كعب : هى السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعنى العَتَكى ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : فى السماء العليا .

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، فى قوله (إِنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ) قال : فى السماء السابعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِلِّيُّونَ) قال : السماء السابعة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَفِي عِلِّيِّينَ) : فى السماء عند الله .

وقال آخرون : بل العِلِّيون : قائمة العرش اليمنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : هى قائمة العرش اليمنى .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا مُطَرِّف بن مازن ، قاضى اليمن ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) قال : عِلِّيون : قائمة العرش اليمنى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فِي عِلِّيِّينَ) قال : فوق السماء السابعة ، عند قائمة العرش اليمنى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمِّى ، عن حفص ، عن شمر ، عن عطية ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فسأله ، فقال : حدثنى عن قول الله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) . . . الآية ، فقال كعب : إن الروح المؤمنة إذا قُبِضت ، صُعد بها ، ففُتحت لها أبواب السماء ، وتلقَّتها الملائكة بالبُشرَى ، ثم عَرَجوا معها حتى ينتهوا إلى العرش ، فيخرج لها من عند العرش رَقّ ، فيُرقَم ، ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة ، وتشهد الملائكة المقرّبون .

وقال آخرون : بل عُنِىَ بالعليين : الجَنَّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) قال : الجنة .

وقال آخرون : عند سِدْرة المنتهى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى جعفر بن محمد البزورىّ من أهل الكوفة ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن الأجلح ، عن الضحاك قال : «إذا قبض رُوح العبد المؤمن عُرج به إلى السماء ، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية ، قال الأجلح : قلت : وما المقرّبون ؟ قال : أقربهم إلى السماء الثانية ، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، حتى تنتهى به إلى سِدْرة المنتهى . قال الأجلح : قلت للضحاك : لِمَ تسمى سِدْرة المنتهى ؟ قال : لأنه يَنْتَهى إليها كلّ شىء من أمر الله لايعدوها ، فتقول : ربّ عبدك فلان ، وهو أعلم به منهم ، فيبعث الله إليهم بصَكّ مختوم يؤمَّنه من العذاب ، فذلك قول الله (كَلاَّ إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) » .

وقال آخرون : بل عُنِى بالعِلِّيين : فى السماء عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ كِتابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) يقول : أعمالهم فى كتاب عند الله فى السماء .

* والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن كتاب الأبرار فى عِلِّيين ؛ والعليون : جمع ، معناه : شىء فوق شىء ، وعلوّ فوق علوّ ، وارتفاع بعد ارتفاع ، فلذلك جُمعت بالياء والنون ، كجمع الرجال ، إذا لم يكن له بناء من واحده واثنيه ، كما حُكى عن بعض العرب سماعا : أطْعَمَتْنَا مَرَقَةَ مَرَقَتَيْنِ : يعنى اللحم المطبوخ [1] كما قال الشاعر :

قَدْ رَوِيتُ إلاَّ الدُّهَيْدِهِينا قَلَيْصَاتٍ وأُبَيْكِرِينَا [2]

فقال : وأبيكرينا ، فجمعها بالنون إذ لم يقصد عددا معلوما من البكارة ، بل أراد عددا لايحدّ آخره ، وكما قال الآخر :

فأصْبَحَتِ المَذَاهِبُ قَدْ أذَاعَتْ بِها الإعْصَارُ بَعْدَ الوَابِلِينا [3]

يعنى : مطرا بعد مطر غير محدود العدد ، وكذلك تفعل العرب فى كلّ جمع لم يكن بناء له من واحده واثنيه ، فجمعه فى جميع الإناث ، والذكران بالنون على ما قد بيّنّا ، ومن ذلك قولهم للرجال والنساء : عشرون وثلاثون . فإذا كان ذلك كالذى ذكرنا ، فبيّنٌ أن قوله (لَفِي عِلِّيِّينَ) معناه : فى علوّ وارتفاع ، فى سماء فوق سماء ، وعلوّ فوق علوّ ، وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة ، وإلى سدرة المنتهى ، وإلى قائمة العرش ، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنىّ به بعضُ ذلك دون بعض .

* والصواب أن يقال فى ذلك ، كما قال جلّ ثناؤه : إن كتاب أعمال الأبرار لفى ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته ، غير أن ذلك لايَقْصُر عن السماء السابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

(١) فى (اللسان : مرق) يريد اللحم إذا طبخ ، ثم طبخ لحم آخر بذلك الماء .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ولم ينسبا قال الفراء فى معانى القرآن (٣٦١) : وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » : يقول القائل : كيف جمعت عليون بالنون ، وهذا من جمع الرجال ؟ فإن العرب إذا جمعت جمعا لايذهبون فيه إلى أن له بناء من واحد واثنين ، فقالوه فى المؤنث والمذكر بالنون ، فمن ذلك هذا ، وهو شىء فوق شىء غير معروف و حده ولا أنثاه . وسمعت بعض العرب يقول : أطعمنا مرقة مرقين ، يريد اللحم إذا طبخت بمرق واحد ، قال الشاعر : « قد رويت إلا . . . البيتين » . فجمع بالنون لأنه أراد العدد الذى لايحد . اه . وفى (اللسان : دهده) : والدهداه ؛ صغار الإبل . قال : قد رويت . . . البيتين . جمع الدهداه بالواو والنون وحذف الهاء من الدهين الضرورة . وقال الجوهرى : كأنه جمع الدهداه على دهداه ، ثم صغر دهداه ، فقال : دهيده ، ثم جمع دهيدها باليا ء والنون . وكذلك أبكر جمع بكر ، ثم صغر أبيكر . ثم جمعه بالياء والنون . اه . وقال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٤١٠) : وهذا الرجز مع كثرة الاستشهاد به لم يعرف قائله . اه .

(٣) قال الفراء بعد كلامه فى الشاهد قبله : وكذلك قول الشاعر : « فأصبحت » أراد المطر بعد المطر غير محدود . ونرى أن منه قول العرب عشرون وثلاثون ، وإذ جعل للرجال والنساء العدد الذى يشبه هذا النوع ، وكذلك عليون : ارتفاع بعد ارتفاع ، وكأنه لاغاية له . اه . وفى (اللسان : وبل) : فأما قوله « وأصبحت المذاهب قد أذاعت . . . البيت » فإن شئت جعلت الوابلين الرجال الممدوحين ، يصفهم بالوبل ، لسعة عطاياهم . وإن شئت جعلته وبلا بعد وبل ، فكان جمعا لم يقصد به قصد كثرة ولا قلة . اه . والمذاهب فى البيت : المسالك والطرق . وأذاعت بها : ذهبت وغيرتها ، والإعصار : الريح الشديدة . اه .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ماعِلِّيُّونَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مُعَجِّبه من عليين، وأىّ شىء أشعرك يامحمد ما عليون ؟

وقوله (كِتابٌ مَرْقُومٌ) يقول جلّ ثناؤه : إن كتاب الأبرار لفى عليين ، كتاب مرقوم : أى مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة ، والفوز بالجنة ، كما قد ذكرناه قبل عن كعب الأحبار والضحاك ابن مُزَاحم .

وكما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كِتاب مَرْقُومٌ) رقم .

وقوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) يقول : يشهد ذلك الكتاب المكتوب بأمان الله للبَرّ من عباده من النار ، وفوزه بالجنة ، المقرّبون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : كلّ أهل السماء .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) من ملائكة الله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : يشهده مقرّبو أهل كلّ سماء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) قال : الملائكة .

وقوله (إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين بَرّوا باتقاء الله، وأداء فرائضه، لفى نعيم دائم ، لايزول يوم القيامة ، وذلك نعيمهم فى الجنان .

القول فى تأويل قوله تعالى

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)

يعنى تعالى ذكره بقوله (عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ): على السرر فى الحِجال ، من اللؤلؤ والياقوت ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم ، والحَبْرة فى الجنان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى الأرَائِكِ) قال : من اللؤلؤ والياقوت .

قال : ثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حُصَين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (الأَرَائِكِ) : السُّرُر فى الحَجال .

وقوله (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) يقول تعالى ذكره : تعرف فى الأبرار الذين وصف الله صفتهم نَضْرة النعيم ، يعنى حُسنه وبريقه وتلألؤه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (تَعْرِفُ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار سوى أبى جعفر القارئ (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ) بفتح التاء من تعرف على وجه الخطاب (نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بنصب نضرة . وقرأ ذلك أبو جعفر (يُعْرَفُ) بضم التاء على وجه ما لم يسمّ فاعله ، فى وجوههم نضرةُ النعيم ، برفع نضرة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ما عليه قرّاء الأمصار ، وذلك فتح التاء من (تَعْرِفُ) ، ونصب (نَضْرَةَ) .

وقوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يقول : يُسقى هؤلاء الأبرار من خمر صِرف لاغشّ فيها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : من الخمر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يعنى بالرحيق : الخمر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : خمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الرحيق : الخمر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَور ، عن معمر ، عن قتادة (رَحِيقٍ) قال : هو الخمر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) يقول : الخمر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) الرحيق المختوم : الخمر ؛ قال حسان :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيهِمُ　　بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ [1]

(١) البيت لحسان بن ثابت يمدح أولاد جفنة ملوك الشام (اللسان : صفق) قال : صفق الشراب : مزجه ، فهو مصفق ، وصفقه وصفقه (الثانية بتشديد الفاء) وأصفقه : حوله من إناء إلى إناء ليصفو ، قال حسان : « يسقون من ورد . . . البيت » . واستشهد المؤلف بالبيت عند قوله تعالى : « يسقون من رحيق مختوم » وقال : إن الرحيق المختوم الخمر . اه . وفى رواية عن ابن عباس أنها الخمر العتيقة البيضاء الصافية . ومنه قول حسان . . . الخ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) : الرحيق : الذى ليس فيه غش . والبيت فى ديوان حسان طبعة ليدن (١٩١٠ ص ١٧) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) قال : هو الخمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : الرحيق : الخمر .

وأما قوله (مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ممزوج مخلوط ، مِزاجه وخِلطه مِسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، وعلقمة عن عبد الله بن مسعود (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : ليس بخاتم ، ولكن خِلط .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أشعث بن سليم ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : أما إنه ليس بالخاتم الذى يختم ، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول : طيب كذا وكذا خِلطه مسك .

حدثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أيوب ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عمن ذكره ، عن علقمة ، فى قوله (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : خِلطه مسك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله مختوم ، قال : ممزوج (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طعمه وريحه .

قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عن يزيد بن معاوية ، عن علقمه (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طعمه وريحه مسك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن آخر شرابهم يُختم بمسك يجعل فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ) يقول : الخمر : خُتِم بالمسك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طيَّب الله لهم الخمر ، فكان آخر شىء جعل فيها حتى تختم ، المسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مسك ، قوم تُمزَج لهم بالكافور ، وتختم بالمسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مِسك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طيَّب الله لهم الخمر ، فوجدوا فيها فى آخر شىء منها ، ريح المسك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا حاتم بن وردان ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن إبراهيم والحسن فى هذه الآية (خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : عاقبته مسك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبوحمزة ، عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبى الدرداء (خِتامُهُ مِسْكٌ) فالشراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (مَخْتُومٍ) مُطَيَّنٌ (خِتامُهُ مِسْكٌ) طينه مسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ) قال : طينه مسك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَخْتُومٍ) الخمر (خِتامُهُ مِسْكٌ) : ختامه عند الله مسك ، وختامها اليوم فى الدنيا طين .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : آخره وعاقبته مسك : أى هى طيبة الريح ، إن ريحها فى آخر شربهم ، يختم لها بريح المسك .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، لأنه لاوجه للختم فى كلام العرب إلا الطبع ، والفراغ كقولهم : ختم فلان القرآن : إذا أتى على آخره ، فإذا كان لاوجه للطبع على شراب أهل الجنة ، يفهم إذا كان شرابهم جاريا جرى الماء فى الأنهار ، ولم يكن مُعتقا فى الدنان ، فيُطَيَّنَ عليها وتختم ، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر ، وهو العاقبة والمشروب آخرا ، وهو الذى ختم به الشراب . وأما الختم بمعنى المزج ، فلا نعلمه مسموعا من كلام العرب .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (خِتامُهُ مِسْكٌ) سوى الكسائىّ ، فإنه كان يقرؤه (خاتَمَهُ مِسْكٌ) .

والصواب من القول عندنا فى ذلك : ما عليه قَرَأَةُ الأمصار ، وهو (خِتامُهُ) ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، والختام والخاتم ، وإن اختلفا فى اللفظ ، فإنهما متقاربان فى المعنى ، غير أن الخاتم اسم ، والختام مصدر ؛ ومنه قول الفرزدق :

فَبِتُّ بِجانِبَيَّ مُصَرَّعاتٍ وَبِتُّ أفُضُّ أغْلاقَ الخِتامِ [1]

ونظير ذلك قولهم : هو كريم الطبائع والطباع .

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى ٨٣٦) من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك . روى الفراء فى معانى القرآن عند قوله تعالى « ختامه مسك » بإسناد له إلى على بن أبى طالب ، أنه قرأ « خاتمه مسك » . وبإسناد آخر له عن علقمة وقيس : خاتمه مسك . وقال أما رأيت المرأة تقول للعطار : اجعل لى خاتمه مسكا تريد آخره . والخاتم والختام : متقاربان فى المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم ، والختام : المصدر . وقال الفرزدق : « فبتن . . . . البيت » . ومثل الخاتم قولك للرجل : هو كريم الطابع والطباع . وتفسير ذلك أن أحدهم إذا شرب ، وجد آخر كأسه ريح المسك . اه . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٥) مختوم : له ختام . اه .

وقوله (وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) يقول تعالى ذكره : وفى هذا النعيم الذى وصف جلّ ثناؤه أنه أعطى هؤلاء الأبرار فى القيامة ، فليتنافس المتنافسون . والتنافس : أن ينفَس الرجل على الرجل بالشيء يكون له ، ويتمنى أن يكون له دونه ، وهو مأخوذ من الشيء النفيس ، وهو الذى تحرص عليه نفوس الناس ، وتطلبه وتشتهيه ، وكان معناه فى ذلك : فليجدّ الناس فيه ، وإليه فليستبقوا فى طلبه ، ولتحرص عليه نفوسهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ومِزاج هذا الرحيق من تسنيم ؛ والتسنيم : التفعيل من قول القائل : سنمتهم العين تسنيما : إذا أجريتها عليهم من فوقهم ، فكان معناه فى هذا الموضع : ومِزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم . وقد كان مجاهد والكلبيّ يقولان فى ذلك كذلك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَسْنِيمٍ) قال : تسنيم : يعلو .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبيّ ، فى قوله (تَسْنِيمٍ) قال : تسنيم ينصب عليهم من فوقهم ، وهو شراب المقرّبين . وأما سائر أهل التأويل ، فقالوا : هو عين يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين ، وأما المقرّبون ، فيشربونها صِرْفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين فى الجنة يشربها المقرّبون ، وتُمزج لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مُرّة ، عن مسروق ، عن عبد الله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : يشربه المقرّبون صِرفا ، ويمزج لأصحاب اليمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، عن مسروق (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين فى الجنة يشربها المقرّبون صِرفا ، وتُمزج لأصحاب اليمين .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروق (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قال : يشرب بها المقرّبون صِرفا ، وتمزج لأصحاب اليمين .

حدثنى طلحة بن يحيى اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : فى الجنة عين يشرب منها المقرّبون صِرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) صِرفا ، ويمزج فيها لمن دونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مالك بن الحارث ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : التسنيم : عين فى الجنة يشربها المقرّبون صرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : عين يشرب بها المقرّبون ، ويمزج فيها لمن دونهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) عينا من ماء الجنة ، تُمزج به الخمر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : خفايا أخفاها الله لأهل الجنة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) قال : هو أشرف شراب فى الجنة ، هو للمقرّبين صِرف ، وهو لأهل الجنة مِزاج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) شراب شريف ، عين فى الجنة يشربها المقرّبون صِرفا ، وتُمزج لسائر أهل الجنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) قال : بلغنا أنها عين تخرج من تحت العرش ، وهى مِزاج هذه الخمر : يعنى مِزاج الرحيق .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ تَسْنِيمٍ) شراب اسمه تسنيم ، وهو من أشرف الشراب ، فتأويل الكلام : ومزاج الرحيق من عين تُسَنَّم عليهم من فوقهم ، فتنصب عليهم (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) من الله صرفا ، وتمزج لأهل الجنة .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (عَيْنًا) فقال بعض نحوىّ البصرة : إن شئت جعلت نصبه على يُسْقَون عينا ، وإن شئت جعلته مدحا ، فيُقطع من أوّل الكلام ، فكأنك تقول : أعنى عينا .

وقال بعض نحوىّ الكوفة : نصب العين على وجهين : أحدهما : أن يُنْوَى من تسنيم عَيْن ، فإذا نوّنت نصبت ، كما قال (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا) ، وكما قال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً) . والوجه الآخر : أن ينوى من ماء سُنِّم عينا ، كقولك : رفع عينا يشرب بها . قال : وإن لم يكن التسنيم اسما للماء ، فالعين نكرة ، والتسنيم معرفة ، وإن كان اسما للماء ، فالعين نكرة[1] فخرجت نصبا . وقال آخر من البصريين : (مِنْ تَسْنِيمٍ) معرفة ، ثم قال (عَيْنًا) فجاءت نكرة ، فنصبتها صفة لها . وقال آخر نُصبت بمعنى : من ماء يَتَسَنَّم عينا .

(١) عبارة الفراء : وإن لم يكن التسنيم اسما للماء ، فالعين نكرة والتسنيم معرفة أن كان اسما للماء والعين الخ .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن التسنيم اسم معرفة ، والعين نكرة ، فنصبت لذلك إذ كانت صفة له .

وإنما قلنا : ذلك هو الصواب لما قد قدّمنا من الرواية عن أهل التأويل ، أن التسنيم هو العين ، فكان معلوما بذلك أن العين إذ كانت منصوبة وهى نكرة ، أن التسنيم معرفة .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الذين اكتسبوا المآثم ، فكفروا بالله فى الدنيا ، كانوا فيها من الذين أقرّوا بوحدانية الله ، وصدّقوا به ، يضحكون ، استهزاء منهم بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ أجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) فى الدنيا ، يقولون : والله إن هؤلاء لكذبة ، وما هم على شىء ، استهزاء بهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مرّ الذين آمنوا بهم يتغامزون ؛ يقول : كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن ، استهزاء به وسخرية .

وقوله (وَإذَا انْقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) يقول : وكان هؤلاء المجرمون إذا انصرفوا إلى أهلهم من مجالسهم انصرفوا ناعمين معجبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) قال : معجبين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإذَا انْقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فاكِهِينَ) قال : انقلب ناعما ، قال : هذا فى الدنيا ، ثم أعقب النار فى الآخرة .

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يفرّق بين معنى فاكهين وفكهين ، فيقول : معنى فاكهين ناعمين ، وفكهين : مَرِحين . وكان غيره يقول : ذلك بمعنى واحد ، وإنما هو بمنزلة طامع وطَمِع ، وباخل وبَخِل .

وقوله (وَإذَا رأوْهُمْ قالُوا إنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا رأى المجرمون المؤمنين

قالوا لهم: إن هؤلاء لضالون ، عن محجة الحق ، وسبيل القصد (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) يقول جل ثناؤه : وما بعث هؤلاء الكفار القائلون للمؤمنين إن هؤلاء لضالون ، حافظين عليهم أعمالهم يقول : إنما كُلِّفوا الإيمان بالله، والعمل بطاعته ، ولم يُجعلوا رُقباء على غيرهم يحفظون عليهم ، أعمالهم ويتفقدونها .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) .

يقول تعالى ذكره : (فَالْيَوْمَ) وذلك يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فى الدنيا (مِنَ الْكُفَّارِ) فيها (يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) يقول : على سررهم التى فى الحجال ينظرون إليهم ، وهم فى الجنة ، والكفار فى النار يُعذّبون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) قال: يعنى السُّرر المرفوعة عليها الحجال . وكان ابن عباس يقول : إن السور الذى بين الجنة والنار يُفتح لهم فيه أبواب ، فينظر المؤمنون إلى أهل النار ، والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذّبون ، فيضحكون منهم ، فيكون ذلك مما أقرّ الله به أعينهم ، كيف ينتقم الله منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : إن بين الجنة والنار كُوًى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوّ كان له فى الدنيا ، اطلع من بعض الكُوى ، قال الله جلّ ثناؤه (فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : أى فى وسط النار . وذُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال كعب : إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كُوًى ، لايشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) كان ابن عباس يقول: السُّور بين أهل الجنة والنار ، فيفتح لأهل الجنة أبواب ، فينظرون وهم على السُّرر إلى أهل النار كيف يعذّبون ، فيضحكون منهم ، ويكون ذلك مما يقرّ الله به أعينهم أن ينظروا إلى عدوّهم كيف ينتقم الله منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) قال : يُجاء بالكفار ، حتى ينظروا إلى أهل الجنة فى الجنة ، على سُرر ، فحين ينظرون إليهم تغلق دونهم

الأبواب ، ويضحك أهل الجنة منهم ، فهو قوله (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) .

وقوله (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره : هل أثيب الكفار وجُزُوا ثواب ما كانوا فى الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم ، بضحك المؤمنين منهم فى الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم فى النار يعذّبون .

و (ثُوِّبَ) فعل من الثواب والجزاء ، يقال منه : ثوّب فلان فلانا على صنيعه ، وأثابه منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) قال : جرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) حين كانوا يسخرون .

آخر تفسير سورة ويل للمطففين

تفسير سورة إذا السماء انشقت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)

يقول تعالى ذكره : إذا السماء تصدّعت وتقطّعت فكانت أبوابا .

وقوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) يقول : وسمعت السموات فى تصدّعها وتشققها لربها ، وأطاعت له فى أمره إياها ، والعرب تقول : أذِنَ لك فى هذا الأمر أذَناً بمعنى : استمع لك ، ومنه الخبر الذى رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « ما أذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كأذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ » يعنى بذلك : ما استمع الله لشىء كاستماعه لنبىّ يتغنى بالقرآن ؛ ومنه قول الشاعر :

صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عِنْدَهُمْ أُذِنُوا[1]

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب ؛ اللسان : أذن) وأورد قبله بيتا آخر ، وهو :

إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا ... مِنِّى وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وأذن له أذناً : استمع ، والشاهد عليه بيت قعنب . وفى الحديث : « ما أذن الله لشىء كاستماعه لنبى يتغنى بالقرآن » : أى يتلوه يجهر به . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٦) وأذنت لربها : أذنت : استمعت .

وأصل قولهم فى الطاعة : سمع له من الاستماع ، يقال منه : سمعت لك ، بمعنى سمعت قولك وأطعت ، فيما قلتَ وأمرت .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) قال : سمعت لربها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) قال : سمعت .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) : أى سمعت وأطاعت .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) قال : سمعت وأطاعت .

وقوله (وحُقَّتْ) يقول : وحقّق الله عليها الاستماع بالانشقاق ، والانتهاء إلى طاعته فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَحُقَّتْ) قال : حقّقت لطاعة ربها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد بن جُبير (وَحُقَّتْ) وحُقّ لها .

وقوله (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) يقول تعالى ذكره : وإذا الأرض بُسِطت ، فزيد فى سعتها ؛

كالذى حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، عن علىّ بن حسين ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرْضَ حَتى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، فأكُونَ أوَّلَ مَنْ يُدْعَى ، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَاللهِ

ما رآهُ قَبْلَهَا ، فأقُولُ يارَبِّ إنَّ هَذَا أخْبَرَنِي أنَّكَ أرْسَلْتَهُ إلَيَّ ، فيَقُولُ : صَدَقَ ، ثُمَّ أشْفَعُ فأقولُ : يا رَبِّ عِبادُكَ عَبَدُوكَ فِي أطْرَافِ الأرْضِ ، قال : وهُوَ المَقامُ المَحْمُودِ » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُدَّتْ) قال : يوم القيامة .

وقوله (وَألْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) يقول جلّ ثناؤه : وألقت الأرض ما فى بطنها من الموتى إلى ظهرها وتخلّت منهم إلى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَألْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) قال : أخرجت ما فيها من الموتى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَألْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ) قال : أخرجت أثقالها وما فيها .

وقوله (وَأذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ) يقول : وسمعت الأرضُ فى لقائها ما فى بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء ، أمرَ ربها وأطاعت (وحُقَّتْ) يقول : وحقّقها الله للاستماع لأمره فى ذلك ، والانتهاء إلى طاعته .

واختلف أهل العربية فى موقع جواب قوله (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) ، وقوله (وَإذَا الأرْضُ مُدَّتْ) ، فقال بعض نحويّ البصرة : (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) على معنى قوله (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحا فَمُلاقِيهِ) إذا السماء انشقت ، على التقديم والتأخير .

وقال بعض نحويّ الكوفة : قال بعض المفسرين : جواب (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) قوله (وَأذِنَتْ) قال : ونرى أنه رأى ارتآه المفسر ، وشبّهه بقول الله تعالى (حتى إذَا جاءُوها وَفُتِحَتْ أبْوَابُها) لأنا لم نسمع جوابا بالواو فى إذا مبتدأة ، ولا كلام قبلها ، ولا فى إذا ، إذا ابتدئت ؛ قال : وإنما تجيب العرب بالواو فى قوله : حتى إذا كان ، وفلما أن كان ، لم يجاوزوا ذلك ؛ قال : والجواب فى (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) وفى (إذَا الأرْضُ مُدَّتْ) كالمتروك ، لأن المعنى معروف قد تردّد فى القرآن معناه ، فعُرِف وإن شئت كان جوابه : يا أيها الإنسان ، كقول القائل : إذا كان كذا وكذا ، فيا أيها الناس تَرَوْن ما عملتم من خير أو شرّ ، تجعل يا أيها الإنسان هو الجواب ، وتضمر فيه الفاء ، وقد فسّر جواب (إذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ) فيما يلقى الإنسان من ثواب وعقاب ، فكأن المعنى : ترى الثواب والعقاب إذا السماء انشقّت .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن جوابه محذوف ، ترك استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه . ومعنى الكلام : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير أو شرّ ، وقد بين ذلك قوله (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحا فَمُلاقِيهِ) والآياتُ بعدها .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩)

يقول تعالى ذكره : يا أيها الإنسان إنك عامل إلى ربك عملا فملاقيه به : خيرا كان عملك ذلك أو شرّا ؛ يقول : فليكن عملك مما يُنجيك من سُخْطه ، ويوجب لك رضاه ، ولا يكن مما يُسخطه عليك فتهلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ) يقول : تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرّا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ) إن كدحك يا بن آدم لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا) قال : عامل له عملا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسمعته يقول فى ذلك (إنَّكَ كادحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا) قال : عامل إلى ربك عملا ، قال : كدحا : العمل .

وقوله (فَأمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ) يقول تعالى ذكره : فأما من أُعطى كتاب أعماله بيمينه ، (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا) بأن ينظر فى أعماله ، فيغفر له سيئها ، ويجازى على حسنها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الواحد بن حمزة ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة ، قالت : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « اللَّهُمَّ حاسِبْنِى حِسابًا يَسِيرًا ، قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال : أنْ يَنْظُرَ فِى سَيِّئاتِهِ فَيَتَجاوَزُ عَنْهُ ، إنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن عائشة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض صلاته : « اللَّهُمَّ حاسِبْنِى حِسابًا يَسِيرًا ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : يَنْظُرُ فِى كِتابِهِ ، وَيَتَجاوَزُ لَهُ عَنْهُ ، إنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَئِذٍ يا عائِشَةُ هَلَكَ » .

حدثنا نصر بن علىّ الجَهْضَمىّ ، قال : ثنا مسلم ، عن الحريش بن الخرّيت أخى الزبير ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة ، قالت : من نُوقش الحساب ، أو من حوسب عذّب ، قال: ثم قالت : إنما الحساب اليسير : عَرْض على الله وهو يراهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ،وحدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أيوب ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ عُذّبَ ، فقلت أليس الله يقول (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال: لَيْسَ ذلكِ الْحِسابُ ، إنَّمَا ذلكِ الْعَرْضُ ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ يَوْمَ الْقِيامَةُ عُذّبَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا أبو عامر الخزاز ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاَّ مُعَذَّبا ، فقلت : أليس يقول الله : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابا يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ ، إنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ ، وقال بيده على أصبعه كأنه ينكته » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حساباً يَسِيرًا) قال : الحساب اليسير : الذى يغفر ذنوبه ، ويتقبّل حسناته ، ويسير الحساب : الذى يعفى عنه ، وقرأ (وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ) ، وقرأ (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا ، ونَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِى أصْحابِ الجَنَّةِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، قال : ثنى ابن أبى مليكة ، عن عائشة ، قالت : يا رسول الله (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ هَلَكَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمرو وأبوداود ، قالا : ثنا أبو عامر الخزاز ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حُوسِبَ عُذّبَ ، قالت : فقلت : أليس الله يقول : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) قال : ذَلكِ الْعَرْضُ يا عائِشَةُ ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ عُذّبَ » .

إن قال قائل : وكيف قيل : (فَسَوْفَ يُحاسَبُ) والمحاسبة لاتكون إلا من اثنين ، والله القائم بأعمالهم ، ولا أحد له قِبَل ربه طَلِبة فيحاسبه ؟ قيل : إن ذلك تقرير من الله للعبد بذنوبه ، وإقرار من العبد بها ، وبما أحصاه كتاب عمله ، فذلك المحاسبة على ما وصفنا ، ولذلك قيل : يحاسَب .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن أبى يونس القشيرى ، عن ابن أبى مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاَّ هَلَكَ) قالت : فقلت : يا رسول الله (فأمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا) فقال : ذَلكِ الْعَرْضُ ، لَيْسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إلاَّ هَلَكَ » .

وقوله (وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورًا) يقول : وينصرف هذا المحاسَبُ حسابا يسيرا إلى أهله فى الجنة مسرورا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرُورًا) قال : إلى أهل أعدّ الله لهم الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰٓ ، إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : وأما من أعطى كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره ، وذلك أن جعل يده اليمنى إلى عنقه ، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره ، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جلّ ثناؤه أحيانا ، أنهم يُؤتَوْن كتبَهُم بشمائلهم ، وأحيانا أنهم يُؤتَوْنها من وراء ظهورهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) قال : يجعل يده من وراء ظهره .

وقوله (فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا) يقول : فسوف ينادى بالهلاك ، وهو أن يقول : واثبوراه ، واويلاه ، وهو من قولهم : دعا فلان لهفه : إذا قال : واهفاه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

وقد ذكرنا معنى الثبور فيما مضى بشواهده ، وما فيه من الرواية .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدْعُو ثُبُورًا) قال : يدعو بالهلاك .

وقوله (وَيَصْلَى سَعِيرًا) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء مكة والمدينة والشام : (وَيُصَلَّى) بضم الياء وتشديد اللام ، بمعنى : أن الله يصليهم تصلية بعد تصلية ، وإنضاجة بعد إنضاجة ، كما قال تعالى : (كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُودًا غَيْرَها) ، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك ، بقوله (ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ) وقرأ ذلك بعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة :

(وَيَصْلَى) بفتح الياء وتخفيف اللام ، بمعنى : أنهم يَصْلَوْنها ويَرِدونها ، فيحترقون فيها ، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك ، بقول الله (يَصْلَوْنَها) و(إلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيم) .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (إنَّهُ كانَ فِي أهْلِهِ مَسْرُورًا) يقول تعالى ذكره : إنه كان فى أهله فى الدنيا مسرورا ، لما فيه من خلافه أمرَ الله ، وركوبه معاصيَه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُ كانَ فِي أهْلِهِ مَسْرُورًا) : أى فى الدنيا .

وقوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أُوتى كتابه وراء ظهره يوم القيامة ، ظنّ فى الدنيا أن لن يرجع إلينا ، ولن يُبعث بعد مماته ، فلم يكن يبالى ما ركب من المآثم ، لأنه لم يكن يرجو ثوابا ، ولم يكن يخشى عقابا ، يقال منه : حار فلان عن هذا الأمر : إذا رجع عنه ، ومنه الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللَّهُمَّ إنّى أعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ الكَوْرِ) يعنى بذلك : من الرجوع إلى الكفر ، بعد الإيمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) يقول : يُبعث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى) قال : أن لا يرجع إلينا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّهُ ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) : أن لامَعادَ له ولا رجعة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : أن لن ينقلب : يقول : أن لن يبعث .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، (ظَنَّ أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : يرجع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أنْ لَنْ يَحُورَ) قال : أن لن ينقلب .

وقوله (بَلَى) يقول تعالى ذكره : بلى لَيَحُورَنَّ ولَيَرْجِعَنَّ إلى ربه حيا ، كما كان قبل مماته .

وقوله (إنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا) يقول جلّ ثناؤه : إن ربّ هذا الذى ظنّ أن لن يحور ، كان به بصيرا ، إذ هو فى الدنيا ، بما كان يعمل فيها من المعاصى ، وما إليه يصير أمره فى الآخرة ، عالم بذلك كلّه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ (١٦) وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١)

وهذا قَسَمٌ أقسم ربنا بالشفق ؛ والشفق : الحمرة فى الأفق من ناحية المغرب من الشمس فى قول بعضهم. واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : هو الحمرة كما قلنا ، وممن قال ذلك جماعة من أهل العراق وقال آخرون : هو النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسىّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا العوّام بن حَوْشَب ، قال : قلت لمجاهد : الشفق ، قال : لاتقل الشفق ، إنّ الشفق من الشمس ، ولكن قل : حمرة الأفق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : الشَّفَق ، قال : النهار كله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ) قال : النهار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : الشفَق : هو اسم للحمرة والبياض ، وقالوا : هو من الأضداد .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرا ، والليل مقبلا . وأما الشفَق الذى تحُلّ به صلاة العشاء ، فإنه للحمرة عندنا ، للعلة التى قد بيّنّاها فى كتابنا كتاب الصلاة .

وقوله (وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ) يقول : والليل وما جمع ، مما سكن وهدأ فيه من ذى روح كان يطير ، أو يَدِبّ نهارا ، يقال منه : وسَقْتُه أسِقُه وَسْقا ، ومنه : طعام موسُوق ، وهو المجموع فى غرائر أو وعاء ، ومنه الوَسْق ، وهو الطعام المجتمع الكثير ، مما يُكال أو يُوزن ، يقال : هو ستون صاعا ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَما وَسَقَ) يقول : وما جَمَع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في هذه الآية (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع . وقال ابن عباس :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سائِقَا

حدثني يعقوب قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سأل حفص الحسن عن قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع ، يقول : ما آوى فيه من دابّة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) : وما لفّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما أظلم عليه ، وما أدخل فيه . وقال ابن عباس :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ حادِيا

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : وما جمع من نجم أو دابة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا وَسَق) قال : وما جمع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما جمع ، مجتمع فيه الأشياء التي يجمعها الله ، التي تأوي إليه ، وأشياء تكون في الليل لا تكون في النهار ، ما جمع مما فيه ما يأوي إليه ، فهو مما جمع .

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٦) قال : « وما وسق » : ما علاه لم يمتنع منه شيء ، فإذا جلل الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض ، فاجتمعت له ، فقد وسقها ؛ قال الشاعر : « مستوسقات لو وجدن سائقا » وفي الكامل للمبرد (طبعة الحلبي ٩٥٧) حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه : « والليل وما وسق » ، فقال ابن عباس : وما جمع ، فقال : أتعرف ذلك العرب ؟ قال ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :

إنَّ لَنا قَلائِصًا حَقائِقَا مُسْتَوْسِقاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سائِقَا

قال المبرد : هذا قول ابن عباس ، وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح . قلت : وبناء عليه يكون هذان البيتان معروفين في عصر ابن عباس ونافع بن الأزرق . وتكون نسبتهما إلى العجاج في ملحق ديوانه ، وفي إحدى روايات (اللسان : وسق) غير صحيحة . والنون في يجدن أووجد : راجعة إلى الإبل ، وأن من الخطأ أن يقال : تجدن بالتاء في أول الفعل إلا إذا كان لجمع مؤنث للمخاطبات ، وقد وقع خطأ تجدن في اللسان : وفي ديوان العجاج ٨٤ وخلاصة ما تقدم أن هذا الرجز عرفه ابن عباس وأنشده احتجاجا على ما سأله عنه نافع . ولا بد إذن من حمل عبارة : وقال ابن عباس « مستوسقات » التي وردت في ثلاثة مواضع في الطبري على إرادة : وأنشد ابن عباس : لأن ما ورد في التفسير مسوق ضمن روايات لبعض المفسرين ، وفيه تسمح في التعبير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : ما لُفّ عليه .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : وما دخل فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) : وما جمع .

قال : ثنا وكيع ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس (وَمَا وَسَقَ) : وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

مُسْتَوْسِقاتٍ لَمْ يَجِدْنَ سائِقا

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما حاز إذا جاء الليل .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما ساق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أحمد المَرْوَزِيّ ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة وسئل (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما ساق من ظلمة ، فإذا كان الليل ، ذهب كل شيء إلى مأواه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن عكرمة (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا جاء الليل ساق كل شيء إلى مأواه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) قال : ما ساق معه من ظلمة إذا أقبل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) يعني : وما ساق الليل من شيء جمعه النجوم ، ويقال : والليل وما جمع .

وقوله (والقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) يقول : وبالقمر إذا تمّ واستوى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) يقول : إذا استوى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالْقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع واستوى .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سأل حفص الحسن ، عن قوله (والقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع ، إذا امتلأ .

حدثنى أبو كدينة ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد ، فى قوله (والقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : لثلاث عَشْرة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استوى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استدار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) : إذا استوى .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا اجتمع فاستوى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) قال : إذا استوى .

وقوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأه عمر بن الخطاب وابن مسعود وأصحابه ، وابن عباس وعامة قرّاء مكة والكوفة (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح التاء والباء . واختلف قارئو ذلك كذلك فى معناه ، فقال بعضهم : لتركبنّ يامحمد أنت حالا بعد حال ، وأمرا بعد أمر من الشدائد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، أن ابن عباس كان يقرأ : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يعنى نبيكم صلى الله عليه وسلم حالا بعد حال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن رجل حدّثه ، عن ابن عباس فى (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : منزلا بعد منزل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يقول : حالا بعد حال .

حدثنى محمد بن سعد ، قال: ثنى أبى ، قال: ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يعنى : منزلا بعد منزل ، ويقال : أمرا بعد أمر ، وحالا بعد حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال: سمعت مجاهدا ، عن ابن عباس (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوْذة ، قال: ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سأل حفص الحسن عن قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : منزلا عن منزل ، وحالا عن حال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : سألت مرّة عن قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا بعد حال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : حالا عن حال .

قال : ثنا وكيع ، عن نصر ، عن عكرِمة ، قال : حالا بعد حال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال: لتركبُنّ الأمور حالا بعد حال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) يقول : حالا بعد حال ، ومنزلا عن منزل .

حُدّثت عن الحسين ، قال: سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) منزلا بعد منزلا ، وحالا بعد حال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أمرا بعد أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أمرا بعد أمر .

وقال آخرون ممن قرأ هذه المقالة ، وقرأ هذه القراءة عُنِى بذلك : لتركبنّ أنت يامحمد سماء بعد سماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن وأبو العالية (لَتَرْكَبُنَّ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) السموات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : أنت يامحمد سماء عن سماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن الشعبىّ ، قال : سماء بعد سماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : سماء فوق سماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لتركبُنّ الآخرة بعد الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : الآخرة بعد الأولى .

وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة : إنما عُنِى بذلك أنها تتغير ضروبا من التغيير ، وتُشَقَّقُ بالغمام مرّة ، وتحمرّ أخرى ، فتصير وَرْدة كالدهان ، وتكون أخرى كالمهل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن مرّة ، عن ابن مسعود (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء مرّة كالدِّهان ، ومرّة تَشَقَّق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : سمعت أبا الزرقاء الهَمْدانى ، وليس بأبى الزرقاء ، الذى يحدّث فى المسح على الجوربين ، قال : سمعت مُرّة الهمدانى ، قال : سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا علىّ بن غراب ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله فى قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : هى السماء تغبرّ وتحمرّ وتَشَقَّق .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، فى قوله : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : هى السماء تَشَقَّق ، ثم تحمرّ ، ثم تنفطر ؛ قال : وقال ابن عباس : حالا بعد حال .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم

قال : قرأ عبد الله هذا الحرف (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : السماء حالا بعد حال ، ومنزلة بعد منزلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) قال : هى السماء .

حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى فروة ، عن مرّة ، عن ابن مسعود أنه قرأها نصبا ، قال : هى السماء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : هى السماء تغير لونا بعد لون .

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين : (لَتَرْكَبُنَّ) بالتاء ، وبضمّ الباء ، على وجه الخطاب للناس كافة ، أنهم يركبون أحوال الشدة حالا بعد حال . وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء ، وبضم الباء ، على وجه الخبر عن الناس كافة ، أنهم يفعلون ذلك .

وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء ، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد وإن كان للقراءات الأُخَر وجوه مفهومة . وإذا كان الصواب من القراءة فى ذلك ما ذكرنا ، فالصواب من التأويل قول من قال : (لَتَرْكَبَنَّ) أنت يا محمد حالا بعد حال ، وأمرا بعد أمر من الشدائد . والمراد بذلك وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها جميع الناس ، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا .

وإنما قلنا : عُنِى بذلك ماذكرنا ، أن الكلام قبل قوله (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) جرى بخطاب الجميع ، وكذلك بعده ، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده .

وقوله (طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) من قول العرب : وقع فُلان فى بنات طَبَق : إذا وقع فى أمر شديد .

وقوله (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء المشركين لا يصدّقون بتوحيد الله ، ولا يقرّون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقا عن طبق ، مع ماقد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) : قال : بهذا الحديث ، وبهذا الأمر .

وقوله (وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ) يقول تعالى ذكره : وإذا قُرئ عليهم كتاب ربهم لا يخضعون ولا يستكينون ، وقد بيّنا معنى السجود قبلُ بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

قوله (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) يقول تعالى ذكره : بل الذين كفروا يكذّبون بآيات الله وتنزيله .

وقوله (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يقول تعالى ذكره: والله أعلم بما تُوعيه صدور هؤلاء المشركين، من التكذيب بكتاب الله ورسوله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يُوعُون) قال : يكتمون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) قال : المرء يُوعِى متاعه وماله هذا فى هذا، وهذا فى هذا، هكذا يعرف الله مايوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم ، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشرّ ، فالقلوب وِعاء هذه الأعمال كلها ، الخير والشرّ ، يعلم ما يسرّون ومايعلنون ، ولقد وَعَى لكم ما لايدرى أحد ما هو من القرآن وغير ذلك ، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال ، بعضَ هذه الخبث ما يفسدها .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (يُوعُونَ) قال فى صدورهم .

وقوله (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ): يقول جلّ ثناؤه: فبشر يامحمد هؤلاء المكذّبين بآيات الله، بعذاب أليم لهم عند الله موجع (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : إلا الذين تابوا منهم وصدّقوا ، وأقرّوا بتوحيده ، ونبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالبعث بعد الممات . وعملوا الصالحات : يقول : وأدّوا فرائض الله ، واجتنبوا ركوب ما حرّم الله عليهم ركوبه .

وقوله (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثواب غير محسوب ولا منقوص .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يعنى : غير محسوب .

آخر تفسير سورة إذا السماء انشقّت

تفسير سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥)

قال أبو جعفر رحمه الله : قوله (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) أقسم الله جلّ ثناؤه بالسماء ذات البروج .

واختلف أهل التأويل فى معنى البروج فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك : والسماء ذات القصور . قالوا : والبروج : القصور .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) قال ابن عباس : قصور فى السماء ، قال غيره : بل هى الكواكب .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الْبُرُوجِ) يزعمون أنها قصور فى السماء ، ويقال : هى الكواكب .

وقال آخرون : عنى بذلك : والسماء ذات النجوم ، وقالوا : نجومها : بروجها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (ذَاتِ الْبُرُوجِ) قال : البروج : النجوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) قال : النجوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) وبروجها : نجومها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والسماء ذات الرمل والماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسن بن قزعة ، قال : ثنا حصين بن نمير ، عن سفيان بن حسين ، فى قوله (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) قال : ذات الرمل والماء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : معنى ذلك : والسماء ذات منازل الشمس والقمر ، وذلك

أن البروج : جمع برج ، وهى منازل نتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ، ومن ذلك قول الله (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)، وهى منازل مرتفعة عالية فى السماء، وهى اثنا عشر برجا ، فسير القمر فى كلّ برج منها يومان وثلث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ، ثم يستسرّ ليلتين ، ومسير الشمس فى كلّ برج منها شهر .

وقوله (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يقول تعالى ذكره : وأقسم باليوم الذى وعدته عبادى ، لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير وإسحاق الرازى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » .

قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا يونس ، قال أنبأنى عمار ، قال قال : أبو هريرة : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » . قال يونس ، وكذلك الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يعنى : يوم القيامة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) قال : القيامة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن عمار بن أبى عمار ، مولى بنى هاشم ، عن أبى هريرة (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ : يَوْمُ الْقِيامَةِ » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ) يوم القيامة .

وقوله (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ): اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقسم بشاهد ، قالوا : وهو يوم الجمعة ، ومشهود ، قالوا : وهو يوم عرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : أخبرنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، قال : أنبأنى عمار ، قال : قال أبو هريرة : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ؛ قال يونس ، وكذلك قال الحسن .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت حارثة ابن مضرب ، يحدّث عن علىّ رضى الله عنه ، أنه قال فى هذه الآية (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : يوم الجمعة ، ويوم عرفة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ؛ ويقال : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) : يومان عظيمان من أيام الدنيا ، كنا نحدّث أن الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن علىّ رضى الله عنه : (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَشَاهِدٍ) يوم الجمعة ، (ومَشْهُودٍ) : يوم عرفة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَشَاهِدٍ : يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَمَشْهُودٍ : يَوْمَ عَرَفَةَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير وإسحاق الرازى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ ، والشَّاهِدُ : يَوْمُ الجُمُعَةِ » .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا ابن أبى فديك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد : أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ سَيِّدَ الأيَّامِ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ ، وَالمَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن موسى بن عبيد ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « المَشْهُودُ : يَوْمُ عَرَفَةَ ، والشَّاهِدُ : يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فيه ساعةٌ لا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللهَ بِخَيْرٍ إلاَّ اسْتَجَابَ لَهُ ، وَلا يَسْتَعِيذُهُ مِنْ شَرٍّ إلاَّ أعاذَهُ » .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى ضمضم بن زُرْعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَإنَّ المَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، فَيَوْمُ الجُمُعَةِ خِيرَةُ اللهِ لَنَا » .

حدثنى سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو شاهد .

وقال آخرون : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف المكىّ ، عن ابن عباس قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة ، ثم قرأ (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، قال : سأل رجل الحسن بن علىّ ، عن (وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : سألت أحدا قبلى ، قال : نعم سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة ، قال : لا ، ولكن الشاهد : محمد ، ثم قرأ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا) والمشهود : يوم القيامة ، ثم قرأ (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الضحى ، عن الحسن بن علىّ ، قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن حَرْملة ، عن سعيد بن المسيب : (وَمَشْهُودٍ) : يوم القيامة .

وقال آخرون : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الإنسان ، وقوله (وَمَشْهُودٍ) قال : يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، قال : الشاهد : الإنسان ، والمشهود : يوم القيامة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، فى قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : شاهد ابن آدم ، ومشهود : يوم القيامة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَشاهِدٍ) يعنى الإنسان (وَمَشْهُودٍ) يوم القيامة ، قال الله : (وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) .

وقال آخرون : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال: ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم الجمعة ، فذلك قوله (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا) .

وقال آخرون : الشاهد الله ، والمشهود : يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَشاهِدٍ) يقول الله (وَمَشْهُودٍ) يقول : يوم القيامة .

وقال آخرون : الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود : يوم الجمعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، قال : سأل رجل الحسن بن علىّ ، عن (شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : سألتَ أحدا قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ، ويوم الجمعة .

وقال آخرون : الشاهد : يوم الأضحى ، والمشهود : يوم عَرَفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) قال : الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة .

وقال آخرون : المشهود : يوم الجمعة ، ورَوَوْا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال: ثنى عمى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسىّ ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْثِرُوا عَلَىَّ الصَّلاةَ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، فإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ » .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن يقال : إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أىّ شاهد وأىّ مشهود أراد ، وكلّ الذى ذكرنا أن العلماء قالوا : هو المعنىّ مما يستحقّ أن يُقال له (شاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) .

وقوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) يقول : لعن أصحاب الأخدود . وكان بعضهم يقول : معنى قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) خبر من الله عن النار أنها قتلتهم .

وقد اختلف أهل العلم فى أصحاب الأخدود من هم ؟ فقال بعضهم : قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر عن بن أبزى ، قال : لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم ، بلغهم نعى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال بعضهم لبعض : أىّ الأحكام تجرى فى المجوس ، وإنهم ليسوا بأهل كتاب ، وليسوا من مشركى العرب . فقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : قد كانوا أهل كتاب . وقد كانت الخمر أحلّت لهم ، فشربها ملك من ملوكهم ، حتى ثمل منها ، فتناول أخته فوقع عليها ، فلما ذهب عنه السكر قال لها : ويحك ! فما المخرج مما ابتليتُ به ؟ فقالت : اخطب الناس ، فقل : يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ، فقام خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله قد أحلّ نكاح الأخوات ، فقال الناس : إنا نبرأ إلى الله من هذا القول ، ما أتانا به نبىّ ، ولا وجدناه فى كتاب الله ، فرجع إليها نادما ، فقال لها : ويحك ! إن الناس قد أبَوا علىّ أن يقرّوا بذلك ، فقالت : ابسط عليهم السِّياط ، ففعل ، فبسط عليهم السياط ، فأبَوا أن يقرّوا ، فرجع إليها نادما ، فقال : إنهم أبَوا أن يقرّوا ، فقالت : اخطبهم فإن أبوا فجرّد فيهم السيف ، ففعل ، فأبى عليه الناس ، فقال لها : قد أبى علىّ الناس ، فقالت : خدّ لهم الأخدود ، ثم اعرض عليها أهل مملكتك ، فمن أقرّ ، وإلا فاقذفه فى النار ، ففعل ، ثم عرض عليها أهل مملكته ، فمن لم يقرّ منهم قذفه فى النار ، فأنزل الله فيهم (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) إلى (أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) حرّقوهم (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال : حدثنا أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كان يقول : هم ناس بمذارع اليمن ، اقتتل مؤمنوها وكفارها ، فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم اقتتلوا الثانية ، فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم أخذ بعضهم على بعض عهدا ومواثيق أن لايغدر بعضهم ببعض ، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذا ، ثم إن رجلا من المؤمنين قال لهم : هل لكم إلى خير ، توقدون نارا ثم تعرضوننا عليها ، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذى تشتهون ، ومن لا ، اقتحم النار فاستراحتم منه ؛ قال : فأجّجوا نارا وعرضوا عليها ، فجعلوا يقتحمونها صناديدهم ، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت ، فقال لها طفل فى حجرها : يا أماه ، امضى ولا تنافقى ، قصّ الله عليكم نبأهم وحديثهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال : يعنى القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ) قال : هم ناس من بنى إسرائيل ، خدّوا أخدودا

فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء ، فعرضوا عليها . وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) قال : كان شقوق فى الأرض بنَجْران ، كانوا يعذّبون فيها الناس .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) يزعمون أن أصحاب الأخدود من بنى إسرائيل ، أخذوا رجالا ونساء ، فخدّوا لهم أخدودا ، ثم أوقدوا فيها النيران ، فأقاموا المؤمنين عليها ، فقالوا : تكفرون أو نقذفكم فى النار .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنى حرمى بن عمارة ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : ثنا ثابت البُنانىّ ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ ، وكانَ لَهُ ساحِرٌ ، فأتَى السَّاحِرُ المَلِكَ ، فَقالَ : قَدْ كَبِرَتْ سِنِّى ، وَدَنا أجَلِى ، فادْفَعْ لى غُلاما أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ؛ قالَ : فَدَفَعَ إلَيْهِ غُلاما يُعَلِّمَهُ السِّحْرَ ، قالَ : فَكانَ الغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ ، وكانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ ؛ قال : فَكانَ الغُلامُ إذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إلَيْهِ ، فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ ، فأُعْجِبَ بكَلامِهِ ، فَكانَ الغُلامُ إذَا أتَى السَّاحِرُ ضَرَبَهُ وَقالَ : ما حَبَسَكَ ؟ وَإذَا أتَى أهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ ، فإذَا رَجَعَ إلى أهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقالُوا : ما حَبَسَكَ ؟ فَشَكا ذلك إلى الرَّاهِبِ ، فَقالَ لَهُ الرَّاهِبُ : إذَا قالَ لَكَ السَّاحِرُ : ما حَبَسَكَ ؟ قُلْ حَبَسَنِى أهْلِى ، وَإذَا قالَ أهْلُكَ : ما حَبَسَكَ ؟ فَقُلْ حَبَسَنِى السَّاحِرُ . فَبَيْنَما هُوَ كَذلكَ إذْ مَرَّ فى طَرِيقٍ وَإذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فى الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ ؛ فَقالَ الغُلامُ : الآنَ أعْلَمُ أمْرُ السَّاحِرِ أرْضَى عِنْدَ اللهِ أمْ أمْرُ الرَّاهِبِ ؟ قال : فأخَذَ حَجَرًا ، قال : فَقالَ : اللَّهُمَّ إنْ كانَ أمْرُ الرَّاهِبِ أحَبَّ إلَيْكَ مِنْ أمْرِ السَّاحِرِ فإنِّى أرْمِى بِحَجَرِى هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ ، قالَ : فَرَماها فَقَتَلَها ، وَجازَ النَّاسُ ؛ فَبَلَغَ ذلكَ الرَّاهِبَ ؛ قال : وأتاهُ الغُلام فَقالَ الرَّاهِبُ للغُلامِ : إنَّكَ خَيْرٌ مِنِّى ، وَإنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَىَّ ؛ قال : وكانَ الغُلامُ يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ ، وَسائِرَ الأدْوَاءِ ؛ وكانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ ، قال : فَعَمِىَ ؛ قال : فَقِيلَ له : إنَّ هاهُنا غُلاما يُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ ، وَسائِرَ الأدْوَاءِ ، فَلَوْ أتَيْتَهُ ؟ قال : فاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا ؛ قال : ثُمَّ أتاهُ فَقالَ : يا غُلامُ إنْ أبْرَأتَنِى فَهَذِهِ الهَدَايا كُلُّها لَكَ ، فَقال : ما أنا بِطَبِيبٍ يَشْفِيكَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِى ، فإذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أنْ يَشْفِيَكَ ؛ قال : فآمَنَ الأعْمَى ، فَدَعا اللهُ فَشَفاهُ ، فَقَعَدَ الأعْمَى إلى المَلِكِ كَما كانَ يَقْعُدُ ، فَقالَ لَهُ المَلِكُ : أليْسَ كُنْتَ أعْمَى ؟ قالَ : نَعَمْ ؛ قال : فَمَنْ شَفاكَ ؟ قال : رَبِّى ؛ قال : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قال : نَعَمْ ، رَبِّى وَرَبُّكَ اللهُ ؛ قال : فأخَذَهُ

بالعذاب فقال : لتدلنني على من علمك هذا ، قال : فدل على الغلام ، فدعا الغلام فقال : ارجع عن دينك ، قال : فأبى الغلام ؛ قال : فأخذه بالعذاب ؛ قال : فدل على الراهب ، فأخذ الراهب ، فقال : ارجع عن دينك فأبى ؛ قال : فوضع المنشار على هامته فشقه حتى بلغ الأرض ، قال : وأخذ الأعمى فقال : لترجعن أو لأقتلنك ؛ قال : فأبى الأعمى ، فوضع المنشار على هامته ، فشقه حتى بلغ الأرض ، ثم قال للغلام : لترجعن أو لأقتلنك ؛ قال : فأبى ؛ قال : فقال : اذهبوا به حتى تبلغوا به ذروة الجبل ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فدهدهوه ، فلما بلغوا به ذروة الجبل فوقعوا فماتوا كلهم . وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك ، فقال : أين أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله قال : فاذهبوا به فاحملوه في قرقور ، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه قال : فذهبوا به ، فلما توسطوا به البحر قال الغلام : اللهم اكفنيهم ، فانكفأت بهم السفينة . وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال الملك : أين أصحابك ؟ فقال : دعوت الله فكفانيهم ، قال : لأقتلنك ، قال : ما أنت بقاتلي حتى تصنع ما آمرك ، قال : فقال الغلام للملك : اجمع الناس في صعيد واحد ، ثم اصلبني ، ثم خذ سهما من كنانتي فارمني وقل : باسم رب الغلام ، فإنك ستقتلني ؛ قال : فجمع الناس في صعيد واحد ؛ قال : وصلبه وأخذ سهما من كنانته ، فوضعه في كبد القوس ، ثم رمى ، فقال : باسم رب الغلام ، فوقع السهم في صدغ الغلام ، فوضع يده هكذا على صدغه ، ومات الغلام ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فقالوا للملك : ما صنعت ، الذي كنت تحذر قد وقع ، قد آمن الناس ، فأمر بأفواه السكك فأخذت ، وخد الأخدود وضرم فيه النيران ، وأخذ هم وقال : إن رجعوا وإلا فألقوهم في النار ؛ قال : فكانوا يلقونهم في النار ؛ قال : فجاءت امرأة معها صبي لها ، قال : فلما ذهبت تقتحم وجدت حر النار ، فتكعكعت ، قال : فقال لها صبيها يا أماه ، امضي فإنك على الحق ، فاقتحمت في النار » .

وقال آخرون : بل الذين أحرقهم النار هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : « كان أصحاب الأخدود قوما مؤمنين ، اعتزلوا الناس في الفتر ، وإن جبارا من عبدة الأوثان أرسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول في دينه ، فأبوا ، فخد أخدودا ، وأوقد فيه نارا ، ثم خيرهم بين الدخول في دينه ، وبين إلقائهم في النار ، فاختاروا إلقاءهم في النار ، على الرجوع عن دينهم ، فألقوا في النار ، فنجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق ، بأن قبض أرواحهم ، قبل أن تمسهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود

من الكفار فأحرقتهم ، فذلك قول الله (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فى الدنيا .

* واختُلف فى موضع جواب القسم بقوله (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) فقال بعضهم : جوابه (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : وقع القسم هاهنا (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) وقال بعض نحوىّ البصرة : موضع قسمها والله أعلم ، على قتل أصحاب الأخدود ، أضمر اللام كما قال (والشَّمْسِ وضُحاها ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يريد : إن شاء الله لقد أفلح من زكّاها ، فألقى اللام ، وإن شئت قلت على التقديم ، كأنه قال : قتل أصحاب الأخدود ، والسماء ذات البروج .

وقال بعض نحوىّ الكوفة : يقال فى التفسير : إن جواب القسم فى قوله (قُتِلَ) كما كان قسم (والشَّمْسِ وَضُحاها) فى قوله (قَدْ أَفْلَحَ) هذا فى التفسير قالوا : ولم نجد العرب تدع القسم بغير لام يستقبل بها أو « لا » أو « إن » أو « ما » ، فإن يكن ذلك كذلك ، فكأنه مما ترك فيه الجواب ، ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر ، كما قيل : يا أيها الإنسان ، فى كثير من الكلام .

* وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : جواب القسم فى ذلك متروك ، والخبر مستأنف لأن علامة جواب القسم لاتحذفها العرب من الكلام إذا أجابته .

وأولى التأويلين بقوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) لُعِن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات فى الأخدود .

وإنما قلت : ذلك أولى التأويلين بالصواب للذى ذكرنا عن الربيع من العلة ، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم ، ولو لم يكونوا أحرقوا فى الدنيا لم يكن لقوله (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) معنى مفهوم ، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم ، لأن عذابَ جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها فى الآخرة ، والأخدود : الحفرة تحفر فى الأرض .

وقوله (النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) فقوله النار : ردّ على الأخدود ، ولذلك خفضت ، وإنما جاز ردّها عليه وهى غيره ، لأنها كانت فيه ، فكأنها إذ كانت فيه هو ، فجرى الكلام عليه لمعرفة المخاطبين به بمعناه وكأنه قيل : قتل أصحاب النار ذَاتِ الْوَقُودِ ويعنى بقوله (ذَاتِ الْوَقُودِ) ذات الحطب الجزل ، وذلك إذا فتحت الواو ، فأما الوُقود بضم الواو ، فهو الاتقاد .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)

يقول تعالى ذكره : النار ذات الوقود، إذ هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود عليها، يعنى على النار ، فقال عليها ، والمعنى أنهم قعود على حافة الأخدود ، فقيل : على النار ، والمعنى : لشفير الأخدود لمعرفة السامعين معناه .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ، إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) يعنى بذلك المؤمنين ، وهذا التأويل الذى تأوّله قتادة على مذهب من قال : قُتل أصحاب الأخدود من أهل الإيمان .

وقد دللنا على أن الصواب من تأويل ذلك غير هذا القول الذى وجه تأويله قتادة قبل .

وقوله (وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) يعنى : حضور .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) يعنى بذلك الكفار .

وقوله (وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أنْ يُؤْمِنُوا بالله العَزِيزِ الْحَمِيدِ) يقول تعالى ذكره : وما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار فى شىء ، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله ، وقال : إلا أن يؤمنوا بالله ، لأن المعنى إلا إيمانهم بالله ، فلذلك حسن فى موضعه يؤمنوا ، إذ كان الإيمان لهم صفة (الْعَزِيزِ) يقول : الشديد فى انتقامه ممن انتقم منه (الْحَمِيدِ) يقول : المحمود بإحسانه إلى خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ (١٠)

يقول تعالى ذكره : الذى له سلطان السموات السبع والأرضين وما فيهن (وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : والله على فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلى غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه ، وهو مجازيهم جزاءهم .

وقوله (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يقول : إن الذين ابتلَوُا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم ، وإحراقهم بالنار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) : حرّقوا المؤمنين والمؤمنات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا) قال : عذّبوا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) قال : حرّقوهم بالنار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) يقول : حرّقوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى (إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) حرّقوهم .

وقوله (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) يقول : ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم ، الذى فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ) فى الدنيا .

كما حدثت عن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ فِى الآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيقِ) فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره : إن الذين أقرّوا بتوحيد الله ، وهم هؤلاء القوم الذين حرّقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، وأتمروا لأمره ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ) يقول : لهم فى الآخرة عند الله بساتين تجرى من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل (ذلكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ) يقول : هذا الذى هو لهؤلاء المؤمنين فى الآخرة ، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله فى الدنيا ، وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم .

وقوله (إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن بطش ربك يا محمد لمن بطش به من خلقه ، وهو انتقامه ممن انتقم منه لشديد ، وهو تحذير من الله لقوم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يُحِلّ بهم من عذابه ونقمته ، نظير الذى حلّ بأصحاب الأخدود على كفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، وفتنهم المؤمنين والمؤمنات منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨)

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : إن الله أبدى خلقه ، فهو يبتدئ ، بمعنى : يحدث خلقه ابتداء ، ثم يميتهم ، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم ، كهيئتهم قبل مماتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) يعنى : الخلق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) قال : يُبدئ الخلق حين خلقه ، ويعيده يوم القيامة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه هو يبدئ العذاب ويعيده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) قال : يبدئ العذاب ويعيده .

وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب ، وأشبههما بظاهر ما دلّ عليه التنزيل : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أنه يُبدئ العذاب لأهل الكفر به ويعيد ، كما قال جلّ ثناؤه (فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) فى الدنيا ، فأبدأ ذلك لهم فى الدنيا ، وهو يعيده لهم فى الآخرة .

وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب ، لأن الله أتبع ذلك قوله (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) فكان للبيان عن معنى شدّة بطشه الذى قد ذكره قبله ، أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحا وصحة ، قوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) فبين ذلك عن أن الذى قبله من ذكر خبره عن عذابه وشدّة عقابه .

وقوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) يقول تعالى ذكره : وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه ، وذو المحبة له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الْغَفُورُ الْوَدُودُ) يقول : الحبيب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (الْغَفُورُ الْوَدُودُ) قال الرحيم .

وقوله (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) يقول تعالى ذكره : ذو العرش الكريم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) يقول : الكريم .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (الْمَجِيدُ) فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعا ، ردّا على قوله (ذُو الْعَرْشِ) على أنه من صفة الله تعالى ذكره . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة خفضا ، على أنه من صفة العرش .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يقول : هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها ، معاقب من أصرّ عليها وأقام ، لا يمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله ، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل ، لأن له مُلك السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

وقوله (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هل جاءك يا محمد حديث الجنود ، الذين تجندوا على الله ورسوله بأذاهم ومكروههم ؛ يقول : قد أتاك ذلك وعلمته ، فاصبر لأذى قومك إياك ، لما نالوك به من مكروه ، كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلى ، ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتى ، كما لم يَثْنِ الذين أرسلوا إلى هؤلاء ، فإن عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك ، كالذى كان من هؤلاء الجنود ، ثم بين جلّ ثناؤه عن الجنود من هم ؟ فقال : (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) يقول : فرعون ، فاجتزى بذكره ، إذ كان رئيس جنده ، من ذكر جنده وتُبّاعه . وإنما معنى الكلام هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وقومه وثمود ، وخفض فرعون ردّا على الجنود ، على الترجمة عنهم ، وإنما فتح لأنه لا يجرى وثمود .

القول فى تأويل قوله تعالى

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء القوم الذين يكذّبون بوعيد الله ، أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذّبة رسل الله ، كفرعون وقومه ، وثمود وأشكالهم ، وما أحلّ الله بهم من النقم ، بتكذيبهم الرسل ، ولكنهم

فى تكذيب بوحى الله وتنزيله، إيثارا منهم لأهوائهم، واتّباعا منهم لسنن آبائهم (وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) بأعمالهم ، مُحْصٍ لها ، لايخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيهم على جميعها .

وقوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) يقول : تكذيبا منه جلّ ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعر وسجع : ماذلك كذلك ، بل هو قرآن كريم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) يقول : قرآن كريم.

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث بن إسحاق ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) قال : كريم .

وقوله (فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) يقول تعالى ذكره : هو قرآن كريم ، مثبت فى لوح محفوظ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مَحْفُوظٍ) فقرأ ذلك من قرأه من أهل الحجاز ، أبو جعفر القارئ ، وابن كثير ، ومن قرأه من قرّاء الكوفة عاصم والأعمش وحمزة والكسائى ، ومن البصريين أبو عمرو (محفوظٍ) خفضا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ. وإذا كان ذلك كذلك كان التأويل فى لوح محفوظ من الزيادة فيه ، والنقصان منه ، عما أثبته الله فيه. وقرأ ذلك من المكّيين ابن مُحَيْصِن ، ومن المدنيين نافع (مَحْفُوظٌ) رفعا ، ردّا على القرآن ، على أنه من نعته وصفته . وكان معنى ذلك على قراءتهما : بل هو قرآن مجيد ، محفوظ من التغيير والتبديل فى لوح .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان فى قرّاءة الأمصار ، صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب . وإذ كان ذلك كذلك ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فتأويل القراءة التى يقرؤها على ما بيّنا .

وقد حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فِى لَوْحٍ) قال : فى أمّ الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) عند الله .

وقال آخرون : إنما قيل محفوظ ، لأنه فى جبهة إسرافيل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : سمعت قرة بن سليمان ، قال : ثنا حرب بن سريج ، قال : ثنا عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس بن مالك ، فى قوله (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) قال : إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله . (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مجيد فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) فى جَبْهة إسرافيل .

آخر تفسير سورة البروج

تفسير سورة والسماء والطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ؟ (٥) خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ (٧) إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ (٩) فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)

أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذى يطرق ليلا من النجوم المضيئة ، ويخفى نهارا ، وكلّ ما جاء ليلا فقد طرق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والسَّمَاءِ والطَّارِقِ) قال : السماء وما يطرق فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والسَّمَاءِ والطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ) قال : طارق يطرق بليل ، ويخفى بالنهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والطَّارِقِ) قال : ظهور النجوم ، يقول : يطرقك ليلا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (الطَّارِقِ) النجم .

(وَمَا أَدْرَاكَ ما الطَّارِقُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يا محمد ما الطارق الذى أقسمت به ؟ ثم بين ذلك جلّ ثناؤه ، فقال : هو النجم الثاقب ، يعنى : يتوقد ضياؤه ويتوهّج .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) يعنى : المضىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (النَّجْمُ الثاقِبُ) قال : هى الكواكب المضيئة ، وثقوبه : إذا أضاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، فى قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) قال : الذى يثقب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (الثَّاقِبُ) قال : الذى يتوهَّج .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ثقوبه : ضوءه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) : المضىء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) قال : كانت العرب تسمى الثُّريا النجم ، ويقال : إن الثاقب النجم الذى يقال له زُحَل . والثاقب أيضا : الذى قد ارتفع على النجوم ، والعرب تقول للطائر : إذا هو لحق ببطن السماء ارتفاعا : قد ثَقَبَ ، والعرب تقول : أثقِب نارك : أى أضئها .

وقوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه من قرّاء المدينة أبو جعفر ، ومن قرّاء الكوفة حمزة (لَمَّا عَلَيْها) بتشديد الميم . وذُكِر عن الحسن أنه قرأ ذلك كذلك .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن الحسن أنه كان يقرؤها (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) مشدّدة ، ويقول : إلاّ عليها حافظ ، وهكذا كلّ شىء فى القرآن بالتثقيل . وقرأ ذلك من أهل المدينة نافع ، ومن أهل البصرة أبو عمرو : (لَمَا) بالتخفيف ، بمعنى : إن كلّ نفس لعليها حافظ . وعلى أن اللام جواب « إن » و « ما » التى بعدها صلة . وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد .

والقراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك : التخفيف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب ، أن يكون معروفا من كلام العرب ، غير أن الفرّاء كان يقول : لا نعرف جهة التثقيل فى ذلك ، ونرى أنها لغة فى هُذَيل ، يجعلون إلا مع إنِ المخففة لَمَا ، ولا يجاوزون ذلك ، كأنه قال : ما كلّ نفس إلاّ عليها حافظ ، فإن كان صحيحا ما ذكر الفرّاء ، من أنها لغة هُذَيل ، فالقراءة بها جائزة صحيحة ، وإن كان الاختيار أيضا إذا صحّ ذلك عندنا : القراءة الأخرى ، وهى التخفيف ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، ولا ينبغى أن يترك الأعرف إلى الأنكر .

وقد حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا أبو عبيد ، قال : ثنا معاذ ، عن ابن عون ، قال : قرأت عند ابن سيرين (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) فأنكره ، وقال سبحان الله ، سبحان الله .

فتأويل الكلام إذن : إن كلّ نفس لعليها حافظ من ربها ، يحفظ عملها ، ويُحْصِى عليها ما تكسب من خير أو شرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ) قال : كلّ نفس عليها حفظة من الملائكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ) : حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك إذا توفيته يا بن آدم قبضت إلى ربك .

وقوله (فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ ؟) يقول تعالى ذكره : فلينظر الإنسان المكذّب بالبعث بعد الممات ، المُنكر قُدرة الله على إحيائه بعد مماته ، (مِمَّ خُلِقَ ؟) يقول : من أىّ شىء خلقه ربه ؟ ثم أخبر جلّ ثناؤه عما خلقه منه ، فقال : (خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ) يعنى : من ماء مدفوق ، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل ،وهو بمعنى المفعول ، ويقال : إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب ، سكان الحجاز إذا كان فى مذهب النعت ، كقولهم : هذا سرّ كاتم ، وهم ناصب ، ونحو ذلك .

وقوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) يقول : يخرج من بين ذلك ، ومعنى الكلام منهما ، كما يقال : سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير ، بمعنى : يخرج منهما .

واختلف أهل التأويل فى معنى الترائب وموضعها ، فقال بعضهم :الترائب : موضع القِلادة من صدر المرأة

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال :ثنا محمد بن ربيعة ، عن سَلَمة بن سابور ، عن عطية العَوْفىّ ، عن ابن عباس (الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : الترائب : موضع القِلادة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) يقول : من بين ثدى المرأة .

حدثنى يعقوب ، قال:ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرِمة عن الترائب ، فقال : هذه ، ووضع يده على صدره بين ثدييه .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنى سلم بن قتيبة ، قال:ثنى عبد الله بن النُّعمان الحُدَانىّ أنه سمع عكرِمة يقول : (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : صُلْب الرجل ، وترائب المرأة .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الترائب: الصدر .

قال : ثنا ابن يمان ، عن مِسْعر ، عن الحكم ، عن أبى عياض ، قال : التَّرائِب : الصدر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : الترائب : الصدر ، وهذ الصلب ، وأشار إلى ظهره .

وقال آخرون : الترائب : ما بين المَنْكِبين والصدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان، عن إسرائيل ، عن ثُوَير ، عن مجاهد ، قال (التَّرَائِبِ) ما بين المنكبين والصدر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (التَّرَائِبِ) قال : أسفل من التراقى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال: الصُّلْب للرجل ، والترائب للمرأة ، والترائب فوق الثديين .

وقال آخرون : هو اليدان والرجلان والعينان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : فالترائب أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينان ، فتلك الترائب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) قال : الترائب : اليدان والرجلان .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال غيره : الترائب : ماء المرأة وصلب الرجل .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) : عيناه ويداه ورجلاه .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ) يقول : يخرج من بين صُلْب الرجل ونحره .

وقال آخرون : هى الأضلاع التى أسفل الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : التراب : الأضلاع التى أسفل الصلب .

وقال آخرون : هى عصارة القلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثنى الليث أن معمر بن أبى حَبِيبة المَدِينى حدّثه، أنه بلغه فى قول الله (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) قال : هو عُصارة القلب ، ومنه يكون الولد .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : قول من قال : هو موضع القلادة من المرأة ، حيث تقع عليه من صدرها ، لأن ذلك هو المعروف فى كلام العرب ، وبه جاءت أشعارهم ، قال المثقّب العبدى :

ومِنْ ذَهَب يُسَنُّ على تَرِيب كَلَوْنِ العاج ليسَ بذِى غُضُونِ[1]

وقال آخر :

والزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِقًا بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ[2]

وقوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى خلقكم أيها الناس من هذا الماء الدافق ، فجعلكم بشرا سويًا ، بعد أن كنتم ماء مدفوقا ، على رجعه لقادر .

واختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله (عَلَى رَجْعِهِ) على ما هى عائدة ، فقال بعضهم : هى عائدة على الماء . وقالوا : معنى الكلام : إن الله على ردّ النطفة فى الموضع التى خرجت منه (لَقَادِرٌ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن عكرمة ، فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : إنه على رَدّه فى صُلْبه لقادر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن عكرمة فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : للصُّلب .

حدثنى عُبيد بن إسماعيل الهبارىّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على أن يرد الماء فى الإحليل .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِىّ الوشاء ، قال : ثنا أبو قَطَن عمرو بن الهيثم ، عن ورقاء ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على ردّ النطفة فى الإحليل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : فى الإحليل

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : ردّه فى الإحليل .

---

(١) هذا البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٦) قال : التراتب : معلق الحلى على الصدر ؛ قال المثقب العبدى : « ومن ذهب يسن على ترب » ، ولم ينشد عجزه . اهـ . ويسن : أى يصقل أو يلمع . والتريب كالتراتب ، واحدها : تريبة ؛ قال (فى اللسان : ترب) : وقال أهل اللغة أجمعون : التراتب : موضع القلادة من الصدر ؛ وقيل : التريبتان : الضلعان اللتان تليان الترقوتين ، وأنشد :

ومِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ عَلَى تَرِيبٍ كَلَوْنِ العاجِ ليسَ لهُ غُضُونُ

ثم قال : وفى الحديث ذكر التريبة ، وهى أعلى صدر الإنسان تحت الذقن . وجمعه : التراتب . اهـ .

(٢) تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٢٨ : ٥١) على مثل ما استشهد به عليه هنا ، فراجعه ثمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه على ردّ الإنسان ماء كما كان قبل أن يخلقه منه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) إن شئتُ رددتُه كما خلقته من ماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه على حبس ذلك الماء لقادر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) قال : على رجع ذلك الماء لقادر ، حتى لايخرج ، كما قدر على أن يخلق منه ما خلق ، قادر على أن يرجعه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه قادر على رجع الإنسان من حال الكبر إلى حال الصغر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن مقاتل بن حيّان ، عن الضحاك قال : سمعته يقول فى قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) يقول : إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصِّبا ، ومن الصبا إلى النطفة . وعلى هذا التأويل تكون الهاء فى قوله (عَلَى رَجْعِهِ) من ذكر الإنسان .

وقال آخرون ممن زعم أن الهاء للإنسان معنى ذلك أنه على إحيائه بعد مماته لقادر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر .

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال معنى ذلك : إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا ، كهيئته قبل مماته لقادر .

وإنما قلت هذا أولى الأقوال فى ذلك بالصواب : لقوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) فكان فى إتباعه قوله (إنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) نبأ من أنباء القيامة ، دلالة على أن السابق قبلها أيضا منه ، ومنه (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته لقادر ، يوم تُبلى السرائر ؛ فاليوم من صفة الرجع ، لأن المعنى : إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر .

وعُنِى بقوله : (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) يوم تُختَبَرُ سرائر العباد ، فيظهر منها يومئذ ما كان فى الدنيا مستخفيا عن أعين العباد ، من الفرائض التى كان الله ألزمه إياها ، وكلَّفه العمل بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن عبد الله بن صالح ، عن يحيى بن أيوب ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ،

فى قوله (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) قال : ذلك الصوم والصلاة وغُسْل الجنابة ، وهو السرائر ؛ ولو شاء أن يقول : قد صُمْتُ وليس بصائم ، وقد صلَّيتُ ولم يصلّ ، وقد اغتسلت ولم يغتسل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) إن هذه السرائر مختبرة ، فأسِرّوا خيرا وأعلنوه إن استطعتم ، ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) قال : تُخْتَبَر .

وقوله (فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) يقول تعالى ذكره : فما للإنسان الكافر يومئذ من قوّة يمتنع بها من عذاب الله ، وأليم نكاله ، ولا ناصر ينصره ، فيستنقذه ممن ناله بمكروه ، وقد كان فى الدنيا يرجع إلى قوّة من عشيرته ، يمتنع بهم ممن أراده بسوء ، وناصر من حليف ينصره على من ظلمه واضطهده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) ينصره من الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا ناصِرٍ) قال : من قوّة يمتنع بها ، ولا ناصر ينصره من الله .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن سفيان الثورىّ ، فى قوله (مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) قال : القوّة : العشيرة ، والناصر : الحليف .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

يقول تعالى ذكره : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) ترْجع بالغيوم وأرزاق العباد كلّ عام ؛ ومنه قول المتنخّل فى صفة سيف :

أَبْيَضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إِذَا ما ثاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي[1]

(١) هذا البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ١٨٦) قال : « ذات الرجع » : الماء . قال المتنخل يصف السيف : « أبيض كالرجع . . . البيت » . وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٤) « وقوله « والسماء ذات الرجع » : تبتدئ بالمطر ، ثم ترجع به فى كل عام . وفى (اللسان : رجع) والرجع ، والرجيع ، والراجعة : الغدير يتردد فيه الماء ، قال المتنخل الهذلى يصف السيف : أبيض كالرجع . . . البيت . وفى التنزيل « والسماء ذات الرجع » ويقال : ذات النفع . وقال ثعلب : تبتدئ بالمطر ، ثم ترجع به كل عام . =

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهران ، قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : السحاب فيه المطر .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ذات السحاب فيه المطر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) يعنى بالرجع : القطر والرزق كلّ عام .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بأرزاق الناس كلّ عام ؛ قال أبو رجاء : سُئل عنها عكرِمة ، فقال : رجعت بالمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : السحاب يمطر ، ثم يَرجع بالمطر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بأرزاق العباد كلّ عام ، لولا ذلك هلكوا ، وهلكت مواشيهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : ترجع بالغيث كلّ عام .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) يعنى : المطر .

وقال آخرون : يعنى بذلك : أن شمسها وقمرها يغيب ويطلُع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) قال : شمسها وقمرها ونجومها يأتين من هاهنا .

وقوله (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) يقول تعالى ذكره : والأرض ذات الصدع بالنبات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

= وقال غيره : ذات المطر ، لأنه يجىء ويرجع ويتكرر . اهـ . وفى (اللسان : ثاخ) ثاخ الشىء ثوخا : ساخ . وثاخت قدمه فى الوحل تثوخ وتثيخ : خاضت وغابت فيه . قال المتنخل الهذلى يصف سيفا « أبيض . . . . البيت » . أراد بالأبيض : السيف . والرجع : الغدير ، شبه السيف به فى بياضه . والرسوب : الذى يرسب فى اللحم . والمختفل : أعظم موضع فى الجسد . ويختل : يقطع . وثاخ وساخ : ذهب فى الأرض سفلا . (وانظر ديوان الهذليين ٢ : ١٢ - ١٣) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : ذات النبات .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) يقول : صدعها إخراج النبات فى كلّ عام .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : هذه تصدع عما تحتها ؛ قال أبو رجاء : وسُئل عنها عكرِمة ، فقال : هذه تصدع عن الرزق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبى نجيح ، قال مجاهد (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدعِ) مثل المأزم مأزم منى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : الصدع : مثل المأزم ، غير الأودية وغير الجُرُف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) تصدع عن الثمار وعن النبات ، كما رأيتم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) قال : تصدع عن النبات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) وقرأ (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًا وَعِنَبًا وَقَضْبًا) إلى آخر الآية ، قال : صدعها للحرث .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) : النبات .

وقوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القول وهذا الخبر لقول فصل : يقول : لقول يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة عنه ، فقال بعضهم : لقول حقّ . وقال بعضهم : لقول حُكْم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يقول : حقّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ) : أى حُكْم .

وقوله (وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ) يقول : وما هو باللعب ولا الباطل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) يقول : بالباطل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) قال : باللعب .

وقوله (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكرا .

وقوله (وَأَكِيدُ كَيْدًا) يقول : وأمكر مكرا ؛ ومكره جلّ ثناؤه بهم : إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به .

وقوله (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فمهّل يامحمد الكافرين ولا تعجلْ عليهم (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) يقول : أمهلهم آنا قليلا ، وأنظرهم للموعد الذى هو وقت حلول النقمة بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) يقول : قريبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) الرويد : القليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) قال : مَهِّلهم ، فلا تعجل عليهم تَرْكَهُمْ ، حتى لما أراد الانتصار منهم ، أمره بجهادهم وقتالهم ، والغلظة عليهم .

آخر تفسير سورة والسماء والطارق

تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ، إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) فقال بعضهم : معناه : عظم ربك الأعلى ، لاربّ أعلى منه وأعظم . وكان بعضهم إذا قرأ ذلك قال : سبحان ربى الأعلى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عمر أنه كان يقرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) : سبحان ربى الأعلى (الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى) قال : وهى فى قراءة أُبىّ بن كعب كذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السُّدىّ ، عن عبد خير ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه قرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) فقال : سبحان ربى الأعلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق الهمْدانى ، أن ابن عباس كان إذا قرأ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) يقول : سبحان ربى الأعلى ، وإذا قرأ (لاأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ) فأتى على آخرها (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ؟ يقول : سبحانك اللهم وبلَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : سبحان ربىَ الأعلَى.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن داود ، عن زياد بن عبد الله ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ فى صلاة المغرب (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) سبحان ربى الأعلَى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : نزّه ياحمد اسم ربك الأعلى ، أن تسمى به شيئا سواه ، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل من ذلك المشركون ، من تسميتهم آلهتهم بعضَها اللات ، وبعضَها العزّى .

وقال غيرهم : بل معنى ذلك : نزّه الله عما يقول فيه المشركون كما قال : (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ . وقالوا : معنى ذلك : سبح ربك الأعلى ؛ قالوا : وليس الاسم معنى .

وقال آخرون : نزّه تسميتك يامحمد ربك الأعلى وذكرك إياه، أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذلل؛ قالوا : وإنما عُنِى بالاسم : التسمية ، ولكن وُضع الاسم مكان المصدر .

وقال آخرون : معنى قوله (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى) : صلّ بذكر ربك يامحمد ، يعنى بذلك : صلّ وأنت له ذاكر ، ومنه وَجِل خائف .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : معناه : نزّه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان ، لما ذكرت من الأخبار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا : سبحان ربىَ الأعلى ، فبيّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوما : عظم اسم ربك ، ونزّهه .

وقوله (الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى) يقول : الذى خلق الأشياء فسوّى خلقها ، وعدّلها ، والتسوية التعديل

وقوله (وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى) يقول تعالى ذكره : والذى قدّر خلقه فهدى .

⁂ واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عُنِى بقوله (فَهَدَى) ، فقال بعضهم : هدى الإنسان لسبيل الخير والشرّ ، والبهائم للمراتع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَدَّرَ فَهَدَى) قال : هدى الإنسان للشِّقْوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هدى الذكور لمأتى الإناث . وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى .

⁂ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أن الله عمّ بقوله (فَهَدَى) الخبر عن هدايته خلقه ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، وقد هداهم لسبيل الخير والشرّ ، وهدى الذكور لمأتى الإناث ، فالخبر على عمومه ، حتى يأتى خبر تقوم به الحجة ، دالّ على خصوصه . واجتمعت قرّاء الأمصار على تشديد الدال من قَدَّر ، غير الكسائى فإنه خفّفها .

والصواب فى ذلك التشديد ، لإجماع الحجة عليه .

وقوله (وَالَّذِى أَخْرَجَ المَرْعَى) يقول : والذى أخرج من الأرض مرعَى الأنعام ، من صنوف النبات وأنواع الحشيش .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن مكرم ، قال : ثنا الحفرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى رَزِين (أَخْرَجَ المَرْعَى) قال : النبات .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِى أَخْرَجَ المَرْعَى) . . . الآية ، نبت كما رأيتم ، بين أصفر وأحمر وأبيض .

وقوله (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) يقول تعالى ذكره : فجعل ذلك المرعى غُثاء ، وهو ما جفّ من النبات ويبس ، فطارت به الريح ، وإنما عُنِى به هاهنا أنه جعله هشيما يابسا متغيرا إلى الحُوَّة ، وهى السواد ، من بعد البياض أو الخُضرة ، من شدّة اليبس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (غُثَاءً أَحْوَى) يقول : هشيما متغيرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غُثَاءً أَحْوَى) قال : غُثاء السيل أحوى ، قال : أسود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (غُثَاءً أَحْوَى) قال : يعود يبسا بعد خُضرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) قال : كان بقلا ونباتا أخضر ، ثم هاج فيبُس ، فصار غُثاء أحوى ، تذهب به الرياح والسيول . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذى أخرج المرعى أحوى : أى أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك ، ويعتلّ لقوله ذلك بقول ذى الرُّمة :

حَوَّاءُ قَرْحاءُ أَشْراطِيَّةٌ وكَفَتْ　　فِيها الذَّهابُ وحَفَّتْها البَراعِيمُ [1]

وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدّت خضرته من النبات ، قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندى بخلافه تأويل أهل التأويل فى أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه ، أو تأخيره ، فأما وله فى موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير .

---

(١) البيت لذى الرمة (ديوانه : ٥٧٣) وأنشده أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٦) قال : « فجعله غثاء أحوى » : هيجه حتى يبس ، فجعله أسود من احتراقه . غثاء : هشيما . وهو فى موضع آخر : من شدة خضرته وكثرة مائه يقال له أحوى ؛ قال ذو الرمة « قرحاء حواء . . . البيت » . وفى (اللسان : قرح) : روضة قرحاء : فى وسطها نورا أبيض . قال ذو الرمة يصف روضة : « حواء قرحاء . . . البيت » . وقيل القرحاء : التى بدا نبتها : وفى (اللسان : شرط) : وروضة أشراطية : مطرت بالشرطين ، قال ذو الرمة يصف روضة « قرحاء حواء أشراطية . . . يعنى روضة مطرت بنوء الشرطين (وهما نجمان من برج الحمل ، يقال لهما قرن الحمل — اللسان : شرط) . قال : وإنما قال : قرحاء ، لأن فى وسطها نوارة بيضاء ، وقال حواء : لخضرة نباتها . وفى (اللسان : ذهب) : والذهبة ، بالكسر : المطرة . وقيل : المطرة الضعيفة . وقيل : الجود (بالفتح) . والجمع : ذهاب . قال ذو الرمة يصف روضة « حواء قرحاء . . . . » البيت . اه . وفى (اللسان : برعم) : البرعم والبرعوم والبرعمة والبرعومة (بضم أولها) كله كم ثمر الشجر والنور . وقيل زهرة الشجرة ، ونور النبت ، قبل أن يتفتح . وبرعمت الشجرة فهى مبرعمة ، وتبرعمت : أخرجت برعمتها . قال : وفسر مؤرج قول ذى الرمة « فيها الذهاب وحفتها البراعيم » فقال : هى رمال فيها دارات تنبت البقل . اه .

وقوله (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إلاَّ ما شاءَ اللهُ) يقول تعالى ذكره : سنقرئك يامحمد هذا القرآن فلا تنساه ، إلا ما شاء الله .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فلا تَنْسَى إلاَّ ما شاءَ اللهُ) فقال بعضهم : هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا القرآن ، ويحفظه عليه ، ونهى منه أن يعجل بقراءته ، كما قال جلّ ثناؤه (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) قال : كان يتذكر القرآن فى نفسه مخافة أن ينسى ، فقال قائلو هذه المقالة : معنى الاستثناء فى هذا الموضع على النسيان ، ومعنى الكلام : فلا تنسى ، إلا ما شاء الله أن تنساه ، ولا تذكُرَه ، قالوا : ذلك هو ما نسخه الله من القرآن ، فرفع حكمه وتلاوته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) كان صلى الله عليه وسلم لاينسى شيئا (إلاَّ ما شاءَ اللهُ) .

وقال آخرون : معنى النسيان فى هذا الموضع : الترك ؛ وقالوا : معنى الكلام : سنقرئك يامحمد فلا تترك العمل بشىء منه ، إلا ما شاء الله أن تترك العمل به ، مما ننسخه .

وكان بعض أهل العربية يقول فى ذلك : لم يشأ الله أن تنسى شيئا ، وهو كقوله (خالِدِينَ فِيها مادامَتِ السَّمَوَاتُ والأرْضُ ، إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ) ولا يشاء . قال : وأنت قائل فى الكلام : لأعطينك كلّ ما سألت إلا ما شئت ، وإلا أن أشاء أن أمنعك ، والنية أن لاتمنعه ، ولا تشاء شيئا . قال : وعلى هذا مجارى الإيمان ، يستثنى فيها ، ونية الحالف : اللمام .

❁ والقول الذى هو أولى بالصواب عندى : قول من قال : معنى ذلك : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك أظهر معانيه .

وقوله (إنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وَما يَخْفَى) يقول تعالى ذكره : إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ، ما أظهرته وأعلنته (وَما يَخْفَى) يقول : وما يخفى منه فلم تظهره ، مما كتمته ، يقول : هو يعلم جميع أعمالك ، سرّها وعلانيتها ؛ يقول : فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل فى حال من أحوالك بغير الذى أذن لك به .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ونسهلك يامحمد لعمل الخير وهو اليُسرَى ، واليُسرَى : هو الفُعلى من اليسر .

وقوله (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) يقول تعالى ذكره : فذكِّر عباد الله يامحمد عظمته ، وعظْهم ، وحذِّرهم عقوبته (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) يقول : إن نفعتِ الذكرى الذين قد آيستُك من إيمانهم ، فلا تنفعهم الذكرى . وقوله (فَذَكِّرْ) أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بتذكير جميع الناس ، ثم قال : إن نفعت الذكرى هؤلاء الذين قد آيستك من إيمانهم .

وقوله (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) يقول جلّ ثناؤه : سيذَّكَّر يامحمد إذا ذَكَّرت الذين أمرتك بتذكيرهم من يخشى الله ، ويخاف عقابه (وَيَتَجَنَّبُهَا) يقول : ويتجنَّب الذكرى (الأَشْقَى) يعنى : أشقى الفريقين (الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى) وهم الذين لم تنفعهم الذكرى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) فاتقوا الله ، ما خشِى الله عبد قطّ إلا ذكره (وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى) فلا والله لايتنكَّب عبد هذا الذكر زهدا فيه وبُغضا لأهله ، إلا شقّ بيّن الشقاء .

وقوله (الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى) يقول : الذى يَرِد نار جهنم ، وهى النار الكبرى ، ويعنى بالكبرى لشدّة الحرّ والألم .

وقوله (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا) يقول : ثم لايموت فى النار الكُبرى ولا يحيا ، وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها فى حلقه ، فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا . وقيل : لايموت فيها فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه .

وقال آخرون : قيل ذلك ، لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع فى شدة شديدة ، قالوا : لاهو حىّ ، ولا هو ميت ، فخاطبهم الله بالذى جرى به ذلك من كلامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) .

يقول تعالى ذكره : قد نجح وأدرك طلبته من تطهَّر من الكفر ومعاصى الله ، وعمل بما أمره الله به ، فأدّى فرائضه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) يقول : من تزكّى من الشرك .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، قال : ثنا هشام ، عن الحسن ، فى قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من كان عمله زاكيا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : يعمل وَرِعا .

حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عُمر العَدَنىّ ، عن الحكم ، عن عكرِمة ، فى قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) من قال : لاإله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قد أفلح من أدّى زكاة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من استطاع أن يرضَخَ فليفعل ، ثم ليقم فليصلّ .

حدثنا محمد بن عمارة الرازى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) قال : من رَضَخ[1] .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عثمان بن سعيد بن مرّة ، قال : ثنا زهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، قال : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدّم بين يدى صلاته زكاته ، فإن الله يقول : (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) فمن استطاع أن يقدّم بين يدى صلاته زكاةً فليفعل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) تزكى رجل من ماله ، وأرضى خالقه .

وقال آخرون : بل عنى بذلك زكاة الفطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن أبى خلدة ، قال : دخلت على أبى العالية ، فقال لى : إذا غَدَوت غدا إلى العيد فمرّ بى ، قال : فمررت به ، فقال : هل طَعِمت شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أفَضْت على نفسك من الماء ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ما فعلت بزكاتك ؟ قلت : قد وجّهتها ، قال : إنما أردتك لهذا ، ثم قرأ (قَدْ أفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) وقال : إن أهل المدينة لايرَوْن صدقة أفضل منها ، ومن سِقاية الماء .

(١) يقال : رضخ له بشىء من ماله : إذا أعطاه شيئا يسيرا .

وقوله (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) فقال بعضهم : معنى ذلك : وحَّد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) يقول : وحَّد اللهَ سبحانه وتعالى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وذكر اللهَ ودعاه ورغب إليه .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : وذكر الله فوحّده ، ودعاه ورغب إليه ، لأن كلّ ذلك من ذكر الله ، ولم يخصُص الله تعالى من ذكره نوعا دون نوع .

وقوله (فَصَلَّى) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به : فصلّى الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَصَلَّى) يقول : صلّى الصلوات الخمس .

وقال آخرون : عنى به : صلاة العيد يوم الفطر .

وقال آخرون : بل عُنِى به : وذكر اسم ربه فدعا ، وقالوا : الصلاة هاهنا : الدعاء .

والصواب من القول أن يقال : عُنِى بقوله (فَصَلَّى) : الصلوات ، وذكر الله فيها بالتحميد والتمجيد والدعاء .

وقوله (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول للناس : بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَبْقَى) يقول : وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى بقاء ، لأن الحياة الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، لاتنفَدُ ولا تفنى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله . وقوله (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ) فى الخير (وَأَبْقَى) فى البقاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عَرْفَجَة الثقفىّ ، قال : استقرأت ابن مسعود (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) ، فلما بلغ (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه ، وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ، فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزُوِيت عنا الآخرة ، فاخترنا هذا العاجل ، وتركنا الآجل .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الأمصار (بَلْ تُؤْثِرُونَ) بالتاء ، إلا أبا عمرو ، فإنه قرأه بالياء ، وقال : يعنى الأشقياء .

والذى لاأوثر عليه فى قراءة ذلك التاء ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبَىّ : (بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ) فذلك أيضا شاهد لصحة القراءة بالتاء .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى) اختلف أهل التأويل فى الذى أشير إليه بقوله هذا ، فقال بعضهم : أُشير به إلى الآيات التى فى « سبح اسم ربك الأعلى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) يقول : الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى .

وقال آخرون : قصة هذه السورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) قال : قصة هذه السورة لفى الصحف الأولى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن هذا الذى قصّ الله تعالى فى هذه السورة (لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى) قال : إن هذا الذى قصّ الله فى هذه السورة ، لفى الصحف الأولى (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن قوله (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) فى الصحف الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى) قال : تتابعت كتب الله كما تسمعون ، أن الآخرة خير وأبقى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) قال : فى الصحف التى أنزلها الله على إبراهيم وموسى : أن الآخرة خير من الأولى .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : إن قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) : لفى الصحف الأولى ، صحف إبراهيم خليل الرحمن ، وصحف موسى بن عمران .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصحة من غيره ، لأن هذا إشارة إلى حاضر ، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها ، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره . وأما الصحف : فإنها جمع صحيفة ، وإنما عُنِى بها : كتب إبراهيم وموسى .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى الخلد ، قال : نزلت صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان ، وأنزل الزبور لاثنتى عشرة ليلة ، وأنزل الإنجيل لثمانى عشرة ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين .

آخر تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى

تفسير سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل ثناؤه

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ (٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (هَلْ أَتاكَ) يامحمد (حَدِيثُ الْغاشِيَةُ) يعنى : قصتها وخبرها .

واختلف أهل التأويل فى معنى الغاشية ، فقال بعضهم : هى القيامة تغشى الناس بالأهوال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (الْغاشِيَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ) قال : الغاشية : الساعة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ) قال : الساعة .

وقال آخرون : بل الغاشية : النار تغشى وجوه الكفرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد ، فى قوله (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ) قال : غاشية النار .

والصواب من القول فى ذلك: أن يقال : إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ

الْغاشِيَةِ) ولم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار ، وكلتاهما غاشية ، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشى الكفار باللفح فى الوجوه، والشُّواظ والنُّحاس، فلا قول فى ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : ويعمّ الخبر بذلك كما عمه .

وقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : وجوه يومئذ، وهى وجوه أهل الكفر به . خاشعة : يقول : ذليلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ) : أى ذليلة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خاشِعَةٌ) قال : خاشعة فى النار .

وقوله (عامِلَةٌ) يعنى : عاملة فى النار . وقوله (ناصِبَةٌ) يقول : ناصبة فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) فإنها تعمل وتَنصَب فى النار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن ، قرأ (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : لم تعمل لله فى الدنيا ، فأعملها فى النار .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) تكبَّرت فى الدنيا عن طاعة الله ، فأعملها وأنصبها فى النار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : عاملة ناصبة فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ) قال : لأحد أنصَبُ ولا أشدّ من أهل النار .

وقوله (تَصْلَى نارًا حامِيَةً) يقول تعالى ذكره : ترد هذه الوجوه نارا حامية قد حَميت واشتدّ حرّها .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (تَصْلَى) بفتح التاء، بمعنى : تَصْلَى الوجوه . وقرأ ذلك أبو عمرو (تُصْلَى) بضم التاء اعتبارا بقوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) ، والقول فى ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) يقول : تُسْقَى أصحاب هذه الوجوه من شَراب عين قد أَنى حرّها، فبلغ غايته فى شدّة الحرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : هى التى قد أطال أَنْيها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : أَنَىَ طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا .

حدثنى به يعقوب مرّة أخرى ، فقال : منذ يوم خلق الله السموات والأرض .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : قد بلغت إناها ، وحان شربها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) يقول : قد أَنَىَ طبخها منذ خلق الله السموات والأرض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : من عين أَنَىَ حرّها : يقول : قد بلغ حرّها .

وقال بعضهم : عُنِى بقوله (مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) من عين حاضرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) قال : آنية : حاضرة .

وقوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : ليس لهؤلاء الذين هم أصحاب الخاشعة العاملة الناصبة يوم القيامة ، طعام إلا ما يطعمونه من ضَرِيع . والضريع عند العرب : نبت يُقال له الشِّبْرِق ، وتسميه أهل الحجاز الضَّرِيع إذا يبس ، ويسميه غيرهم : الشِّبرق ، وهو سمّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الضريع : الشِّبرق .

حدثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : ثنا عباد بن يعقوب الأسدىّ ، قال محمد : ثنا ، وقال عباد : أخبرنا محمد بن سليمان ، عن عبد الرحمن الأصبهانىّ ، عن عكرِمة فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشِّبرق .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : ثنى نجدة ، رجل من عبد القيس

عن عكرمة ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : هى شجرة ذات شوك ، لاطئة بالأرض ، فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشّبرق ، فإذا هاج العود سمّتها الضّريع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشبرق .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَرِيعٍ) قال : الشّبرق اليابس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة (إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : من شرّ الطعام ، وأبشعه وأخبثه .

حدثنى محمد بن عبيد ، قال : ثنا شريك بن عبد الله ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الشّبرق .

وقال آخرون : الضّريع : الحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الحجارة .

وقال آخرون : الضّريع : شجر من نار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) يقول : شجر من نار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ) قال : الضريع : الشّوك من النار . قال : وأما فى الدنيا فإن الضريع : الشوك اليابس الذى ليس له ورق ، تدعوه العرب الضريع ، وهو فى الآخرة شوك من نار .

وقوله (لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ) يقول : لا يُسمن هذا الضريع يوم القيامة أكلَتَه من أهل النار ، ولا يُغنى من جوع : يقول : ولا يُشْبِعهم من جوع يصيبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١)

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) يعنى : يوم القيامة (نَاعِمَةٌ) يقول : هى ناعمة بتنعيم الله أهلها فى جناته ، وهم أهل الإيمان بالله .

وقوله (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) يقول : لعملها الذى عملت فى الدنيا من طاعة ربها راضية . وقيل : (لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) والمعنى : لثواب سعيها فى الآخرة راضية .

وقوله (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) وهى بستان . عالية : يعنى رفيعة .

وقوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) يقول : لاتسمع هذه الوجوه ، المعنى لأهلها فيها فى الجنة العالية لاغية ، يعنى باللاغية : كلمة لغو . واللَّغو : الباطل ، فقيل للكلمة التى هى لغو لاغية ، كما قيل لصاحب الدرع : دارع ، ولصاحب الفرس : فارس ، ولقائل الشعر شاعر ؛ وكما قال الحُطيئة :

أَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرُ(١)

يعنى : صاحب لبن ، وصاحب تمر . وزعم بعض الكوفيين أن معنى ذلك : لاتسمع فيها حالفة على الكذب ولذلك قيل لاغية ، ولهذا الذى قاله مذهب ووجه ، لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه ، وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) يقول : لاتسمع أذًى ولا باطلا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) قال : شتما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) : لاتسمع فيها باطلا ، ولا شاتما .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض قرّاء المدينة وهو أبو جعفر (لَا تَسْمَعُ) بفتح التاء ، بمعنى : لاتسمع الوجوهُ . وقرأ ذلك ابن كثير ونافع وأبو عمرو (لَا تُسْمَعُ) بضم التاء ، بمعنى ما لم يسمّ فاعله ، ويؤنّث تسمع ، لتأنيث لاغية . وقرأ ابن محيصن بالضم أيضا ، غير أنه كان يقرؤها بالياء ، على وجه التذكير .

(١) البيت للحطيئة . وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزأين (٢٣ : ١٩ ، ٢٧ : ٢٣) فارجع إليهما .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن كلّ ذلك قراءات معروفات صحيحات المعانى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (فِيهَا عَيْنٌ جارِيَةٌ) يقول : فى الجنة العالية عين جارية فى غير أُخدود .

وقوله (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) والسرر : جمع سرير ، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ماخوّله ربه من النعيم والملك فيها ، ويلحق جميع ذلك بصره .

وقيل : عُنِى بقوله مرفوعة : موضونة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) يعنى : موضونة ، كقوله : سُرر مصفوفة ، بعضها فوق بعض .

وقوله (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) وهى جمع كوب ، وهى الأباريق التى لا آذان لها . وقد بيّنا ذلك فيما مضى ، وذكرنا ما فيه من الرواية ، بما أغنى عن إعادته . وعُنِى بقوله (مَوْضُوعَةٌ) : أنها موضوعة على حافة العين الجارية ، كلما أرادوا الشرب ، وجدوها ملأى من الشراب .

وقوله (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يعنى بالنمارق : الوسائد والمرافق ؛ والنمارق : واحدها نُمْرُقة ، بضم النون . وقد حُكى عن بعض كلب سماعا نِمْرِقة ، بكسر النون والراء . وقيل : مصفوفة لأن بعضها بجنب بعض .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يقول : المرافق .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ) يعنى بالنمارق : المجالس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ) والنمارق : الوسائد .

وقوله (وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ) يقول تعالى ذكره : وفيها طنافس وبُسط كثيرة مبثوثة مفروشة ، والواحدة : زِرْبية ، وهى الطِّنفسة التى لها خمل رقيق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن سفيان ، قال : ثنا توبة العنبرىّ ، عن عكرمة بن خالد ، عن عبد الله بن عمار ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلّى على عَبْقَرِىّ ، وهو الزرابىّ .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) : المبسوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)

يقول تعالى ذكره لمُنكرى قدرته على ماوصف فى هذه السورة، من العقاب والنكال الذى أعدّه لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التى أعدّها لأهل ولايته ، أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور ، إلى الإبل كيف خلقها، وسخرها لهم وذلّلها، وجعلها تحمل حملها باركة ، ثم تنهض به ، والذى خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ماوصف من هذه الأمور فى الجنة والنار ، يقول جلّ ثناؤه : أفلا ينظرون إلى الإبل : فيعتبرون بها ، ويعلمون أن القُدرة التى قدَر بها على خلقها ، لن يُعجزه خلق ما شابهها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما نعت الله ما فى الجنة ، عَجِّب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله (أفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) فكانت الإبل من عيش العرب ومن خولهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن أبى إسحاق، عمن سمع شريحا يقول : اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت .

وقوله (وَإلى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) يقول جلّ ثناؤه : أفلا ينظرون أيضا إلى السماء كيف رفعها الذى أخبركم أنه مُعِدٌّ لأوليائه ما وصف، ولأعدائه ما ذكر ، فيعلموا أن قُدرته القدرة التى لايُعجزه فعل شىء أراد فعله .

وقوله (وَإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) يقول : وإلى الجبال كيف أقيمت منتصبة لاتسقط ، فتنبسط فى الأرض ، ولكنها جعلها بقدرته منتصبة جامدة ، لاتبرح مكانها ، ولا تزول عن موضعها .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) تصاعد إلى الجبل الصَّيخود عامة يومك ، فإذا أفضيت إلى أعلاه ، أفضيت إلى عيون متفجرة ، وثمار متهدلة ثم لم تحرثه الأيدى ولم تعمله ، نعمة من الله ، وبُلغة الأجل .

وقوله (وَإلى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) يقول : وإلى الأرض كيف بُسطت ، يقال : جبل مُسَطَّح : إذا كان فى أعلاه استواء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) : أى بُسطت ، يقول : أليس الذى خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد فى الجنة .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَذَكِّرْ) يا محمد عبادى بآياتى ، وعظهم بحججى ، وبلِّغهم رسالتى (إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) يقول : إنما أرسلتك إليهم مذكرا ، لتذكرهم نعمتى عندهم ، وتعرّفهم اللازم لهم ، وتعظهم .

وقوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول : لست عليهم بمسلَّط ، ولا أنت بجبار ، تحملهم على ماتريد . يقول : كِلهم إلىّ ، ودعهم وحكمى فيهم ؛ يقال : قد تسيطر فلان على قومه : إذا تسلط عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) يقول : لست عليهم بجبار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) : أى كل إلىّ عبادى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمُسَيْطِرٍ) قال : جبار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال : لست عليهم بمسلط أن تُكرِههم على الإيمان ، قال : ثم جاء بعد هذا (جاهِدِ الكُفَّارَ وَالمنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وقال (اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) وارصدوهم لايخرجوا فِى البِلادِ (فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ ، وآتَوُا الزَّكاةَ ، فخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال : فنسخت (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) قال : جاء اقتله أو يُسْلِمَ ؛ قال : والتذكرة كما هى لم تنسخ . وقرأ (وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ،

فإذا قالوا : لا إله إلا الله ، عصموا منى دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله » ثم قرأ (إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى الزبير محمد بن مسلم ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله ، يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : قال أبو الزبير : ثم قرأ (إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

وقوله (إلا من تولى وكفر) يتوجه لوجهين : أحدهما : فذكر قومك يا محمد ، إلا من تولى منهم عنك ، وأعرض عن آيات الله فكفر ، فيكون قوله « إلا » استثناء من الذين كان التذكير عليهم ، وإن لم يذكروا ، كما يقال : مضى فلان ، فدعا إلا من لا ترجى إجابته ، بمعنى : فدعا الناس إلا من لا ترجى إجابته . والوجه الثانى : أن يجعل قوله (إلا من تولى وكفر) منقطعا عما قبله ، فيكون معنى الكلام حينئذ لست عليهم بمسيطر ، إلا من تولى وكفر ، يعذبه الله ، وكذلك الاستثناء المنقطع يمتحن بأن يحسن معه إن ، فإذا حسنت معه كان منقطعا ، وإذا لم تحسن كان استثناء متصلا صحيحا ، كقول القائل : سار القوم إلا زيدا ، ولا يصلح دخول إن هاهنا لأنه استثناء صحيح .

وقوله (فيعذبه الله العذاب الأكبر) : هو عذاب جهنم ، يقول : فيعذبه الله العذاب الأكبر على كفره فى الدنيا ، وعذاب جهنم فى الآخرة .

وقوله (إن إلينا إيابهم) يقول : إن إلينا رجوع من كفر ومعادهم (ثم إن علينا حسابهم) يقول : ثم إن على الله حسابه ، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه ، يعلم بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه المتولى عقوبته دونه ، وهو المجازى والمعاقب ، وأنه الذى إليه التذكير وتبليغ الرسالة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلا من تولى وكفر) قال : حسابه على الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم) يقول : إن إلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

آخر تفسير سورة الغاشية

تفسير سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

وَٱلْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ (٣) وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ (٥)

هذا قسم أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفجر ، وهو فجر الصبح .

❊ واختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى بذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به النهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المِنقرىّ ، عن خليفة بن الحصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس ، قوله (وَٱلْفَجْرِ) قال : النهار .

وقال آخرون : عُنِى به صلاة الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَٱلْفَجْرِ) يعنى : صلاة الفجر .

وقال آخرون : هو فجر الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرِمة ، فى قوله : (وَٱلْفَجْرِ) قال : الفجر : فجر الصبح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزبير أنه قال : (وَٱلْفَجْرِ) قال : الفجر : قسم أقسم الله به .

وقوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) اختلف أهل التأويل فى هذه الليالى العشر أىّ ليال هى؟ فقال بعضهم : هى ليالى عشر ذى الحجة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن زرارة ، عن ابن عباس ، قال : إن الليالىَ العشر التى أقسم الله بها ، هى ليالى العشر الأول من ذى الحجة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) : عشر الأضحى ، قال : ويقال : العشر : أولَ السنة من المحرم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وَهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزّبير (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) : أوّل ذى الحجة إلى يوم النحر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عوف ، قال : ثنا زرارة بن أوفى ، قال : قال ابن عباس : إن الليالى العشر اللاتى أقسم الله بهنّ : هن الليالى الأُوَل من ذى الحجة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسروق (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة ، وهى التى وعد الله موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرِمة (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المنقرىّ ، عن خليفة بن حصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر الأضحى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : عشر ذى الحجة.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : كنا نحدّث أنها عشر الأضحى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثَور ، عن معمر ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، قال : ليس عمل فى ليال من ليالى السنة أفضل منه فى ليالى العشر ، وهى عشر موسى التى أتمّها الله له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحاق ، عن مسروق ، قال : ليال العشر ، قال : هى أفضل أيام السنة .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) يعنى : عشر الأضحى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) قال : أوّل ذى الحجة ؛ وقال : هى عشر المحرّم من أوّله .

☆ والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنها عشر الأضحى ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه ، وأن عبد الله بن أبى زياد القَطْوانىّ ، حدثنى قال : ثنى زيد بن حباب ، قال : أخبرنى عياش بن عقبة ، قال : ثنى جُبير بن نعيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، قال : عَشْرُ الأَضْحَى » .

وقوله (وَالشَّفْعِ والْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ ، هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ) اختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى به من الوتر بقوله (والْوَتْرِ) فقال بعضهم : : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن زُرارة بن أوفى ، عن ابن عباس ، قال : الوتر : يوم عرفة ، والشفع : يوم الذبح .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عوف ، قال : ثنا زرارة بن أوفى ، قال : قال ابن عباس : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، قال : قال عكرِمة ، عن ابن عباس : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، عن عكرِمة (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

وحدثنا به مرّة أخرى ، فقال : الشفع : أيام النحر ، وسائر الحديث مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا عاصم الأحول ، عن عكرِمة في قوله (والشَّفْعِ) قال : يوم النحر (والْوَتْرِ) قال : يوم عرفة .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : مهران ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرِمة ، قال : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة .

قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن الضحاك (وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : أقسم الله بهنّ لما يعلم من فضلهنّ على سائر الأيام ، وخير هذين اليومين لما يُعلَم من فضلهما على سائر هذه الليالي. (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يوم النحر ، والوَتر : يوم عرفة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان عكرِمة يقول : الشفع : يوم الأضحى ، والوتر : يوم عرفة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال عكرِمة : عرفة وَتْر ، والنحر شفع ، عرفة يوم التاسع ، والنحر يوم العاشر .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (والشَّفْعِ) يوم النحر (والْوَتْرِ) يوم عرفة .

وقال آخرون : الشفع : اليومان بعد يوم النحر ، والوَتر : اليوم الثالث .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : الشفع : يومان بعد يوم النحر ، والوتر : يوم النَّفْر الآخِر ، يقول الله : (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ) .

وقال آخرون : الشفع : الخلق كله ، والوتر : الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الله وتر وأنتم شفع ، ويقال الشفع صلاة الغداة ، والوتر صلاة المغرب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : كلّ خلق الله شفع ، السماء والأرض ، والبرّ والبحر ، والجنّ والإنس ، والشمس والقمر ، والله الوَتر وحده .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) قال : الكفر والإيمان ، والسعادة والشقاوة ، والهدى والضلالة ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والجنّ والإنس ، والوَتْر : الله ؛ قال : وقال فى الشفع والوتر مثل ذلك .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : خلق الله من كلّ شىء زوجين ، والله وَتْر واحد صَمَد .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الشفع : الزوج ، والوتر : الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الوتر : الله ، وما خلق الله من شىء فهو شفع .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الخلق ، وذلك أن الخلق كله شفع ووتر .

قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : الخلق كله شفع ووتر ، وأقسم بالخلق .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن فى ذلك : الخلق كله شفع (والشَّفْعِ والْوَتْرِ) قال : كان أبى يقول : كلّ شىء خلق الله شفع ووتر ، فأقسم بما خلق ، وأقسم بما تبصرون وبما لاتبصرون.

وقال آخرون : بل ذلك : الصلاة المكتوبة ، منها الشفع كصلاة الفجر والظهر ، ومنها الوتر كصلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان عمران بن حصين يقول : (الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) : الصلاة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال عمران : هى الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : ذلك صلاة المغرب ، الشفع : الركعتان ، والوتر : الركعة الثالثة ، وقد رفع حديث عمران بن حُصين بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الشفع والوتر ، قال : « هىَ الصَّلاةُ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، أنه سُئل عن الشفع والوتر ، فقال : أخبرنى عمران بن عِصام الضُّبَعى ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « هىَ الصَّلاةُ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا همام بن يحيى ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) قال : هىَ الصَّلاةِ مِنْها شَفْعٌ ، وَمِنْها وَتْرٌ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) إن من الصلاة شفعا ، وإن منها وترا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، أنه سُئل عن الشفع والوتر ، فقال : قال الحسن : هو العدد . ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن أبى الزُّبير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطْوَانىّ ، قال : ثنا زيد بن حُباب ، قال : أخبرنى عَيّاش بن عقبة ، قال : ثنى جبير بن نعيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشَّفْعُ : الْيَوْمانِ ، والْوَتْرُ : الْيَوْمُ الْوَاحِدُ » .

والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل ، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به ، مما قال أهل التأويل إنه داخل فى قسمه هذا ، لعموم قسمه بذلك .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَالْوَتْرِ) فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة بكسر الواو .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار ، ولغتان مشهورتان فى العرب ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ) يقول : والليل إذا سار فذهب ، يقال منه : سرى فلان ليلا يَسْرِى : إذا سار .

وقال بعضهم : عُنِى بقوله (وَاللَّيْلِ إذَا يَسْرِ) ليلة جَمْع ، وهى ليلة المزدلفة

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمر بن قيس ، عن محمد بن المرتفع ، عن عبد الله بن الزبير (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) حتى يُذْهِب بعضه بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) يقول : إذا ذهب .

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : إذا سار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : والليل إذا سار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) يقول : إذا سار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : إذا سار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : الليل إذا يسير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) قال : ليلة جمع .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الشام والعراق (يَسْرِ) بغير ياء . وقرأ ذلك جماعة من القرّاء بإثبات الياء ، وحذف الياء فى ذلك أعجب إلينا ، ليوفق بين رءوس الآى إذ كانت بالراء . والعرب ربما أسقطت الياء فى موضع الرفع مثل هذا ، اكتفاء بكسرة ما قبلها منها ، من ذلك قول الشاعر :

لَيْسَ تَخْفَى يَسَارَتِى قَدْرَ يَوْمٍ وَلَقَدْ تُخْفِ شِيمَتِى إِعْسَارِى[1]

وقوله (هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) يقول تعالى ذكره : هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مَقْنَع لذى حِجر . وإنما عُنِى بذلك : إن فى هذا القسم مكتفًى لمن عقل عن ربه ، مما هو أغلظ منه فى الأقسام. فأما معنى قوله (لِذِى حِجْرٍ) : فإنه لذى حِجًى وذى عقل ؛ يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا : إنه لذو حَجَر ، ومنه قولهم : حَجَر الحاكم على فلان .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٦٥) قال : وقوله : « والليل إذا يسر » : ذكروا أنها ليلة المزدلفة . وقد قرأ القراء « يسرى » بإثبات الياء ، و « يسر » بحذفها . وحذفها أحب إلى ، لمشاكلتها رءوس الآيات ، ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفى بكسر ما قبلها ، أنشدنى بعضهم :

كَفَّاكَ : كَفٌّ ما تُلِيقُ دِرْهَمًا جُودًا ، وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا

وأنشدنى آخر : « ليس تخفى يسارتى . . . البيت » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى النُّهَى والعقل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لأولى النُّهَى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : ذو الحِجْر والنُّهى والعقل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قابوس بن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل ، لذى نُهًى .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأغرّ المِنقرىّ ، عن خليفة بن الحصين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى لُبّ ، لذى حِجًى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : لذى عقل ، لذى رأى .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (هَلْ فِى ذَلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى لبّ ، أو نُهًى .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن هلال بن خبّاب ، عن مجاهد ، فى قوله (قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (هَلْ فِى ذَلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى حِلْم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى حِجًى ؛ وقال الحسن : لذى لُبّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) لذى حِجًى ، لذى عقل ولُبّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ فِى ذلكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) قال : لذى عقل ، وقرأ (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ولأولى الألباب ، وهم الذين عاتبهم الله ، وقال : العقل واللُّبّ واحد ، إلا أنه يفترق فى كلام العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١)

وقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فترى كيف فعل ربك بعاد ؟

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إِرَمَ) فقال بعضهم : هى اسم بلدة ، ثم اختلف الذين قالوا ذلك فى البلدة التى عُنيت بذلك ، فقال بعضهم : عُنيت به الإسكندرية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبى صخر ، عن القُرَظى ، أنه سمعه يقول : (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) الإسكندرية .

قال أبو جعفر ، وقال آخرون : هى دمشق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله الحلالىّ من أهل البصرة ، قال : ثنا عُبيد الله بن عبد المجيد ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبُرى (بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) قال : دمشق .

وقال آخرون : عُنِى بقوله (إِرَمَ) : أمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد قوله (إِرَمَ) قال : أمة .

وقال آخرون : معنى ذلك : القديمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِرَمَ) قال : القديمة .

وقال آخرون : تلك قبيلة من عاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) قال : كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد ، بيت مملكة عاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِرَمَ) قال : قبيلة من عاد ، كان يقال لهم : إرم ، جدّ عاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ) يقول الله : بعاد إرم ، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

وقال آخرون (إِرَمَ) : الهالك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ إِرَمَ) يعني بالإرم : الهالك ؛ ألا ترى أنك تقول : أرم بنو فلان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (بِعادٍ إِرَمَ) الهلاك ؛ ألا ترى أنك تقول : أُرِمَ بنو فلان : أي هَلَكوا .

❁ والصواب من القول في ذلكَ : أن يُقال : إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها ، فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها ، ولم يُجرّ من أجل ذلك ، وإما اسم قبيلة فلم يُجرّ أيضا ، كما لا يُجرّى أسماء القبائل ، كتميم وبكر ، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة . وأما اسم عاد فلم يجر ، إذ كان اسما أعجميا .

فأما ما ذُكر عن مجاهد ، أنه قال : عُنِي بذلك القديمة ، فقول لا معنى له ، لأن ذلك لو كان معناه لكان مخفوضا بالتنوين ، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة .

وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي : أنها اسم قبيلة من عاد ، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها ، وترك إجرائها ، كما يقال : ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل ؟ فيترك إجراء نهشل ، وهي قبيلة ، فترك إجراؤها لذلك ، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم ، ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها ، كما يقال : هذا عمرُو زبيدٍ وحاتمُ طيٍّ وأعشى هَمْدانَ ، ولكنها اسم قبيلة منها ، فيما أرى ، كما قال قتادة ، والله أعلم ، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة ، وترك الإجراء .

وقوله (ذَاتِ الْعِمادِ) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ذات الطول ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل : رجل مُعَمَّد ، وقالوا : كانوا طوال الأجسام .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ذَاتِ الْعِمادِ) يعني : طولهم مثل العماد .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : كان لهم جسم في السماء .

---

(١) في (اللسان : أرم) : الأرم : القطع ، وأرمتهم السنة أرما : قطعتهم ، وبناء عليه يكون الفعل الذي عبر به المؤلف بنا مبنيا للمجهول . أي أبادهم الدهر .

وقال بعضهم : بل قيل لهم (ذَاتِ الْعِمادِ) لأنهم كانوا أهل عَمَد ، ينتجِعون الغيوث ، وينتقلون إلى الكلإ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْعِمادِ) قال : أهل عَمود لايقيمون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : ذُكر لنا أنهم كانوا أهل عَمود لايقيمون ، سيارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ الْعِمادِ) قال : كانوا أهل عَمود .

وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم ، فشيَّد عَمَده ، ورفع بناءه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إرَمَ ذَاتِ الْعِمادِ) قال : عاد قوم هود ، بنَوها وعملوها حين كانوا فى الأحقاف ، قال (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها) مثل تلك الأعمال فى البلاد . قال : وكذلك فى الأحقاف فى حضرموت ، ثم كانت عاد ؛ قال : وثَمّ أحقاف الرمل كما قال الله بالأحقاف من الرمل ، رمال أمثال الجبال ، تكون مظلة مجوّفة .

وقال آخرون : قيل ذلك لهم لشدّة أبدانهم وقواهم .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) يعنى : الشدّة والقوّة .

وأشبه الأقوال فى ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال : عُنِى بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ، لأن المعروف فى كلام العرب من العماد ، ما عُمد به الخيام من الخشب ، والسوارى التى يحمل عليها البناء ، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح ، بل وجّه أهل التأويل قوله (ذَاتِ الْعِمادِ) إلى أنه عُنِى به طول أجسامهم ، وبعضهم إلى أنه عُنِى به عماد خيامهم ، فأما عماد البنيان ، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه ، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ، ماوُجد إلى ذلك سبيل ، دون الأنكر .

وقوله (الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ) يقول جلّ ثناؤه : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، يعنى : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ، لما قد بيّنا قبل أنها قبيلة . وإنما عُنِى بقوله : لم يُخلق مثلها فى العِظَم والبطش والأيد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ) : ذكر أنهم كانوا اثنى عشر ذراعا طولا فى السماء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ذات العماد التى لم يُخلق مثلها فى البلاد ، لم يخلق مثل الأعمدة فى البلاد ، وقالوا : التى لم يخلق مثلها من صفة ذات العماد ، والهاء التى فى مثلها إنما هى من ذكر ذات العماد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ، فذكر نحوه . وهذا قول لاوجه له ، لأن العماد واحد مذكر ، والتى للأنثى ، ولا يوصف المذكر بالتى ، ولو كان ذلك من صفة العماد لقيل : الذى لم يخلق مثله فى البلاد ، وإن جعلت التى لإرم ، وجعلت الهاء عائدة فى قوله (مِثْلُها) عليها ؛ وقيل : هى دمشق أو إسكندرية ، فإن بلاد عاد هى التى وصفها الله فى كتابه فقال : (وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقافِ) والأحقاف : هى جمع حِقْف ، وهو ما انعطف من الرمل وانحنى ، وليست الإسكندرية ولا دمشق من بلاد الرمال ، بل ذلك الشِّحْر من بلاد حضرموت ، وما والاها .

وقوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول : وبثمود الذى خرقوا الصخر ودخلوه ، فاتخذوه بيوتا ، كما قال جلّ ثناؤه (وكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتا آمِنِينَ) والعرب تقول : جاب فلان الفلاة يجوبها جوبا : إذا دخلها وقطعها ؛ ومنه قول نابغة :

أتاكَ أبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَمِيمُ[1]

يعنى بقوله : يجوب : يدخل ويقطع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول : فخرقوها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يعنى : ثمود قوم صالح ، كانوا ينحتون من الجبال بيوتا .

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد فى قوله (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) قال : جابو الجبال ، فجعلوها بيوتا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) : جابوها ونحتوها بيوتا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : (جابُوا الصَّخْرَ) قال : نَقَبوا الصخر .

---

(١) البيت لابى ليلى النابغة الجعدى . وفى (اللسان : جوب) : وجاب الشىء جوبا واجتابه : خرقه ، وجاب الصخرة جوبا : نقبها . وفى التنزيل العزيز : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » : قال الفراء : جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتا . ونحو ذلك قال الزجاج ، واعتبره بقوله : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » . وجاب يجوب جوبا : قطع وخرق . اهـ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) يقول: قدُّوا الحجارة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ): ضربوا البيوت والمساكن فى الصخر فى الجبال ، حتى جعلوا فيها مساكن ، جابوا : جوّبوها ، تجوّبوا البيوت فى الجبال ؛ قال قائل :

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللهَ بائِدٌ كَمَا بادَ حَيٌّ مِنْ شَنِيقٍ وَمارِدِ
هُمُ ضَرَبُوا فِي كُلِّ صَلاَّءَ صَعْدَةٍ بِأَيْدٍ شِدَادٍ أَيِّدَاتِ السَّوَاعِدِ [1]

وقوله (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتادِ) يقول جلّ ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضا بفرعون صاحب الأوتاد .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (ذِى الأَوْتادِ) ولم قيل له ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ذى الجنود الذين يقوّون له أمره ، وقالوا : الأوتاد فى هذا الموضع : الجنود .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتادِ) قال : الأوتاد: الجنود الذين يشدّون له أمره ، ويقال : كان فرعون يُوتِد فى أيديهم وأرجلهم أوتادا من حديد ، يعلقهم بها .

وقال آخرون : بل قيل له ذلك لأنه كان يُوتِد الناس بالأتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذِى الأَوْتادِ) قال : كان يوتد الناس بالأوتاد

وقال آخرون : كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتادِ) ذُكر لنا أنها كانت مظال وملاعب يلعب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذِى الأَوْتادِ) قال : ذى البناء كانت مظال يلعب له تحتها ، وأوتادا تضرب له .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البُنَانى ، عن أبى رافع ، قال : أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها رحا عظيمة حتى ماتت .

وقال آخرون : بل ذلك لأنه كان يعذّب الناس بالأوتاد .

---

(١) هذان البيتان لا أعرف قائلهما ، ولست على ثقة من بعض ألفاظهما ، ولعل قوله : «صلاء صعدة» : محرف عن «صعداء صلة» : والصعداء : الأكمة يصعب ارتقاؤها . والصلة : الأرض اليابسة ، جمعها : صلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن محمود ، عن سعيد بن جُبير (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان يجعل رجلا هاهنا ، ورجلا هاهنا ، ويدا هاهنا ، ويدا هاهنا بالأوتاد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان يُوتد الناس بالأوتاد.

وقال آخرون : إنما قيل ذلك لأنه كان له بنيان يعذّب الناس عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن سعيد بن جُبير (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) قال : كان له مَنَارات يعذّبهم عليها .

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال : عُنِي بذلك : الأوتاد التي تُوتَد ، من خشب كانت أو حديد ، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد ، ووصف بذلك ، لأنه إما أن يكون كان يعذّب الناس بها ، كما قال أبو رافع وسعيد بن جُبير ، وإما أن يكون كان يُلْعب له بها .

وقوله (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ) يعني بقوله جلّ ثناؤه : الذين : عادا وثمود وفرعون وجنده . ويعني بقوله (طَغَوْا) : تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم ، وعتوا على ربهم إلى ماحظره عليهم من الكفر به وقوله (فِي الْبِلادِ) : التي كانوا فيها .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فأكثروا في البلاد المعاصي ، وركوب ما حرّم الله عليهم (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) يقول تعالى ذكره : فأنزل بهم يامحمد ربك عذابه ، وأحلّ بهم نقمته ، بما أفسدوا في البلاد ، وطغَوْا على الله فيها . وقيل : فصَبّ عليهم ربك سَوط عذاب . وإنما كانت نِقَمًا تنزل بهم ، إما ريحا تُدَمرهم ، وإما رَجفا يُدَمدم عليهم ، وإما غَرَقا يُهلكهم ، من غير ضرب بسوط ولا عصا ، لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن ، الجلد بالسياط ، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الذي يعذّب به الرجل منهم ، أن يقولوا : ضُرب فلان حتى بالسِّياط ، إلى أن صار ذلك مثلا ، فاستعملوه في كلّ معذَّب بنوع من العذاب شديد ، وقالوا : صَبّ عليه سَوط عذاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوْطَ عَذَابٍ) قال : ماعذّبوا به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) قال : العذاب الذي عذّبهم به سماه : سوط عذاب .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يامحمد لهؤلاء الذين قصصت عليك قَصَصَهم ، ولضُرَبائهم من أهل الكفر به ، لبالمرصاد يرصدهم بأعمالهم فى الدنيا وفى الآخرة ، على قناطر جَهَنَّم ، ليكردسهم فيها إذا وردوها يوم القيامة .

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى قوله (لَبِالْمِرْصَادِ) بحيث يرى ويسمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يقول : يَرى ويسمع .

وقال آخرون : يعنى بذلك أنه بمَرصد لأهل الظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن مجاهد ، عن جُوَيْبِر ، عن الضحاك فى هذه الآية ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يأمر الربّ بكرسيه ، فيوضع على النار ، فيستوى عليه ، ثم يقول : وعزّتى وجلالى ، لايتجاوزنى اليوم ذو مَظْلِمة ، فذلك قوله (لَبِالْمِرْصَادِ) .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنى أن على جهنم ثلاث قناطر : قنطرة عليها الأمانة ، إذا مرّوا بها تقول : يا ربّ هذا أمين ، يا ربّ هذا خائن ؛ وقنطرة عليها الرحم ، إذا مرّوا بها تقول : يا ربّ هذا واصل ، يا ربّ هذا قاطع ؛ وقنطرة عليها الربّ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يعنى : جهنم عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرحمة ، وقنطرة فيها الأمانة ، وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) قال : مِرْصاد عمل بنى آدم .

وقوله (فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ) يقول تعالى ذكره : فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى (فَأَكْرَمَهُ) بالمال ، وأفضل عليه ، (وَنَعَّمَهُ) بما أوسع عليه من فضله (فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ) فيفرح بذلك ، ويسرّ به ويقول : ربى أكرمنى بهذه الكرامة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ) وحقّ له .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ

الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩)

وقوله (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) يقول: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) يقول: فضيّق عليه رزقه وقتّره ، فلم يكثر ماله، ولم يوسع عليه (فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) يقول : فيقول ذلك الإنسان : ربي أهانني ، يقول : أذلني بالفقر ، ولم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ، ورزقه من العافية في جسمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي) ما أسرع كفرَ ابن آدم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) قال : ضيّقه .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) فقرأت عامة قرّاء الأمصار ذلك بالتخفيف ، فقَدَرَ : بمعنى فقّر ، خلا أبي جعفر القارئ ، فإنه قرأ ذلك بالتشديد (فَقَدَّرَ) . وذُكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : قدّر ، بمعنى يعطيه ما يكفيه ، ويقول : لو فعل ذلك به ما قال ربي أهانني .

والصواب من قراءة ذلك عندنا بالتخفيف ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله (كَلَّا) في هذا الموضع ، وما الذي أنكر بذلك ، فقال بعضهم : أنكر جلّ ثناؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله ، وسبب إهانته من أهان قلة ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَمَّا إِذَا ما ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي) ما أسرع ما كفر ابن آدم ؟ يقول الله جلّ ثناؤه : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ، ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن إنما أُكرم من أكرمت بطاعتي ، وأُهين من أهنت بمعصيتي .

وقال آخرون : بل أنكر جلّ ثناؤه حمد الإنسان ربه على نعمه دون فقره ، وشكواه الفاقة ، وقالوا : معنى الكلام : كلا ، أي لم يكن ينبغي أن يكون هكذا ، ولكن كان ينبغي أن يحمده على الأمرين جميعا ، على الغنى والفقر .

* وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرناه عن قتادة ، لدلالة قوله (بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) والآيات التي بعدها ، على أنه إنما أهان من أهان بأنه لا يكرم اليتيم ، ولا يَحُضّ على طعام المسكين ، وسائر المعاني التي عدّد ، وفي إبانته عن السبب الذي من أجله أهان من أهان ، الدلالة الواضحة على سبب تكريمه من أكرم ، وفي تبيينه ذلك عَقيب قوله (فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا ما ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ)

رَبِّى أكْرَمَنِى . وَأمَّا إذَا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أهانَنِى) بيان واضح عن الذى أنكر من قوله ما وصفنا .

وقوله (بَلْ لاتُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) يقول تعالى ذكره : بل إنما أهنت من أهَنْتمن أجل أنه لايكرم اليتيم ، فأخرج الكلام على الخطاب ، فقال : بل لستم تكرمون اليتيم ، فلذلك أهنتكم (وَلا تَحاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه من أهل المدينة أبو جعفر وعامة قرّاء الكوفة (بَلْ لاتُكْرِمونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحاضُّونَ) بالتاء أيضا وفتحها ، وإثبات الألف فيها ، بمعنى : ولا يحضّ بعضكم بعضا على طعام المسكين . وقرأ ذلك بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء المدينة ، بالتاء وفتحها وحذف الألف (وَلا تَحُضُّونَ) بمعنى : ولا تأمرون بإطعام المسكين . وقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة (يَحُضُّونَ) بالياء وحذف الألف ، بمعنى : ولا يكرم القائلون إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ربى أكرمنى ، وإذا قدر عليه رزقه ربى أهانى اليتيم ، (وَلا يَحُضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ) وكذلك يقرأ الذين ذكرنا من أهل البصرة (يُكْرِمُونَ) وسائر الحروف معها بالياء ، على وجه الخبر عن الذين ذكرت . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ (تُحاضُّونَ) بالتاء وضمها وإثبات الألف ، بمعنى : ولا تحافظون .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن هذه قراءات معروفات فى قراءة الأمصار ، أعنى القراءات الثلاث صحيحات المعانى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلا لَمًّا) يقول تعالى ذكره : وتأكلون أيها الناس الميراث أكلا لمًّا ، يعنى : أكلا شديدا ، لاتتركون منه شيئا ، وهو من قولهم : لممت ما على الخِوان أجمع ، فأنا ألمه لمًّا : إذا أكلت ما عليه ، فأتيت على جميعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عمرو بن سعيد بن يسار القرشىّ ، قال : ثنا الأنصارىّ ، عن أشعث ، عن الحسن (وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلا لَمًّا) قال : الميراث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ) أى الميراث ، وكذلك فى قوله (أكْلا لَمًّا) .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلا لَمًّا) يقول : تأكلون أكلا شديدا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن يونس ، عن الحسن ، فى قوله (وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلا لَمًّا) قال : نصيبه ونصيب صاحبه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (أَكْلاً لَمًا) قال : اللمّ : السفّ ، لفّ كل شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَكْلاً لَمًّا) : أى شديدا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَكْلاً لَمًّا) يقول : أكلا شديدا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) قال : الأكل اللمّ : الذى يأكل كلّ شىء يجده ولا يسأل ، فأكل الذى له ، والذى لصاحبه كانوا لا يُوَرِّثون النساء ، ولا يورّثون الصغار ، وقرأ (يَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ، وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِى لاَتُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ . وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) : أى لاتورّثونهن أيضا (أَكْلاً لَمًّا) يأكل ميراثه ، وكلّ شىء لا يسأل عنه ، ولا يدرى أحلال أو حرام .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) . يقول : سَفًّا .

حدثنى ابن عبد الرحيم البرقىّ ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة البسّىّ ، عن زُهير ، عن سالم ، قال : قد سمعت بكر بن عبد الله يقول فى هذه الآية (وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا) قال : اللمّ : الاعتداء فى الميراث ، يأكل ميراثه وميراث غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِاْىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣)

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبا كثيرا شديدا ، من قولهم : قد جمّ الماء فى الحوض : إذا اجتمع ، ومنه قول زُهير بن أبى سلمى :

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِىَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) يقول : شديدا .

---

(١) البيت من معلقة زهير (مختار الشعر الجاهلى ٢٢٩) قال شارحه : وردن الماء : أتينه وحللن عليه . وجمامه : جمع جم ، وهو ما يجمع وكثر . وزرقة الماء : من شدة صفاء لونه ، لأنه لم يورد قبلهن ولم يحرك . ووضع العصى : كناية عن النزول بالمكان ، والإقامة فيه . اهـ . وفى (اللسان : جم) : الجم والجمم (محركا) : الكثير من كل شىء . ومال جم كثير . وفى التنزيل العزيز : « ويحبون المال حبا جما » : أى كثيرا . وكذلك فسره أبو عبيدة . وقيل : الجم : الكثير المجتمع ؛ جم يجم كيجلس ويقعد والضم أعلى ، جموما . اهـ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا) فيحبون كثرة المال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حُبًّا جَمًّا) قال : الجمّ : الكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًا جَمًّا) : أى حبا شديدا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حُبًّا جَمًّا) : يحبون كثرة المال .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا) قال : الجمّ : الشديد .

ويعنى جلّ ثناؤه بقوله (كَلاَّ) : ما هكذا ينبغى أن يكون الأمر . ثم أخبر جلّ ثناؤه عن ندمهم على أفعالهم السيئة فى الدنيا ، وتلهفهم على ماسلف منهم حين لاينفعهم الندم ، فقال جلّ ثناؤه : (إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) يعنى : إذا رجت وزُلزلت زلزلة ، وحرّكت تحريكا بعد تحريك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) يقول : تحريكها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حرملة بن عمران ، أنه سمع عمر مولى غُفْرة يقول : إذا سمعت الله يقول كلا ، فإنما يقول : كذبت .

وقوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) يقول تعالى ذكره : وإذا جاء ربك يامحمد وأملاكه صفوفا صفا بعد صفّ .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الوهاب ، قالا : ثنا عوف ، عن أبى المِنهال ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم ، وزيد فى سعتها كذا وكذا ، وجمع الخلائق بصعيد واحد ، جنهم وإنسهم . فإذا كان ذلك اليوم قيضت[1] هذه السماء الدنيا عن أهلها على وجه الأرض ، ولأهل السماء وحدهم أكثر من أهل الأرض جنهم وإنسهم بضعف فإذا نثروا على وجه الأرض فزِعوا منهم ، فيقولون : أفيكم ربنا : فيفزعون من قولهم ، ويقولون : سبحان ربنا ! ليس فينا ، وهو آت ؛ ثم تقاض السماء الثانية . ولأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وإنسهم ، فإذا نثروا على وجه الأرض فزع إليهم أهل الأرض ، فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيفزعون من قولهم ويقولون : سبحان ربنا ! ليس فينا ، وهو آت ؛ ثم تقاضُ السموات

(١) (فى اللسان : قيض) وذكر طرفا من حيث ابن عباس هذا ، قال : قيضت : أى فقضت . يقال : قضت البناء فانقاض . وقيل : معناه : شقت ، من قاض الفرخ البيض ، فانقاضت .

سماء سماء، كلما قيضت سماء عن أهلها كانت أكثر من أهل السموات التى تحتها، ومن جميع أهل الأرض بضعف ، فإذا نثروا على وجه الأرض ، فزع إليهم أهل الأرض ، فيقولون لهم مثل ذلك ، ويرجعون إليهم مثل ذلك، حتى تُقاض السماء السابعة ، فلأهل السماء السابعة أكثر من أهل ستّ سموات ، ومن جميع أهل الأرض بضعف ، فيجىء الله فيهم والأمم جِثِيّ صفوف ، وينادى مناد : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم الحامدون لله على كل حال ؛ قال : فيقومون فيسرحون إلى الجنة ؛ ثم ينادى الثانية : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون ؟ فيسرحون إلى الجنة ؛ ثم ينادى الثالثة : ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم : أين الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار فيقومون فيسرحون إلى الجنة ؛ فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة خرج عُنُق من النار ، فأشرف على الخلائق ، له عينان تبصران ، ولسان فصيح ، فيقول : إنى وُكّلت منكم بثلاثة : بكلّ جبار عنيد ، فيلقطُهم من الصفوف لقط الطير حبّ السمسم ، فيحبس بهم فى جهنم ، ثم يخرج ثانية فيقول : إنى وكلت منكم بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حبّ السمسم ، فيحبس بهم فى جهنم ، ثم يخرج ثالثة ، قال عوف ، قال أبو المنهال : حسبت أنه يقول : وكلت بأصحاب التصاوير ، فيلتقطهم من الصفوف لقطَ الطير حبّ السمسم ، فيحبس بهم فى جهنم ، فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة ، ومن هؤلاء ثلاثة ، نُشرت الصحف ، ووُضعت الموازين ، ودُعى الخلائق للحساب .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال : ثنا أبو أُسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : إذا كان يوم القيامة ، أمر الله السماء الدنيا بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، وأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفوا صفاً دون صفّ ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا ، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه ، فذلك قول الله (إنّى أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مالَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ) ، وذلك قوله (وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) وقوله (يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ فانْفُذُوا ، لاتَنْفُذُونَ إِلاّ بِسُلْطانٍ) ، وذلك قول الله : (وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ على أَرْجائِها) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنى ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن رجل من الأنصار ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُوقَفُونَ مَوْقِفا واحِدًا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِقْدارَ سَبْعِينَ عاما لايُنْظَرُ إِلَيْكُمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكُمْ ، قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ ، فَتَبْكُونَ حَتى يَنْقَطِعَ الدَّمْعُ ، ثُمَّ تَدْمَعُونَ دَما ، وَتَبْكُونَ حَتى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكُمُ الأَذْقانَ ، أَوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضِجُّونَ ، ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ

لَنا إلى ربِّنا ، فيَقْضِيَ بَيْنَنا ، فيَقُولُونَ مَنْ أحَقُّ بذلكَ مِنْ أبيكُمْ ؟ جعَلَ اللهُ تُرْبَتَهُ ، وَخَلْقَهُ بيَدِهِ ، ونَفَخَ فيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وكَلَّمَهُ قَبْلاً ، فيَأْتُونَ آدَمَ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيَطْلُبُ ذلكَ إلَيْهِ ، فيأبَى ، ثُمَّ يَسْتَقْرُونَ الأنْبياءَ نَبِيًّا نَبِيًّا ، كُلَّما جاءُوا نَبِيًّا أبَى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتُونِي ، فإذَا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِي الفَحْصَ ، قال أبو هريرة : يا رسول الله ، ما الفحص ؟ قال : قُدَّامَ العَرْشِ ، فأخِرَّ ساجِدًا ، فَلا أزَالُ ساجِدًا حتى يَبْعَثَ اللهُ إلَيَّ مَلَكًا ، فيأخُذَ بعَضُدِي ، فيَرْفَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِي : مُحَمَّدُ ، وَهُوَ أعْلَمُ ، فأقُولُ : نَعَمْ ، فيَقُولُ : ما شأنُكَ ؟ فأقول: يا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفاعَةَ ، شَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ ، فيَقُولُ : قَدْ شَفَّعْتُكَ ، أنا آتِيكُمْ فأقْضِي بَيْنَكُمْ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنْصَرِفُ حتى أقِفَ مَعَ النَّاسِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ وُقُوفٌ ، سَمِعْنا حِسًّا مِنَ السَّماءِ شَدِيدًا ، فَهالَنا ، فَنَزَلَ أهْلُ السَّماءِ الدُّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الجِنِّ والإنْسِ ، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ ، أشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِهِمْ ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ ، وَقُلْنا لَهُمْ : أفِيكُمْ رَبُّنا ؟ قالُوا : لا ، وَهُوَ آتٍ . ثُمَّ يَنْزِلُ أهْلُ السَّماءِ الثّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نَزَلَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنِّ وَالإنْسِ ، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ ، أشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِهِمْ ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ ، وَقُلْنا لَهُمْ : أفِيكُمْ رَبُّنا ؟ قالُوا : لا ، وَهُوَ آتٍ . ثُمَّ نَزَلَ أهْلُ السَّمَواتِ عَلى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضَّعْفِ ، حتى نَزَلَ الجَبَّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ، يَقُولُونَ : سُبْحانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ ! سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ ! سُبْحانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ! سُبْحانَ الَّذِي يُمِيتُ الخَلائِقَ وَلا يَمُوتُ ! سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ ! قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، سُبْحانَ رَبِّنا الأعْلَى ! سُبْحانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِياءِ وَالسُّلْطانِ وَالعَظَمَةِ ! سُبْحانَهُ أبَدًا أبَدًا ! يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ، وَهُمُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ ، أقْدامُهُمْ عَلى تُخُومِ الأرْضِ السُّفْلَى وَالسَّمَواتُ إلى حُجَزِهِمْ ، وَالعَرْشُ عَلى مَناكِبِهِمْ ، فَوَضَعَ اللهُ عَرْشَهُ حَيْثُ شاءَ مِنَ الأرْضِ ، ثُمَّ يُنادِي بِنِداءٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ ، فيَقُولُ : يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنْسِ ، إنِّي قَدْ أنْصَتُّ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا ، أسْمَعُ كَلامَكُمْ ، وَأبْصِرُ أعْمالَكُمْ ، فأنْصِتُوا إلَيَّ ، فإنَّما هِيَ صُحُفُكُمْ وَأعْمالُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ . ثُمَّ يأمُرُ اللهُ جَهَنَّمَ فَتَخْرُجُ مِنْها عُنُقًا ساطِعًا مُظْلِمًا ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ (أَلَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ ... ، إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) إلى قوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، وَامْتازُوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمُونَ) فيتميز الناس وَيَجْثُونَ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللهُ (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها ، اليَوْمَ)... الآيَةَ ، فيَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ ، الجِنَّ والإنْسَ وَالبَهائِمَ ، فإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ لِلجَمَّاءِ مِنْ

ذَاتِ القُرُونِ ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأُخْرَى ، قال اللهُ : كُونُوا تُرَاباً ، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ : يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً ، ثُمَّ يَقْضِى اللهُ سُبْحانَهُ بَيْنَ الجِنِّ والإنْسِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) : صفوف الملائكة .

وقوله (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) يقول تعالى ذكره : وجاء الله يومئذ بجهنم .

كما حدثنا الحسن بن عرفة قال : ثنا مروان الفزارىّ ، عن العلاء بن خالد الأسدىّ ، عن شقيق بن سلمة ، قال : قال عبد الله بن مسعود ، فى قوله (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : جىء بها تُقاد بسبعين ألف زمام ، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يقودونها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن عاصم بن بَهدلة ، عن أبى وائل : (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : يُجاء بها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام ، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن قتادة ، قال : جَنْبتيه : الجنة والنار ؛ قال : هذا حين ينزل من عرشه إلى كرسيه ، لحساب خلقه ، وقرأ (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ)

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) قال : جىء بها مزمومة .

وقوله (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ) يقول تعالى ذكره : يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه فى الدنيا فى طاعة الله ، وفيما يقرّب إليه من صالح الأعمال (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) يقول : من أىّ وجه له التذكير .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟) يقول : وكيف له ؟

القول فى تأويل قوله تعالى

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) .

وقوله (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَياتِى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن تلهّف ابن آدم يوم القيامة ، وتندّمه على تفريطه فى الصالحات من الأعمال فى الدنيا التى تورثه بقاء الأبد ، فى نعيم لا انقطاع له : يا ليتنى قدمت

لحياتى فى الدنيا من صالح الأعمال لحياتى هذه ، التى لاموت بعدها ، ما ينجينى من غضب الله ، ويوجب لى رضوانه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هَوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ وأنَّى لَهُ الذِّكْرَى ، يَقُولُ يالَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) قال : علم الله أنه صادق ، هناك حياة طويلة لاموت فيها آخر ماعليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) : هُناكُم والله الحياة الطويلة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) قال : الآخرة .

وقوله (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ ، وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ) أجمعت القرّاء قرّاء الأمصار فى قراءة ذلك على كسر الذال من يعذّب ، والثاء من يوثق ، خلا الكسائى ، فإنه قرأ ذلك بفتح الذال والثاء ، اعتلالا منه بخبر رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأه كذلك ، واهى الإسناد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن خالد الحذّاء ، عن أبى قِلابة ، قال : ثنى من أقرأه النبىّ صلى الله عليه وسلم (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : ماعليه قرّاء الأمصار ، وذلك كسر الذال والثاء ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام فيومئذ : لايعذّب بعذاب الله أحد فى الدنيا ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ أحد فى الدنيا . وكذلك تأوّله قارئو ذلك كذلك من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ) ولا يوثِق كوثاق الله أحد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (فَيَوْمَئِذٍ لايُعَذِّبُ عَذَابَهُ أحَدٌ ، وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أحَدٌ) قال : قد علم الله أن فى الدنيا عذابا ووَثاقا ، فقال : فيومئذ لايعذّب عذابه أحد فى الدنيا ، ولا يُوثِق وثاقه أحد فى الدنيا .

وأما الذى قرأ ذلك بالفتح ، فإنه وجّه تأويله إلى : فيومئذ لايعذّب أحد فى الدنيا كعذاب الله يومئذ ، ولا يوثَق أحد فى الدنيا كوثاقه يومئذ . وقد تأوّل ذلك بعض من قرأ ذلك كذلك بالفتح من المتأخرين ، فيومئذ لايعذّب عذاب الكافر أحَد ولا يُوثَق وَثاق الكافر أحد . وقال : كيف يجوز الكسر ، ولا معذّب يومئذ سوى الله ، وهذا من التأويل غلط ، لأن أهل التأويل تأوّلوه بخلاف ذلك ، مع إجماع الحجة من القرّاء

على قراءته بالمعنى الذى جاء به تأويل أهل التأويل ، وما أحسبه دعاه إلى قراءة ذلك كذلك ، إلا ذهابه عن وجه صحته فى التأويل .

وقوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إلى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لأوليائه يوم القيامة : يا أيتها النفس المطمئنة ، يعنى بالمطمئنة : التى اطمأنت إلى وعد الله الذى وعد أهل الإيمان به ، فى الدنيا من الكرامة فى الآخرة ، فصدّقت بذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) يقول : المصدّقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيَّتَها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن ، فى قوله (يا أيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : المطمئنة إلى ما قال الله ، والمصدّقة بما قال .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : المصدّقة الموقنة بأن الله ربها ، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : النفس التى أيقنت أن الله ربها ، وضربت جأشا لأمره وطاعته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : أيقنت بأن الله ربُّها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : المنيبة المخبتة التى قد أيقنت أن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة) قال : أيقنت بأن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (المُطْمَئِنَّةُ) قال : المُخبتة والمطمئنة إلى الله .

حدثنا أبو كريب قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يَا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : التى قد أيقنت بأن الله ربها ، وضربت لأمره جأشا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : المخبتة .

حدثنى سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : التى أيقنت بلقاء الله ، وضربت له بجأشا .

وذُكر أن ذلك فى قراءة أُبىّ (يا أيَّتُها النَفْسُ الآمِنَةُ) .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، عن هارون القارى ، قال : ثنى هلال ، عن أبى شيخ الهنائى فى قراءة أُبىّ (يا أيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ المُطْمِئِنَّةُ) وقال الكلبى : إن الآمنة فى هذا الموضع ، يعنى به المؤمنة .

وقيل : إن ذلك قول الملك للعبد عند خروج نفسه مبشره برضا ربه عنه ، وإعداده ما أعدّ له من الكرامة عنده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قُرئت (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : إن هذا لحسن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنَّ المَلَكَ سَيَقُولُهَا لك عِنْدَ المَوْتِ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح (ارْجِعى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال هذا عند الموت (فادْخُلِى فِى عِبادِى) قال هذا يوم القيامة .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أُسامة بن زيد ، عن أبيه ، فى قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) قال : بُشِّرت بالجنة عند الموت ، ويوم الجمع ، وعند البعث .

وقوله (ارْجِعى إلى رَبِّكِ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيل الملائكة لنفس المؤمن عند البعث ، تأمرها أن ترجع فى جسد صاحبها ؛ قالوا : وعُنِى بالردّ هاهنا صاحبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال : تردّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة فى الأجساد .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فادْخُلِى فِى عِبادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى) يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد ، فيأتون الله كما خلقهم أوّل مرّة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن عكرمة فى هذه الآية (ارْجِعى إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) إلى الجسد .

وقال آخرون : بل يقال ذلك لها عند الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) قال : هذا عند الموت (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : هذا يوم القيامة .

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس والضحاك ، أن ذلك إنما يقال لهم عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله (فادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي) .

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فادخلي في عبادي الصالحين ، وادخلي جنتي .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : ادخلي في عبادي الصالحين (وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

وقال آخرون : معنى ذلك (فادْخُلِي فِي طَاعَتِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن نعيم بن ضمضم ، عن محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مُزاحم : (فادْخُلِي فِي عِبادِي) قال : في طاعتي (وَادْخُلِي جَنَّتِي) قال : في رحمتي .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجّه معنى قوله (فادْخُلِي فِي عِبادِي) إلى : فادخلي في حزبي .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يتأوّل ذلك (يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ) بالإيمان ، والمصدّقة بالثواب والبعث ارجعي ، تقول لهم الملائكة : إذا أُعطوا كتبهم بأيمانهم (ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ) إلى ما أعدّ الله لك من الثواب ؛ قال : وقد يكون أن تقول لهم شِبْه هذا القول : ينوون ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع ؛ قال : وأنت تقول للرجل ممن أنت ؟ فيقول : مُضَرِيٌّ ، فتقول : كن تميميا أو قيسيا ، أي أنت من أحد هذين ، فتكون كن صلة ، كذلك الرجوع يكون صلة ، لأنه قد صار إلى القيامة ، فكان الأمر بمعنى الخبر ، كأنه قال : أيتها النفس ، أنت راضية مرضية .

وقد رُوي عن بعض السلف أنه كان يقرأ ذلك (فادْخُلِي فِي عَبْدِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أبان بن أبي عياش ، عن سليمان بن قَتَّةَ ، عن ابن عباس ، أنه قرأها (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) على التوحيد .

حدثني خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، عن هارون القاري ، قال : ثني هلال ، عن أبي الشيخ الهنائي (فادْخُلِي فِي عَبْدِي) . وفي قول الكلبيّ : (فادْخُلِي فِي عَبْدِي ، وَادْخُلِي فِي جَنَّتِي) يعني : الروح ترجع في الجسد .

والصواب من القراءة فى ذلك (فادْخُلِى فِى عِبادِى) بمعنى : فادخلى فى عبادى الصالحين ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

آخر تفسير سورة والفجر

تفسير سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧)

يقول تعالى ذكره : أقسم يامحمد بهذا البلد الحرام ، وهو مكة ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعنى : مكة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : الحرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : البلد مكة .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعنى : مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (لاأُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) قال : مكة .

وقوله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يعنى : بمكة ، يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنت يامحمد حِلّ بهذا البلد ، يعنى بمكة ؛ يقول : أنت به حلال تصنع فيه مِن قَتْلِ من أردت قتلَه ، وأَسْرِ من أردت أسره ، مُطْلَقٌ ذلك لك ، يقال منه : هو حِلّ ، وهو حلال ، وهو حِرْم ، وهو حرام ، وهو مُحِلّ ، وهو محرم ، وأحللنا ، وأحرمنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يعنى بذلك : نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ، ويستحيى من شاء ؛ فقتل يومئذ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة ، فلم تحِلّ لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فيها حراما حرّمه الله ، فأحلّ الله له ماصنع بأهل مكة ، ألم تسمع أن الله قال فى تحريم الحرم (وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً) يعنى بالناس أهل القبلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : ما صنعت فأنت فى حِلّ من أمر القتال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : أَحَلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع فيه ساعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : أحلّ له أن يصنع فيه ما شاء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : أُحِلَّتْ للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : اصنع فيها ما شئت .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حسين الجُعْفِىّ ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : أنت حِلّ مما صنعت فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : أحلّ الله لك يامحمد ما صنعت فى هذا البلد من شىء ، يعنى مكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : لاتؤاخذ بما عملت فيه ، وليس عليك فيه ما على الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يقول : برىء عن الحرج والإثم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يقول : أنت به حلّ لست بآثم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : لم يكن بها أحد حلا غير النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كلّ من كان بها حراما ، لم يحلّ لهم أن يقاتلوا فيها ، ولا يستحلوا حرمه ، فأحله الله لرسوله ، فقاتل المشركين فيه .

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) قال : إن الله حرّم مكة ، لم تحلّ لنبىّ إلا نبيكم ساعة من نهار .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ) يعنى محمدا ، يقول : أنت حلّ بالحرم ، فاقتل إن شئت ، أو دع .

وقوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) يقول تعالى ذكره : فأقسم بوالد وبولده الذى ولد .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك من الوالد وما ولد ، فقال بعضهم : عُنِى بالوالد : كلّ والد ، وما ولد : كلّ عاقر لم يلد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خصيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس فى (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : الذى يلد ، وما ولد : العاقر الذى لا يولد له .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : العاقر ، والّتى تلد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر بن عربى ، عن عكرِمة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : العاقر ، والّتى تلد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : هو الوالد وولده .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : آدم وولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : ولده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ابن أبي خالد ، عن أبي صالح في قول الله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : الوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : آدم وما ولد .

وقال آخرون : عُنِي بذلك : إبراهيم وما ولد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن موسى الحَرَشِيّ ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، قال : سمعت أبا عمران الجَوْنِيّ يقرأ (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال : إبراهيم وما ولد .

❁ والصواب من القول في ذلك : ماقاله الذين قالوا : إن الله أقسم بكلّ والد وولده ، لأن الله عمّ كلّ والد وما ولد . وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر ، أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه ، فهو على عمومه كما عمه .

وقوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) وهذا هو جواب القسم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : وقع هاهنا القسم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) .

❁ واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لقد خلقنا ابن آدم في شدّة وعناء ونصب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) يقول : في نَصَب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، أنه قال في هذه الآية (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) يقول : في شدّة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) حين خُلِق في مشقة لا يُلْفَى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (فِي كَبَدٍ) قال : يكابد أمر الدنيا والآخرة .

وقال بعضهم : خُلِق خَلْقًا لم يَخْلق خلقَه شيئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : سمعت الحسن يقول : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يُكابد ابن آدم .

قال : ثنا وكيع ، عن علىّ بن رفاعة ، قال : سمعت سعيد بن أبى الحسن يقول : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة .

قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرِمة قال : (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى شدّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى شدّة .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : فى شدّة معيشته ، وحمله وحياته ، ونبات أسنانه .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد (الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : شدة خروج أسنانه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : شدّة .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه خُلِق منتصبا معتدل القامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى انتصاب ، ويقال : فى شدّة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن عكرِمة ، فى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : فى انتصاب ، يعنى القامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : منتصبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن شَدّاد ، فى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فِى كَبَدٍ) قال : معتدلا بالقامة ، قال أبو صالح : معتدلا فى القامة .

حدثنا يحيى بن داود الواسطىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (خَلَقْنَا الإنْسانَ فى كَبَدٍ) قال : قائما .

حُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فِى كَبَدٍ) خُلِق منتصبا على رجلين ، لم تخلق دابة على خلقه .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، عن مجاهد (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) قال: في صَعَد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنه خُلق في السماء.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) قال: في السماء، يسمى ذلك الكَبَد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك أنه خلق يُكابد الأمور ويُعالجها، فقوله (فِي كَبَدٍ) معناه: في شدّة.

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معاني الكَبَد؛ ومنه قول لبيد بن ربيعة.

عَيْنِ هَلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ[1]

وقوله (أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشدّين، وكان شديدا، فقال جلّ ثناؤه: أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته، أن لن يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره.

وقوله (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا) يقول هذا الجليد الشديد: أهلكت مالا كثيرا، في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، فأنفقت ذلك فيه، وهو كاذب في قوله ذلك، وهو فعل من التلبد، وهو الكثير، بعضه على بعض، يقال منه: لَبَد بالأرض يَلْبُد: إذا لصق بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (مالاً لُبَدًا) يعني باللبد: المال الكثير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (مالاً لُبَدًا) قال: كثيرا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا). قال: مالا كثيرا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا): أي كثيرا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

---

(١) البيت للبيد يرثي أخاه أربد وقد هلك على دين الجاهلية. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (١٨٧): «خلقنا الإنسان في كبد»: في شدة. قال لبيد: «عين هلا... البيت». وفي (اللسان: كبد): الرجل يكابد الليل: إذا ركب هوله وصعوبته. ويقال: كابدت ظلمة هذه الليلة مكابدة شديدة. وقال لبيد «عين هلا... البيت» أي في شدة وعناء. ويقال: تكبدت الأمر: قصدته. اهـ.

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مالاً لُبَدًا) قال : اللبد الكثير.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (مالاً لُبَدًا) بتخفيف الباء ، وقرأه أبو جعفر بتشديدها .

والصواب بتخفيفها ، لإجماع الحجة عليه .

وقوله (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) يقول تعالى ذكره : أيظنّ هذا القائل (أَهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) أن لم يره أحد فى حال إنفاقه ما يزعم أنه أنفقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) ابن آدم إنك مسئول عن هذا المال ، من أين اكتسبته ، وأين أنفقته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ألم نجعل لهذا القائل (أَهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) عينين يبصر بهما حُجَج الله عليه ، ولسانا يعبر به عن نفسه ما أراد ، وشفتين ، نعمة منا بذلك عليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسانا وَشَفَتَيْنِ) نِعَم من الله متظاهرة ، يقرركَ بها كيما تشكره .

وقوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) يقول تعالى ذكره : وهديناه الطريقين ، ونجد : طريق فى ارتفاع .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : عُنِى بذلك : نَجْدُ الخير ، ونَجْدُ الشرّ ، كما قال (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا ، وإِمَّا كَفُورًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : الخير والشرّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن منذر ، عن أبيه ، عن الربيع بن خثيم ، قال : ليسا بالثديين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال :

ثنا عمران جميعا ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عاصم ، قال : سمعت أبا وائل يقول : كان عبد الله يقول فى (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) يقول : الهدى والضلالة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) يقول : سبيل الخير والشرّ .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : الخير والشرّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن الربيع بن خثيم ، عن أبى بُردة ، قال : مرّ بنا الربيع بن خثيم ، فسألناه عن هذه الآية (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) فقال : أما إنهما ليسا بالثديين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الخير والشرّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، (قوله وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : سبيل الخير والشرّ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) نجد الخير ، ونجد الشرّ .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمَا نَجْدَانِ : نَجْدُ خَيْرٍ ، وَنَجْدُ شَرٍّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا عطية أبو وهب ، قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلا إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ : نَجْدُ الخَيْرِ ، وَنَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك ، قال : ثنا شعبة ، عن حبيب ، عن الحسن ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ) قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا أيُّها النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ : نَجْدُ الخَيْرِ ، وَنَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) : ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « أيُّها النَّاسُ إنَّمَا هُمَا النَّجْدَانِ ، نَجْدُ الخَيْرِ ، وَنَجْدُ الشَّرِّ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحَبَّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، فى قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرِّ أحَبَّ إلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ » ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قاطع طريق الخير والشرّ . وقرأ قول الله (إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهديناه الثَّديين : سبيلى اللبن الذى يتغذّى به ، وينبت عليه لحمه وجسمه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا عيسى بن عقال ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) قال : هما الثديان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن المبارك بن مجاهد ، عن جُويبر ، عن الضحاك ، قال : الثديان .

☆ وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندنا : قول من قال : عُنِى بذلك طريق الخير والشرّ ، وذلك أنه لا قول فى ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا ، والثديان ، وإن كانا سبيلى اللبن ، فإن الله تعالى ذكره إذ عدّد على العبد نعمه بقوله (إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعا بَصِيرًا ، إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه ، فكذلك قوله (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) .

وقوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) يقول تعالى ذكره : فلم يركب العقبة ، فيقطعها ويجوزها .

وذُكر أن العقبة : جبل فى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قول الله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : عَقَبَة فى جهنم .

حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر ، فى قوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) جبل من جهنم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ) قال : جهنم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) إنها قحمة شديدة ، فاقتحموها بطاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : للنار عقبة دون الجسر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبي ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدّث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن شعيب بن زُرْعة ، عن حنش ، عن كعب ، أنه قال : (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : هو سبعون درجة في جهنم .

وأفرد قوله (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) بذكر « لا » مرّة واحدة ، والعرب لاتكاد تفردها في كلام في مثل هذا الموضع ، حتى يكرّروها مع كلام آخر ، كما قال : (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . وإنما فعل ذلك كذلك في هذا الموضع ، استغناء بدلالة آخر الكلام على معناه ، من إعادتها مرّة أخرى ، وذلك قوله إذ فسّر اقتحام العقبة ، فقال : (فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) ثم كان من الذين آمنوا ، ففسر ذلك بأشياء ثلاثة ، فكان كأنه في أوّل الكلام ، قال : فلا فَعَلَ ذا ولا ذا ولا ذا . وتأوّل ذلك ابن زيد ، بمعنى : أفلا ، ومن تأوّله كذلك ، لم يكن به حاجة إلى أن يزعم أن في الكلام متروكا .

ذكر الخبر بذلك عن ابن زيد

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقرأ قول الله (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) قال : أفلا سلك الطريق التي منها النجاة والخير ، ثم قال (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) ؟

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟) يقول تعالى ذكره : وأيّ شيء أشعرك يامحمد ما العقبة ؟

ثم بين جلّ ثناؤه له ، ما العقبة ، وما النجاة منها ، وما وجه اقتحامها ؟ فقال : اقتحامها وقطعها فكّ رقبة من الرقّ ، وأسر العبودة .

كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ) قال : ذُكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة ، إلا كانت فداءه من النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَاالْعَقَبَةُ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرقاب أيها أعظم أجرا ؟ قال : أكثرها ثمنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا سالم بن أبي الجعد ، عن مَعْدان ابن أبي طلحة ، عن أبي نجيح ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيُّمَا مُسْلِمٍ أعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا ، فإنَّ اللهَ جاعِلٌ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِهِ ، عَظْمًا مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ ؛ وأيُّمَا امْرأةٍ مُسْلِمَةٍ أعْتَقَتْ امْرأةً مُسْلِمَةً ، فإنَّ اللهَ جاعِلٌ وَفاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظامِها ، عَظْمًا مِنْ عِظامِ مُحَرِّرِها مِنَ النَّارِ » .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن قيس الجُذامي ، عن عقبة بن عامر الجُهَني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً ، فَهِيَ فِداؤُهُ مِنَ النَّارِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما أدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ) ثم أخبر عن اقتحامها فقال : (فَكُّ رَقَبَةٍ أوْ أطْعَمَ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء مكة وعامة قرّاء البصرة ، عن ابن أبى إسحاق ، ومن الكوفيين : الكسائى (فَكُّ رَقَبَةٍ أوْ أطْعَمَ) . وكان أبو عمرو بن العلاء يحتجّ فيما بلغنى فيه بقوله (ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كأن معناه : كان عنده ، فلا فكّ رقبة ، ولا أطعم ، ثم كان من الذين آمنوا . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والشأم (فَكُّ رَقَبَةٍ) على الإضافة (أوْ إطْعامٍ) على وجه المصدر .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، وتأويل مفهوم ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب . فقراءته إذا قرئ على وجه الفعل تأويله : فلا اقتحم العقبة ، لافكّ رقبة ، ولا أطعم ، ثم كان من الذين آمنوا ، (وَما أدْرَاكَ ما الْعَقَبَةُ) على التعجب والتعظيم . وهذه القراءة أحسن مخرجا فى العربية ، لأن الإطعام اسم ، وقوله (ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) فعل ، والعرب تُؤْثِر ردّ الأسماء على الأسماء مثلها ، والأفعال على الأفعال . ولو كان مجىء التنزيل ثم إن كان من الذين آمنوا ، كان أحسن ، وأشبه بالإطعام والفكّ من ثم كان ، ولذلك قلت (فَكُّ رَقَبَةٍ أوْ أطْعَمَ) أوجه فى العربية من الآخر ، وإن كان للآخر وجه معروف ، ووجهه (أنْ) تضمر أن ثم تلقى ، كما قال طرفة بن العبد :

ألا أيُّهاذا الزَّاجِرِى أحْضُرَ الْوَغَى[1] | وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هلْ أنتَ مُخْلِدِى[1]

بمعنى : ألا أيهاذا الزاجرى أن أحضر الوغى . وفى قوله « أن » أشهد الدلالة البينة على أنها معطوفة على أن أخرى مثلها ، قد تقدّمت قبلها ، فذلك وجه جوازه . وإذا وُجِّه الكلام إلى هذا الوجه كان قوله (فَكُّ رَقَبَةٍ ، أوْ إطْعامٌ) تفسيرا لقوله (وَما أدْرَاكَ ؟ ما الْعَقَبَةُ) كأنه قيل : وما أدراك ما العقبة ؟ هى فكّ رقبة (أوْ إطْعامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ) كما قال جلّ ثناؤه (وَما أدْرَاكَ ما هِيَهْ ؟)، ثم قال : (نارٌ حامِيَةٌ) مفسرا لقوله (وأُمُّهُ هاوِيَةٌ) ، ثم قال : وما أدراك ما الهاوية ؟ هى نار حامية .

وقوله (أوْ أطْعَمَ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ) يقول : أو أطعمَ فى يوم ذى مجاعة ، والساغب : الجائع . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أوْ أطْعِمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ) : يوم مجاعة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنى خالد بن حيان الرقى أبو يزيد ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة فى قول الله : (أوْ أطْعَمَ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ) قال : ذى مجاعة .

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ٣١٧) قال : أحضر : رواه البصريون برفع الراء ، ورواه الكوفيون بنصبها ، على تقدير (أن) فى غير المواضع العشرة المعروفة . والوغى : الحرب . وأصله : أصوات المحاربين . يقول : أيها الإنسان الذى يلومنى على حضور الحرب ، وحصول اللذات ، هل تخلدنى فى الدنيا إذا كففت عنها ؟ اهـ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : الجوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) يقول : يوم يُشْتَهَى فيه الطعام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عثمان الثقفىّ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : مجاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) قال : مجاعة .

وقوله (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) يقول : أو أطْعَمَ فى يوم مجاعة صغيرا لاأب له من قرابته ، وهو اليتيم ذو المقربة ، وعُنِى بذى المقربة : ذا القرابة .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) قال : ذا قرابة .

وقوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ذَا مَتْرَبَةٍ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك : ذو اللصوق بالتراب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، قال : أخبرنى المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذى ليس له مأوى إلا التراب .

حدثنا مُطَرِّف بن محمد الضبى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شعبة ، عن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن حُصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قول الله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذى لايُوارِيه إلا التراب .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شعبة ، عن المُغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذى ليس له مَأْوًى إلا التراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنى جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذى ليس له مَأْوًى إلا التراب .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال المسكين : المطروح فى التراب .

حدثنى أبو حصين ، قال : ثنا عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبْثَر ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : الذى لايقيه من التراب شىء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين والمغيرة كلاهما ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو اللازق بالتراب من شدّة الفقر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : التراب الملقى على الطريق على الكُناسة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المسكين الملقى بالطريق بالتراب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الحصين ، عن مجاهد (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : المطروح فى الأرض ، الذى لايقيه شىء دون التراب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المُلزق بالأرض ، لايقيه شىء من التراب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين وعثمان بن المُغيرة ، عن مجاهد عن ابن عباس (أَوْ مِسْكِينا ذَا مَتْرَبَةٍ) قال الذى ليس له شىء يقيه من التراب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ساقط فى التراب .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن جعفر بن برقان ، قال : سمع عكرِمة (أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ) قال : الملتزق بالأرض من الحاجة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرِمة ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : التراب اللاصق بالأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : المُلقى فى الطريق الذى ليس له بيت إلا التراب .

وقال آخرون : بل هو المحتاج ، كان لاصقا بالتراب ، أو غير لاصق ؛ وقالوا : إنما هو من قولهم : تَرِب الرجل : إذا افتقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) يقول : شديد الحاجة .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن عكرِمة ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : هو المحارَف الذى لامال له .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ذا حاجة ، التَرِب : المحتاج .

وقال آخرون : بل هو ذوالعيال الكثير الذين قد لصقوا بالتراب من الضرّ وشدّة الحاجة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) يقول : مسكين ذو بنين وعيال ، ليس بينك وبينه قرابة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (أوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) قال : ذا عيال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) كنا نحدّث أن الترب هو ذو العيال الذى لاشىء له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) ذا عيال لاصقين بالأرض ، من المسكنة والجهد .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة : قول من قال : عُنِى به : أومسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة ، لأن ذلك هو الظاهر من معانيه . وأن قوله (مَتْرَبَةٍ) إنما هى «مَفْعَلة» من تَرِب الرجل : إذا أصابه التراب .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠)

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم كان هذا الذى قال (أهْلَكْتُ مالاً لُبَدًا) من الذين آمنوا بالله ورسوله ، فيؤمن معهم كما آمنوا (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) يقول : وممن أوصى بعضهم بعضا بالصبر على ما نابهم فى ذات الله (وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بالمرحمة .

كما حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَتَوَاصَوْا بِالمَرْحَمَةِ) قال : مَرْحَمة الناس .

وقوله (أُولَئِكَ أصْحَابُ المَيْمَنَةِ) يقول الذين فعلوا هذه الأفعال التى ذكرتها ، من فكّ الرقاب ، وإطعام اليتيم ، وغير ذلك ، أصحاب اليمين ، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِنا) يقول : والذين كفروا بأدلتنا وأعلامنا وحججنا من الكتب والرُّسل وغير ذلك (هُمْ أصْحَابُ المَشْأَمَةِ) يقول : هم أصحاب الشمال يوم القيامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال . وقد بيّنا معنى المشأمة ، ولم قيل لليسار المشأمة فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ) يقول تعالى ذكره : عليهم نارجهنم يوم القيامة مُطْبَقَة ، يقال منه : أوصدت وآصدت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطْبَقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطْبَقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) : أى مطْبَقة ، أطبقها الله عليهم ، فلا ضوء فيها ولا فرج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مُؤْصَدَةٌ) : مغلقة عليهم .

آخر تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد

تفسير سورة والشمس وضحاها

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)

قوله (والشَّمْسِ وَضُحاها) قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالشمس وضحاها ؛ ومعنى الكلام : أقسم بالشمس ، وبضحى الشمس .

* واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَضُحاها) فقال بعضهم : معنى ذلك : والشمس والنهار ، وكان يقول : الضحى : هو النهار كله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والشَّمْسِ وَضُحاها) قال : هذا النهار .

وقال آخرون : معنى ذلك : وضوئها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَالشَّمْسِ وَضُحاها) قال : ضوئها .

* والصواب من القول فى ذلك أن يقال : أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار .

وقوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) يقول تعالى ذكره : والقمر إذا تَبِع الشمس ، وذلك فى النصف الأوّل من الشهر ، إذا غربت الشمس ، تلاها القمر طالعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) قال : يتلو النهار .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) يعنى : الشمس إذا تبعها القمر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) قال : تبعها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُؤى الهلال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) قال : إذا تلاها ليلة الهلال .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (والشَّمْسِ وَضُحاها ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاها) قال : هذا قسم ، والقمر يتلو الشمس نصف الشهر الأوّل ، وتتلوه النصف الآخر ، فأما النصف الأوّل فهو يتلوها ، وتكون أمامه وهو وراءها ، فإذا كان النصف الآخر كان هو أمامها يقدمها ، وتليه هى .

وقوله (وَالنَّهارِ إِذَا جَلاَّها) يقول : والنهار إذا جَلاَّها ، قال : إذا أضاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالنَّهارِ إِذَا جَلاَّها) قال : إذا غشيها . النهار . وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى : والنهار إذا جَلاَّ الظلمة ، ويجعل الهاء والألف من جلاَّها كناية عن الظلمة ، ويقول : إنما جاز الكناية عنها ، ولم يجر لها ذكر قبل ، لأن معناها معروف ، كما يعرف معنى قول القائل : أصبحت باردة ، وأمست باردة ، وهبَّت شمالا ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لها ذكر ، إذ كان معروفا معناهن .

* والصواب عندنا فى ذلك : ما قاله أهل العلم الذين حكينا قولهم ، لأنهم أعلم بذلك ، وإن كان للذى قاله من ذكرنا قوله من أهل العربية وجه .

وقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاها) يقول تعالى ذكره : والليل إذا يغشى الشمس ، حتى تغيب فتظلمَ الآفاقُ .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاها) : إذا غَشَّاها الليل .

وقوله (وَالسَّماءِ وَما بَناها) يقول جلّ ثناؤه : والسماء ومَنْ بناها ، يعنى : ومَنْ خلقها ، وبناؤه إياها : تصييره إياها للأرض سقفا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالسَّماءِ وَما بَناها) وبناؤها : خَلْقُها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالسَّماءِ وَما بَناها) قال : الله بنى السماءَ .

وقيل : (وَما بَناها) وهو جلّ ثناؤه بانيها ، فوضع « ما » موضع « مَنْ » ، كما قال (وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ) ، فوضع « ما » فى موضع « مَنْ » ، ومعناه : ومَن ولد ، لأنه قَسَمٌ أقسم بآدم وولده ، وكذلك (وَلا تَنْكِحوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ) ، وقوله (فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ) وإنما هو : فانكحوا مَنْ طاب لكم . وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر ، كأنه قال : والسماء وبنائها ، ووالد وولادته .

وقوله (وَالأَرْضِ وَما طَحاها) وهذه أيضا نظير التى قبلها ، ومعنى الكلام : والأرض ومَنْ طحاها . ومعنى قوله (طَحاها) : بسطها يمينا وشمالا ، ومن كلّ جانب .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (طَحاها) فقال بعضهم : معنى ذلك : والأرض وما خلق فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَالأَرْضِ وَما طَحاها) يقول : ما خلق فيها .

وقال آخرون : يعنى بذلك : وما بسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عُمارة ، قال : ثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدّثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالأَرْضِ وَما طَحاها) قال : دحاها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَما طَحاها) قال : بَسَطَها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما قسمها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) يقول : قسمها .

وقوله (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) يعني جلّ ثناؤه بقوله (وَمَا سَوَّاهَا) نفسه ، لأنه هو الذي سوّى النفسَ وخلقها ، فعدّل خلقها ، فوضع « ما » موضع « مَنْ » ، وقد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضا المصدر ، فيكون تأويله : ونفس وتسويتها ، فيكون القسم بالنفس وبتسويتها .

وقوله (فألهَمها فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول تعالى ذكره : فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير ، أو شرّ ، أو طاعة ، أو معصية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول : بَيّنَ الخيرَ والشرَّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) يقول : بيّن الخيرَ والشرَّ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : علّمها الطاعة والمعصية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : عرّفها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) : فبيّن لها فجورها وتقواها .

وحُدّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) ، بيّن لها الطاعةَ والمعصيةَ .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : أعلمها المعصيةَ والطاعةَ .

قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن الضحاك بن مزاحم (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : الطاعةَ والمعصيةَ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن الله جعل فيها ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتَقْوَاها) قال : جعل فيها فجورَها وتقواها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل، قالا : ثنا عزرة بن ثابت ، قال : ثنى يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن أبى الأسود الدِّيلىّ ، قال : قال لى عمران بن حُصين : أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه ، أشىء قُضِىَ عليهم ، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق ، أو فيما يستقبلون ، مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شىء قُضِىَ عليهم ، قال : فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال : ففزِعت منه فزعا شديدا ، قال : قلت له : ليس شىء إلا وهو خَلْقُه ، ومِلْكُ يده ، لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون. قال : سدّدك الله ، إنما سألتك « أظنه أنا » لأخْبُرَ عقلك « إن رجلا من مُزَينة أو جهينة ، أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أرأيتَ ما يعملُ الناس فيه ويتكادحون : أشىء قضى عليهم ، ومضى عليهم من قَدَرٍ سبق ، أو فيما يستقبلون ، مما أتاهم به نبيهم عليه السلام ، وأكّدت به عليهم الحجة ؟ قال : فِى شَىْءٍ قَدْ قُضِىَ عَلَيْهِمْ ؛ قال : ففيم نعملُ ؟ قال : مَنْ كانَ اللهُ خَلَقَهُ لإِحْدَى المَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لَهَا ، وَتَصْدِيقُ ذلكَ فِى كِتابِ اللهِ (وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ، فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها) » .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ (١١) إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا (١٥) .

قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يقول : قد أفلح من زكّى اللهُ نفسه ، فكثّر تطهيرها من الكفر والمعاصى ، وأصلحها بالصالحات من الأعمال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يقول : قد أفلح من زكّى اللهُ نفسه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مَهْران ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير وعكرمة : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) قالوا : من أصلحها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير ، ولم يذكر عكرمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) من عمل خيرا زكّاها بطاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) قال : قد أفلح من زكّى نفسَه بعمل صالح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) يقول : قد أفلح من زكى اللهُ نفسَه .

وهذا هو موضع القسم ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد وقع القسم هاهنا (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها) وقد ذكرتُ ما تقول أهل العربية فى ذلك فيما مضى من نظائره قبلُ .

وقوله (وَقَدْ خاب مَنْ دَسَّاها) يقول تعالى ذكره : وقد خاب فى طلبته ، فلم يُدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح مَنْ دساها ، يعنى : من دَسَّس الله نفسه فأخملها ، ووضع منها ، بخُذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصىَ ، وترك طاعة الله . وقيل : دسَّاها وهى دَسَّسها ، فقُلبت إحدى سيناتها ياء ، كما قال العجّاج :

تَقَضّىَ البازِى إذا البازِى كَسَرْ [1]

يريد : تَقَضُّض . وتظنَّيت هذا الأمر ، بمعنى : تظننت ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، فتبدل فى الحرف المشدّد بعضَ حروفه ، ياء أحيانا ، وواوا أحيانا ؛ ومنه قول الآخر :

يَذْهَبُ بِى فِى الشِّعْرِ كُلَّ فَنّ
حتى يَرُدَّ عَنِّى التَظَنّى [2]

يريد : التظنن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) يقول : وقد خاب من دَسَّى اللهُ نفسَه فأضلَّه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) يعنى : تكذيبها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن مجاهد وسعيد بن جُبير (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) قال : أحدهما أغواها ، وقال الآخر : أضلَّها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن خَصيف ، عن مجاهد (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) قال : أضلها ، وقال سعيد : من أغواها .

---

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى الجزء (٩ : ٢٤٣) فارجع إليه .

(٢) فى هذا الرجز شاهد على أن التظنى : أصله التظنن ، أبدلت النون الثانية ياء ، وهو كثير فى كلام العرب . وقبل البيتين ثلاثة أبيات ، وهى :

إنّى وإن كنتُ حديثَ السِّنّ وكان فى العينِ نُبُوٌّ عَنّى فإنّ شَيطانى أميرُ الجِنّ

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَنْ دَسَّاها) قال : أغواها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها) قال : أثمها وأفجرها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خابَ) يقول : وقد خاب من دَسَّى اللهُ نفسَه .

وقوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) يقول : كذّبت ثمود بطغيانها ، يعنى : بعذابها الذى وعدهموه صالح عليه السلام ، فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم ، كما قال جلّ ثناؤه (فأمَّا ثَمُودُ فأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن كان فيه اختلاف بين أهل التأويل .

ذكر من قال القول الذى قلنا فى ذلك

حدثنى سعيد بن عمرو السَّكونىّ ، قال : ثنا الوليد بن سَلَمة الفِلَسْطِينىّ ، قال : ثنى يزيد بن سمرة المَذْحِجىّ عن عطاء الخُراسانىّ ، عن ابن عباس ، فى قول الله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : اسم العذاب الذى جاءها ، الطَّغْوَى ، فقال : كذّبت ثمود بعذابها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) : أى بالطغيان .

وقال آخرون : كذّبت ثمود بمعصيتهم اللهَ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : معصيتها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : بطغيانهم وبمعصيتهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك بأجمعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب وابن لَهيعة ، عن عُمارة بن غزية ، عن محمد بن رفاعة القُرَظِىّ ، عن محمد بن كعب ، أنه قال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها) قال : بأجمعها .

حدثنى ابن عبد الرحيم البَرْقِىّ ، قال : ثنا ابن أبى مَرْيم ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب ، قال : ثنى عُمارة بن غزية ، عن محمد بن رفاعة القُرَظِىّ ، عن محمد بن كعب ، مثله .

وقيل (بِطَغْوَاها) بمعنى : طغيانهم ، وهما مصدران ، للتوفيق بين رءوس الآى ، إذ كانت الطَّغْوَى أشبه بسائر رءوس الآيات فى هذه السورة ، وذلك نظير قوله (وآخِرُ دَعْوَاهُمْ) : بمعنى : وآخر دعائهم .

وقوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) يقول : إذ ثار أشقى ثمود ، وهو قُدَار بن سالف .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا الطُّفاوىّ ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَة ، قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر فى خطبته الناقة ، والذى عَقَرَها ، فقال : (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها : انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ ، مَنِيعٌ فِى رَهْطِهِ ، مِثْلُ أبِى زَمْعَةَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) يعنى أُحَيْمِرَ ثمود .

وقوله (فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ) يعنى بذلك جلّ ثناؤه : صالحا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لثمود صَالِحٌ (ناقَةَ اللهِ وَسُقْياها) احذَروا ناقة الله وسُقياها ، وإنما حذّرهم سُقيَا الناقة ، لأنه كان تقدّم إليهم عن أمر الله ، أن للناقة شِربَ يوم ، ولهم شِرْب يومٍ آخر ، غير يوم الناقة ، على ما قد بيّنت فيما مضى قبل .

وكما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ناقَةَ اللهِ وسُقْياها) قَسْمٌ الله الذى قسم لها من هذا الماء .

وقوله (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) يقول : فكذّبوا صالحا فى خبره الذى أخبرهم به ، من أن الله الذى جعل شِرْبَ الناقة يوما ، ولهم شربُ يوم معلوم ، وأن اللهُ يُحِلّ بهم نقمته ، إن هم عقروها ، كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعادٌ بِالْقارِعَةِ) ، وقد يحتمل أن يكون التكذيب بالعقْر . وإذا كان ذلك كذلك ، جاز تقديم التكذيب قبل العقر ، والعقر قبل التكذيب ، وذلك أن كلّ فعل وقع عن سبب حسن ابتداؤه قبل السبب وبعده ، كقول القائل : أعطيت فأحسنت ، وأحسنت فأعطيت ، لأن الإعطاء : هو الإحسان ، ومن الإحسان الإعطاء ، وكذلك لو كان العَقْر هو سبب التكذيب ، جاز تقديم أىّ ذلك شاء المتكلم ، وقد زعم بعضهم أن قوله (فَكَذَّبُوهُ) كلمة مكتفية بنفسها ، وأن قوله (فَعَقَرُوها) جواب لقوله (إذِ انْبَعَثَ أشْقاها) كأنه قيل : إذ انبعث أشقاها فعقرها ، فقال : وكيف ؟ قيل (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) وقد كان القوم قبل قتل الناقة مُسَلّمين ، لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم آخر . قيل : جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك ، أجمعوا على منعها الشربَ ، ورضُوا بقتلها ، وعن رضا جميعهم قَتَلَها قاتِلُها . وعَقَرها مَنْ عقرها ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم ، فقال جلّ ثناؤه (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها) .

وقوله (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها) يقول تعالى ذكره : فدمّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك ، وكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله صالحا ، وعَقْرهم ناقته (فَسَوّاها) يقول : فسوّى الدمدمة عليهم جميعهم ، فلم يُفْلِت منهم أحد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ

بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها) ذُكر لنا أن أحيمرَ ثمود أبى أن يعقِرَها ، حتى بايعه صغيرهم وكبيرُهم ، وذكَرُهم وأنثاهم ، فلما اشترك القومُ فى عَقْرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها .

حدثنى بشر بن آدم ، قال : ثنا قُتيبة ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت الحسن يقول : لما عقروا الناقةَ طلبوا فَصِيلَها ، فصار فى قارة الجبل ، فقطع اللهُ قلوبَهم .

وقوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لايخاف تبعة دَمْدمته عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لايخاف اللهُ من أحد تَبِعةً .

حدثنى إبراهيم بن المستمرّ ، قال : ثنا عثمان بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن مرثد ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : ذاك ربنا تبارك وتعالى ، لايخاف تبعةً مما صنع بهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن عمرو بن منبه ، هكذا هو فى كتابى ، سمعت الحسن قرأ : (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : ذلك الربّ صنع ذلك بهم ، ولم يخف تبعةً .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا يَخاف عُقْباها) قال : لايخاف تبعتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا يَخافُ عقْباها) يقول : لايخاف أن يُتْبَعَ بشىء مما صَنَعَ بهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال محمد بن عمرو فى حديثه ، قال : الله (لا يَخافُ عُقْباها) . وقال الحارث فى حديثه : الله لايخاف عقباها .

حدثنى محمد بن سنان ، قال : ثنا يعقوب ، قال : ثنا رزين بن إبراهيم ، عن أبى سليمان ، قال : سمعت بكر بن عبد الله المُزَنىّ يقول فى قوله (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لايخاف الله التبعةَ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخف الذى عقرها عقباها : أى عُقبى فَعْلَتِهِ التى فعل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو رَوْق ، قال : ثنا الضحاك (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لم يَخَفِ الذى عقرها عقباها .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السُّدّىّ : (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : لم يخف الذى عقرها عقباها .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السدىّ (وَلا يَخافُ عُقْباها) قال : الذى لا يخاف الذى صنع ، عُقْبَى ما صنع .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والشام (فَلا يَخافُ عُقْباها) بالفاء ، وكذلك ذلك فى مصاحفهم . وقرأته عامة قرّاء العراق فى المِصْرين بالواو (وَلا يَخاف عُقْباها) وكذلك هو فى مصاحفهم .

والصواب من القول فى ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، غير مختلفتى المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلفت القرّاء فى إمالة ما كان من ذوات الواو فى هذه السورة وغيرها ، كقوله (وَالقَمَرِ إذَا تَلاها — وَما طَحاها) ونحو ذلك ، فكان يفتح ذلك كلَّه عامةُ قرّاء الكوفة ، ويُميلون ما كان من ذوات الياء ، غير عاصم والكسائى . فإن عاصما كان يفتح جميعَ ذلك ، ما كان منه من ذوات الواو وذوات الياء ، لا يُضْجِعُ منه شيئا . وكان الكسائىّ يكسر ذلك كلَّه . وكان أبو عمرو ينظر إلى اتساق رءوس الآى . فإن كانت متسقة على شىء واحد ، أمال جميعَها . وأما عامة قرّاء المدينة ، فإنهم لا يميلون شيئا من ذلك الإمالة الشديدة ، ولا يفتحونه الفتحَ الشديد ، ولكن بين ذلك ، وأفصح ذلك وأحسنه : أن ينظر إلى ابتداء السورة ، فإن كانت رءوسها بالياء ، أُجْرِى جميعُها بالإمالة غير الفاحشة ، وإن كانت رءوسها بالواو ، فتحت وجرى جميعها بالفتح غير الفاحش ، وإذا انفرد نوع من ذلك فى موضع ، أميل ذوات الياء الإمالة المعتدلة ، وفتح ذوات الواو الفتح المتوسِّط ، وإن أُميلت هذه ، وفُتحت هذه لم يكن لحنا ، غير أن الفصيح من الكلام هو الذى وصفنا صفته .

آخر تفسير سورة والشمس وضحاها

تفسير سورة والليل إذا يغشى

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (١٠)

يقول تعالى ذكره مُقْسِما بالليل إذا غَشَّى النهار بظلمته ، فأذهب ضوءه ، وجاءت ظُلمته : (واللَّيْلِ إذَا يَغْشَى) النهار (والنَّهارِ إذَا تَجَلَّى) وهذا أيضا قسم ، أقسم بالنهار إذا هو أضاء فأنار ، وظهر للأبصار ،

ما كانت ظلمة الليل قد حالت بينها وبين رؤيته وإتيانه إياها عيانا . وكان قتادة يذهب فيما أقسم الله به من الأشياء أنه إنما أقسم به لعظيم شأنه عنده .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) قال : آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلائق .

وقوله (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يحتمل الوجهين اللذين وصفت فى قوله (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاها ، والأَرْضِ وَمَا طَحَاها) وهو أن يجعل «ما» بمعنى « مَنْ » ، فيكون ذلك قسما من الله جلّ ثناؤه بخالق الذكر والأنثى ، وهو ذلك الخالق ، وأن تجعل « ما » مع ما بعدها بمعنى المصدر ، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى .

وقد ذُكر عن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء : أنهما كانا يقرآن ذلك (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) ويأثُره أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق قال : فى قراءة عبد الله : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن عبد الملك[1] ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى المُغيرة ، قال : سمعت إبراهيم يقول : أتى علقمة الشأم ، فقعد إلى أبى الدرداء ، فقال : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : كيف كان عبد الله يقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) فقلت : (وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى) قال : فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضلّونني وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا حاتم بن وَرْدان ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : أتينا الشأم ، فدخلت على أبى الدرداء ، فسألنى فقال : كيف سمعت ابن مسعود يقرأ هذه الآية : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) قال : قلت (وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) قال : كفاك ، سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ؛ وحدثنى إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن عامر ، عن علقمة ، قال : قَدِمت الشأم ، فلقيت أبا الدرداء ، فقال : من أين أنت ؟ فقلت من أهل العراق ؟ قال : من أيهأ ؟ قلت : من أهل الكوفة ، قال : هل تقرؤه قراءة ابن أمّ عبد ؟ قلت : نعم ، قال : اقرأ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) قال : فقرأت (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ والأُنْثَى) قال : فضحك ، ثم قال : هكذا سمعت مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنى داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن أبى الدَّرداء ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : قدمت

(١) هو هشام بن عبد الملك اليزنى المتوفى سنة ٢٥١هـ . أو هشام بن عبد الملك الباهلى المتوفى سنة ٢٢٧هـ . ولم أجد لهما ثالثا فى خلاصة الخزرجى .

الشأم ، فأتى أبو الدرداء، فقال : فيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قال : فأشاروا إلىّ ، قال : قلت أنا ، قال : فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) قال : وأنا هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فهؤلاء يريدونى على أن أقرأ (وَما خَلَقَ الذَّكَرِ والأُنْثَى) فلا أنا أتابعهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) قال فى بعض الحروف (وَالذَّكَرَ وَالأُنْثَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن أنه كان يقرؤها (وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) يقول : والذى خلق الذكر والأنثى ؛ قال هارون قال أبو عمرو : وأهل مكة يقولون للرعد : سبحانَ ما سبَّحْتَ له .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن مِقْسَم الضَّبِّىّ ، عن إبراهيم بن يزيد بن أبى عمران، عن علقمة بن قيس أبى شبل : أنه أتى الشام، فدخل المسجد فصلَّى فيه ، ثم قام إلى حَلْقة فجلس فيها ؛ قال : فجاء رجل إلىّ ، فعرفت فيه تحوّش القوم وهيبتهم له ، فجلس إلى جنبى ، فقلت : الحمد لله إنى لأرجو أن يكون الله قد استجاب دعوتى ، فإذا ذلك الرجل أبو الدرداء ، قال : وما ذاك ؟ فقال علقمة : دعوت الله أن يرزقنى جليسا صالحا ، فأرجو أن يكون أنت، قال : مِنْ أين أنت ؟ قلت : من الكوفة . أو من أهل العراق من الكوفة . قال أبو الدرداء : ألم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمِطْهَرة ، يعنى ابن مسعود، أو لم يكن فيكم من أجير على لسان النبىّ صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم ، يعنى عمّار بن ياسر، أو لم يكن فيكم صاحب السرّ الذى لايعلمه غيره ، أو أحد غيره ، يعنى حُذَيفة بن اليمان ، ثم قال : أيكم يحفظ كما كان عبد الله يقرأ ؟ قال : فقلت : أنا، قال : اقرأ (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، والنَّهارِ إِذَا تَجَلَّى) قال علقمة : فقرأت الذكرِ والأنثى ، فقال أبو الدرداء : والذى لاإله إلا هو ، كذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوه إلى فىّ ، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردّونى عنها .

وقوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) يقول : إن عملكم لمختلف أيها الناس ، لأن منكم الكافر بربه، والعاصى له فى أمره ونهيه ، والمؤمن به ، والمطيع له فى أمره ونهيه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) يقول : لمختلف .

وقوله (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) جواب القسم . والكلام : والليل إذا يغشى إن سعيكم لشتى ، وكذا قال أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قال : وقع القسم هاهنا (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى).

وقوله (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) يقول تعالى ذكره : فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس فى سبيل الله ، ومن أمَرَه الله بإعطائه من ماله ، وماوهب له من فضله ، واتقى الله واجتنب محارمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) قال : أعطى ما عنده واتقى ، قال : اتقى ربه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (فأمَّا مَنْ أعْطَى) من الفضل (واتَّقَى) : اتقى ربه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فأمَّا مَنْ أعْطَى) حقّ الله (وَاتَّقَى) محارم الله التى نهى عنها .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) يقول : من ذكر الله ، واتقى الله .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) فقال بعضهم : معنى ذلك : وصدّق بالخلف من الله ، على إعطائه ما أعطى من ماله فيما أعْطَى فيه مما أمره الله باعطائه فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) قال : وصدّق بالخَلَف من الله .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس : (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) يقول : وصدّق بالخلَف من الله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) بالخلَف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السدىّ ، قال : أخبرنا بشر بن الحكم الأخْمَسىّ ، عن سعيد بن الصلت ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) قال : أيقن بالخلف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن عكرِمة (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) قال : بالخلف .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن عكرِمة (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) قال : بأن الله سيخلف له .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى هاشم المكىّ ، عن مجاهد (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) قال بالخلف .

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بكر الهُذليّ، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن ابن عباس: (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بالخَلَف .

حدثنا أبو كُرَيب، قال : ثنا وكيع، عن نَضْر بن عربيّ، عن عكرِمة، قال : بالخَلَف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وصدّق بأن الله واحد لاشريك له .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمر بن عليّ المُقَدّميّ، قال: ثنا أشعث السجستانيّ، قال: ثنا مِسْعَر؛ وحدثنا أبو كُرَيب قال: ثنا وكيع، عن مِسْعر عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بلا إله إلا الله .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن مثله .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران، عن سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن، مثله .

حُدّثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عُبيد، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) : بلا إله إلا الله .

حدثني محمد بن سعد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي، قال : ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) : يقول : صدّق بلا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وصدّق بالجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد، قال : ثنا مهران، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بالجنة .

حدثنا ابن بشار، قال : ثني محمد بن محبب، قال : ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا وكيع، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : وصدق بموعود الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : بموعود الله على نفسه، فعمل بذلك الموعود الذي وعده الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) قال : صدّق المؤمن بموعود الله الحسن .

⁂ وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وأولاها بالصواب عندي: قول من قال : عُنِي به التصديق بالخلف من الله على نفقته .

وإنما قلت: ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله ذكر قبله مُنفقا أنفق طالبا بنفقته الخَلَف منها

فكان أولى المعانى به أن يكون الذى عقيبه الخبر عن تصديقه بوعد الله إياه بالخلف إذ كانت نفقته على الوجه الذى يرضاه ، مع أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك ورد .

ذكر الخبر الوارد بذلك

حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عبّاد بن راشد ، عن قتادة قال : ثنى خُلَيد العَصْرىّ ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فيهِ شَمْسُهُ ، إلاَّ وبِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ ، يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وأعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ، فأنْزَلَ اللهُ فِى ذلك القرآن (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) . . . إلى قوله (لِلْعُسْرَى) » .

وذُكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربىّ ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عُبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ، قال : كان أبو بكر الصدّيق يُعْتِق على الإسلام بمكة ، فكان يُعْتِق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بُنَىّ أراك تُعْتِق أناسا ضعفاء ، فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يقومون معك ، ويمنعونك ، ويدفعون عنك ، فقال : أى أبت ، إنما أريد « أظنه قال » : ماعند الله ، قال : فحدثنى بعض أهل بيتى ، أن هذه الآية أنزلت فيه (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) .

وقوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) يقول : فسنهيئه للخَلَّة اليُسْرَى ، وهى العمل بما يرضاه الله منه فى الدنيا ، ليوجب له به فى الآخرة الجنة .

وقوله (وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) يقول تعالى ذكره : وأما من بخل بالنفقة فى سبيل الله ، ومنع ما وهب الله له من فضله ، من صرفه فى الوجوه التى أمر الله بصرفه فيها ، واستغنى عن ربه ، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته ، بالزيادة فيما خوّله من ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مَسْعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) قال : بخل بما عنده ، واستغنى فى نفسه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرِمة عن ابن عباس (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) وأما من بخل بالفضل ، واستغنى عن ربه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَأمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى) يقول : من أغناه الله ، فبخل بالزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) : وأما من بخل بحقّ الله عليه ، واستغنى فى نفسه عن ربه .

وأما قوله (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله نحو اختلافهم فى قوله (وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى) وأما نحن فنقول : معناه : وكذّب بالخَلَف .

كما حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وكَذَّبَ بالْحُسْنَى) : وكذّب بالخَلَف .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) بالخَلَف من الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكَذَّبَ بالْحُسْنَى) وكذّب بموعود الله الذى وعد ، قال الله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) وكذّب الكافر بموعود الله الحسن .

وقال آخرون : معناه : وكذّب بتوحيد الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) : وكذّب بلا إله إلا الله .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) بلا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وكذّب بالجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى) قال : بالجنة .

وقوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) يقول تعالى ذكره : فسنهيئه فى الدنيا للخَلَّة العُسرى ، وهو من قولهم : قد يسرت غنم فلان : إذا ولدت وتهيأت للولادة ، وكما قال الشاعر :

هُمَا سَيِّدَانا يَزْعُمانِ وإنَّمَا يَسُودَانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا[1]

وقيل (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) ولا تيسر فى العُسرى للذى تقدّم فى أوّل الكلام من قوله (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) وإذا جمع بين كلامين أحدهما ذكر الخير والآخر ذكر الشرّ ، جاز ذلك بالتيسير فيهما جميعا ، والعُسرى التى أخبر الله جلّ ثناؤه أنه ييسره لها : العمل بما يكرهه ولا يرضاه .

(١) تقدم استشهاد المؤلف بهذا البيت فى الجزء (٢٩ : ٥٦) وقد شرحناه ، فارجع إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى وأبو كُرَيب ، قالا : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلمىّ ، عن علىّ ، قال : « كُنَّا جلوسا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنكَتَ الأرض ، ثم رفع رأسه فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ، قلنا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ قال : لا ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة بن قُدامة ، عن منصور ، عن سعد بن عُبيدة عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، قال : « كنا فى جنازة فى البقيع ، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ، ومعه عود يَنْكُتُ فى الأرض ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : مامِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ قَدْ كُتِبَ مَدْخَلُها ، فقال القوم : يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا ، فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء ، فقال : بَلِ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ؛ فأمَّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ السَّعادَةِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ السَّعادَةِ ؛ وأمَّا مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ الشَّقاءِ فإنَّهُ يُيَسَّرُ للشَّقاءِ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ؛ وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمىّ ، عن علىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور والأعمش : أنهما سمعا سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ ، عن النبىّ ، صلى الله عليه وسلم « أنه كان فى جنازة ، فأخذ عودا ، فجعل ينكُت فى الأرض ، فقال : ما مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أوْ مِنَ الجَنَّةِ ، فقالوا : يا رسول الله أفلا نتّكل ؟ قال : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور والأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن علىّ رضى الله عنه قال : « كنا جلوسا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتناول شيئا من الأرض بيده ، فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وَقَدْ عَلِمَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ ، قالوا : يا نبىّ الله ، أفلا نتكل ؟ قال : لا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، ثم قرأ (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى) . . . الآيتين .

قال : ثنا مهران ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن سَمُرة بن أبي زائدة ، عن النَّزَّال بن سَبُرَةَ ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ قَدْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهَا ما هِيَ لاقِيَتُهُ وأعرابي عند النبيّ صلى الله عليه وسلم مُرتاد ، فقال الأعرابيّ : فما جاء بي أضرب من وادي كذا وكذا ، إن كان قد فُرِغ من الأمر ، فنكت النبيّ صلى الله عليه وسلم في الأرض ، حتى ظنّ القوم أنه ودّ أنه لم يكن تكلم بشيء منه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، فَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الخَيْرِ ، وَمَنْ يُرِدْ بِهِ شَرًّا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الشَّرِّ ، فلقيت عمرو بن مُرَّة ، فعرضت عليه هذا الحديث ، فقال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وزاد فيه : (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ؛ وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا حصين ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي ، قال : « لما نزلت هذه الآية (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ أفي شيء نستأنفه ، أو في شيء قد فُرِغ منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، سَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى » .

حدثني عمرو بن عبد الملك الطائي ، قال : ثنا محمد بن عبيدة ، قال : ثنا الجراح ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن سليمان الأعمش ، رفع الحديث إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وبيده عود ينكُت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ وَلا مِنَ النَّاسِ ، إلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ أوِ النَّارِ ، قلنا : يا رسول الله أفلا نتوكل ؟ قال لهم : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، ثم قال : أما سَمِعْتُمُ اللهَ في كِتابِهِ يَقُولُ : (فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ؛ وأمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) : للشرّ من الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : « يارسول الله ، أنعمل لأمر قد فُرِغ منه ، أو لأمر نأتنفه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : كُلُّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ » .

حدثني يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق بن حبيب ، عن بشير بن كعب ، قال : « سأل غلامان شابان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقالا : يا رسول الله ، أنعمل فيما جفَّت به الأقلام ، وجرَت به المقادير ، أو في شيء يستأنف ؟ فقال : بَلْ فِيما جَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ ، وَجَرَتْ بِهِ المَقادِيرُ ،

قالا : ففيم العمل إذن ؟ قال : اعْمَلُوا، فَكُلٌّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لعَمَلِهِ الَّذِى خُلِقَ لَهُ ، قالا: فالآن نجدّ ونعمل » .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ) : أىّ شىء يدفع عن هذا الذى بخل بماله ، واستغنى عن ربه ، مالُه يوم القيامة (إذَا) هو (تَرَدَّى) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (إذَا تَرَدَّى) فقال بعضهم : تأويله : إذا تردّى فى جهنم : أى سقط فيها فهَوى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن ابن أبى خالد ، عن أبى صالح (وَما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إذَا تَرَدَّى) قال : فى جهنم . قال أبو كُرَيب : قد سمع الأشجعىّ من إسماعيل ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إذَا تَرَدَّى) قال : إذا تردّى فى النار .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا مات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (وَما يُغْنِى عَنْهُ مالُهُ إذَا تَرَدَّى) قال : إذا مات .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إذَا تَرَدَّى) قال : إذا مات .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : إذا مات .

وأَوْلَى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال: معناه : إذا تردّى فى جهنم ، لأن ذلك هو المعروف من التردّى ، فأما إذا أُريد معنى الموت ، فإنه يقال : رَدِىَ فلان ، وقلما يقال : تردّى .

وقوله (إنَّ عَلَيْنا لَلْهُدَى) يقول تعالى ذكره : إن علينا لَبيانَ الحقّ من الباطل ، والطاعة من المعصية.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) يقول : على الله البيان ، بيانُ حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

وكان بعض أهل العربية يتأوّله بمعنى : أنه من سلك الهدى فعلى الله سبيله ، ويقول : وهو مثل قوله (وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) ويقول : معنى ذلك : من أراد الله فهو على السبيل القاصد ، وقال : يقال معناه : إن علينا للهُدى والإضلال ، كما قال (سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ) وهى تقى الحرّ والبرد .

وقوله (وَإنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ والأُولى) يقول : وإن لنا مِلْكَ ما فى الدنيا والآخرة ، نعطى منهما من أردنا من خلقنا ، ونحرمه من شئنا .

وإنما عَنَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحبّ من خلقه ، فيكرمه بها فى الدنيا ، ويهيئ له الكرامة والثواب فى الآخرة ، ويخذُل من يشاء خِذلانه من خلقه عن طاعته ، فيهينه بمعصيته فى الدنيا ، ويخزيه بعقوبته عليها فى الآخرة .

ثم قال جلّ ثناؤه (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى) يقول تعالى ذكره : فأنذرتكم أيها الناس نارا تتوهَّج وهى نار جهنم ، يقول : احذروا أن تعصوا ربكم فى الدنيا ، وتكفروا به ، فتَصْلَوْنها فى الآخرة . وقيل : تلظَّى ، وإنما هى تتلظَّى ، وهى فى موضع رفع ، لأنه فعل مستقبل ، ولو كان فعلا ماضيا لقيل : فأنذرتكم نارا تلظَّت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (نارًا تَلَظَّى) قال : تَوَهَّج .

وقوله (لا يَصْلاها إلاَّ الأَشْقَى) يقول جلّ ثناؤه : لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلا الأشقى ، الذى كذّب وتولّى : يقول : الذى كذّب بآيات ربه ، وأعرض عنها ، ولم يصدّق بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبى هريرة ، قال : لتدخُلنّ الجنة إلا من يأبى ، قالوا : يا أباهريرة : ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : فقرأ (الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى) .

حدثنى الحسن بن ناصح ، قال : ثنا الحسن بن حبيب ومعاذ بن معاذ ، قالا : ثنا الأشعث ، عن الحسن فى قوله (لا يَصْلاها إلاَّ الأَشْقَى) قال مُعاذ : الذى كذّب وتولى ، ولم يقله الحسن ، قال : المشرك .

وكان بعض أهل العربية يقول: لم يكن كذب بردّ ظاهر، ولكن قصّر عما أمر به من الطاعة، فجُعِل تكذيبا، كما تقول: لقى فلان العدوّ، فكذب إذا نكل ورجع. وذُكر أنه سمع بعض العرب يقول: ليس لحدّهم مكذوبة، بمعنى: أنهم إذا لقوا صدقوا القتال، ولم يرجعوا؛ قال: وكذلك قول الله (ليسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ).

وقوله (وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى) يقول: وسيوقّى صِلِيَّ النار التى تلظّى التقىّ، ووضع أفعل موضع فعيل، كما قال طرفة:

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْ فتِلكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيها بأوْحَدِ[1]

وقوله (الَّذِى يُؤْتِى مالَهُ يَتَزَكَّى) يقول: الذى يعطى ماله فى الدنيا فى حقوق الله التى ألزمه إياها، (يتزكى): يعنى: يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه.

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)

كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى: وما لأحد من خلق الله عند هذا الذى يؤتى ماله فى سبيل الله يتزكى (مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) يعنى: من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك، ويعطى ما يعطى، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه، أنعمها عليه، ولكن يؤتيه فى حقوق الله ابتغاء وجه الله. قال: وإلا فى هذا الموضع بمعنى لكن؛ وقال: يجوز أن يكون الفعل فى المكافأة مستقبلا، فيكون معناه: ولم يُرِد بما أنفق مكافأة من أحد، ويكون موقع اللام التى فى أحد فى الهاء التى خفضتها عنده، فكأنك قلت: وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها، قال: وقد تضع العرب الحرف فى غير موضعه إذا كان معروفا، واستشهدوا لذلك ببيت النابغة:

وَقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخافَتِى على وَعِلٍ فِى ذِى المَطارَةِ عاقِلِ[2]

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٨) قال: لايصلاها إلا الأشقى: إلا الشقى. والعرب تضع «أفعل» فى موضع «فاعل» (يريد اسم الفاعل من الثلاثى، وما كان بمعناه من الصفات المشبهة به). قال أبو عبيدة: قال طرفة: تمنى رجال... البيت ولم أجده فى شعر طرفة، وهو من أبيات تقدمت الإشارة إليها فى الجزء (١٦: ١٤١) عند قوله تعالى «يعلم السر وأخفى» وفى الجزء (٢١: ٣٧) بأتم مما فى الموضع الأول، فارجع إليه فيهما.

(٢) البيت للنابغة الذبيانى. وقد سبق استشهاد المؤلف به فى الجزء (٢: ٨١). وقال الفراء فى معانى القرآن (٣٦٩) وقوله: «وما لأحد عنده من نعمة تجزى»: يقول: لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه. فإلا فى هذا الموضع بمعنى «لكن»... وقد تضع العرب الحرف (الكلمة) فى غير موضعه، إذا كان المعنى معروفا، وقد قال الشاعر: «وقد خفت... البيت.» والمعنى: حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى. اهـ.

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى وهذا الذى قاله الذى حكينا قوله من أهل العربية، وزعم أنه مما يجوز هو الصحيح الذى جاءت به الآثار عن أهل التأويل وقالوا : نزلت فى أبى بكر بعتقه من أعتق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى) يقول : ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم ، إنما عطيته لله .

حدثنى محمد بن إبراهيم الأنماطى ، قال : ثنا هارون بن معروف ، قال : ثنا بشر بن السرىّ ، قال : ثنا مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله عن أبيه ، قال : نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصدّيق : (وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ، وَلَسَوْفَ يَرْضَى) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : أخبرنى سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) قال : نزلت فى أبى بكر ، أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا ، ستة أو سبعة، منهم بلال ، وعامر بن فُهَيرة، وعلى هذا التأويل الذى ذكرناه عن هؤلاء، ينبغى أن يكون قوله (إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى) نصبا على الاستثناء من معنى قوله (وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) لأن معنى الكلام : وما يؤتى الذى يؤتى من ماله ملتمسا من أحد ثوابه ، إلا ابتغاء وجه ربه . وجائز أن يكون نصبه على مخالفة ما بعد إلا ما قبلها ، كما قال النابغة :

. . . . . وَما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلاَّ أَوَارِىَّ لَأْيًا ما أُبَيِّنُها . . . . . [1]

وقوله (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) يقول : ولسوف يرضى هذا المؤتى ماله فى حقوق الله عزّ وجلّ ، يتزكى بما يثيبه الله فى الآخرة عوضا مما أتى فى الدنيا فى سبيله ، إذا لقى ربه تبارك وتعالى .

آخر تفسير سورة والليل إذا يغشى

---

(١) تقدم الكلام على هذا الشاهد فى الجزء (٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٧) فارجع إليه ثمة .

تفسير سورة والضحى والليل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وخدمت أسماؤه

وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨)

أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالضحى، وهو النهار كله، وأحسب أنه من قولهم : ضَحِيَ فلان للشمس : إذا ظهر منه ؛ ومنه قوله (وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ) : أى لايصيبك فيها الشمس .

وقد ذكرت اختلاف أهل العلم فى معناه، فى قوله (والشَّمْسِ وَضُحَاهَا) مع ذكرى اختيارنا فيه . وقيل: عُنِى به وقت الضحى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (والضُّحَىٰ) ساعة من ساعات النهار .

وقوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) اختلف أهل التأويل فى تأويله، فقال بعضهم : معناه : والليل إذا أقبل بظلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى، قال : ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس : (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) يقول : والليل إذا أقبل .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، فى قول الله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) قال : إذا لَبِس الناسَ، إذا جاء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا ذهب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال : ثنا أبو صالح، قال : ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) يقول : إذا ذهب .

وقال آخرون : معناه : إذا استوى وسكن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد، قال : ثنا مِهْران؛ وحدثنا أبو كريب، قال : ثنا وكيع جميعا، عن سفيان، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) قال : إذا استوى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال : إذا استوى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) سكن بالخلق .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) يعنى : استقراره وسكونه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) قال : إذا سكن ، قال : ذلك سَجْوه ، كما يكون سكون البحر سجوه .

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى فى ذلك قول من قال معناه : والليل إذا سكن بأهله ، وثبت بظلامه ، كما يقال : بحر ساج : إذا كان ساكنا ؛ ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

فَمَا ذَنْبُنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوَارِى الدَّعَامِصَا[1]

وقول الراجز :

يَا حَبَّذَا القَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ
وطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَّاجْ[2]

وقوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) وهذا جواب القسم ، ومعناه : ماتركك ياحمد ربك وما أبغضك .

وقيل : (وَمَا قَلَى) ومعناه : وما قلاك ، اكتفاء بفهم السامع لمعناه ، إذ كان قد تقدّم ذلك قولُه : (ما وَدَّعَكَ) فعُرف بذلك أن المخاطب به نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) يقول : ما تركك ربك ، وما أبغضك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) قال : ما قلاك ربك وما أبغضك ؛ قال : والقالى : المبغض .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه ١٥١) . وفيه : أتوعدنى فى موضع « فما ذنبنا » . وجاش البحر : اضطرب ماؤه . وساج : ساكن لقلة مائه . والدعاميص : جمع دعموص ، وهو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا قل ماؤها . والبيت من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، يقول له : فيم وعيدك إياى ؟ أتوعدنى لأن كان شرف ابن عمك عامر كالبحر ، وكان شرفك فى قومك ضعيفا كالبحر الساكن القليل الماء ، لا يوارى أصغر ما فيه من الديدان ؟ والشاهد فى قوله : « سجا » بمعنى سكن . قال فى اللسان : قال الله تعالى : « والضحى والليل إذا سجا » معناه : سكن ودام . وقال الفراء : معناه : أظلم وركد فى طوله ، كما قال : بحر ساج ، وليل ساج : إذا ركد وأظلم . ومعنى ركد : سكن . وقال ابن الأعرابى : سجا : امتد بظلامه . ومنه البحر الساجى . قال الأعشى : « فما ذنبنا . . . . » البيت . اهـ .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز ، نسبهما الزجاج إلى الحارثى . وليلة قمراء : مقمرة مضيئة . والساجى : تقدم شرحه فى الشاهد قبله . ويريد الطرق الملساء ، التى ليس فيها ارتفاع وانخفاض ، أو التى ليس فيها حجارة ولاحصى ليسهل سير الإبل فيها .

وذُكر أن هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عله وسلم تكذيبا من الله قريشا فى قيلهم لرسول الله ، لما أبطأ عليه الوحى : قد ودّع محمدا ربُّه وقلاه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى علىّ بن عبد الله الدهان ، قال : ثنا مفضل بن صالح ، عن الأسود بن قيس العبدىّ ، عن ابن عبد الله ، قال : «لما أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت امرأة من أهله ، أو من قومه : ودّع الشيطان محمدا ، فأنزل الله عليه : (وَالضُّحَى) . . . إلى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

قال أبو جعفر : ابن عبد الله : هو جُنْدَب بن عبد الله البَجَلى .

حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى ، ومحمد بن هارون القطان ، قالا : ثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس سمع جندبا البجلىّ يقول : « أبطأ جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون : ودّع محمدا ربُّه ، فأنزل الله (وَالضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ماوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، أنه سمع جندبا البَجَلِىّ قال : « قالت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرى صاحبك إلا قد أبطأ عنك ، فنزلت هذه الآية : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأسود بن قيس ، قال : سمعت جندب بن عبد الله يقول : «إن امرأة أتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالت : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فنزلت (والضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانىّ ، عن عبد الله بن شدّاد « أن خديجة قالت للنبىّ صلى الله عليه وسلم : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، فأنزل الله (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) قال : «إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحى ، فقال ناس من الناس ، وهم يومئذ بمكة ، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودّعك ، فأنزل الله ما تسمع : (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) قال : أبطأ عليه جبريل ، فقال المشركون : قد قلاه ربُّه وودّعه ، فأنزل الله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) مكث جبريل عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : قد ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله هذه الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس :

(ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) قال : لما نزل عليه القرآن ، أبطأ عنه جبريل أياما ، فعيّر بذلك ، فقال المشركون : ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : أبطأ جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فجزع جزعا شديدا ، وقالت خديجة : أرى ربك قد قلاك ، مما نرى من جزعك ، قال : فنزلت (والضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) . . . إلى آخرها .

وقوله (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى) يقول تعالى ذكره : وللدار الآخرة ، وما أعدّ الله لك فيها ، خير لك من الدار الدنيا وما فيها : يقول : فلا تحزن على ما فاتك منها ، فإن الذى لك عند الله خير لك منها .

وقوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) يقول تعالى ذكره : ولسوف يعطيك يامحمد ربك فى الآخرة من فواضل نِعَمه ، حتى ترضى .

❊ وقد اختلف أهل العلم فى الذى وعده من العطاء ، فقال بعضهم : هو ماحدثنى به موسى بن سهل الرمليّ ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : سمعت الأوزاعيّ يحدّث ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى ، عن عليّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، قال : « عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو مفتوح على أمته من بعده ، كَفْرًا كَفْرًا ، فسرّ بذلك ، فأنزل الله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) فأعطاه فى الجنة ألف قصر ، فى كلّ قصر ، ما ينبغى من الأزواج والخدم » .

حدثنى محمد بن خلف العسقلانىّ ، قال : ثنى رَوّاد بن الجراح ، عن الأوزاعىّ ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فى قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : ألف قصر من لؤلؤ ، ترابهنّ المسك ، وفيهنّ ما يصلحهنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ، وذلك يوم القيامة .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى به عباد بن يعقوب ، قال : ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) قال : من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار .

وقوله (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى) يقول تعالى ذكره معدّدا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نِعَمه عنده ، ومذكّره آلاءه قِبَلَه : ألم يجدك يامحمد ربك يتيما فآوى ، يقول : فجعل لك مَأْوًى تأوى إليه ، ومنزلا تنزله (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) ووجدك على غير الذى أنت عليه اليوم .

وقال السدىّ فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن السدىّ (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ) قال : كان على أمر قومه أربعين عاما . وقيل : عُنِى بذلك : ووجدك فى قوم ضُلاّل فهداك .

وقوله (وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنَى) يقول : ووجدك فقيرا فأغناك، يقال منه : عال فلان يَعيل عَيْلَة، وذلك إذا افتقر ؛ ومنه قول الشاعر :

فَمَا يَدْرِى الفَقِيرُ مَتَى غِناه　　وَما يَدْرِى الغَنِى مَتَى يَعِيلُ[1]

يعنى : متى يفتقر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان (وَوَجَدَكَ عائِلاً) فقيرا . وذُكر أنها فى مصحف عبد الله (وَوَجَدَكَ عَدِيما فآوَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عائِلاً فأَغْنَى) قال : كانت هذه منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فَأَمَّا الْيَتِيمَ) يامحمد (فَلَا تَقْهَرْ) يقول : فلا تظلمه ، فتذهب بحقه ، استضعافا منك له .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) : أى لاتظلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) قال : تُغْمِصْه وتَحْقِرْه . وذُكر أن ذلك فى مصحف عبد الله (فَلَا تَكْهَرْ) .

وقوله (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) يقول : وأما من سألك من ذى حاجة فلا تنهره ، ولكن أطعمه واقض له حاجته (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) : يقول : فاذكره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) قال : بالنبوّة .

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت فى الجزء (٤ : ٢٣٩ ، ١٠ : ١٠٦) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن . قال : « ووجدك عائلا » : ذا فقر . قال : وما يدرى الفقير . . . يعيل » أى يفتقر . اهـ . وفى (اللسان : عيل) : عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا (بالضم والكسر) ومعيلا : افتقر . اهـ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا سعيد بن إياس الجريرىّ ، عن أبى نضرة ، قال : كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعم أن يحدّثَ بها .

آخر تفسير سورة الضحى ، ولله الحمد والشكر

تفسير سورة ألم نشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ (٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مذكّره آلاءه عنده ، وإحسانه إليه ، حاضا له بذلك على شكره على ما أنعم عليه ، ليستوجب بذلك المزيد منه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ) يامحمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ (صَدْرَكَ) فنلين لك قلبك ، ونجعله وعاء للحكمة (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) يقول : وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك ، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التى كنت فيها ، وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر (وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِقْرَكَ ، الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) يقول : الذى أثقل ظهرك فأوهنه ، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر ، قد أوهنه السفر ، وأذهب لحمه : هو نِقْضُ سَفَر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : ذنبك .

وقوله (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال : أثقل ظهرك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ، الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) : كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته ، فغفرها الله له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال : كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته ، فغفرها الله له .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) يعنى : الشرك الذى كان فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : شرح له صدره ، وغفر له ذنبه الذى كان قبل أن يُنبأ ، فوضعه .

وفى قوله (الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) قال : أثقله وجهده ، كما يُنْقِضُ البعيرَ حِمْله الثقيل ، حتى يصير نِقْضًا بعد أن كان سمينا (وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ) قال : ذنبك الذى أنقض ظهرك : أثقل ظهرك ، ووضعناه عنك ، وخفّفنا عنك ما أثقل ظهرك .

وقوله (وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) يقول : ورفعنا لك ذكرك ، فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معى ، وذلك قول : لاإله إلا الله ، محمد رسول الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب وعمرو بن مالك ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) قال : لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معى : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ابْدَءُوا بالعُبُودَةِ ، وَثَنُّوا بالرسالة » فقلت لمعمر ، قال : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ، فهو العبودة ، ورسوله أن تقول : عبده ورسوله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولاصاحب صلاة ، إلا ينادى بها ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج ، عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « أتانى جِبْرِيلُ فَقَالَ : إنَّ رَبِّى وَرَبَّكَ يَقُولُ : كَيْفَ رَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ ؟ قال : اللهُ أعْلَمُ ، قال : إذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِى » .

وقوله (فَإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإنّ مع الشدّة التى أنت فيها ، من جهاد هؤلاء المشركين ، ومن أوّله : ما أنت بسبيله ، رجاء وفرجا بأن يُظْفِرَك بهم ، حتى ينقادوا للحقّ الذى جئتهم به طوعا وكَرها .

ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أن هذه الآية لما نزلت ، بَشَّر بها أصحابه وقال : لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت يونس ، قال : قال الحسن : لما

نزلت هذه الآية (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبْشِرُوا أَتَاكُمُ الْيُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن يونس، عن الحسن، مثله، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : « خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك، وهو يقول: لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشّر أصحابه بهذه الآية ، فقال : « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن معاوية بن قرة أبى إياس ، عن رجل ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « لو دخل العسر فى جُحْر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه ، لأن الله يقول (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن رجل ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) قال: يتبع اليسرُ العُسرَ .

وقوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه : فإذا فرَغت من صلاتك ، فانصب إلى ربك فى الدعاء ، وسله حاجاتك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال: ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) يقول : فى الدعاء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال: ثنى أبى ، قال: ثنى عمى ، قال: ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) يقول : فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل الله ، وارغب إليه ، وانصَب له .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) قال: إذا قمت إلى الصلاة فانصَب فى حاجتك إلى ربك .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ) يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن تسلّم ، فانصَب .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ، وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ) قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ فى دعائه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ) من صلاتك (فانْصَبْ) فى الدعاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك (فَإِذَا فَرَغْتَ) من جهاد عدوّك (فانْصَبْ) فى عبادة ربك.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال: أمره إذا فرغ من غزوه، أن يجتهد فى الدعاء والعبادة.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال عن أبيه، فإذا فرغت من الجهاد، جهاد العرب، وانقطع جهادهم، فانصَب لعبادة الله (وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فإذا فرغت من أمر دنياك، فانصب فى عبادة ربك.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مِهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصَب، قال: فصلّ.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ) قال: إذا فرغت من أمر دنياك فانصَب، فصلّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، فى قوله (فَإِذَا فَرَغْتَ) قال: إذا فرغت من أمر الدنيا، وقمت إلى الصلاة، فاجعل رغبتك ونيتك له.

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كلّ ما كان به مشتغلا، من أمر دنياه وآخرته، مما أدّى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب فى عبادته، والاشتغال فيما قرّبه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصُص بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كلّ أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أوأمر دنيا كان به مشتغلا، لعموم الشرط فى ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى.

وقوله (وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ) يقول تعالى ذكره: وإلى ربك يامحمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم فى حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد (وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ) قال: اجعل نيتك ورغبتك إلى الله.

حدثنا أبو كُريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ) قال : اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِلى رَبِّكَ فارْغَبْ) قال : إذا قمت إلى الصلاة .

آخر تفسير سورة ألم نشرح

تفسير سورة والتين

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) فقال بعضهم : عُنِي بالتين : التين الذي يؤكل ، والزيتون : الزيتون الذي يُعْصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا روح ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله (والتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : تينكم هذا الذي يؤكل ، وزيتونكم هذا الذي يُعصر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرِمة ، قال : التين : هو التين ، والزيتون : الذي تأكلون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : تينكم وزيتونكم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، قال : سُئل عكرِمة عن قوله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين تينكم هذا ، والزيتون : زيتونكم هذا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين الذي يُؤكل ، والزيتون : الذي يعصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع جميعا ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : الفاكهة التى تأكل الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سلام بن سليم ، عن خَصِيف ، عن مجاهد (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : هو تينكم وزيتونكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين الذى يؤكل ، والزيتون الذى يُعصر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ (التِّينِ والزَّيْتُونِ) هو الذى ترون.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) : التين تينكم ، والزيتون زيتونكم هذا .

وقال آخرون : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا رَوْح ، قال : ثنا عوف ، عن يزيد أبى عبد الله ، عن كعب أنه قال فى قول الله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والتِّينِ) قال : الجبل الذى عليه دمشق (والزَّيْتُونِ) : الذى عليه بيت المقدس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) ذُكر لنا أن التين الجبل الذى عليه دمشق ، والزيتون : الذى عليه بيت المقدس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله (وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ) قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : مسجد إيلياء .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى بكر ، عن عكرمة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال : هما جبلان.

وقال آخرون : التين : مسجد نوح ، والزيتون : مسجد بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) يعنى مسجد نوح الذى بنى على الجُودِىّ ، والزيتون : بيت المقدس ؛ قال : ويقال : التين والزيتون وطورسينين : ثلاثة مساجد بالشام .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : قول من قال : التين : هو التين الذى يُؤكل ، والزيتون : هو الزيتون الذى يُعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ، ولا يُعرف جبل يسمى تينا ، ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون . والمراد من الكلام: القسَم بمنابت التين ، ومنابت الزيتون ، فيكون ذلك مذهبا ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة فى ظاهر التنزيل ، ولا من قول من لايجوِّز خلافه ، لأن دمشق بها منابت التين ، وبيت المقدس منابت الزيتون .

وقوله (وَطُورِ سِينِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : هو جبل موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه ومسجده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبى ، عن قتادة ، عن قزعة ، قال: قلت لابن عمر : إنى أريد أن آتى بيت المقدس (وَطُورِ سِينِينَ) فقال : لا تأت طور سينين ، ما تريدون أن تدعوا أثر نبىّ إلا وطئتموه . قال قتادة (وَطُورِ سِينِينَ) : مسجد موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن بشار ، قال: ثنا روح ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَطُورِ سِينِينَ) قال : جبل موسى .

قال : ثنا عوف ، عن يزيد أبى عبد الله ، عن كعب ، فى قوله (وَطُورِ سِينِينَ) قال : جبل موسى صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَطُورِ سِينِينَ) قال : هو الطُّور .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَطُورِ سِينِينَ) قال : مسجد الطور .

وقال آخرون : الطُّور : هو كلّ جبل يُنْبِتُ . وقوله (سِينِينَ) : حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرِمة ، فى قوله (وَطُورِ سِينِينَ) قال : هو الحسن ، وهى لغة الحبشة ، يقولون للشىء الحسن : سِينا سِينا .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله (وَطُورِ سِينِينَ) قال : طُور : جبل ، وسِينين : حَسَنٌ بالحبشية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الصباح بن محارب ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : صليت خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه المغرب ، فقرأ فى أوّل ركعة (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وطُورِ سِينِينَ) قال : هو جبل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة (وَطُورِ سِينِينَ) قال : سواء على نبات السهل والجبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ سِينِينَ) قال : الجبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مُؤَمّل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ سِينِينَ) : جبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ سِينِينَ) الجبل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن النضر ، عن عكرمة ، قال : الطور : الجبل ، والسينين : الحسن ، كما ينبت فى السهل ، كذلك ينبت فى الجبل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ ، أما (طُورِ سِينِينَ) فهو الجبل ذو الشجر .

وقال آخرون : هو الجبل ، وقالوا : سينين : مبارك حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطُورِ) : الجبل (وسِينِينَ) قال : المبارك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطُورِ سِينِينَ) قال : جبل مبارك بالشام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَطُورِ سِينِينَ) قال : جبل بالشام ، مُبارك حسن .

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : طورسينين : جبل معروف ، لأن الطور هو الجبل ذو النبات ، فإضافته إلى سينين تعريف له ، ولو كان نعتا للطور ، كما قال : من قال معناه : حسن أو مبارك ، لكان الطور منوّنا ، وذلك أن الشىء لا يُضاف إلى نعته ، لغير علة تدعو إلى ذلك .

وقوله (وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) يقول : وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله ، أو يغزوهم . وقيل : الأمين ، ومعناه : الآمن ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ تَعْلَمِى يا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّنِى حَلَفْتُ يَمِينا لا أَخُونُ أَمِينِى [1]

يريد : آمنى ، وهذا كما قال جلّ ثناؤه : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ، وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) .

(١) البيت من شواهد الفراء (٣٧١) قال : وقوله « وهذا البلد الأمين » مكة . يريد الآمن . والعرب تقول للآمن : الأمين . قال الشاعر : « ألم تعلمى . . . البيت » .

وإنما عُنِى بقوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) : مكة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال : مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا رَوْح ، قال : ثنا عوف ، عن يزيد أبى عبد الله ، عن كعب ، فى قول الله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال : البلد الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا رَوْح ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال : البلد الحرام .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ؛ وحدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال مكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سَلاّم بن سليم ، عن خَصِيف ، عن مجاهد : (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) : مكة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث عن عكرِمة (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) : قال : البلد الحرام .

قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال : مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) يعنى : مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) قال : المسجد الحرام .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مُؤَمّل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) : مكة .

وقوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) وهذا جواب القسم ، يقول تعالى ذكره : والتين والزيتون ، لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : وقع القسم هاهنا (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فقال بعضهم : معناه : فى أعدل خلق ، وأحسن صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن ابن عباس (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : فى أعدل خلق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : فى أحسن صورة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : خَلْق .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : فى أحسن صورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) يقول : فى أحسن صورة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) : فى أحسن صورة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : أحسن خَلْق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : فى أحسن خلق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) يقول : فى أحسن صورة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة ، هو والكلبىّ (فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قالا : فى أحسن صورة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لقد خلقنا الإنسان ، فبلغنا به استواء شبابه وجَلَدِه وقوّته ، وهو أحسن ما يكون ، وأعدل ما يكون وأقومه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرِمة ، فى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : الشاب القوىّ الجَلْد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : شبابه أوّل ما نشأ .

وقال آخرون : قيل ذلك لأنه ليس شيء من الحيوان إلا وهو منكبّ على وجهه غير الإنسان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال : خلق كلّ شيء منكبا على وجهه ، إلا الإنسان .

* وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن معنى ذلك : لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها ؛ لأن قوله (أحْسَنِ تَقْوِيمٍ) إنما هو نعت لمخلوق ، وهو في تقويم أحسن تقويم ، فكأنه قيل : لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم .

وقوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ثم رددناه إلى أرذل العمر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) يقول : يردّ إلى أرذل العمر ، كبر حتى ذهب عقله ، وهم نفر ردّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سفهت عقولهم ، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبي رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : ردّوا إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، في قوله (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) : قال : إلى أرذل العمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : رددناه إلى الهَرَم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الهَرَم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرمة (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أسْفَلَ سافِلِينَ) قال : الشيخ الهَرِم ، لم يضرّه كبرُه إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار فى أقبح صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : فى شر صورة فى صورة خنزير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : إلى النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : فى النار .

قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : إلى النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : الحسن : جهنم مأواه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى النار .

❀ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخَرَفىّ ، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبر ، فهو فى أسفل من سفل : فى إدبار العمر وذهاب العقل .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب فى ذلك ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه فى الأحوال ، احتجاجا بذلك على مُنكرى قُدرته على البعث بعد الموت . ألا ترى أنه يقول : (فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) يعنى : بعد هذه الحُجَج . ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعانى ، بما كانوا له مُنكرين . وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسُّونه ، أو يقرّون به ، وإن لم يكونوا له مُحسّين .

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التى كان الله يتوعدهم بها فى الآخرة مُنكرين ، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين ، عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر ، وحدوث الخَرَف .

وقوله (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) اختلف أهل التأويل فى معنى هذا الاستثناء ، فقال

بعضهم : هو استثناء صحيح من قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قالوا : وإنما جاز استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهم جمع ، من الهاء فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ) وهى كناية الإنسان ، والإنسان فى لفظ واحد ، لأن الإنسان وإن كان فى لفظ واحد ، فإنه فى معنى الجمع ، لأنه بمعنى الجنس ، كما قيل : (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ) قالوا : وكذلك جاز أن يقال (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) فيضاف أفعل إلى جماعة ، وقالوا : ولو كان مقصودا به قصدُ واحد بعينه ، لم يجز ذلك ، كما لا يُقال : هذا أفضل قائمين ، ولكن يقال : هذا أفضل قائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن سعيد بن سابق ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، قال : من قرأ القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر ، ثم قرأ (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : لا يكونُ حتى لا يعلَم من بعد علم شيئا ، فعلى هذا التأويل قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) لخاصّ من الناس ، غير داخل فيهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لأنه مستثنى منهم .

وقال آخرون : بل الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد يدخلون فى الذين رُدّوا إلى أَسْفَلَ سافلين ، لأن أرذل العُمر قد يردّ إليه المؤمن والكافر . قالوا : وإنما استثنى قوله (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) من معنى مضمر فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) قالوا : ومعناه : ثم رددناه أسفل سافلين ، فذهبت عقولهم وخَرِفوا ، وانقطعت أعمالهم ، فلم تثبت لهم بعد ذلك حسنة . (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فإن الذى كانوا يعملونه من الخير ، فى حال صحة عقولهم ، وسلامة أبدانهم ، جارٍ لهم بعد هَرَمهم وخَرَفهم .

وقد يُحتمل أن يكون قوله (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) استثناء منقطعا ، لأنه يحسن أن يقال : ثم رددناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لهم أجر غير ممنون ، بعد أن يردّ أسفل سافلين .

ذكر من قال معنى هذا القول

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : فأيّما رجل كان يعمل عملا صالحا وهو قوىّ شاب ، فعجز عنه ، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : إذا كان يعمل بطاعة الله فى شبيبته كلها ، ثم كبر حتى ذهب عقله ، كُتب له مثل عمله الصالح الذى كان يعمل فى شبيبته ، ولم يُؤاخذ بشىء مما عمل فى كبره ، وذهاب عقله ، من أجل أنه مؤمن ، وكان يطيع الله فى شبيبته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ

أَسْفَلَ سافِلِينَ) قال : إلى أرذل العمر ، فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر ، كُتِب له كأحسن ما كان يعمل فى شبابه وصحته ، فهو قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فإنه يكتب له من الأجر ، مثل ما كان يعمل فى الصحة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حماد بن أبى سليمان ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : إذا بلغ من الكبر ما يعجز عن العمل ، كُتِب له ما كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) فإنه يُكتب لهم حسناتهم ، ويُتجاوز لهم عن سيئاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن ابن عباس (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : هم الذين أدركهم الكِبَرَ ، لايؤاخذون بعمل عملوه فى كبرهم ، وهم هَرْمَى لايعقلون .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ . فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : يوفيه الله أجره أو عمله ، ولا يؤاخذه إذا رُدَّ إلى أرذل العمر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت الحكم يحدّث ، عن عكرِمة (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : الشيخ الهَرِم لم يضرّه كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال : من أدركه الهرم ، وكان يعمل صالحا ، كان له مثل أجره إذا كان يعمل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم رددناه أسفل سافلين فى جهنم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون ، فعلى هذا التأويل : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مستثنون من الهاء فى قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ) ، وجاز استثناؤهم منها إذ كانت كناية للإنسان ، وهو بمعنى الجمع ، كما قال : (إنَّ الإنْسانَ لَفِى خُسْرٍ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ ، إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا) : إلا من آمن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، في قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) : في النار (إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) قال الحسن : هي كقوله (وَالْعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ، إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة : قول من قال معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم ، فلهم أجر غير ممنون بعد هَرَمهم ، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم ، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ) إلى أرذل العمر .

واختلفوا في تأويل قوله (غَيْرُ مَمْنُونٍ) فقال بعضهم : معناه : لهم أجر غير منقوص .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

وقال آخرون : بل معناه : غير محسوب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) : غير محسوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : غير محسوب .

قال : ثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : غير محسوب .

وقد قيل : إن معنى ذلك : فلهم أجر غير مقطوع .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : فلهم أجر غير منقوص ، كما كان له أيام صحته وشبابه ، وهو عندي من قولهم : جبل مَنِين : إذا كان ضعيفا ؛ ومنه قول الشاعر :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ما فِي عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[1]

يعني : أنه ليس فيه نقص ، ولا خطأ .

(١) البيت : لجرير بن الخطفى الشاعر الإسلامي . وسبق الاستشهاد به في الجزء (٤ : ٢٥٤ ، ٨ : ٦٢) فارجع إليه في الجزء الرابع ، فهو فيه أتم .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ؟(٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟ (٨)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ) فقال بعضهم معناه : فمن يكذّبك يامحمد بعد هذه الحجج التى احتججنا بها، بالدين ، يعنى : بطاعة الله ، وما بعثك به من الحقّ ، وأن الله يبعث من فى القبور ؟ قالوا : « ما » فى معنى « مَنْ » ، لأنه عُنى به ابن آدم، ومن بعث إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما يكذّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، قال : قلت لمجاهد (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) عُنى به النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال: مَعاذ الله ! عُنى به الإنسان .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا مهران ، عن سفيان ، عمن سمع مجاهدا يقول (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) قلت : يعنى به : النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مَعاذ الله ! إنما يعنى به الإنسان .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) أعنى به النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال :معاذ الله ! إنما عُنِى به الإنسان .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر ، عن الكلبىّ (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) ؟ إنما يعنى الإنسان ، يقول : خلقتك فى أحسن تقويم ، فما يكذّبك أيها الإنسان بعد بالدين .

وقال آخرون : إنما عُنِى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : استيقن مع ما جاءك من الله من البيان ، أن الله أحكم الحاكمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) أى استيقِن بعد ما جاءك من الله البيانُ (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) ؟

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب: قول من قال: معنى « ما » معنى « مَنْ » . ووجه تأويل الكلام إلى : فمن يكذّبك يامحمد بعد الذى جاءك من هذا البيان من الله بالدين ؟ يعنى : بطاعة الله ، ومجازاته العباد على أعمالهم . وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية بمعنى : فما الذى يكذّبك بأن الناس يدانون بأعمالهم ؟ وكأنه قال : فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب ، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا .

واختلفوا فى معنى قوله (بالدّين) فقال بعضهم : بالحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود الطُّفَاوى ، قال: ثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرِمة ، فى قوله (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) قال: الحساب .

وقال آخرون : معناه : بحكم الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) يقول : ما يكذّبك بحكم الله .

* وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : الدين في هذا الموضع : الجزاء والحساب ، وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب : الجزاء والحساب ؛ ومنه قولهم : كما تدين تُدان . ولا أعرف من معاني الدين « الحكم » في كلامهم ، إلا أن يكون مرادا بذلك : فما يكذّبك بعد بأمر الله الذي حكم به عليك أن تطيعه فيه ؟ فيكون ذلك .

وقوله (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) يقول تعالى ذكره : أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه ، وفصل قضائه بين عباده ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك فيما بلغنا قال : بَلَى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَيْسَ اللهَ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، قال : كان ابن عباس إذا قرأ (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) قال : سبحانك اللهم ، وَبلى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : كان قتادة إذا تلا : (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) قال : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، أحسبه كان يرفع ذلك ، وإذا قرأ (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ؟ قال : بلى ، وإذا تلا (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) قال : آمنت بالله ، وبما أنزل .

آخر تفسير سورة والتين

تفسير سورة اقرأ باسم ربك

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وخصت أسماؤه

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨)

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ) محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : اقرأ يامحمد بذكر ربك (الَّذِى خَلَقَ) ، ثم بين الذى خلق فقال : (خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ) يعنى : من الدم ، وقال : من علق ؛ والمراد به من علقة ، لأنه ذهب إلى الجمع ، كما يقال : شجرة وشجر ، وقصبة وقصب ، وكذلك علقة وعلق . وإنما قال : من علق والإنسان فى لفظ واحد ، لأنه فى معنى جمع ، وإن كان فى لفظ واحد ، فلذلك قيل : من علق .

وقوله (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ) يقول : اقرأ يا محمد وربك الأكرم (الَّذِى عَلَّمَ بِالقَلَمِ) خلقه الكتاب والخط .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) قرأ حتى بلغ (عَلَّمَ بِالقَلَمِ) قال : القلم : نعمة من الله عظيمة ، لولا ذلك لم يقم ، ولم يصلح عيش . وقيل : إن هذه أوّل سورة نزلت فى القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن عثمان البصرى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت النعمان بن راشد يقول عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : « كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة ، كانت تجىء مثل فَلَق الصبح ، ثم حُبِّب إليه الخلاء ، فكان بغار حراء يتحنّث ، فيه الليالىَ ذوات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ثُمَّ يَرْجع إلى أهْلِه فيتزوّد لمثلها ، حتى فجأه الحقّ ، فأتاه ، فقال : يامحمد أنت رسول الله ، قال رسول الله : فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَىَّ وأنا قائمٌ ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِى ، ثُمَّ دَخَلْت عَلى خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ، حتى ذَهَبَ عَنِّى الرَّوْعُ ، ثُمَّ أتانِي فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ ، أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قالَ : فَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حالِقٍ مِنْ جَبَلٍ ، فَتَمَثَّلَ إلَىَّ حِينَ هَمَمْتُ بذلكَ ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ ، أنا جِبْرِيلُ وأنْتَ رَسُولُ اللهِ ، ثُمَّ قالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : ما أقْرَأُ ؟ قال : فأخَذَنِي فَغَطَّنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، حتى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدُ ، ثُمَّ قالَ (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) فَقَرَأْتُ ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ أشْفَقْتُ عَلى نَفْسِي ، فأخْبَرْتُها خَبَرِى ، فَقالَتْ : أبْشِرْ ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا ، وَوَاللهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّى الأمانَةَ ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِى إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلِ بنِ أسَدٍ ، قالَتِ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أخِيكَ ، فَسألَنِي ، فأخْبَرْتُهُ خَبَرِى ، فَقالَ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلى مُوسَى صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، لَيْتَنِى فِيها جَذَعٌ ، لَيْتَنِى أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قُلْتُ : أوَ مُخْرِجِىَّ هُمْ ؟ قال : نَعَمْ ، إنَّهُ لَمْ يَجِئْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ ، إلاَّ عُودِىَ ، وَلَئِنْ أدْرَكَنِى يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ كانَ أوَّلُ ما نَزَلَ عَلَىَّ مِنَ القُرْآنِ بَعْدَ « اقْرَأْ » : (نَ والقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ ، ما أنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإنَّ لَكَ لأجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) ، و (يا أيُّها المُدَّثِرُ قُمْ فأنْذِرْ) ، (والضُّحَى وَاللَّيْلِ إذَا سَجَى) » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : ثنى عروة أن عائشة أخبرته ، وذكر نحوه ، غير أنه لم يقل : ثم كان أوّل ما أُنزل علىّ من القرآن . . . الكلام إلى آخره .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا سليمان الشيبانى ، قال : ثنا عبد الله بن شدّاد ، قال : أتى جبريل محمدا ، فقال يامحمد اقرأ ، فقال : وما أقرأ ؟ قال : فضمه ، ثم قال : يامحمد أقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال (باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) حتى بلغ (عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) . قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ما أراه إلا قد عُرِض لى ، قالت : كَلَّا ، والله ما كان ربك يفعل ذلك بك ، وما أتيت فاحشة قطّ ؛ قال : فأتت خديجة ورقة ، فأخبرته الخبر ، قال : لئن كنتِ صادقة إن زوجكِ لنبىّ ، ولَيَلْقَيَنّ من أمته شدّة ، ولئن أدركته لأومنَنّ به ؛ قال : ثم أبطأ عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا قد قلاك ، فأنزل الله (وَالضُّحَى واللَّيْلِ إذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهرىّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قال إبراهيم ، قال سفيان : حفظه لنا ابن إسحاق ، إن أوّل شىء أُنزل من القرآن (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) .

حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ عن عروة ، عن عائشة ، أنّ أوّل سورة أُنزلت من القرآن (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن عمرو بن دينار ، عن عُبيد بن عُمير ، قال أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : فذكر نحوه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : ثنا قرّة ، قال : أخبرنا أبو رجاء العُطاردىّ ، قال : كنا فى المسجد الجامع ، ومقرئنا أبو موسى الأشعرىّ ، كأنى أنظر إليه بين بُردين أبيضين ؛ قال أبو رجاء : عنه أخذت هذه السورة (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) وكانت أوّل سورة نزلت على محمد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : أوّل سورة نزلت من القرآن (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدىّ ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أوّل ما نزل من القرآن (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ) وزاد ابن مهدىّ و (نّ وَالْقَلَمِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : أوّل ما أنزل من القرآن (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) .

قال : ثنا وكيع ، عن قُرّة بن خالد ، عن أبى رجاء العطاردىّ ، قال : إنى لأنظر إلى أبى موسى وهو يقرأ القرآن فى مسجد البصرة ، وعليه بُردان أبيضان ، فأنا أخذت منه (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) ، وهى أوّلُ سورة أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : إن أوّل سورة أُنزلت (اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ) . ثم (نٓ والقَلَمِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) يقول تعالى ذكره : علّم الإنسان الخطّ بالقلم ، ولم يكن يعلمه ، مع أشياء غير ذلك ، مما علمه ولم يكن يعلمه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) قال : علّم الإنسان خَطًّا بالقلم .

وقوله (كَلاَّ) يقول تعالى ذكره : ما هكذا ينبغى أن يكون الإنسان أن يُنْعِمَ عليه ربُّه بتسويته خَلقه ، وتعليمه ما لم يكن يعلم ، وإنعامه بما لا كُنْفَوَ له ، ثم يكفر بربه الذى فعل به ذلك ، ويطغى عليه ، أن رآه استغنى .

وقوله (إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغَى أنْ رآهُ اسْتَغْنَى) يقول : إن الإنسان ليتجاوز حدّه ، ويستكبر على ربه ، فيكفر به ، لأنْ رأى نفسه استغنت . وقيل : أن رآه استغنى لحاجة « رأى » إلى اسم وخبر ، وكذلك تفعل العرب فى كل فعل اقتضى الاسمَ والفعلَ ، إذا أوقعه المخبر عن نفسه على نفسه ، مكنيا عنها ، فيقول : متى تراك خارجا ؟ ومتى تحسبك سائرا ؟ فإذا كان الفعل لا يقتضى إلا منصوبا واحدا ، جعلوا موضع المكنى نفسه ، فقالوا : قتلت نفسك ، ولم يقولوا : قتلتك ولا قتلته .

وقوله (إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى) : يقول : إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعَه ، فذائق من أليم عقابه ما لا قِبَلَ له به .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠)

ذُكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت فى أبى جهل بن هشام ، وذلك أنه قال فيما بلغنا : لئن رأيت محمدا يصلى ، لأطأنّ رقبته ، وكان فيما ذُكر قد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أرأيت يا محمد أبا جهل الذى يُنهاك أن تصلىَ عند المَقام ، وهو مُعرض عن الحقّ ، مكذّب به ، يُعجّب جلّ ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبى جهل ، وجراءته على ربه ، فى نهيه محمدا عن الصلاة لربه ، وهو مع أياديه عنده مكذّب به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) قال أبو جهل : يَنْهى محمدا صلى الله عليه وسلم إذا صلى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) نزلت فى عدوّ الله أبى جهل ، وذلك لأنه قال : لئن رأيت محمدا يصلّى لأطأنّ على عنقه ، فأنزل الله ماتسمعون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قول الله : (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ، لأطأنّ على عنقه ؛ قال : وكان يقال : « لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل » .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطىّ ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فجاءه أبو جهل ، فنهاه أن يُصَلِّىَ ، فأنزل الله (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) . . . إلى قوله (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ (١١) أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ (١٢)

يقول تعالى ذكره (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ) محمد (عَلَى الهُدَى) يعنى : على استقامة وسَدَاد فى صلاته لربه (أَوْ أَمَرَ بالتَّقْوَى) أو أمر محمد هذا الذى يَنْهى عن الصلاة ، باتقاء الله ، وخوف عقابه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الهُدَى أَوْ أَمَرَ بالتَّقْوَى) قال محمد : كان على الهدى ، وأمر بالتقوى .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ (١٣)

يقول تعالى ذكره : (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ) أبو جهل بالحقّ الذى بَعَثَ به محمدا (وَتَوَلَّى) يقول وأدبر عنه ، فلم يصدق به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) يعنى : أبا جهل .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا ، لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) .

يقول تعالى ذكره : ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه ، والصلاة له ، بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه . وقيل : أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى ، فكررت أرأيت مرات ثلاثا على البدل . والمعنى : أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى ، وهو مكذّب متولّ عن ربه ، ألم يعلم بأن الله يراه .

وقوله (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) يقول : ليس كما قال : إنه يطأ عنق محمد ، يقول : لايقدر على ذلك ، ولا يصل إليه .

وقوله (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) يقول : لئن لم ينته أبو جهل عن محمد (لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيَةِ) يقول : لنأخذن بمقدّم رأسه ، فلنضمنه ولنذلنه ؛ يقال منه : سَفَعْتُ بيده : إذا أخذت بيده . وقيل : إنما قيل (لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيَةِ) والمعنى : لنسوّدنّ وجهه ، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله ، إذ كانت الناصية فى مقدم الوجه . وقيل : معنى ذلك : لنأخذنّ بناصيته إلى النار ، كما قال : (فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) .

وقوله (ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) فخفض ناصية ردّا على الناصية الأولى بالتكرير ، ووصف الناصية بالكذب والخطيئة ، والمعنى لصاحبها .

وقوله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) يقول تعالى ذكره : فليدع أبو جهل أهل مجلسه وأنصاره ، من عشيرته وقومه ، والنادى : هو المجلس .

وإنما قيل ذلك فيما بلغنا ، لأن أبا جهل لما نهى النبىّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند المقام ، انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأغلظ له ، فقال أبو جهل : علام يتوعدنى محمد وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ؟ فقال الله جلّ ثناؤه (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيَةِ) ، فليدع حينئذ ناديه ، فإنه إن دعا ناديه ، دعونا الزبانية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار ، وقال أهل التأويل .

ذكر الآثار المروية فى ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحكم بن جميع ، قال .

ثنا علىّ بن مُسْهِر جميعا ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المَقام ، فمرّ به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ، ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعّده ، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره ، فقال : يامحمد بأىّ شىء تهدّدنى ؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادى ناديا ، فأنزل الله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال ابن عباس : لو دعا ناديه ، أخذته زبانية العذاب من ساعته » .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فجاءه أبو جهل ، فنهاه أن يصلى ، فأنزل الله (أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) . . . إلى قوله (كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ) فقال : لقد علم أنى أكثر هذا الوادى نَاديا ، فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فتكلم بشىء ، قال داود : ولم أحفظه ، فأنزل الله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) فقال ابن عباس ، فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه ، قال : ثنا نعيم بن أبى هند ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : « قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم ، قال : فقال : واللاتِ والعُزّى لئن : رأيته يصلى كذلك ، لأطأنّ على رقبته ، ولأُعَفِّرنّ وجهه فى التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ قال : فقال : إن بينى وبينه خَنْدقا من نار ، وهَوْلاً وأجنحة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْ دَنا منّى لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا قال : وأنزل الله ، لاأدرى فى حديث أبى هريرة أم لا (كَلاَّ إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغَى ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ، إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعَى ، أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) يعنى أبا جهل (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ، كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) يدعو قومه (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) الملائكة (كَلاَّ ، لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن الوليد بن العَيْزار ، عن ابن عباس ، قال : « قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه ، فأنزل الله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) حتى بلغ هذه الآية (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) ، فجاء النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فقيل له : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودّ ما بينى وبينه من الكتائب . . قال ابن عباس : والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا زكريا بن عدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « قال أبو جهل : لئن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند

الكعبة ، لآتينه حتى أطأ على عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ المَلائِكَةُ عِياناً » .

وبالذى قلنا فى معنى النادى قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) يقول : فليدع ناصره .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال : الملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن أبى الهُذَيل : الزبانية أرجلهم فى الأرض ، ورءوسهم فى السماء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْ فَعَلَ أبُو جَهْلٍ لأَخَذَتْهُ الزَّبانِيَةُ المَلائِكَةُ عِياناً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ) قال : الملائكة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الزبانية ، قال : الملائكة .

وقوله (كَلاَّ) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر كما يقول أبو جهل ، إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه ، والصلاة له (لاتُطِعْهُ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتُطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك (وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ) منه ، بالتحبب إليه بطاعته ، فإن أبا جهل لن يقدر على ضرّك ، ونحن نمنعك منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) ذُكر لنا أنها نزلت فى أبى جهل ، قال : لئن رأيتُ محمدا يصلى لأطأنّ عنقه ، فأنزل الله (كَلاَّ لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه الذى قال أبو جهل ، قال : لو فعل لاختطفته الزبانية .

آخر تفسير سورة اقرأ باسم ربك ، والحمد لله وحده

تفسير سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القَدْر ، وهى ليلة الحُكْم التى يقضى الله فيها قضاء السنة ، وهو مصدر من قولهم : قَدَرَ الله علىّ هذا الأمرْ ، فهو يَقْدُرُ قَدْرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : « نزل القرآن كله جملة واحدة فى ليلة القدر فى رمضان إلى السماء الدنيا ، فكان الله إذا أراد أن يُحدث فى الأرض شيئا أنزله منه حتى جمعه » .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه ، فهو قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .

قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عِكرِمة ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه ، وزاد فيه . وكان بين أوّله وآخره عشرون سنة .

قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابىّ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان التيمىّ ، قال : ثنا عمران أبو العوّام ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، أنه قال فى قول الله : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : نزل أوّلُ القرآن فى ليلة القدر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حُصَين ، عن حكيم بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن فى ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم فُرِّق فى السنين ، وتلا ابن عباس هذه الآية : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) قال : نزل متفرّقا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن الشعبىّ ، فى قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، أنزل القرآن جملة واحدة ، ثم أنزل ربنا فى ليلة القدر (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إنَّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا ، فكان بموقع النجوم ، فكان الله ينزله على رسوله ، بعضه فى إثر بعض ، ثم قرأ (وَقَالُوا : لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ، كَذلكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ليلة القدر : ليلة الحكم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنَّا أنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : ليلة الحُكْم .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محمد بن سُوقَة ، عن سعيد بن جُبير : يؤذن للحجاج فى ليلة القدر ، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فلا يغادر منهم أحد ، ولا يُزاد فيهم ، ولا ينقص منهم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : رأيت ليلة القدر فى كلّ رمضان هى ؟ قال : نعم ، والله الذى لاإله إلا هو إنها لفى كلّ رمضان ، وإنها لليلة القدر ، فيها يُفرق كلّ أمر حكيم ، فيها يقضى الله كلّ أجل وعمل ورزق ، إلى مثلها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عمر ، قال : ليلة القدر فى كلّ رمضان .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ) يقول : وما أشعرك يا محمد أىّ شىء ليلة القدر خير من ألف شهر .

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : العمل فى ليلة القدر بما يرضى الله ، خير من العمل فى غيرها ألفَ شهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : بلغنى عن مجاهد (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ) قال : عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، قوله (خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ) قال : عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر .

وقال آخرون : معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَيْرٌ مِنْ ألْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكّام بن سلم ، عن المُثَنَّى بن الصَّبّاح ، عن مجاهد ،

قال : «كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يُمسِى ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل» .

وقال آخرون : فى ذلك ماحدثنى أبو الخطاب الجارودىّ سُهيل ، قال : ثنا سَلْم بن قُتيبة ، قال : ثنا القاسم بن الفضل ، عن عيسى بن مازن ، قال : قلت للحسن بن علىّ رضى الله عنه : يا مسوّد وجوه المؤمنين ، عمدت إلى هذا الرجل ، فبايعت له ، يعنى معاوية بن أبى سفيان ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِى فى منامه بنى أميّة يَعْلُون منبره خليفة خليفة ، فشقّ ذلك عليه ، فأنزل الله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) و (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) يعنى مُلْكَ بنى أمية ؛ قال القاسم : فحسبنا مُلْكَ بنى أمية ، فإذا هو ألف شهر .

❁ وأشبه الأقوال فى ذلك بظاهر التنزيل قول من قال : عمل فى ليلة القَدْر خير من عمل ألف شهر ، ليس فيها ليلة القَدْر . وأما الأقوال الأخر ، فدعاوَى معانٍ باطلة ، لادلالة عليها من خبر ولا عقل ، ولا هى موجودة فى التنزيل .

وقوله (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تنزل الملائكة وجبريل معهم ، وهو الروح ، فى ليلة القدر (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) يعنى بإذن ربهم ، من كلّ أمر قضاه الله فى تلك السنة ، من رزق وأجل وغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قال : يُقْضى فيها ما يكون فى السنة إلى مثلها ، فعلى هذا القول منتهى الخبر ، وموضع الوقف من كلّ أمر .

وقال آخرون : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) لايلْقَون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن يحيى بن زياد الفرّاء ، قال : ثنى أبو بكر بن عياش ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ (مِنْ كُلِّ امْرِئٍ سَلَامٌ) وهذه القراءة من قرأ بها وجّه معنى مِن كلّ امرئ : من كلّ مَلَك ؛ كأنّ معناه عنده : تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ مَلَك يُسلّم على المؤمنين والمؤمنات ، ولا أرى القراءة بها جائزة ، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها ، وأنها خلاف لما فى مصاحف المسلمين ، وذلك أنه ليس فى مصحف من مصاحف المسلمين فى قوله « أمر » ياء ، وإذا قُرِئت : (مِنْ كُلِّ امْرِئٍ) لحقتها همزة ، تصير فى الخطّ ياء .

والصواب من القول فى ذلك : القول الأوّل الذى ذكرناه قبل ، على ما تأوّله قتادة .

وقوله (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) سلام ليلة القدر من الشرّ كله من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَلامٌ هِيَ) قال : خير (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ) أى هى خير كلها إلى مطلع الفجر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد (سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) قال : من كلّ أمرٍ سلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (سَلامٌ هِيَ) قال : ليس فيها شىء ، هى خير كلها (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا عبد الحميد الحمّانىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبى لَيْلَى ، فى قوله (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ) قال : لا يحدث فيها أمر .

وعُنِى بقوله (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) : إلى مطلع الفجر .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار ، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائىّ (مَطْلَعِ الْفَجْرِ) بفتح اللام ، بمعنى : حتى طلوع الفجر ؛ تقول العرب : طلعت الشمس طلوعا ومَطْلَعا ، وقرأ ذلك يحيى بن وثاب والأعمش والكسائى (حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ) بكسر اللام ، توجيها منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر ، وهم ينوون بذلك المصدر .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : فتح اللام لصحة معناه فى العربية ، وذلك أن المطلَع بالفتح هو الطلوع ، والمطلِع بالكسر : هو الموضع الذى تَطْلُع منه ، ولا معنى للموضع الذى تطلع منه فى هذا الموضع .

آخر تفسير سورة القدر

تفسير سورة لم يكن

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ونقدست أسماؤه

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤)

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا منْ أهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل ، والمشركون من عَبَدة الأوثان (منفكين) يقول : منتهين ، حتى يأتيهم هذا القرآن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (مُنْفَكِّينَ) قال : لم يكونوا لينتهوا حتى يتبين لهم الحقّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مُنْفَكِّينَ) قال : منتهين عما هم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) : اى هذا القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله (وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ) قال : لم يكونوا منتهين حتى يأتيهم ذلك المنفكّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن أهل الكتاب وهم المشركون ، لم يكونوا تاركين صفة محمد فى كتابهم ، حتى بُعث ، فلما بُعث تفرّقوا فيه .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : معنى ذلك : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين فى أمر محمد ، حتى تأتيهم البيِّنة ، وهى إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه ، رسول من الله . وقوله (مُنْفَكِّينَ) فى هذا الموضع عندى من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر ، ولذلك صَلُح بغير خبر ، ولو كان بمعنى ما زال ، احتاج إلى خبر يكون تماما له ، واستؤنف قوله (رَسُولٌ مِنَ اللهِ) وهى نكرة على

البيِّنة ، وهى معرفة ، كما قيل (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ، فَعَّالٌ) فقال : حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله ، ببعثة الله إياه إليهم ، ثم ترجم عن البيِّنة ، فقال : تلك البينة (رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) يقول : يقرأ صحفا مطهرة من الباطل (فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) يقول : فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمه عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ، لأنها من عند الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء .

وقوله (وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) يقول : وما تفرّق اليهود والنصارى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، فكذّبوا به ، إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، يعنى : من بعد ماجاءت هؤلاء اليهود والنصارى (البينةُ) : يعنى : بيان أمر محمد ، أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه ؛ يقول : فلما بعثه الله تفرّقوا فيه ، فكذّب به بعضهم ، وآمن بعضهم ، وقد كانوا قبل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبىّ .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)

يقول تعالى ذكره : وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين : يقول : مفردين له الطاعة ، لايخلطون طاعتهم ربهم بشرك ، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عُزَيرا ابن الله ، والنصارى بقولهم فى المسيح مثل ذلك ، وجحودهم نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (حُنَفاءَ) قد مضى بياننا فى معنى الحنيفية قبلُ ، بشواهده المُغنية عن إعادتها ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر قبل من الأخبار فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ) يقول : حجاجا مسلمين غير مشركين ، يقول : (وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ) ويَحُجُّوا (وذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ) والحنيفية : الختان ، وتحريم الأمهات والبنات ، والأخوات والعمات . والخالات والمناسك .

وقوله (وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ) يقول : وليقيموا الصلاة ، وليؤتوا الزكاة .

وقوله (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) يعنى أن هذا الذى ذكر أنه أمر به هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، هو الدين القيِّمة ، ويعنى بالقيِّمة : المستقيمة العادلة ، وأضيف الدين إلى القيِّمة ، والدين هو القَيِّم ، وهو من نعته لاختلاف لفظيهما . وهى فى قراءة عبد الله فيما أرى فيما ذُكر لنا : « وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمَةِ) وأُنِّثت القيِّمة ، لأنها جعلت صفة للملة ، كأنه قيل : وذلك الملة القيِّمة ، دون اليهودية والنصرانية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) هو الدين الذى بعث الله به رسوله ، وشرع لنفسه ، ورضى به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُتُبٌ قَيِّمَةٌ — وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) قال : هو واحد قيِّمة : مستقيمة معتدلة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فجحدوا نبوّته ، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم (فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ماكثين ، لابثين فيها (أَبَدًا) لايخرجون منها ، ولا يموتون فيها (أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، هم شرّ من بَرَأَه الله وخلقه ، والعرب لاتهمز البرية ، وبترك الهمز فيها قَرَأَتها قرّاء الأمصار ، غير شىء يُذكر عن نافع بن أبى نعيم ، فإنه حكى بعضهم عنه أنه كان يهمزها ، وذهب بها إلى قول الله (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) وأنها فعيلة من ذلك . وأما الذين لم يهمزوها ، فإن لتركهم الهمز فى ذلك وجهين : أحدهما أن يكونوا تركوا الهمز فيها ، كما تركوه من المَلَك ، وهو مفعل من ألك أو لأك ، ومن يرى ، وترى ، ونرى ، وهو يفعل من رأيت . والآخر : أن يكونوا وجّهوها إلى أنها فعيلة من البَرَى وهو التراب . حُكى عن العرب سماعا : بفيك البَرَى ، يعنى به : التراب .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) يقول : تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، وأقاموا الصلاة ، وآتوُا الزكاة ، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) يقول : من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، عن أبى الجارود ، عن محمد بن على (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ يا عَلِىُّ وَشِيعَتُكَ » .

القول فى تأويل قوله تعالى

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ، رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ، ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ (٨)

يقول تعالى ذكره : ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة (جَنَّاتُ عَدْنٍ) : يعنى بساتين إقامة لاظعن فيها ، تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) يقول : ماكثين فيها أبدا ، لايخرجون عنها ، ولا يموتون فيها (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بما أطاعوه فى الدنيا ، وعملوا لخلاصهم من عقابه فى ذلك (وَرَضُوا عَنْهُ) بما أعطاهم من الثواب يومئذ ، على طاعتهم ربهم فى الدنيا ، وجزاهم عليها من الكرامة .

وقوله (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) يقول تعالى ذكره : هذا الخير الذى وصفته ، ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة ، لمن خشى ربه : يقول : لمن خاف الله فى الدنيا فى سرّه وعلانيته ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، وبالله التوفيق

آخر تفسير سورة لم يكن

تفسير سورة إذا زلزلت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨) .

يقول تعالى ذكره : (إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ) لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) فرُجَّت رجًّا ، والزِّلزال : مصدر إذا كسرت الزاى ، وإذا فتحت كان اسما ، وأضيف الزلزال إلى الأرض وهو صفتها ، كما يقال : لأكرمنك كرامتك ، بمعنى : لأكرمنك كرامة ، وحَسُنَ ذلك فى زلزالها ، لموافقتها رءوس الآيات التى بعدها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد، قال : (زُلْزِلَتِ الأَرْضُ) على عهد عبد الله ، فقال لها عبدُ الله : مالك ؟ أما إنها لو تكلَّمت قامت الساعة .

وقوله (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) يقول: وأخرجت الأرض ما فى بطنها من الموتى أحياء ، والميت فى بطن الأرض ثقل لها ، وهو فوق ظهرها حيا ثقل عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سِنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) قال : الموتى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) قال : يعنى الموتى .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) من فى القبور .

وقوله (وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟) يقول تعالى ذكره: وقال الناس : إذا زُلزلت الأرض لقيام الساعة : ما للأرض وما قصتها (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) .

كان ابن عباس يقول فى ذلك ما حدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس، (وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا ؟) قال الكافر (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) يقول : يومئذ تحدّث الأرض أخبارها، وتحديثها أخبارها، على القول الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود، أن تتكلم فتقول : إن الله أمرنى بهذا ، وأوحى إلىّ به ، وأذن لى فيه .

وأما سعيد بن جُبير ، فإنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا به أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ابن عبد الملك ، قال : سمعت سعيد بن جُبير يقرأ فى المغرب مرّة (يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا) ومرة (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ، فكأنّ معنى تحدّث كان عند سعيد: تُنَبِّئُ ، وتنبيئها أخبارَها : إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها . وهذا القول قول عندى صحيح المعنى ، وتأويل الكلام على هذا المعنى : يومئذ تبيّن الأرض أخبارها بالزلزلة والرَّجّة ، وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها، بوحى الله إليها، وإذنه لها بذلك ، وذلك معنى قوله (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) قال : أمرها ، فألقت ما فيها وتخلّت .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بأنَّ رَبَّكَ أوْحَى لَهَا) قال : أمرها .

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك (يَوْمَئِذٍ تُنْبِئُ أخْبارَها) وقيل : معنى ذلك أن الأرض تحدّث أخبارها مَنْ كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي ، وما عملوا عليها من خير أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها) قال : ما عمل عليها من خير أو شرّ ، بأن ربك أوحى لها ، قال : أعلمها ذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها) قال : ما كان فيها ، وعلى ظهرها من أعمال العباد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبارَها) قال : تخبر الناس بما عملوا عليها .

وقيل : عُنِي بقوله (أوْحَى لَهَا) : أوحى إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (أوْحَى لَهَا) قال : أوحى إليها .

وقوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أشْتاتا) قيل : إن معنى هذه الكلمة التأخير بعد (لِيُرَوْا أعْمالَهُمْ) قالوا ووجه الكلام : يومئذ تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها ، لِيُرَوا أعمالهم ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا . قالوا : ولكنه اعترض بين ذلك بهذه الكلمة . ومعنى قوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أشْتاتا) عن موقف الحساب فِرَقا متفرّقين ، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وآخذ ذات الشمال إلى النار .

وقوله (لِيُرَوْا أعْمالَهُمْ) يقول : يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرّقين ،عن اليمين وعن الشمال ، لِيُرَوا أعمالهم ، فيرى المحسن في الدنيا ، المطيع لله عمله وما أعدّ الله له يومئذ من الكرامة ، على طاعته إياه كانت في الدنيا ، ويرى المسيء العاصي لله عمله ، وجزاء عمله ، وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم ، على معصيته إياه كانت في الدنيا ، وكفره به .

وقوله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) يقول : فمن عمل في الدنيا وزن ذرّة من خير ، يرى ثوابه هنالك (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) يقول : ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرّة من شرّ يرى جزاءه هنالك ، وقيل : ومَنْ يعمل ،والخبر عنها في الآخرة ، لفهم السامع معنى ذلك ،لما قد تقدّم من الدليل قبلُ ، على أن معناه : فمن عمل ذلك دلالة قوله (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أشْتاتا لِيُرَوْا أعْمالَهُمْ) على ذلك ، ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين ، وكان في قوله (يَعْمَلْ) حثّ لأهل الدنيا ء

العمل بطاعة الله ، والزجر عن معاصيه ، مع الذى ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك ، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضى فعله ، وما لهم على ذلك ، أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل .

وبنحو الذى قلنا من أن جميعهم يرون أعمالهم ، قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) قال : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا ولا شرّا فى الدنيا ، إلا آتاه الله إياه . فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته ، فيغفر الله له سيئاته . وأما الكافر فيردّ حسناته ، ويعذّبه بسيئاته . وقيل فى ذلك غير هذا القول ، فقال بعضهم : أما المؤمن ، فيعجل له عقوبة سيئاته فى الدنيا ، ويؤخّر له ثواب حسناته ، والكافر يعجّل له ثواب حسناته ، ويؤخر له عقوبة سيئاته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنيه محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن قتادة ، قال : سمعت محمد بن كعب القُرَظِىّ ، وهو يفسّر هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) قال : من يعمل مثقال ذرّة من خير ، مِنْ كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وأهله وماله وولده ، حتى يخرج من الدنيا ، وليس له عنده خير (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) مِنْ مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وأهله وماله وولده ، حتى يخرج من الدنيا وليس عنده شىء .

حدثنى محمود بن خِداش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطى ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : سألت محمد بن كعب القُرَظِىّ ، عن هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قال : من يعمل مثقال ذرّة من خير من كافر ، ير ثوابها فى نفسه وأهله وماله ، حتى يخرج من الدنيا وليس له خير ؛ ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مؤمن ، ير عقوبتها فى نفسه وأهله وماله ، حتى يخرج وليس له شرّ .

حدثنى أبو الخطاب الحسّانى ، قال : ثنا الهيثم بن الربيع ، قال : ثنا سماك بن عطية ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس ، قال : « كان أبو بكر رضى الله عنه يأكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فرفع أبو بكر يده من الطعام ، وقال : يا رسول الله ، إنى أُجزَى بما عملت من مثقال ذرّة من شرّ ، فقال : يا أبا بَكْرٍ ، ما رأيْتَ فِى الدنْيا مِمَّا تَكْرَهُ فَمَثاقِيلُ ذَرِّ الشَّرِّ ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللهُ مَثاقِيلَ الخَيْرِ حَتى تَرَفَّاهُ يَوْمَ القِيامَةِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أيوب ، قال : وجدنا فى كتاب أبى قِلابة ، عن أبى إدريس : « أن أبا بكر كان يأكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزلت هذه الآية (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فرفع أبو بكر يده من الطعام ، وقال : إنى لراء ما عملت ، قال :

لاأعلمه إلا قال : ما عملت من خير وشرّ ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنّ ما تَرَى مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مَثاقِيلُ ذَرِّ شَرٍّ كَثِيرٍ ، وَيَدَّخِرُ اللهُ لَكَ مَثاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ حَتى تُعْطاهُ يَوْمَ القِيامَةِ » وتصديق ذلك فى كتاب الله (وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أيوب ، قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة قال « نزلت (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) وأبو بكر يأكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأمسك وقال : يا رسول الله ، إنى لراء ما عملتُ من خير وشرّ ؟ فقال : أرأيْتَ ما رأيْتَ مِمَّا تَكْرَهُ ، فَهُوَ مِنْ مَثاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ ، وَيَدَّخِرُ مَثاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ ، حَتى تُعْطَوْهُ يَوْمَ القِيامَةِ » قال أبو إدريس : فأرَى مصداقها فى كتاب الله ، قال : (وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن الشعبىّ ، قال : « قالت عائشة : يا رسول الله ، إن عبد الله بن جُدْعان كان يصل الرحم ، ويفعل ويفعل ، هل ذاك نافعه ؟ قال : لا ، إنه لم يقل يوما : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ، ويُطعِم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : لايَنْفَعُهُ ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْما : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر الشعبىّ ، أن عائشة أمّ المؤمنين قالت « يا رسول الله ، إن عبد الله بن جُدْعان ، كان يصل الرحم ، ويَقْرِى الضيف ، ويفُكّ العانى ، فهل ذلك نافعه شيئا ؟ قال : لا ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْما : (رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، عن علقمة ، أن سلمة بن يزيد الجُعْفىّ ، قال : « يا رسول الله ، إن أمّنا هلكت فى الجاهلية ، كانت تصِل الرحم ، وتَقْرِى الضيف ، وتفعل وتفعل ، فهل ذلك نافعُها شيئا ؟ قال : لا » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، عن علقمة بن قيس ، عن سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : « ذهبت أنا وأخى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إن أمّنا كانت فى الجاهلية تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، هل ينفعها عملها ذلك شيئا ؟ قال : لا » .

حدثنى محمد بن إبراهيم بن صَدْران وابن عبد الأعلى ، قالا : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن الشعبىّ ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن محمد بن كعب ، أنه قال : أما المؤمن فيرى حسناته فى الآخرة ، وأما الكافر فيرى حسناته فى الدنيا .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا أبو نعامة ، قال : ثنا عبد العزيز بن بشير الضبى جدّه سلمان بن عامر « أن سلمان بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أبى كان يصل الرحم ، وبنى بالذمة ، ويُكرم الضيف ، قال : ماتَ قَبْلَ الإسْلامِ ؟ قال : نعم ، قال : لَنْ يَنْفَعَهُ ذَلكَ ، فوَلّى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَلَىَّ بالشَّيْخِ ، فجاءَ فَقَالَ رَسُول اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم : إنَّها لَنْ تَنْفَعُهُ ، وَلَكِنَّها تَكُونُ فِى عَقِبِهِ ، فَلَنْ تَخْزَوْا أبَدًا ، وَلَنْ تَذِلُّوا أبَدًا ، وَلَنْ تَفْتَقِرُوا أبَدًا » .

حدثنا ابن المثنى وابن بشار ، قالا : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ المُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثابُ عَلَيْها الرِّزْقَ فِى الدُّنْيا ، وَيُجْزَى بِها فِى الآخِرَةِ ، وأمَّا الكافِرُ فَيُعْطِيهِ بِها فِى الدُّنْيا ، فإذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ليث ، قال : ثنى المعلّى ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ مِنْ مُؤْمِنٍ أوْ كافِرٍ إلاَّ وَقَعَ ثَوَابُهُ عَلَى اللهِ فِى عاجِلِ دُنْياهُ ، أوْ آجِلِ آخِرَتِهِ » .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يحيى بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : « أنزلت : (إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا) وأبو بكر الصدّيق قاعد ، فبكى حين أُنزلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكَ يا أبا بَكْرٍ ؟ قال : يُبكينى هذه السورة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوْلا أنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، لَخَلَقَ اللهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » ، فهذه الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تُنبئ عن أن المؤمن إنما يَرَى عقوبة سيئاته فى الدنيا ، وثواب حسناته فى الآخرة ، وأن الكافر يرى ثواب حسناته فى الدنيا ، وعقوبة سيئاته فى الآخرة ، وأن الكافر لا ينفعه فى الآخرة ما سلف له من إحسان فى الدنيا مع كُفره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن علىّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمىّ ، قال : أدركت سبعين من أصحاب عبد الله ، أصغرهم الحارث بن سُوَيد ، فسمعته يقرأ (إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا) حتى بلغ إلى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه) قال : إن هذا إحصاء شديد . وقيل : إن الذَّرَّةَ دُودة حمراء ليس لها وزن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن سنان القزّاز ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) قال ابن سنان فى حديثه : مثقال ذرّة حمراء . وقال

ابن وهب فى حديثه : نملة حمراء . قال إسحاق ، قال يزيد بن هارون ، وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن .

آخر تفسير سورة إذا زلزلت الأرض

تفسير سورة والعاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا (٢) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٥) إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) .

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) فقال بعضهم : عُنِى بالعاديات ضَبْحا : الخيل التى تعدوها ، وهى تحمحم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) قال : الخيل ، وزعم غير ابن عباس أنها الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) قال ابن عباس : هو فى القتال .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله (وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) قال الخيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرمة ، عن قوله : (وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا) قال : ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يَضْبَح .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : ليس شىء من الدوابّ يضبح غير الكلب والفرس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : الخيل تَضْبَح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل ، عَدَتْ حتى ضَبَحَتْ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل تعدو حتى تَضْبَح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة مثل حديث بشر ، عن يزيد ؛

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سعيد ، قال : سمعت سالما يقرأ (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل عدت ضبحا .

قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : الخيل .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان بن عيينة عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : ما ضبحت دابة قطّ إلا كلب أو فرس .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الخيل .

حدثني سعيد بن الربيع الرازيّ ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : هي الخيل .

وقال آخرون : هي الإبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الإبل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

حدثني عيسى بن عثمان الرمليّ ، قال : ثني عمي يحيى بن عيسى الرمليّ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (وَالْعادِياتِ ضَبْحا) قال : هي الإبل إذا ضبحت تنفّست .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن أبي معاوية البَجَليّ ، عن سعيد ابن جُبَير ، عن ابن عباس ، حدثه قال : بينما أنا في الحِجْر جالس ، أتاني رجل يسأل عن (الْعادِياتِ ضَبْحا) فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوي إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم ، فانفتل عني ، فذهب إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم ، فسأله عن (الْعادِياتِ ضَبْحا) فقال : سألت عنها أحدا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت عنها ابن عباس ، فقال : الخيل حين تغير

فى سبيل الله، قال : اذهب فادعه لى ؛ فلما وقفت على رأسه قال : تُفْتِى الناس بما لاعلم لك به ، والله لكانت أوّل غزوة فى الإسلام لبدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فَرَس للزُّبَير ، وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحا ، إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ، ورجعت إلى الذى قال علىّ رضى الله عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، فى قول الله: (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : قال ابن مسعود : هو فى الحجّ .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : هى الإبل ، يعنى (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً) قال : قال ابن مسعود : هى الإبل .

وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عنى بالعاديات : الخيل ، وذلك أن الإبل لاتضْبَح ، وإنما تضبح الخيل ، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضَبْحا ، والضَّبْح : هو ما قد ذكرنا قبل .

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : الضبح من الخيل : الحَمْحَمة ، ومن الإبل : النفس .

قال : ثنا سفيان ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء ، قال : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أَحْ أَحْ .

و قوله (فالمُورِيات قَدْحاً) اختلف أهل التأويل ، فى ذلك ، فقال بعضهم : هى الخيل تُورِى النارَ بحوافرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عِكرِمة ، عن قوله (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : أَوْرَتْ وقَدَحَتْ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هى الخيل ؛ وقال الكلبىّ : تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : أورت النار بحوافرها .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فالمُورِياتِ قَدْحاً) تُورى الحجارةَ بحوافرها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن الخيل هيجنّ الحرب بين أصحابهنّ ورُكبانهنّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هيجنّ الحرب بينهم وبين عدوّهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هيجن الحرب بينهم وبين عدوّهم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : الذين يُورون النار بعد انصرافهم من الحرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجَلِىّ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : سألنى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن (العادِياتِ ضَبْحاً ، فالمُورِياتِ قَدْحاً) فقلت له : الخيل تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مكر الرجال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : المكر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : مكر الرجال

وقال آخرون : هى الألسنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن سِماك بن حرب ، عن عكرِمة قال : يُقال فى هذه الآية (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هى الألسنة .

وقال آخرون : هى الإبل حين تسير تَنْسِف بمناسمها الحصى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : (فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : إذا نَسَفت الحصى بمناسمها ، فضربَ الحصَى بعضُه بعضا ، فيخرج منه النار .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التى تورى النيران قدحا ، فالخيل تُورى بحوافرها ، والناس يورونها بالزَّند ، واللسان مثلا يورى بالمنطق ، والرجال يورون بالمكر مثلا ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها : إذا التقت فى الحرب ، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضٌ دون بعض فكلّ ، ما أوْرت النارَ قدْحا ، فداخلة فيما أقسم به ، لعموم ذلك بالظاهر .

وقوله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : فالمغيرات صبحا على عدوّها علانية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البَجَلىّ ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : سألنى رجل عن المغيرات صبحا ، فقال : الخيل تغير فى سبيل الله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : سألت عكرِمة ، عن قوله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغارت على العدوّ صبحا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : هى الخيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : هى الخيل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغار القومُ بعدما أصبحوا على عدوّهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغارت حين أصبحت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) قال : أغار القوم حين أصبحوا .

وقال آخرون : عُنِى بذلك الإبل حين تدفع بركبانها من « جَمْعٍ » يوم النحر إلى « مِنًى » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فالمُغِيرَاتِ صُبْحاً) حين يفيضون من جمع .

قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالمُغيرات صبحا ، ولم يخصُصْ من ذلك مغيرة دون مغيرة ، فكلّ مغيرة صُبحا ، فداخلة فيما أقسم به ، وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها ، ويقول : إنما هو قسم أقسم الله به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالْعادِياتِ ضَبْحاً فالمُورِياتِ قَدْحاً) قال : هذا قسم أقسم الله به .

وفى قوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : كلّ هذا قسم ، قال : ولم يكن أبى ينظر فيه إذا سُئل عنه ، ولا يذكره ، يريد به القسم .

وقوله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) يقول تعالى ذكره : فرفعن بالوادى غُبارا ، والنقْع : الغبار ، ويقال : إنه التراب ، والهاء فى قوله « به » كناية اسم الموضع ، وكنى عنه ، ولم يجر له ذكر ، لأنه معلوم أن الغبار لا يثار إلا من موضع ، فاستغنى بفهم السامعين بمعناه من ذكره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : الخيل .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء وابن زيد ، قال : النقع : الغبار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : هى أثارت الغبار ، يعنى الخيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : أثارت التراب بحوافرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : أثرن بحوافرها نقعَ التراب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : أثرن به غبارا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البَجَلى ، عن سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس قال : قال لى علىّ : إنما العاديات ضَبْحا من عرفةَ إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى مِنًى (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) : الأرض حين تطؤها بأخفافها وحوافرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) قال : إذا سِرْن يُثِرن التراب .

وقوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) يقول تعالى ذكره : فوسَطْن بركبانهنّ جمع القوم ، يقال : وسطت القوم بالتخفيف ، ووسَّطته بالتشديد ، وتوسَّطته : بمعنى واحد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا أبو رجاء ، قال : سُئل عكرِمة ، عن قوله : (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) قال : جمع الكفار .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرِمة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) قال جمع القوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) قال : هو جمع القوم .

حدثنا أبو كُرَيب، قال : ثنا وكيع ، عن واصل ، عن عطاء (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : جمع العدوّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : جمع هؤلاء وهؤلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) فوسطن جمع القوم .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) فوسطن بالقوم جمعَ العدوّ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) قال : وسطن جمع القوم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) الجمع : الكتيبة .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك (فَوَسَطْنَ بِهِ) مزدلفة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) يعنى : مزدلفة .

وقوله (إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) يقول : إن الإنسان لكفور لنِعم ربه . والأرض الكنود : التى لا تُنبت شيئا ؛ قال الأعشى :

أَحْدَثْ لَهَا نُحْدَثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا كَنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ المُعْتَادِ [1]

وقيل : إنما سُمِّيت كِندة : لقطعها أباها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِىّ ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لربه لكفور .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٩) قال : « إن الإنسان لربه لكنود » : لكفود . وكذلك الأرض الكنود التى لا تنبت شيئا . قال الأعشى : « أحدث لها . . . البيت » . وفى (اللسان : كند) : كند يكند كنودا : كفر النعمة . ورجل كناد (كشداد) وكنود . وقوله تعالى : « إن الإنسان لربه لكنود » : قيل هو : الجحود ، وهو أحسن . وقيل : هو الذى يأكل وحده ، ويمنع رفده ، ويضرب عبده . قال ابن سيده فى التعليق على هذا الأخير : ولا أعرف له فى اللغة أصلا ، ولا يسوغ أيضا مع قوله « لربه » . وقيل : لكنود : لكفور بالنعمة . وقال الحسن : لوام لربه : يعد المصيبات ، وينسى النعم . وقال الزجاج : لكفود . يعنى بذلك الكافر . اهـ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مهديّ بن ميمون ، عن شعيب بن الحَبْحاب ، عن الحسن البصريّ : (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : هو الكفور الذي يَعُدّ المصائب ، وينسى نِعَم ربه .

حدثنا وكيع ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، قال : الكنود : الكفور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، قال : قال الحسن : (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) يقول : لوّام لربه يعدّ المصائب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال لكفور

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا خالد بن الحارث ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك أنه قال : إنما سُمّيت كِندة : أنها قَطَعت أباها (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لكفور .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزُّبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قالَ : لَكَفُورٌ ، الَّذِي يأكُلُ وَحْدَهُ ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : الكنود : الكفور ، وقرأ (إنَّ الإنْسانَ لَكَفُورٌ) .

حدثنا الحسن بن عليّ بن عياش ، قال : ثنا أبو المُغيرة عبد القدّوس ، قال : ثنا حريز بن عثمان ، قال : ثني حمزة بن هانئ ، عن أبي أُمامة أنه كان يقول : الكَنُود : الذي ينزل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده .

حدثني محمد بن إسماعيل الصوارِيّ ، قال : ثنا محمد بن سوّار ، قال : أخبرنا أبو اليقظان ، عن سفيان عن هشام ، عن الحسن ، في قوله (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) قال : لوّام لربه ، يعدّ المصائب ، وينسى النِّعَم .

وقوله (وَإنَّهُ عَلَى ذلكَ لَشَهِيدٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله على كنوده رَبَّه لشهيد : يعني لشاهد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (وَإنَّهُ عَلَى ذَلكَ لَشَهِيدٌ) قال : يقول : إن الله على ذلك لشهيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) فى بعض القراءات (إِنَّ اللهَ عَلَى ذلكَ لَشَهِيدٌ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) يقول : وإن الله عليه شهيد .

وقوله (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) يقول تعالى ذكره : وإن الإنسان لحبّ المال لشديد .

واختلف أهل العربية فى وجه وصفه بالشدّة لحبّ المال ، فقال بعض البصريين : معنى ذلك : وإنه من أجل حبّ الخير لشديد : أى لبخيل ؛ قال : يقال للبخيل : شديد ومتشدّد . واستشهدوا لقوله ذلك ببيت طَرَفة بن العبد البكرى :

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ النُّفُوسَ وَيَصْطَفِى عَقِيلَةَ مالِ الباخِلِ المُتَشَدِّدِ [1]

وقال آخرون : معناه : وإنه لحبّ الخير لقوىّ .

وقال بعض نحوىّ الكوفة : كان موضع (لِحُبِّ) أن يكون بعد شديد ، وأن يضاف شديد إليه ، فيكون الكلام : وإنه لشديد حُبِّ الخير ؛ فلما تقدّم الحبّ فى الكلام ، قيل : شديد ، وحذف من آخره ، لما جرى ذكره فى أوّله ولرءوس الآيات ؛ قال : ومثله فى سورة إبراهيم (كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ) والعَصوف لايكون لليوم ، إنما يكون للريح ؛ فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره ، كأنه قال : فى يوم عاصف الريح ، والله أعلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) قال : الخير الدنيا ، وقرأ (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّةُ) قال : فقلت له : إن ترك خيرا : المال ؟ قال : نعم ، وأىّ شىء هو إلا المال ؟ قال : وعسى أن يكون حراما ، ولكن الناس يعدّونه خيرا ، فسماه الله خيرا ، لأن الناس يسمونه خيرا فى الدنيا ، وعسى أن يكون خبيثا ، وسُمّى القتال فى سبيل الله سُوءا ، وقرأ قول الله : (فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) قال : لم يمسسهم قتال ؛ قال : وليس هو عند الله بسوء ، ولكن يسمونه سوءا .

وتأويل الكلام : إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه لحبّ الخير لشديد ، وإن الله على ذلك من أمره لشاهد . ولكن قوله (وَإِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ) قدّم ، ومعناه التأخير ، فجعل معترضا بين قوله (إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) ، وبين قوله : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكرى (مختار الشعر الجاهلى ٣١٨) فى معلقته . وفيه : « يعتام الكرام » . قال شارحه : يعتام : يختار . والعقيلة : الخيار من كل شىء . والفاحش : البخيل الحريص . يقول : أرى الموت يختار كرام الناس ، وصفوة مال البخلاء ، أى أنه يأخذ النفيس الذى يضن به ، كما يأخذ الحقير ، فلا يترك شيئا . اهـ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١٨٩) « وإنه لحب الخير لشديد » : وإنه من أجل حب الخير لشديد : لبخيل ، يقال للبخيل : شديد ومتشدد : قال طرفة « أرى الموت يعتام النفوس... البيت » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (إنَّ الإنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وإنَّهُ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ) قال : هذا فى مقاديم الكلام ، قال : يقول : إن الله لشهيد أن الإنسان لحبّ الخير لشديد .

وقوله (أفَلا يَعْلَمُ إذَا بُعْثِرَ ما فِي القُبُورِ) يقول : أفلا يعلم هذا الإنسان الذى هذه صفته ، إذا أثير ما فى القبور ، وأُخرج ما فيها من الموتى وبُحث .

وذُكر أنها فى مصحف عبد الله : إذا بُحث ما فى القبور ، وكذلك تأوّل ذلك أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (بُعْثِرَ ما فِي القُبُورِ) بُحث . وللعرب فى (بُعْثِرَ) لغتان : تقول : بُعْثِر ، وبُحْثِر ، ومعناهما واحد .

وقوله (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : ومُيِّز وبُيِّن ، فأبرز ما فى صدور الناس من خير وشرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : أُبرز .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ) يقول : مُيِّز .

وقوله (إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ) يقول : إن ربهم بأعمالهم ، وما أسرّوا فى صدورهم ، وأضمروه فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها ، عليم لا يخفى عليه منها شىء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ .

آخر تفسير سورة والعاديات

تفسير سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ ؟ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ؟ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) .

يقول تعالى ذكره (الْقَارِعَةُ) : الساعة التى يقرع قلوبَ الناس هولُها ، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صيحة لاليل بعدها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْقَارِعَةُ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله وحذّره عباده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْقَارِعَةُ ما الْقَارِعَةُ) قال : هى الساعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْقَارِعَةُ ما الْقَارِعَةُ ؟) قال : هى الساعة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : سمعت أن القارعة والواقعة والحاقة : القيامة .

وقوله (ما الْقَارِعَةُ) يقول تعالى ذكره معظّما شأن القيامة والساعة التى يقرع العبادَ هولُها ، أىّ شىء القارعة ، يعنى بذلك : أىّ شىء الساعة التى يقرع الخلقَ هولُها : أى ما أعظمها وأفظعها وأهولها .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما الْقَارِعَةُ ؟) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يامحمد أىّ شىء القارعة .

وقوله (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) يقول تعالى ذكره : القارعة يوم يكون الناس كالفَراش ، وهو الذى يتساقط فى النار والسراج ، ليس ببعوض ولا ذباب ، ويعنى بالمبثوث : المفرّق .

وكالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) هذا الفراش الذى رأيتم يتهافت فى النار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) قال : هذا شَبَّهَه شبهه الله . وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضا ، كذلك الناس يومئذ ، يجول بعضهم فى بعض .

وقوله (وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) يقول تعالى ذكره : ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش ؛ والعِهْن : هو الألوان من الصوف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَتَكُونُ الجِبالُ كالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) قال : الصوف المنفوش .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو الصوف . وذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهى فى صورة الجبال كالهباء .

وقوله (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) يقول : فأما من ثقُلَت موازين حسناته ، يعنى بالموازين : الوزن ، والعرب تقول : لك عندى درهم بميزان درهمك ، ووزن درهمك ، ويقولون : دارى بميزان دارك ووزن دارك ، يراد : حذاء دارك . قال الشاعر :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ عِنْدِى لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ [1]

يعنى بقوله : « لكلّ مخاصم ميزانه » : كلامه ، وما ينقض عليه حجته . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان ، إنما هو مثل ضرب .

حدثنا بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) يقول : فى عيشة قد رضيها فى الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) يعنى : فى الجنة .

وقوله (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) يقول : وأما من خفّ وزن حسناته ، فمأواه ومسكنه الهاوية ، التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) وهى النار هى مأواهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : مصيره إلى النار ، هى الهاوية . قال قتادة : هى كلمة عربية ، كان الرجل إذا وقع فى أمر شديد ، قال : هوت أمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى ، قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوِّحوا أخاكم ، فإنه كان فى غمّ الدنيا ؛ قال : ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول : مات ، أَوَ ما جاءكم ؟ فيقولون : ذهبوا به إلى أمّه الهاوية .

حدثنى إسماعيل بن سيف العجلىّ ، قال : ثنا علىّ بن مُسْهِر ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : يهوُون فى النار على رءوسهم .

---

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٧٤) قال : وقوله : « فأما من ثقلت موازينه » : وزنه . والعرب تقول : هل لك فى دينار بميزان درهمك ، ووزن درهمك ؟ ويقولون : دارى بميزان دارك ، ووزن دارك . وقال الشاعر : « قد كنت قبل . . . البيت » . يريد عندى وزن كلامه ونقضه . اهـ . و (فى اللسان : وزن) : الميزان : المقدار أنشد ثعلب : « قد كنت . . . البيت » .

حدثنا ابن سيف ، قال : ثنا محمد بن سَوَّار ، عن سعيد ، عن قتادة (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : يهوى فى النار على رأسه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) قال : الهاوية : النار هى أمُّه ومأواه التى يرجع إليها ، ويأوى إليها ، وقرأ (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) وهو مثلها ، وإنما جعل النار أمَّه ، لأنها صارت مأواه ، كما تؤوى المرأة ابنها ، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها ، بمنزلة أمّ له .

وقوله (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ؟) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أشعرك يامحمد ما الهاوية ، ثم بيَّن ما هى ، فقال : (هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ) ، يعنى بالحامية : التى قد حميت من الوقود عليها .

آخر تفسير سورة القارعة

تفسير سورة ألهاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) .

يقول تعالى ذكره : ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعما ينجيكم من سخطه عليكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) قال : كانوا يقولون : نحن أكثر من بنى فلان ، ونحن أعدّ من بنى فلان ، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) قالوا : نحن أكثر من بنى فلان ، وبنو فلان أكثر من بنى فلان ، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم كلام يدلّ على أن معناه التكاثر بالمال .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن هشام الدَّستَوائيّ ، عن قتادة ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه « أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) قال ابن آدم : ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُنَاني ، عن أنس بن مالك ، عن أُبَيّ بن كعب ، قال : كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن : « لو أن لابن آدم واديين من مال ، لتمنى واديا ثالثا ، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدم إلا التُّراب ، ثم يتوب الله على من تاب ، حتى نزلت هذه السورة (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) إلى آخرها » . وقوله صلى الله عليه وسلم بعقِب قراءته : « أَلْهَاكُمُ » : ليس لك من مالك إلا كذا وكذا ، ينبئ أن معنى ذلك عنده : ألهاكم التكاثر : المال .

وقوله (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يعني : حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها ، وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر ، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن حجاج ، عن المنهال ، عن زِرّ ، عن عليّ ، قال : كنا نشكّ في عذاب القبر ، حتى نزلت هذه الآية (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) . . . إلى (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) في عذاب القبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن زِرّ ، عن عليّ ، قال : نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) في عذاب القبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حَكَّام ، عن عمرو ، عن الحجاج ، عن المنهال بن عمرو ، عن زِرّ ، عن عليّ ، قال : « ما زلنا نشكّ في عذاب القبر ، حتى نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) » .

وقوله (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني تعالى ذكره بقوله كلا : ما هكذا ينبغي أن تفعلوا ، أن يُلْهِيكم التكاثر .

وقوله (سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول جلّ ثناؤه : سوف تعلمون إذا زرتم المقابر ، أيها الذين ألهاهم التكاثر ، غِبّ فعلكم ، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم .

وقوله (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول : ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال ، وكثرة العدد ، سوف تعلمون إذا زرتم المقابر ، ما تلقَوْن إذا أنتم زرتموها ، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم

بالتكاثر . وكرّر قوله (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) مرّتين ، لأن العرب إذا أرادت التغليظ فى التخويف والتهديد ، كرّروا الكلمة مرّتين .

ورُوى عن الضحاك فى ذلك : ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : الكفار (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : المؤمنون ، وكذلك كان يقرؤها .

وقوله (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) يقول تعالى ذكره : ما هكذا ينبغى أن تفعلوا ، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس ، لو تعلمون أيها الناس علما يقينا ، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم ، من قبوركم ، ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم ، ولسارعتم إلى عبادته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ورفض الدنيا إشفاقا على أنفسكم من عقوبته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) كان نحدّث أن علم اليقين ، أن يعلم أنّ الله باعثه بعد الموت .

وقوله (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء الأمصار (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بفتح التاء من (لَتَرَوُنَّ) فى الحرفين كليهما ، وقرأ ذلك الكسائى بضم التاء من الأولى ، وفتحها من الثانية .

والصواب عندنا فى ذلك الفتح فيهما كليهما ، لإجماع الحجة عليه . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : لترونّ أيها المشركون جهنم يوم القيامة ، ثم لترونها عيانا لاتغيبون عنها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) يعنى : أهل الشرك .

وقوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) يقول : ثم ليسألنكم الله عزّ وجلّ عن النعيم الذى كنتم فيه فى الدنيا : ماذا عملتم فيه ، من أين وصلتم إليه ، وفيم أصبتموه ، وماذا عملتم به .

واختلف أهل التأويل فى ذلك النعيم ما هو ؟ فقال بعضهم : هو الأمن والصحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباد بن يعقوب ، قال : ثنا محمد بن سليمان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الشعبىّ ، عن ابن مسعود ، فى قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا حفص ، عن ابن أبى ليلى ، عن الشعبىّ ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى علىّ بن سعيد الكندىّ ، قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، قال : بلغنى فى قوله (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، قال : سمعت الشعبىّ يقول : النعيم المسئول عنه يوم القيامة : الأمن والصحة .

قال : ثنا مهران ، عن خالد الزيات ، عن ابن أبى ليلى ، عن عامر الشعبىّ ، عن ابن مسعود ، مثله .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : الأمن والصحة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم لَيُسْئَلُنَّ يومئذ عما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، قال : يسأل الله العباد فيم استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) .

حدثنى إسماعيل بن موسى الفَزَارىّ ، قال : أخبرنا عمر بن شاكر ، عن الحسن قال : كان يقول فى قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : السمع والبصر ، وصحة البدن .

وقال آخرون : هو العافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عباد بن يعقوب ، قال : ثنا نوح بن درّاج ، عن سعد بن طريف ، عن أبى جعفر (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : العافية .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : بعض ما يطعمه الإنسان ، أو يشربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن بكير بن عتيق ، قال : رأيت سعيد ابن جُبَير أُتِىَ بشربة عسل ، فشربها ، وقال : هذا النعيم الذى تُسئلون عنه .

حدثنى علىّ بن سهل الرملىّ ، قال : ثنا الحسن بن بلال ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عَمَّار [1] بن أبى عمار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أتانا النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فأطعمناهم رُطَبًا ، وسقيناهم ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِى تُسْئَلُونَ عَنْهُ) .

حدثنا جابر بن الكردىّ ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أتانا النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

(١) فى الأصل : عمران بن أبى عمار . وفى الحديث الذى بعده : عمار بن أبى عمار ، وهو الصواب ، كما فى خلاصة الخزرجى .

حدثنى الحسن بن علىّ الصُّدائى ، قال : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة ، قال : « بينما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان ، إذ جاء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال ما أجْلَسَكُما هاهُنا ؟ قالا : الجوع ، قال : وَالَّذِى بَعَثَنِى بالْحَقّ ما أخْرَجَنِى غَيْرُهُ ، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ، فاستقبلتهم المرأة ، فقال لها النبىّ صلى الله عليه وسلم : أيْنَ فُلانٌ ؟ فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء ، فجاء صاحبهم يحمل قربته ، فقال : مَرْحَبًا ، ما زار العِبادَ شَىءٌ أفضلَ من شىء زارنى اليوم ، فعلّق قربته بكَرَب نخلة ، وانطلق فجاءهم بعِذْق ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ألا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ ؟ فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ، ثم أخذ الشفْرة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : إيّاكَ والْحَلُوبَ ، فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، أخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أصَبْتُمْ هَذَا ، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : ثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن أبى سَلَمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر : « انْطَلِقُوا بِنا إلى أبى الهَيْثَمِ بنِ التَّيِّهانِ الأنْصارِىّ ، فَأتَوْهُ ، فانطلق بهم إلى ظلّ حديقته ، فبسط لهم بساطا ، ثم انطلق إلى نخلة ، فجاء بِقِنْوٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلا تَنَقَّيْتَ لَنا مِنْ رُطَبِهِ ؟ فقال : أردت أن تَخْتَيروا من رطبه وبُسره ، فأكلوا وشربوا من الماء ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هَذَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ ، الَّذِى أنْتُمْ فِيهِ مَسْئُولُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، هَذَا الظِّلُّ البارِدُ ، والرُّطَبُ البارِدُ ، عَلَيْهِ الماءُ البارِدُ » .

حدثنى صالح بن مسمار المروزى ، قال : ثنا آدم بن أبى إياس ، قال : ثنا شيبان ، قال : ثنا عبد الملك بن عمير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : « ظِلٌّ بارِدٌ ، وَرُطَبٌ بارِدٌ ، وَماءٌ بارِدٌ » .

حدثنا علىّ بن عيسى البزاز ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، عن حشرج بن نباتة ، قال : ثنا أبو بصيرة عن أبى عسيب ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : أطْعِمْنا بُسْرًا ، فجاءه بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، فقال : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، فأخذ عُمَر العِذْق ، فضرب به الأرض ، حتى تناثر البسر ، ثم قال : يا رسول الله ، إنا لمسئولون عن هذا ؟ قال : نَعَمْ ، إلاّ مِنْ كِسْرَةٍ يَسُدُّ بِها جَوْعَةً ، أوْ جُحْرٍ يُدْخَلُ فِيهِ مِنَ الحَرِّ والقَرِّ » .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونىّ ، قال : ثنا بقية ، عن حشرج بن نباتة ، قال : حدثنى أبو بصيرة ، عن أبى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مرّ بى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فدعانى وخرجت ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فدخل حائطا لبعض الأنصار ، فأُتِىَ بِبُسْرٍ عِذْق منه ،

فوضع بين يديه ، فأكل هو وأصحابه ، ثم دعا بما بارد ، فشرب ، ثم قال : لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ ، فقال عمر : عن هذا يوم القيامة ؟ فقال : نَعَمْ ، إلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : خِرْقَةٍ كَفَّ بها عَوْرَتَهُ ، أو كِسْرَةٍ سَدَّ بها جَوْعَتَهُ ، أوْ جُحْرٍ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الحَرِّ والقَرِّ » .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن الجريرىّ ، عن أبى بصيرة ، قال : « أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وناس من أصحابه أكلة من خبز شعير لم يُنْخَل ، بلحم سمين ، ثم شربوا من جدول ، فقال : هذا كله من النعيم الذى تُسئلون عنه يوم القيامة .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، عن صفوان بن سليم ، عن محمد ابن محمود بن لبيد ، قال : « لما نزلت (أَلْهَاكُمُ التَّكاثُرُ) فقرأها حتى بلغ (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قالوا : يا رسول الله عن أىّ النعيم نُسْأل ؛ وإنما هو الأسودان : الماء ، والتمر ، وسيوفنا على عواتقنا ، والعدوّ حاضر ، قال : إنَّ ذلكَ سَيَكُونُ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم والحسين بن علىّ الصُّدَائى ، قالا : ثنا شَبَابة بن سوّار ، قال : ثنى عبد الله ابن العلاء أبو رَزِين الشامى ، قال : ثنا الضحاك بن عَرْزَم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أوَّلَ ما يُسْئَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أنْ يُقالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ، وَنُرْوِكَ مِنَ الماءِ البارِدِ » ؟ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، قال : قال أبو معمر : عبد الله ابن سخبرة : ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعما ، إن أهونهم عيشا الذى يأكل خبز البرّ ، ويشرب ماء الفُرات ، ويستظلّ من الظلّ ، وذلك من النعيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن الحارث التيمىّ ، عن ثابت البُنَانى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « النَّعِيم : المَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ : كِسْرَةٌ تُقَوِّيهِ ، وَماءٌ يُرْوِيهِ ، وَثَوْبٌ يُوارِيهِ » .

قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن عياش ، عن بشر بن عبد الله بن بشار ، قال : سمعت بعض أهل يمن يقول : سمعت أبا أُمامة يقول : « النعيم المسئول عنه يوم القيامة : خبز البُرّ ، والماء العذب » .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن بكير بن عتيق العامرىّ ، قال : أُتِىَ سعيد بن جُبير بشربة عسل ، فقال : أما إن هذا النعيم الذى نُسْأل عنه يوم القيامة (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن بكير بن عتيق ، عن سعيد بن جُبير ، أنه أُتِىَ بشربة عسل ، فقال : هذا من النعيم الذى تُسألون عنه .

وقال آخرون : ذلك كلّ ما التذّه الإنسان فى الدنيا من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : عن كلّ شىء من لذّة الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) : إن الله عزّ وجلّ سائل كلّ عبد عما استودعه من نِعَمه وحقه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن مَعْمر ، عن قتادة (لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال : إن الله تعالى ذكره سائل كلّ ذى نعمة فيما أنعم عليه .

وكان الحسن وقتادة يقولان : ثلاث لايُسئل عنهنّ ابن آدم ، وما خَلاهنّ فيه المسئلة والحساب . إلا ما شاء الله : كِسْوة يوارى بها سَوْءَته ، وكسرة يشدّ بها صُلْبه ، وبيت يظله .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم ، ولم يخصص فى خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع ، بل عمّ بالخبر فى ذلك عن الجميع ، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم ، لاعن بعض دون بعض .

آخر تفسير سورة ألهاكم

تفسير سورة والعصر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَٱلْعَصْرِ (١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ، وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ (٣)

⁂ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَالْعَصْرِ) فقال بعضهم : هو قَسَم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر ، فقال : العصر : هو الدهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَالْعَصْرِ) قال : العصر : ساعة من ساعات النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَالْعَصْرِ) قال : هو العشىّ .

⁂ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر ، وهو العشىّ

والليل والنهار ، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكلّ ما لزمه هذا الاسم ، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه .

وقوله (إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) يقول : إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان . وكان عليّ رضى الله عنه يقرأ ذلك (إنّ الإنْسان لَفِي خُسْرٍ ، وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ذى مرّ ، قال : سمعت عليا رضى الله عنه يقرأ هذا الحرف (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ ، وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) فى بعض القراءات : « وإنه فيه إلى آخر الدهر » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ذى مرّ ، أن عليا رضى الله عنه قرأها (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إنّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) إلا من آمن (إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : إلا الذين صدّقوا الله ووحّدوه ، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة ، وعملوا الصالحات ، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه ، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه ، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان ، لأن الإنسان بمعنى الجمع ، لا بمعنى الواحد .

وقوله (وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله فى كتابه ، من أمره ، واجتناب ما نهى عنه فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ) والحقّ : كتاب الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ) قال : الحقّ كتاب الله .

حدثنى عمران بن بكّار الكُلاعىّ ، قال : ثنا خطاب بن عثمان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو رَوْح السَّكونىّ ، حِمْصىّ لقيته بإرمينية ، قال : سمعت الحسن يقول فى (وَتَوَاصَوْا بالْحَقّ) قال : الحقّ : كتاب الله .

وقوله (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) يقول : وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

حدثنى عمران بن بكار الكُلاعى ، قال : ثنا خطاب بن عثمان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) قال : الصبر : طاعة الله .

آخر تفسير سورة والعصر

تفسير سورة ويل لكل همزة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ (٤) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ (٥) نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ (٦) ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) .

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) الوادى يسيل من صديد أهل النار وقبحهم ، (لكلّ همزة) : يقول : لكلّ مغتاب للناس ، يغتابهم ويغضهم ، كما قال زياد الأعجم :

تُدْلِى بودِّى إذا لاقَيْتَنِى كَذِباً ... وإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ[1]

ويعنى باللُّمَزَة : الذى يعيب الناس ، ويطعن فيهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١٩٠) قال : الهمزة : الذى يغتاب مبغضه ، قال الأعجم : « تدلى بودى . . . البيت » . وفى « اللسان : همز » . (قال ابن الأعرابى : الهماز : العيابون فى الغيب . واللماز : المغتابون بالحضرة . ومنه قوله عز وجل : « ويل لكل همزة لمزة » قال أبو إسحاق (الزجاج) الهمزة اللمزة : الذى يغتاب الناس ويغضهم وأنشد :

إذَا لَقِيتُكَ عَنْ شَحْطٍ تُكَاشِرُنِى ... وإنْ تغيَّبْتُ كنتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ

وفى (اللسان : لمز) : اللمز : كالغمز فى الوجه ، تلمزه بقيك بكلام خفى . ورجل لمزة : يعيبك فى وجهك ، ورجل همزة : يعيبك بالغيب . وقال الزجاج : الهمزة اللمزة الذى يغتاب الناس ويغضهم . وكذلك قال ابن السكيت ولم يفرق بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مسروق بن أبان، قال : ثنا وكيع ، عن رجل لم يسمه ، عن أبي الجوزاء ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ هؤلاء هم الذين بدأهم الله بالويل؟ قال : هم المشّاءون بالنميمة ، المفرّقون بين الأحبة ، الباغون أكبر العيب.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن رجل من أهل البصرة ، عن أبي الجوزاء ، قال : قلت : لابن عباس : من هؤلاء الذين ندبهم الله إلى الويل ؟ ثم ذكر نحو حديث مسروق بن أبان .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : الهمزة يأكل لحوم الناس ، واللمزة : الطعان .

وقد رُوى عن مجاهد خلاف هذا القول ، وهو ما حدثنا به أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) قال : الهمزة : الطعّان ، واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس .

حدثنا مسروق بن أبان الحطاب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

ورُوى عنه أيضا خلاف هذين القولين ، وهو ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : أحدهما الذى يأكل لحوم الناس ، والآخر الطعان ، وهذا يدلّ على أن الذى حدّث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين ، فلذلك اختلف نقل الرواة عنه ما رووا على ما ذكرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) أما الهمزة : فآكل لحوم الناس ، وأما اللمزة : فالطعان عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : الهمزة : آكل لحوم الناس : واللمزة : الطعان عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ويل لكلّ طعان مغتاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : الهُمزة : يهمزه فى وجهه ، واللمزة : من خلفه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه ، ويأكل لحوم الناس ، ويطعن عليهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الهُمَزة باليد ، واللُّمَزة باللسان .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى به يونُس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : الهمزة : الذى يهمز الناس بيده ، ويضربهم بلسانه ، واللمزة : الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم .

واختُلِف فى المعنىّ بقوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ) فقال بعضهم : عُنِىَ بذلك : رجل من أهل الشرك بعينه ، فقال بعض من قال هذا القول : هو جميل بن عامر الجُمَحىّ .

وقال آخرون منهم : هو الأخنس بن شريق .

ذكر من قال : عُنِىَ به مشرك بعينه

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : مشرك كان يَلْمِزُ الناس وَيَهْمِزُهُمْ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن رجل من أهل الرَّقَّة قال : نزلتْ فى جميل بن عامر الجُمَحىّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، فى قوله (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ليست بخاصة لأحد ، نزلتْ فى جميل بن عامر ، قال ورقاء : زعم الرقاشىّ .

وقال بعض أهل العربية : هذا من نوع ما تذكر العرب اسم الشىء العام ، وهى تقصد به الواحد ، كما يقال فى الكلام : إذا قال رجل لأحد : لاأزورك أبدا : كل من لم يزرنى ، فلست بزائره ، وقائل ذلك يقصد جواب صاحبه القائل له : لاأزورك أبدا .

وقال آخرون : بل معنىّ به ، كلّ من كانت هذه الصفة صفته ، ولم يقصد به قصد آخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) قال : ليست بخاصة لأحد .

❁ والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله عمّ بالقول كلّ همزة لمزة ، كلّ من كان بالصفة التى وصف هذا الموصوف بها ، سبيله سبيله كائنا من كان من الناس .

وقوله (الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ) يقول : الذى جمع مالا وأحصى عدده ، ولم ينفقه فى سبيل الله ، ولم يؤدّ حقّ الله فيه ، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه من قرّاء أهل المدينة أبو جعفر ، وعامة قرّاء الكوفة سوى عاصم : جَمَّع بالتشديد ، وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والحجاز ، سوى أبى جعفر وعامة قرّاء البصرة ، ومن الكوفة عاصم ، جَمَع بالتخفيف ، وكلهم مجمعون على تشديد الدال من (عَدَّدَهُ) ، على الوجه الذى ذكرت من تأويله . وقد ذُكر عن بعض المتقدّمين بإسناد غير ثابت ، أنه قرأه (جَمَعَ مَالاً وَعَدَدَهُ) بتخفيف الدال ،

بمعنى : جمع مالا ، وجمع عشيرته وعَدَدَه . وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، بخلافها قراءة الأمصار ، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة فى ذلك .

وأما قوله (جَمَعَ مالاً) فإن التشديد والتخفيف فيهما صوابان ، لأنهما قراءتان معروفتان فى قَرَأَة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

وقوله (يَحْسَبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَهُ) يقول : يحسب أن ماله الذى جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، يُخلدُه فى الدنيا ، فيزيلُ عنه الموت . وقيل : أخلده ، والمعنى : يخلده ، كما يقال للرجل الذى يأتى الأمر الذى يكون سببا لهلاكه : عَطِب والله فلان ، وهلك والله فلان ، بمعنى : أنه يَعْطَب من فعله ذلك ، ولما يهلك بعد ولم يعطب ؛ وكالرجل يأتى المُوبِقة من الذنوب : دخل والله فلان النار .

وقوله (كَلاَّ) يقول تعالى ذكره : ماذلك كما ظنّ ، ليس مالُه مخلدَه . ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه هالك ومعذّب على أفعاله ومعاصيه ، التى كان يأتيها فى الدنيا ، فقال جلّ ثناؤه : (لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) : يقول : ليُقذفنّ يوم القيامة فى الحُطَمَة ، والحطمة : اسم من أسماء النار ، كما قيل لها : جهنم وسَقَر ولَظَى ، وأحسبها سميت بذلك لحطْمِها كلّ ما ألقى فيها ، كما يقال للرجل الأكول : الحُطَمَة .

وذُكر عن الحسن البصرىّ أنه كان يقرأ ذلك (لَيُنْبَذَانَّ فِي الْحُطَمَةِ) يعنى : هذا الهمزة اللمزة وماله ، فثنّاه لذلك .

وقوله (وَما أدْرَاكَ ما الْحُطَمَةُ) يقول : وأىّ شىء أشعرك يامحمد ما الحطمة ، ثم أخبره عنها ماهى ، فقال جلّ ثناؤه : : هى (نارُ اللهِ المُوقَدَةُ ، الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةِ) يقول : التى يطلع ألمها ووَهَجُها القلوب ، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى . حُكى عن العرب سماعا : متى طَلَعْتَ أرْضَنا ، وطلعتُ أرضى : بلغت .

وقوله (إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) يقول تعالى ذكره : إن الحُطَمة التى وصفت صفتها عليهم ، يعنى : على هؤلاء الهمّازين اللمّازين (مُؤْصَدةٌ) : يعنى : مطبقة ، وهى تُهْمز ولا تُهْمَز ، وقد قُرئنا جميعا . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا طَلْق ، عن ابن ظهير ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس فى مؤصدة : قال : مُطْبَقَة .

حدثنى عبيد بن أسباط ، قال : ثنى أبى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، فى قوله (إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مُطْبَقَة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : فى النار رجل فى شِعْب من شِعابها ينادى مقدار ألف عام : ياحنّان يا منّان ، فيقول ربّ العزّة لجبريل : أخرج عبدى من النار ، فيأتيها فيجدها مُطْبَقَة ، فيرجع فيقول : يا ربّ (إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) فيقول : يا جبريل فكّها ، وأخرج

عبدى من النار ، فيفكها ، ويخرج مثل الخيال ، فيُطرح على ساحل الجنة حتى يُنبت الله له شعرا ولحما ودما .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطبقة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مضرس بن عبد الله ، قال : سمعت الضحاك (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطبقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : عليهم مغلقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) : أى مطبقة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) قال : مطبقة ؛ والعرب تقول : أوصد الباب : أغلق .

وقوله (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة (فِى عَمَدٍ) بفتح العين والميم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فِى عُمُدٍ) بضم العين والميم . والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، ولغتان صحيحتان . والعرب تجمع العمود : عُمُدا وعَمَدا ، بضم الحرفين وفتحهما ، وكذلك تفعل فى جمع إهاب ، تجمعه : أُهُبا ، بضم الألف والهاء ، وأَهَبا بفتحهما ، وكذلك القضم ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : إنها عليهم مُؤصدة بعمد ممدّدة : أى مغلقة مطبقة عليهم ، وكذلك هو فى قراءة عبد الله فيما بلغنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن قتادة ، فى قراءة عبد الله (إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما دخلوا فى عمد ، ثم مدّت عليهم تلك العمد بعماد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) قال : أدخلهم فى عمد ، فمدّت عليهم بعماد ، وفى أعناقهم السلاسل ، فسُدّت بها الأبواب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فِى عَمَدٍ) من حديد مغلولين فيها ، وتلك العمد من نار قد احترقت من النار ، فهى من نار (مُمَدَّدَةٍ) لهم .

وقال آخرون : هى عَمَد يعذّبون بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) كنا نحدّث أنها عمد يعذّبون بها فى النار ، قال بشر ، قال يزيد فى قراءة قتادة (عَمَدٍ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سعيد ، عن قتادة (فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) قال : عمود يعذّبون به فى النار .

وأولى الأقوال بالصواب : فى ذلك قول من قال : معناه : أنهم يعذّبون بعمد فى النار ، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وُضِعَ لنا عليها دليل ، فندرك به صفة ذلك ، فلا قول فيه ، غير الذى قلنا يصحّ عندنا ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة الهمزة

تفسير سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ونحن أسماؤه

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ؟ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فترى بها (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) الذين قَدِموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحَبَشة ، ورئيسهم أبرهة الحبشىّ الأشرم (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) يقول : ألم يجعل سعى الحبشة أصحاب الفيل فى تخريب الكعبة (فِي تَضْلِيلٍ) يعنى : فى تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها .

وقوله (وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) يقول تعالى ذكره : وأرسل عليهم ربك طيرا متفرّقة ، يتبع بعضها بعضا من نواح شتى ، وهى جماع لا واحد لها ، مثل الشماطيط والعباديد ونحو ذلك . وزعم أبو عُبيدة معمر بن المثنى ، أنه لم ير أحدا يجعل لها واحدا . وقال الفرّاء : لم أسمع من العرب فى توحيدها شيئا . قال : وزعم أبو جعفر الرُّؤَاسِىّ ، وكان ثقة ، أنه سمع أن واحدها : إبالة . وكان الكسائىّ يقول : سمعت النحويين يقولون : إبول ، مثل العجول . قال : وقد سمعت بعض النحويين يقول : واحدها : أبيل .

وبنحو الذى قلنا فى الأبابيل ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ ، عن عبد الله ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : فرق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ، قال : الفِرَق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : يتبع بعضُها بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : هى التى يتبع بعضُها بعضا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل : أنه قال فى (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : هى الأقاطيع ، كالإبل المؤبَّلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : متفرّقة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الفضل ، عن الحسن (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : الكثيرة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، عن أبى سلمة ، قالا : الأبابيل : الزُّمَر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (أَبَابِيلَ) قال : هى شتى متتابعة مجتمعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأبابيل : الكثيرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : الأبابيل : الكثيرة .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) يقول : متتابعة ، بعضُها على أثَر بعض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : الأبابيل : المختلفة ، تأتى من هاهنا ، وتأتى من هاهنا ، أتتهم من كلّ مكان .

وذُكر أنها كانت طيرا أُخرجت من البحر . وقال بعضهم : جاءت مِن قِبَل البحر .

ثم اختلفوا فى صفتها ، فقال بعضهم : كانت بيضاء .

وقال آخرون : كانت سوداء .

وقال آخرون : كانت خضراء ، لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، فى قوله (طَيْرًا أَبَابِيلَ) قال : قال ابن عباس : هى طير ، وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنى الحسن بن خلَف الواسطىّ ، قال : ثنا وكيع ورَوْح بن عبادة ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حسين ، عن عكرِمة ، فى قوله (طَيْرًا أَبابِيلَ) قال : كانت طيرا خُضْرا ، خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عُمير (طَيْرًا أَبابِيلَ) قال : هى طير سُود بَحْرية ، فى مناقرها وأظفارها الحجارة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عمير : (طَيْرًا أَبابِيلَ) قال : سُود بَحْرية ، فى أظافيرها ومناقيرها الحجارة .

قال : ثنا مهران ، عن خارجة ، عن عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعىّ ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جُبير ، فى قوله (طَيْرًا أَبابِيلَ) قال : طير خُضْر ، لها مناقير صُفْر ، تختلف عليهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عمير ، قال : طير سودا تحمل الحجارة فى أظافيرها ومناقيرها .

وقوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) يقول تعالى ذكره : ترمى هذه الطير الأبابيل التى أرسلها الله على أصحاب الفيل ، أصحابَ الفيل ، بحجارة من سجيل .

وقد بيَّنا معنى سجيل فى موضع غير هذا ، غير أنا نذكر بعض ما قيل من ذلك فى هذا الموضع ، من أقوال مَنْ لم نذكره فى ذلك الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (حِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : طين فى حجارة .

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : من طين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السُّدّى ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس (حِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : سنك وكل .

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا يزيد بن زُرَيع ، عن عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرِمة ، فى قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : من طين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شَرْقِى ، قال : سمعت عكرِمة يقول (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : سنك وكل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرِمة ، قال : كانت ترميهم بحجارة

معها ، قال : فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَرِىّ ، قال : كان أوّل يوم رُؤى فيه الجدرىّ ؛ قال : لم يُر قبل ذلك اليوم ، ولا بعده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : ذكر أبو الكَنُود ، قال : دون الحِمَّصة وفوق العدسة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبى عائشة ، قال : كانت الحجارة التى رُمُوا بها أكبرَ من العدَسة ، وأصغر من الحِمَّصَةِ .

قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيرىّ ، قال : ثنا إسرائيل ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن عمران ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس : سجِّيل بالفارسية : سنك وكل ، حَجَر وطين .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر بن سابط ، قال : هى بالأعجمية : سنك وكل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، فجعلت ترميهم بها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : هى من طين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هى طير بِيض ، خرجت من قِبَل البحر ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حَجَران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، ولا يصيب شيئا إلا هشَمه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث بن يعقوب أن أباه أخبره أنه بلغه أن الطير التى رمت بالحجارة ، كانت تحملها بأفواهها ، ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ترميهم بحجارة من سماء الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) قال : السماء الدنيا ، قال : والسماء الدنيا اسمها سِجِّيل ، وهى التى أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، أنه بلغه أن الطير التى رمت بالحجارة ، أنها طير تخرج من البحر ، وأن سجيل : السماء الدنيا . وهذا القول الذى قاله ابن زيد لانعرف لصحته وجها فى خبر ولا عقل ، ولا لغة ، وأسماء الأشياء لاتُدرك إلا من لغة سائرة ، أو خبر من الله تعالى ذكره .

وكان السبب الذى من أجله حلّت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل ، مسير أبرهة الحبشىّ بجنده معه الفيل ، إلى بيت الله الحرام لتخريبه .

وكان الذى دعاه إلى ذلك فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا ابن إسحاق ،

« أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانيا، فسماها القُلَّيْس . لم يُرَ مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ؛ وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب . فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشىّ ، غضب رجل من النَّسَأة أحد بنى فُقَيم، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القُلَّيس ، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبِر أبرهة بذلك ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذى تحجّ العرب إليه بمكة . لما سمع من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب ، فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه . وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَاعى بن حِزَابة الذّكوانى، ثم السُّلَمى، فى نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعى ؛ فبينما هم عنده ، غشيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه ، وكان يأكل الحُصَى ؛ فلما أتى القوم بغدائه ، قالوا : والله لئن أكلنا هذا لاتزال تسبُّنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد ابن خزاعى ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، إن هذا يوم عيد لنا ، لانأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتكم بغدائى ، لمنزلتكم عندى .

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعى ، وأمّره على مضر ، وأمره أن يسير فى الناس ، يدعوهم إلى حجّ القُلَّيس، كنيسته التى بناها ، فسار محمد بن خزاعى، حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا إليه رجلا من هُذَيل يقال له عُرْوة بن حياض الملاصى ، فرماه بسهم فقتله ؛ وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا ، وحلف ليغزونّ بنى كنانة ، وليهدمنّ البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهّزتْ ، وخرج معه بالفيل ، وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفَر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعَرَض له ، وقاتله ، فهُزم وتفرّق أصحابه ، وأُخِذ له ذو نفر أسيرا ؛ فلما أراد قتله ، قال ذو نفر : أيها الملك لاتقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق . وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمىّ فى قبيلتى خثعم : شَهران ، وناهس ، ومن معه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له أسيرا ، فأُتى به ؛ فلما همّ بقتله ، قال له نفيل : أيها الملك لاتقتلنى ، فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم : شهران ، وناهس ، بالسمع والطاعة ؛ فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه ، يدله على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب فى رجال ثقيف ،

(١) فى سيرة ابن هشام طبعة الحلبى الأولى (١ : ٤٥) : حج العرب .

فقال أيها الملك : إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معهم أبا رِغال ؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمَّس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرَجمت العرب قبره ، فهو القبر الذى ترجم الناس بالمغمَّس .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلا من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود ، على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مئتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها ، وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميرىّ إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول لكم : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإن لم يُرِد حربى فأتنى به .

فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قُصَىّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، قال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه فهو بيته وحَرَمه ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا له من دافع عنه ، أو كما قال ؛ فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نفر ، وكان له صديقا ، فدُلَّ عليه ، فجاءه وهو فى محبسه ، فقال : يا ذا نفر ، هل عندك غَنَاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر ، وكان له صديقا : وما غَنَاء رجل أسير فى يدى ملك ، ينتظر أن يقتله غدوًا أو عشيا ؟ ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائق الفيل لى صديق ، فسأرسل إليه ، فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال حسبى ، فبعث ذو نفر إلى أُنيس ، فجاء به ، فقال : يا أُنيس إن عبد المطلب سيِّد قريش ، وصاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، وقد أصاب الملكُ له مئتى بعير ، فاستأذنْ له عليه ، وانفعْه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلَّم أُنيس أبرهة ، فقال : أيها الملك ، هذا سيِّد قريش ببابك ، يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك ، فليكلمك بحاجته ، وأحسن إليه . قال : فأذن له أبرهة ، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما ؛ فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسُه معه على سرير مُلكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، فأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال له عبد المطلب : حاجتى إلى الملك أن يردّ علىّ مئتى بعير أصابها لى ؛ فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم زَهِدت فيك حين كلَّمتنى ، أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك ،

وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه فلا تكلمنى فيه ؟ قال له عبد المطلب : إنى أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع منى ، قال : فأنت وذاك ، اردد إلىّ إبلى .

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نُفَاثة ابن عدىّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيّد بنى كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذَلىّ وهو يومئذ سيد هُذَيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، والله أعلم .

وكان أبرهة ، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التى أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز فى شَعَف الجبال والشعاب ، تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش ؛ ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلْقة الباب ، باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكا
يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِماكا
إنَّ عَدُوَّ البَيْتِ مَنْ عادَاكا
امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُرَاكا[1]

وقال أيضا :

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـــنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالكْ
لا يَغْلِـــبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُـــمْ غَدْوًا مِحَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا أوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ
ولَـــئِنْ فَعَلْتَ فإنَّهُ أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فَعالَكْ[2]

وقال أيضا :

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، زعموا أنه قالهما فى حرب الفيل . وقد ذكرهما الثعلبى المفسر فى الرائس المعروف بقصص الأنبياء (طبعة الحلبى ٤٤٢) .

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة ، وهدم الكعبة . وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات ، وهى :

لا هُمَّ إنَّ العَبْـــدَ يَمْـــنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالكْ
لا يَغْلِـــبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْـــلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وقال السهيلى فى الروض الأنف تعليقا على قول عبد المطلب هذا : وفى الرجز بيت ثالث لم يقع فى الأصل ، وهو قوله :

وانْصُر على آلِ الصَّلِيـــبِ وعابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ

وقوله : حلالك : هم القوم الحالون فى المكان . اهـ . وقيل إن البيت الثالث مما رواه الواقدى ، ولم يروه ابن إسحاق . اهـ .

وكُنْتُ إذَا أتى باغٍ بِسَلْمٍ نُرَجِّى أن تَكُونَ لَنا كَذلكْ
فَوَلَّوْا لَمْ يَنالُوا غَيْرَ خِزْيٍ وكانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنالكْ
ولَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رِجالٍ أرَادُوا الْعِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ والْفِيلَ كَىْ يَسْبُوا عِيالَكْ[1]

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعَبَّأ جيشه ؛ وكان اسم الفيل محمودا ، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن ، فلما وجّهوا الفيل ، أقبل نُفَيل ابن حبيب الخثعمىّ ، حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود ، وارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فبَرَك الفيل ، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا فى رأسه بالطبر زين ليقوم ، فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم فى مراقه ، فبزغوه بها ليقوم ، فأبى ، فوجّهوه راجعا إلى اليمن ، فقام يُهَرْوِل ، ووجّهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ، ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر ، أمثالَ الخطاطيف ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه مثل الحمّص والعَدَس ، لايصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أيْنَ الْمَفَرُّ والإلَهُ الطَّالِبُ والأشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغالِبْ[2]

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ مَنْهل ، فأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم ، فسقطت أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثُّ قيحا ودما ، حتى قَدِموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث ، أن أوّل ما رُؤيت الحَصْبة والجُدَرىّ بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أوّل ما رؤى بها مُرار الشجر : الحرملُ والحنظلُ والعُشَرُ ذلك العام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يوما ومن معه من عداد أهل اليمن ، إلى بيت الله ليهدمه من

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من بحر الوافر . أما البيت الرابع فليس منها ، لأنه من مجزوء الرجز ، كالأبيات السابقة ، فهو أحرى أن يلحق بها . ولكنها هكذا جاءت مختلطة فى الأصل ، وهذا من إفساد الناسخين ، والله أعلم . وينبغى أن تكون قافية هذه الأبيات الكاف ، لا اللام ، لأن الشاعر لم يلتزم اللام فى البيت الثالث ، ولو لزمها لجاز أن تكون هى القافية .

(٢) البيت نسبه الثعلبى المفسر فى (العرائس) إلى نفيل بن حبيب الخثعمى ٤٤٣ وقال السهيلى فى الروض الأنف : (١ : ٤٥) ونفيل الذى ذكر : هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك . . . بن خثعم ، كذلك نسبه البرقى . وفى الكتاب : نفيل ابن حبيب . يريد بالكتاب كتاب السيرة لمحمد بن إسحاق ، وقد ورد اسم نفيل فى قصة الفيل .

أجل بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم، حتى إذا كانوا بالصَّفَاح بِرك، فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت الله ألقى بجرانه الأرض، وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْولة، حتى إذا كان بنخلةَ اليمانية بعث الله عليهم طيرا بيضا أبابيل. والأبابيل: الكثيرة، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه، وحجر فى منقاره، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم الله عزّ وجلّ كعصف مأكول؛ قال: فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة، فجعل كلما قدم أرضا تساقط بعض لحمه، حتى أتى قومه، فأخبرهم الخبر ثم هلك.

وقوله (فجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ) يعنى تعالى ذكره، فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدوابّ فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه. شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التى نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذى حدث عن أكل الزرع.

وقد كان بعضهم يقول: العَصْف: هو القشر الخارج الذى يكون على حبّ الحنطة من خارج، كهيئة الغلاف لها.

ذكر من قال: عُنِى بذلك ورق الزرع

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: ورق الحنطة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: هو التِّبن.

وحُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (كَعَصْفٍ مأكُولٍ): كزرع مأكول.

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدىّ، قال: ثنا زريق بن مرزوق، قال: ثنا هبيرة، عن سَلَمة بن نُبَيْط، عن الضحاك، فى قوله (كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: هو الهَبُور بالنبطية، وفى رواية: المتهور.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار رَوْثا.

ذكر من قال: عنى به قشر الحبّ

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: البُرّ يؤكل ويُلْقَى عَصْفُه الريح. والعَصْف: الذى يكون فوق البرّ: هو لحاء البرّ.

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبى سنان، عن حبيب بن أبى ثابت: (كَعَصْفٍ مأكُولٍ) قال: كطعام مطعوم.

آخر تفسير سورة الفيل

تفسير سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ، وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ (٤) .

اختلفت القرّاء فى قراءة (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بياء بعد همز لإيلاف وإيلافهم ، سوى أبى جعفر ، فإنه وافق غيره فى قوله (لإيلافِ) فقرأه بياء بعد همزة . واختلف عنه فى قوله (إيلافِهِمْ) فروى عنه أنه كان يقرؤه (إلْفِهِمْ[1]) على أنه مصدر من ألف يألف إلفا ، بغير ياء . وحكى بعضهم عنه أنه كان يقرؤه (إلافِهِمْ) بغير ياء مقصورة الألف .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : من قرأه (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة ، من آلفت الشىء أُولفه إيلافا ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وللعرب فى ذلك لغتان : آلفت ، وألفت ؛ فمن قال : آلفت بمدّ الألف قال : فأنا أؤالف إيلافا ؛ ومن قال : ألفت بقصر الألف قال : فأنا آلَفُ إلْفا ، وهو رجل آلِفٌ إلْفا . وحُكى عن عكرمة أنه كان يقرأ ذلك (لتألُّفِ قُرَيْشٍ إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ) .

حدثنى بذلك أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى مكين ، عن عكرمة .

وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ، قالت : سمعت النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ (إلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) .

واختلف أهل العربية فى المعنى الجالب هذه اللام فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : الجالب لها قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأْكُولٍ) فهى فى قول هذا القائل صلة لقوله جعلهم ، فالواجب على هذا القول ، أن يكون معنى الكلام : ففعلنا بأصحاب الفيل هذا الفعل ، نعمة منا على أهل هذا البيت ، وإحسانا منا إليهم ، إلى نعمتنا عليهم فى رحلة الشتاء والصيف ، فتكون اللام فى قوله (لإيلافِ) بمعنى إلى ، كأنه قيل : نعمة لنعمة وإلى نعمة ، لأن إلى موضع اللام ، واللام موضع إلى . وقد قال : معنى هذا القول بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) لم يرد أبى جعفر إسكان اللام ولم نعلم أحدا قرأ به وإنما الورد عنه حذف الياء فقط .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) قال : إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف .

حدثني إسماعيل بن موسى السدىّ ، قال : أخبرنا شريك ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نعمتي على قريش .

حدثني محمد بن عبد الله الهلالىّ ، قال : ثنا فَرْوة بن أبي المَغْراء الكِنديّ ، قال : ثنا شريك ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانىّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال : ثني أبي ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، في قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نعمتي على قريش .

وكان بعض نحوي الكوفة يقول : قد قيل هذا القول ، ويقال : إنه تبارك وتعالى عجّب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : اعجب يا محمد لنِعَم الله على قريش ، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . ثم قال : فلا يتشاغلوا بذلك عن الإيمان واتباعك ، يستدل بقوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) .

وكان بعض أهل التأويل يوجّه تأويل قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) إلى أُلفة بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) فقرأ (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) إلى آخر السورة ، قال : هذا لإيلاف قريش ، صنعت هذا بهم لألفة قريش ، لئلا أفرّق أُلفتهم وجماعتهم ، إنما جاء صاحب الفيل ليستبيد حريمهم ، فصنع الله ذلك.

❁ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن هذه اللام بمعنى التعجب . وأن معنى الكلام : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف . والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل الذى يجلبها ، كما قال الشاعر :

أغَرَّكَ أنْ قالُوا لِقُرَّةَ شاعِرًا فيالأَبَاهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشاعِرِ[1]

فاكتفى باللام دليلا على التعجب من إظهار الفعل وإنما الكلام : أغرّك أن قالوا : اعجبوا لقرّة شاعرا ، فكذلك قوله (لإيلافِ) .

وأما القول الذى قاله من حكينا قوله ، أنه من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) فإن ذلك لو كان كذلك ، لوجب أن يكون لإيلاف بعض ألم تر ، وأن لاتكون سورة منفصلة من ألم تر ، وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامّتان كلّ واحدة منهما منفصلة عن الأخرى ، ما يبين عن فساد القول

(١) هذا بيت لا أعرفه ولا أعرف قائله . استشهد به المؤلف على أن اللام في قوله « لأباه » هي لام التعجب ، وهي بدل النطق بالفعل : « اعجبوا لأباه » . وهو نظير ما في قوله تعالى : « لإيلاف قريش » ؛ أي اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف . وهي حرف جر . وأباه مجرور بكسرة مقدرة على الألف ، في بعض لغات العرب ، والعريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس .

الذى قاله من قال ذلك . ولو كان قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) من صلة قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ) لم تكن ألم تر تامّة حتى توصلَ بقوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) لأن الكلام لا يتمّ إلا بانقضاء الخبر الذى ذُكر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (إلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) يقول : لزومهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : نهاهم عن الرحلة ، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت ، وكفاهم المؤنة ، وكانت رحلتهم فى الشتاء والصيف ، فلم يكن لهم راحة فى شتاء ولا صيف ، فأطعمهم بعد ذلك من جوع ، وآمنهم من خوف ، وألفوا الرحلة ، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا ، وإذا شاءوا أقاموا ، فكان ذلك من نعمة الله عليهم .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة قال : كانت قريش قد ألفوا بُصْرَى واليمن ، يختلفون إلى هذه فى الشتاء ، وإلى هذه فى الصيف (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) فأمرهم أن يقيموا بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح (لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ) قال : كانوا تجارا ، فعلم الله حبهم للشام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : عادة قريش عادتهم رحلة الشتاء والصيف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) كانوا ألفوا الارتحال فى القيظ والشتاء .

وقوله (إيلافِهِمْ) مخفوضة على الإبدال ، كأنه قال : لإيلاف قريش لإيلافهم ، رحلة الشتاء والصيف وأما الرحلة فنُصبت بقوله (إيلافِهِمْ) ، ووقوعه عليها .

وقوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) يقول : رحلة قريش الرحلتين ، إحداهما إلى الشام فى الصيف ، والأخرى إلى اليمن فى الشتاء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ) قال : كانت لهم رحلتان : الصيف إلى الشام ، والشتاء إلى اليمن فى التجارة ، إذا كان الشتاء امتنع الشأم منهم لمكان البرد ، وكانت رحلتهم فى الشتاء إلى اليمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانوا تُجَّارا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الكلبىّ (رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانت لهم رحلتان : رحلة فى الشتاء إلى اليمن ، ورحلة فى الصيف إلى الشأم .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانى ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المغيرة قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) قال : كانوا يَشْتُون بمكة ، ويَصيفون بالطائف .

وقوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) يقول : فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة ، وليعبدوا ربّ هذا البيت ، يعنى بالبيت : الكعبة .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مُغيرة ، عن إبراهيم ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، صلى المغرب بمكة ، فقرأ (لإيلافِ قُرَيْشٍ) فلما انتهى إلى قوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) أشار بيده إلى البيت .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانىّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المغيرة ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) قال الكعبة.

وقال بعضهم : أُمِروا أن يألفوا عبادة ربّ مكة كإلفهم الرحلتين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِىّ ، قال : ثنا مروان ، عن عاصم الأحول ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله (لإيلافِ قُرَيْشٍ) قال : أُمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت ، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف .

وقوله (الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) يقول : الذى أطعم قريشا من جوع .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) يعنى : قريشا أهل مكة ، بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال (وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ) .

(وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه آمنهم مما يَخاف منه مَنْ لم يكن من أهل الحرم ، من الغارات والحروب والقتال ، والأمور التى كانت العرب يخاف بعضها من بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) حيث قال إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : آمنهم من كلّ عدوّ فى حرمهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لإيلافِ قُرَيْشٍ إِلْفِهِمْ) قال :

كان أهل مكة تجارا ، يتعاورون ذلك شتاء وصيفا ، آمنين فى العرب ، وكانت العرب يغير بعضها على بعض ، لايقدرون على ذلك ، ولا يستطيعونه من الخوف ، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب فى حىّ من أحياء العرب ، وإذا قيل حِيرِىٌّ خُلِّىَ عنه وعن ماله ، تعظيما لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : كانوا يقولون : نحن من حرم الله ، فلا يعرض لهم أحد فى الجاهلية ، يأمنون بذلك ، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أُغير عليه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : كانت العرب يغير بعضها على بعض ، ويَسْبِى بعضها بعضا ، فأمنوا من ذلك لمكان الحرم ، وقرأ (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ) .

وقال آخرون : عُنِى بذلك : وآمنهم من الجُذام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، قال قال الضحاك (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : من خوفهم من الجُذام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : من الجذام وغيره .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : قال وكيع : سمعت أطعمهم من جوع ، قال : الجوع (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) الخوف : الجذام .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عامر بن إبراهيم الأَصبهانىّ ، قال : ثنا خطاب بن جعفر بن أبى المُغيرة ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس (وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قال : الخوف : الجذام .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه (آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) والعدوّ مخوف منه ، والجذام مخوف منه ، ولم يخصُص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدوّ دون الجذام ، ولا من الجذام دون العدوّ ، بل عمّ الخبر بذلك ؛ فالصواب أن يُعَمّ كما عمّ جلّ ثناؤه ، فيقال : آمنهم من المعنيين كليهما .

آخر تفسير سورة قريش

تفسير سورة أرأيت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وخمدست أسماؤه

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧) .

يعنى تعالى ذكره بقوله (أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) أرأيت يامحمد الذى يكذّب بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه فى أمره ونهيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) قال : الذى يكذّب بحكم الله عزّ وجلّ .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن جُرَيج (يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) قال : بالحساب . وذُكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : (أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ الدِّينَ) فالباء فى قراءته صلة ، دخولها فى الكلام وخروجها واحد .

وقوله (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) يقول : فهذا الذى يكذّب بالدين ، هو الذى يدفع اليتيم عن حقه ، ويظلمه ، يقال منه : دَعَعْتُ فلانا عن حقه ، فأنا أدعُّه دعًّا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفع حقّ اليتيم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفع اليتيم فلا يُطعمه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) : أى يَقْهَره ويظلمه .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يقهره ويظلمه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يقهره .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان فى قوله (يَدُعُّ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه .

وقوله (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) يقول تعالى ذكره : ولا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام .

وقوله (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) يقول تعالى ذكره : فالوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون ، لايريدون الله عزّ وجلّ بصلاتهم ، وهم فى صلاتهم ساهون إذا صلوها .

❊ واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك أنهم يؤخّرونها عن وقتها ، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سكن بن نافع الباهلى ، قال : ثنا شعبة ، عن خلف بن حَوْشَب ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبى ، أرأيت قول الله عزّ وجلّ : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) : أهى تركها ؟ قال : لا ، ولكن تأخيرها عن وقتها .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن هشام الدَّسْتُوائى ، قال : ثنا عاصم بن بهدلة ، عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لسعد : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) : أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه فى صلاته ؟ قال : لا ، ولكن السهو أن يؤخّرها عن وقتها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : السهو : الترك عن الوقت .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمران بن تمام البُنَانىّ ، قال : ثنا أبو جمرة الضُّبَعِىّ نصر بن عمران ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الذين يؤخّرونها عن وقتها .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : فويل للمصلين (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الذين يؤخّرون الصلاة المكتوبة ، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : الترك لوقتها .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، فى قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال : تضييع ميقاتها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى (عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : ترك المكتوبة لوقتها .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرني ابن زَحْر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح (عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) الذين يضيعونها عن وقتها .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أنهم يتركونها فلا يصلونها .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) فهم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية بغضا لهم ، وهو الماعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ ، ويصلون في العلانية.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (عَنْ صَلاتِهِمْ سا هُونَ) قال : الترك لها .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك أنهم يتهاونون بها ، ويتغافلون عنها ويَلْهُون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : لاهون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) : غافلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ قال : ساهٍ عنها ، لايبالي صلى أم لم يصلّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) يصلون ، وليست الصلاة من شأنهم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : يتهاونون .

❊ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله (ساهُونَ) : لاهون يتغافلون عنها ، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها ، تضييعها أحيانا ، وتضييع وقتها أخرى وإذا كان ذلك كذلك صحّ بذلك قول من قال : عُنِي بذلك ترك وقتها ، وقول من قال : عُنِي به تركها ، لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت .

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبران يؤيدان صحة ما قلنا في ذلك :

أحدهما ما حدثنى به زكريا بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا عمرو بن طارق ، قال : ثنا عكرِمة بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الملك بن عُمَير ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : « سألت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : هم الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها » .

والآخر منهما : ما حدثنى به أبو كُرَيب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان النحوىّ ، عن جابر الجُعْفِىّ ، قال : ثنى رجل ، عن أبى بَرْزة الأسلمىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما نزلت هذه الآية : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطى كلّ رجل منكم مثلَ جميع الدنيا ، هو الذى إن صلى لم يرجُ خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه » .

حدثنى أبو عبد الرحيم البرقى ، قال : ثنى عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت عمر بن سليمان يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) وكلا المعنيين اللذين ذكرت فى الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة .

وقوله (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) يقول : الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صَلَّوْا ، لأنهم لا يصلون رغبةً فى ثواب ، ولا رهبةً من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم ، فيكفون عن سفك دمائهم ، وسَبْى ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستبطنون الكفر ، ويُظهرون الإسلامَ ، كذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ومؤمل ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ) قال : هم المنافقون .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى قوله : (يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ) قال : يراءون بصلاتهم .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) يعنى المنافقين .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : هم المنافقون ، كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى ابن زيد : ويصلون ، وليس الصلاة من شأنهم رياء .

وقوله (وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ) يقول : ويمنعون الناس منافع ماعندهم ، وأصل الماعون من كلّ شىء منفعته ، يقال للماء الذى ينزل من السحاب : ماعون ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

بأجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عُونِهِ إذَا ما سَمَاؤُهُمُ لَمْ تَغِـــمِ[1]

وقال آخر يصف سحابا :

يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبًّا[2]

وقال عَبيد الراعى :

قَوْمٌ على الإسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا[3]

يعنى بالماعون : الطاعة والزكاة .

واختلف أهل التأويل فى الذى عُنِى به من معانى الماعون فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عُنِىَ به الزكاة المفروضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه ، فى قوله : (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : (المَاعُونَ) : الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى صالح ، عن علىّ رضى الله عنه قال : (المَاعُونَ) : الزكاة .

---

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (ديوانه ٣٩) يقول : ليس الفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه ، بأجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء ، وينقطع المطر . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن عند قوله تعالى « ويمنعون الماعون » : هو فى الجاهلية كل منفعة وعطية ، قال الأعشى : « بأجود منه بماعونه . . . البيت » . والماعون فى الإسلام : الطاعة والزكاة . قال الراعى :

قَوْمٌ على الإسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّـــنْزِيلا

وفى (اللسان : معن) الماعون : المعروف كله . وقال ابن سيده : والماعون : الطاعة والزكاة ، وعليه العمل ، وهو من السهولة والقلة ، لأنها جزء من كل ، قال الراعى : « قوم على التنزيل « البيت » . والماعون : أسقاط البيت : كالدلو ، والفأس ، والقدر ، والقصعة وهو منه أيضا ، لأنه لايكرث معطيه ، ولايعنى كاسبه . قال ثعلب : الماعون : ما يستعار من قدوم وشفرة . وفى الحديث : « وحسن مواساتهم بالماعون » ؛ قال : هو اسم جامع لمنافع البيت ، كالقدر والفأس وغيرها ، مما جرت العادة بعاريته . قال الأعشى « بأجود منه . . . البيت » . والماعون : المطر ، لأنه يأتى من رحمة الله عفوا بغير علاج ، كما تعالج الآبار ونحوها . اه .

(٢) هذا شطر بيت استشهد به صاحب (اللسان : معن) على أن الماعون المطر ، لأنه يأتى من غير علاج ، كما تعالج الآبار ونحوها من فرض المشارب وأنشد :

أقُولُ لِصَاحِبِي بِبَرَاقِ نَجْـــدٍ تَبَصَّرْ هَلْ تَرَى بَرْقًا أرَاهُ
يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ مَجًّا إذَا نَسَمٌ مِنَ الهَيْفِ اعْتَرَاهُ

والصبير – كما فى (اللسان : صبر) : السحاب الأبيض ، الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا . والهيف والهوف (بالضم) : ريح حارة تأتى من قبل اليمن ، وهى النكباء ، يهيف منها ورق الشجر ، أى يسقط .

(٣) هذا بيت للشاعر الإسلامى عبيد بن حصين الراعى ، والماعون : تقدم شرحه فى الشاهدين قبله . والتهليل هو النطق بكلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » . وقد سبق الكلام على البيت فى الشاهد الذى قبل الشاهد السابق على هذا . وذكرنا فيه كلام أبى عبيدة فى الماعون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن علىّ رضى الله عنه (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : يمنعون زكاة أموالهم .

حدثنى محمد بن عمارة وأحمد بن هشام قالا : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ عن أبى صالح ، عن علىّ رضى الله عنه (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن علىّ ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، أن عليا رضى الله عنه كان يقول (المَاعُون) : الصدقة المفروضة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) أن عليا رضى الله عنه قال : هى الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : (المَاعُونَ) : الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى المُغيرة ، قال : سأل رجل ابن عمر عن الماعون ، قال : هو المال الذى لايؤدّى حقه ؛ قال : قلت : إن ابن أمّ عبد يقول : هو المتاع الذى يتعاطاه الناس بينهم ، قال : هو ما أقول لك .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة ، قال : سمعت أبا المُغيرة قال : سألت ابن عمر ، عن الماعون ، فقال : هو منع الحقّ .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سُئل ابن عمر عن الماعون ، فقال : هو الذى يسئل حقّ ماله ويمنعه ، فقال : إن ابن مسعود يقول : هو القدر والدلو والفأس ، قال : هو ما أقول لكم .

حدثنى هارون بن إدريس الأصمّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن سلمة بن كهيل ، أن ابن عمر سُئل عن قول الله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الذى يُسئل مال الله فيمنعه ، فقال الذى سأله ، فان ابن مسعود يقول : هو الفأس والقدر ، قال ابن عمر : هو ما أقول لك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سأل رجل ابن عمر عن الماعون ، فذكر مثله .

حدثنى سليمان بن محمد بن معدى كرب الرُّعَينى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى سلمة بن كهيل ، قال : سمعت أبا المغيرة : رجلا من بنى أسد ، قال : سألت عبد الله بن عمر عن الماعون .

قال : هو منع الحقّ ، قلت : إن ابن مسعودٍ قال: هو منع الفأس والدلو قال : هو منع الحقّ .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي المغيرة ، عن ابن عمر قال : هي الزكاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السُّدىّ ، عن أبي صالح ، عن عليّ ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا جابر بن زيد بن رفاعة ، عن حسان بن مخارق ، عن سعيد بن جُبير ، قال: (المَاعُونَ) : الزكاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن : الماعون : الزكاة المفروضة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل ، عن أبي عمر ، عن ابن الحنفية رضى الله عنه قال : هي الزكاة .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الزكاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، في قوله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال. هم المنافقون يمنعون زكاة أموالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (المَاعُونَ) : الزكاة المفروضة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن عقبة ، قال : سمعت الحسن يقول : (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : منعوا صدقات أموالهم ، فعاب الله عليهم .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مبارك ، عن الحسن (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله ، فإن صلى رأى ، وإن فاتته لم يَأسَ عليها .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سلمة ، عن الضحاك ، قال : هي الزكاة .

وقال آخرون : هو ما يتعاوَرُهُ النَّاس بينهم من مثل الدَّلو والقِدر ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن أبي إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم بن يحيى ابن الجزار ، عن أبي العبيدين ، أنه قال لعبد الله : أخبرني عن الماعون ؟ قال : هو ما يتعاوره الناس بينهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال: ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن أبي العبيدين : رجل من بني تميم ضرير البصر ، وكان يسأل عبد الله بن مسعود ، وكان ابن مسعود يعرف له ، فسأل عبد الله عن الماعون ، فقال عبد الله: إن من الماعون منع الفأس والقدر والدلو ، خصلتان من هؤلاء الثلاث ؛ قال شعبة : الفأس ليس فيه شكّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبى العبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار ، أن أبا العبيدين : رجلا من بنى تميم ، كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو منع الفأس والدلو ، أو قال : منع الفأس والقدر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، أن أبا العبيدين سأل ابن مسعود ، عن الماعون ، قال : هو ما يتعاوره الناس بينهم ، الفأس والقدر والدلو .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، قال : ثنا أبو الجوّاب ، عن عمار بن رزيق ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبى العبيدين ، عن عبدالله ، قال : كنا أصحاب محمد نحدّث أن الماعون : القدر والفأس والدلو .

قال أبو بكر : قال أبو الجوّاب ، وخالفه زهير بن معاوية فيما حدثنا به الحسن الأشيب ، قال : ثنا زُهَير ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن أبى العبيدين ، حدثنى محمد بن عبيد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة ، عن أبى العبيدين وسعيد بن عياض ، عن عبد الله ، قال : « كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن الماعون : الدلو والفأس والقدر ، لايستغنى عنهنّ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن ابن أبى إسحاق ، عن سعد بن عياض قال أبو موسى : هكذا قال غُنْدَر عن أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : إن من الماعون : الفأس والدلو والقدر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن عياض ، يحدّث عن أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم بمثله .

قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت سعد بن عياض ، يحدّث عن أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن أبى العبيدين ، قال : قال عبد الله : الماعون : القدر والفأس والدلو .

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا المسعودىّ ، قال : أخبرنا سلمة بن كهيل ، عن أبى العبيدين ، وكانت به زمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ما الماعون ؟ قال : ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم ، عن أبى العبيدين ، أنه سأل ابن مسعود ، عن الماعون ، فقال : ما يتعاطاه الناس بينهم

قال : ثنا مهران ، عن الحسن وسلمة بن كهيل ، عن أبى العبيدين ، عن ابن مسعود ، قال : الفأس والدلو والقدر وأشباهه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ ، عن المسعوديّ ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قوله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، عن ابن مسعود ، قال : الفأس والقدر والدلو .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيميّ ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله قال (المَاعُونَ) منع الفأس والقدر والدلو .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله ، أنه سُئل عن الماعون ، قال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والدلو وشبهه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن ابن مسعود ، قال : الدلو والفأس والقدر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض ، عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : الماعون : الفأس والقدر والدلو .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : سُئل عبد الله عن الماعون ، قال : ما يتعاوره الناس بينهم ، الفأس والقدر والدلو وشبهه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : هو عارية الناس : الفأس والقدر والدلو ونحو ذلك ، يعني الماعون .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، بمثله .

قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس مثله ، قال : الفأس والدلو .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت الأسديّ ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال (المَاعُونَ) : العارية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : هو العارية .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (الماعُون) قال : متاع البيت .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، أراه عن ابن عباس « شكّ أبو كُرَيب » (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : المتاع .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، قال : أخبرنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس هو متاع البيت .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قال : يمنعونهم العارية ، وهو الماعون .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَيَمْنَعُونَ المَاعُون) قال : اختلف الناس فى ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة ، ومنهم من قال : يمنعون الطاعة ، ومنهم من قال : يمنعون العارية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : لم يجئ أهلها بعد .

حدثنى ابن المثنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : (المَاعُونَ) ما يتعاطى الناس بينهم .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا ابن عُلَيَة ، قال : ثنا ليث ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : الماعون : منع الزكاة والفأس والدلو والقدر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم النبيل ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد ابن جُبير قال : الماعون : العارية .

حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبى مالك ، فى قول الله (وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) قال : الدلو والقدر والفأس .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبى وائل ، عن عبد الله ، قال : « كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول : الماعون : منع الدلو وأشباه ذلك » .

وقال آخرون : الماعون : المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا محمد بن رفاعة ، قال : سمعت محمد ابن كعب يقول : الماعون : المعروف .

وقال آخرون : الماعون : هو المال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أحمد بن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، قال : الماعون : بلسان قريش : المال .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزهرىّ ، قال : الماعون : بلسان قريش : المال .

وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان الله قد أخبر عن

هؤلاء القوم ، وأنهم يمنعونه الناس ، خيرا عاما ، من غير أن يخصّ من ذلك شيئا ، أن يقال : إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ماأوجب الله لهم فى أموالهم من الحقوق ، لأن كلّ ذلك من المنافع التى ينتفع بها الناس بعضهم من بعض .

آخر تفسير سورة أرأيت

تفسير سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ونقدست اسماؤه

إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣) .

يقول تعالى ذكره (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) يا محمد (الْكَوْثَرَ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الكوثر ، فقال بعضهم : هو نهر فى الجنة أعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر : أنه قال : « الكوثر : نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب وفضة ، يجرى على الدرّ والياقوت ، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن محارب بن دثار الباهلىّ ، عن ابن عمر ، فى قوله (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : « نهر فى الجنة حافتاه الذهب ، ومجراه على الدرّ والياقوت ، وماؤه أشدّ بياضا من الثلج ، وأشدّ حلاوة من العسل ، وتربته أطيب من ريح المسك » .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الكوثر : نهر فى الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدرّ ، ماؤه أبيض من الثلج ، وأحلى من العسل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق أو مسروق ، قال : « قلت لعائشة : يا أمّ المؤمنين ، وما بُطْنان الجنة ؟ قالت : وسط الجنة : حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ، ترابه المسك ، وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت » .

حدثنا أحمد بن أبى سرَيج الرازىّ ، قال : ثنا أبو النضر وشبابة ، قالا : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن رجل ، عن عائشة قالت : « الكوثر : نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر » .

حدثنا أبو كُرَيب، قال : ثنا وكيع ، عن أبى جعفر ؛ وحدثنا ابن أبى سُرَيج، قال : ثنا أبو نَعيم ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن أنس ، قال : الكوثر : نهر فى الجنة .

قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة قالت : « الكوثر نهر فى الجنة ، درّ مجوّف » .

حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة : « الكوثر : نهر فى الجنة ، عليه من الآنية عدد نجوم السماء » .

قال : ثنا وكيع ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن عائشة قالت : « من أحبّ أن يسمع خرير الكوثر ، فليجعل أصبعيه فى أُذنيه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة ، قالت : « نهر فى الجنة ، شاطئاه الدرّ المجوّف » .

قال : ثنا مهران ، عن أبى معاذ عيسى بن يزيد ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة قالت : « الكوثر : نهر فى بُطْنان الجنة : وسط الجنة ، فيه نهر شاطئاه درّ مجوّف ، فيه من الآنية لأهل الجنة ، مثلُ عدد نجوم السماء » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : نهر أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا مسعدة ، عن عبد الوهاب ، عن مجاهد ، قال : « الكَوْثَر : نهر فى الجنة ، ترابه مسك أذفر ، وماؤه الخمر » .

حدثنا ابن أبى سريج ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : نهر فى الجنة .

حدثنا الربيع ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدّثنا ، قال : « لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مضى به جبريل فى السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر ، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يشُمّ ترابه ، فإذا هو مسك ، فقال : يا جبريل ، ما هذا النهر؟ قال : هو الكوثر الذى خبأ لك ربُّك » .

وقال آخرون : عُنِى بالكوثر : الخير الكثير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنى هُشَيم ، قال : أخبرنا أبو بشر وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أنه قال فى الكوثر : « هو الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه » .

قال أبو بشر : فقلت لسعيد بن جُبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة ، قال : فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة ، من الخير الذى أعطاه الله إياه .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن عطاء بن السائب ، قال : قال محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جُبير فى الكوثر ؟ قال : قلت : قال : قال ابن عباس : هو الخير الكثير ، فقال : صدق والله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، قال : سألت سعيد بن جُبير ، عن الكوثر ، فقال : هو الخير الكثير الذى آتاه الله ، فقلت لسعيد : إنا كنا نسمع أنه نهر فى الجنة ، فقال : هو الخير الذى أعطاه الله إياه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرِمة ، قال : هو النبوّة ، والخير الذى أعطاه الله إياه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حرمى بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عمارة ، عن عكرِمة فى قول الله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير ، والقرآن والحكمة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا عُمارة بن أبى حفصة ، عن عكرِمة أنه قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الكثير .

قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن هلال ، قال : سألت سعيد بن جُبير (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : أكثر الله له من الخير ، قلت : نهر فى الجنة ؟ قال : نهر وغيره .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن مجاهد : الكوثر : قال : الخير كله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : خير الدنيا والآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى الكوثر ، قال : هو الخير الكثير .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الكوثر : الخير الكثير .

قال : ثنا وكيع ، عن بدر بن عثمان ، سمع عكرمة يقول فى الكوثر : قال : ما أُعطى النبىّ صلى الله عليه وسلم من الخير والنبوّة والقرآن .

حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازىّ ، قال : ثنا أبو داود ، عن بدر ، عن عكرمة ، قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : الخير الذى أعطاه الله : النبوّة والإسلام .

وقال آخرون : هو حوض أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن مطر ، عن عطاء (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : حوض فى الجنة أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا مطر ، قال : سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال : حوض أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى ، قول من قال : هو اسم النهر الذى أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، وصفه الله بالكثرة ، لعظم قدره .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك ، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث عن قتادة ، عن أنس قال : لما عُرج بنبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، أو كما قال : عَرَض له نهر حافتاه الياقوت المجوّف ، أو قال : المجوّب ، فضرب الملك الذى معه بيده فيه ، فاستخرج مسكا ، فقال محمد للملك الذى معه : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله ؛ قال : ورُفعت له سِدْرة المنتهى ، فأبصر عندها أثرا عظيما ، أو كما قال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « بَيْنَمَا أنا أسيرُ فِي الجَنَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لِى نَهْرٌ ، حافتَاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ ، فقالَ المَلَكُ الَّذِى مَعَهُ : أتَدْرِى ما هذَا ؟ هذَا الْكَوْثَرُ الَّذِى أعْطاكَ اللهُ إيَّاهُ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إلى أرْضِهِ ، فأخْرَجَ مِنْ طِينِهِ المِسْكَ »

حدثنى ابن عوف ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عُرِجَ بِى إلى السَّماءِ ، أتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حافتَاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ ، قُلْت : ما هذَا يا جِبْرِيلُ ؟ قال : هذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَ رَبُّكَ ، فأَهْوَى المَلَكُ بِيَدِهِ ، فاسْتَخْرَجَ طِينَهُ مِسْكاً أذْفَرَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فإذَا أنا بِنَهْرٍ حافتَاهُ خِيامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِى إلى ما يَجْرِى

فيه ، فإذا مسك أذفر ، قال : قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عله وسلم ، فذكر نحو حديث يزيد ، عن سعيا

حدثنا بشر ، قال : ثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا أبو أيوب العباس ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخى ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر ، فقال : هو نهر أعطانيه الله فى الجنة ، ترابه مسك أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، إنها لناعمة ؟ قال : آكلها أنعم منها » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو بن علقمة بن أبى وقاص الليثى ، عن كثير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة حين عرج بى ، فأعطيت الكوثر ، فإذا هو نهر فى الجنة ، عضاداته بيوت مجوفة من لؤلؤ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبى وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أنس : « أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟ قال : نهر أعطانيه الله فى الجنة ، هو أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، قال عمر : يا رسول الله إنها لناعمة ، قال : آكلها أنعم منها » .

حدثنا يونس ، قال : ثنا يحيى بن عبد الله ، قال : ثنى الليث ، عن ابن الهاد ، عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ، عن أنس ، أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله .

حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن الزهرى أن أخاه عبد الله ، أخبره أن أنس بن مالك صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أخبره : « أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما الكوثر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو نهر أعطانيه الله فى الجنة ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر ، فقال عمر : إنها لناعمة يا رسول الله ، فقال : آكلها أنعم منها »

فقال عمر بن عثمان ، قال ابن أبى أويس : وحدثنى أبى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن أبيه ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الكوثر ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا عطاء ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الياقوت والدر ، تربته أطيب من المسك ، ماؤه أحلى من العسل ، وأشد بياضا من الثلج » .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، قال : قال لى محارب بن دِثار ما قال سعيد بن جُبير فى الكوثر ؟ قلت : حدّثنا عن ابن عباس ، أنه قال : هو الخير الكثير ، فقال : صدق والله ، إنه للخير الكثير ، ولكن حدّثنا ابن عمر ، قال : لما نزلت : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، يَجْرِي عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : رأَيْتُ نَهْرًا حَافَتاهُ اللُّؤْلُؤُ ، فَقُلْتُ : يا جِبْرِيلُ ما هَذَا ؟ قال : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ » .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مَرْيَم ، قال : ثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ، قال : أخبرنا حزام بن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أُسامة بن زيد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة ابن عبد المطلب يوما ، فلم يجده ، فسأل امرأته عنه ، وكانت من بنى النجار ، فقالت : خرج ، بأبى أنت آنفا عامدا نحوك ، فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أوَلا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدّمت إليه حَيْسا ، فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، هنيئا لك ومريئا لقد جئت وإنى لأريد أن آتيك فأهنيك وأمْرِيك[1] . أخبرنى أبو عمارة أنك أُعطيت نهرا فى الجنة يُدعى الكوثر ، فقال : أجَلْ ، وَعَرْضُهُ » يعنى أرضه « يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ وَزَبَرْجَدٌ وَلُؤْلُؤٌ » .

وقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) اختلف أهل التأويل فى الصلاة التى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصليها بهذا الخطاب ، ومعنى قوله (وَانْحَرْ) فقال بعضهم : حضّه على المواظبة على الصلاة المكتوبة ، وعلى الحفظ عليها فى أوقاتها بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطُّفاوىّ ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنى يزيد بن أبى زياد بن أبى الجعد ، عن عاصم الجحدرىّ ، عن عقبة بن ظهير ، عن علىّ رضى الله عنه ، فى قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سَلَمة ، عن عاصم الجَحْدَرىّ ، عن عقبة بن ظبيان ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليد على اليد فى الصلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم الجَحْدَرىّ ، عن عُقْبة بن ظَهير ، عن أبيه ، عن علىّ رضى الله عنه (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ، ثم وضعهما على صدره .

قال : ثنا مهران ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبىّ ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عاصم الجَحْدَرىّ ، عن عقبة بن ظهير ، عن علىّ رضى الله عنه : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة .

(١) تريد : أقول لك : هنأك الله وأمرأك ، بما أعطاك من الكوثر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن أبي القَمُوص ، في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع اليد على اليد في الصلاة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو صالح الخُراساني ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم الجَحْدَري ، عن أبيه ، عن عقبة بن ظبيان ، أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال في قول الله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده الأيسر ، ثم وضعهما على صدره .

وقال آخرون : بل عُنِي بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) : الصلاة المكتوبة ، وبقوله (وَانْحَرْ) أن يرفع يديه إلى النحر ، عند افتتاح الصلاة والدخول فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) الصلاة ، وانحر برفع يديه أوّل ما يُكبّر في الافتتاح .

وقال آخرون : عُنِي بقوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) المكتوبة ، وبقوله (وَانْحَرْ) : نحر البُدْن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم وهارون بن المُغيرة ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الصلاة المكتوبة ، ونحر البُدْن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير وحجّاج ، أنهما قالا في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الغداة بجَمْع ، ونحر البُدن بمِنًى .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن قطر ، عن عطاء : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الفجر ، وانحر البُدْن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الصلاة المكتوبة ، والنحر : النُّسُك والذبح يوم الأضحى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، في قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الفجر .

وقال آخرون : بل عُنِي بذلك : صلّ يوم النحر صلاة العيد ، وانحر نُسُكَك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المُغيرة ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أنس بن مالك ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ينحر قبل أن يصلي ، فأُمر أن يصلي ثم ينحر .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرِمة : فصلّ الصلاة ، وانحر النُّسُك .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن ثابت بن أبي صفية ، عن أبي جعفر (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) قال : الصلاة ؛ وقال عكرِمة : الصلاة ونحر النُّسك .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : إذا صليت يوم الأضحى فانحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا قطر ، قال : سألت عطاء ، عن قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : تصلى وتنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : اذبح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبان بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : الذبح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر البُدن والصلاة يوم النحر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلاة الأضحى ، والنحر : نحر البُدن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : مناحر البُدن بِمِنًى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر النسك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يقول : اذبح يوم النحر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : نحر البُدْن .

وقال آخرون : قيل ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما كانوا يصلون لغير الله ، وينحرون لغيره فقيل له : اجعل صلاتك ونحرك لله ، إذ كان من يكفر بالله يجعله لغيره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى ، أنه كان يقول فى هذه الآية : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يقول : إن ناسا كانوا يصلون لغير الله ، وينحرون لغير الله ، فإذا أعطيناك الكوثر يامحمد ، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لى .

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية يوم الحُدَيْبية ، حين حُصِرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وصُدّوا عن البيت ، فأمره الله أن يصلى ، وينحر البُدْن ، وينصرف ، ففعل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، قال : ثنى أبو معاوية البَجَلِىّ ،

عن سعيد بن جُبير أنه قال : كانت هذه الآية ، يعنى قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) يوم الحديبية ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : انحر وارجع ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطب خطبة الفطر والنحر [١] ، ثم ركع ركعتين ، ثم انصرف إلى البُدن فنحرها ، فذلك حين يقول : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ).

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فصلِّ وادع ربَّك وَسَلْه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) قال : صلِّ لربك وسَلْ .

وكان بعض أهل العربية يتأوّل قوله : (وَانْحَرْ) واستقبل القبلة بنحرك . وذُكر أنه سمع بعض العرب يقول : منازلهم تتناحَر : أى هذا بنحر هذا : أى قبالته . وذُكر أن بعض بنى أسد أنشده :

أبا حَكَمٍ هَلْ أنْتَ عَمَّ مُجَالِدٍ وَسَيِّدُ أهْلِ الأبْطَحِ المُتَنَاحِرِ [٢]

أى ينحر بعضه بعضا .

❀ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتَك كلَّها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذى لا كُفْء له ، وخصك به ، من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب فى ذلك : لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بما أكرمه به من عطيته وكرامته ، وإنعامه عليه بالكوثر ، ثم أتبع ذلك قوله : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) ، فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له ، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التى أنعمها عليه ، بإعطائه إياه الكوثرَ ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض ، وبعض النحر دون بعض ، وجه ، إذ كان حثا على الشكر على النِّعم .

فتأويل الكلام إذن : إنا أعطيناك يامحمد الكوثر ، إنعاما منا عليك به ، وتكرمة منا لك ، فأخلص لربك العبادة ، وأفرد له صلاتك ونُسُكَك ، خلافا لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحر للأوثان .

وقوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) يعنى بقوله جلّ ثناؤه : (إنَّ شانِئَكَ) إن مُبغضَك يا محمد وعدوّك (هُوَ الأبْتَرُ) يعنى بالأبتر : الأقلّ الأذلّ المنقطع دابره ، الذى لاعَقِبَ له .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بذلك ، فقال بعضهم : عُنِى به العاص بن وائل السهمىّ .

---

(١) لعله خطبة الفطر أو النحر ، فإنه اختلف فى الخروج إلى عمرة الحديبية هل كان فى رمضان أو فى ذى القعدة فيكون شكا من الراوى

(٢) البيت لبعض بنى أسد . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن ١ ٣٧٧) قال : وقوله : « فصل لربك وانحر » فصل لربك يوم القيامة : انحر . وبإسناده إلى على قال فيها : النحر : أخذك شمالك بيمينك فى الصلاة . ويقال فصل لرباك وانحر : استقبل القبلة بنحرك. وسمعت بعض العرب يقول : منازلنا تناحر هذا : أى قبالته . وأنشدنى بعض بنى أسد : « أباحكم . . . البيت » ، فهذا من ذلك : ينحر بعضه بعضا . اهـ . وفى (اللسان : نحر) والداران تتناحران : أى تتقابلان . وإذا استقبلت دار دارا ، قيل : هذه تنحر تلك . ثم نقل كلام الفراء والبيت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) يقول : عدوّك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب ، قال : سمعت سعيد ابن جُبير يقول : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن هلال ، قال : سألت سعيد بن جُبير ، عن قوله : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : عدوّك العاص بن وائل انبتر من قومه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال العاص بن وائل ، قال : أنا شانئ محمد ، ومن شنأه الناس فهو الأبتر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : هو العاص بن وائل ، قال : أنا شانئ محمدا ، وهو أبتر ، ليس له عَقِبٌ ، قال الله : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال قتادة : الأبتر : الحقير الدقيق الذليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) هذا العاص بن وائل ، بلغنا أنه قال : أنا شانئ محمد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) قال : الرجل يقول : إنما محمد أبتر ، ليس له كما ترون عَقِبٌ ، قال الله (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ) .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك : عُقْبة بن أبى مُعَيط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، قال : كان عقبة ابن أبى معيط يقول : إنه لا يبقى للنبىّ صلى الله عليه وسلم ولد ، وهو أبتر ، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات : (إنَّ شانِئَكَ) عُقبة بن أبى مُعَيط (هُوَ الأبْتَرُ) .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك جماعة من قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، فى هذه الآية : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) قال : نزلت فى كعب بن الأشرف ، أتى مكة فقال له أهلُها :

نحن خير أم هذا الصُّنبور[1] المنبتر من قومه، ونحن أهل الحجيج، وعندنا مَنْحَرُ البُدْنِ ، قال : أنتم خير ، فأنزل الله فيه هذه الآية ، وأنزل فى الذين قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم ماقالوا : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ).

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن بدر بن عثمان ، عن عكرمة (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) . قال : لمَّا أوحى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قالت قريش : بَتَرَ محمد منا ، فنزلت (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) قال : الذى رماك بالبَتَرِ هو الأبتر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : أنبأنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتوْه ، فقالوا له : نحن أهل السِّقاية والسِّدانة ، وأنت سيد أهل المدينة ، فنحن خير أم هذا الصُّنْبور المنبتر من قومه ، يزعم أنه خير منا ، قال : بل أنتم خير منه ، فنزلت عليه : (إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ) قال : وأُنزلت عليه : (أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتابِ) . . . إلى قوله (نَصِيرًا) .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقلّ الأذلّ ، المنقطع عقبه ، فذلك صفة كلّ من أبغضه من الناس ، وإن كانت الآية نزلت فى شخص بعينه .

آخر تفسير سورة الكوثر

تفسير سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى جل ثناؤه ونخدمت أسماؤه

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) .

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان المشركون من قومه فيما ذُكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة ، على أن يعبد نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة ، فأنزل الله مُعَرِّفه جوابهم فى ذلك : (قُلْ) يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة ، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أيُّها الكافِرُونَ) بالله (لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) من الآلهة والأوثان الآن (وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ) الآن (وَلا أنا عابِدٌ)

(١) فى (اللسان : صنبر) : أصل الصنبور : سعفة تنبت فى جذع النخلة ، لا فى الأرض . أو النخلة تبقى منفردة . ومراد كفار قريش بقولهم صنبور ، أى أن إذا قلع انقطع ذكره ، كما يذهب أصل الصنبور ، لأن لا عقب له .

فيما أستقبل (ما عَبَدْتُمْ) فيما مضى (وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ) فيما تستقبلون أبدا (ما أَعْبُدُ) أنا الآن ، وفيما أستقبل . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشخاص بأعيانهم من المشركين ، قد علم أنهم لايؤمنون أبدا ، وسبق لهم ذلك فى السابق من علمه ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُؤَيِّسَهم من الذى طمعوا فيه ، وحدّثوا به أنفسهم ، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم ، فى وقت من الأوقات . وآيسَ نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم من الطمع فى إيمانهم ، ومن أن يفلحوا أبدا ، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا ، إلى أن قُتِل بعضُهم يوم بدر بالسيف ، وهلك بعض قبل ذلك كافرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت به الآثار .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن موسى الحَرَشِىّ ، قال : ثنا أبو خلف ، قال : ثنا داود ، عن عكرِمة ، عن ابن عباس « إن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا ، فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويَطئوا عَقِبه . فقالوا له : هذا لك عندنا يامحمد ، وكُفَّ عن شتم آلهتنا ، فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل ، فإنا نعرض عليك خَصْلة واحدة ، فهى لك ولنا فيها صلاح ، قال : ما هى ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة : اللات والعزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أَنْظُرَ ما يأْتى مِنْ عِنْدَ رَبِّى ، فجاء الوحى من اللوح المحفوظ (قُلْ يا أَيُّها الْكافِرُونَ) السورة ، وأنزل الله (قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّها الجاهِلُونَ) . . إلى قوله (فاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) . »

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى سعيد بن مينا مولى البَخْتَرِىّ[1] ، قال : « لقى الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأميَّة بن خلف ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هلمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدْ ما نعبد ، ونُشركَك فى أمرنا كله ، فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كناقد شَرِكناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يديك ، كنت قد شَرِكتنا فى أمرنا ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله (قُلْ يا أَيُّها الْكافِرُونَ) حتى انقضت السورة » .

وقوله (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) يقول تعالى ذكره : لكم دينكم فلا تتركونه أبدا ، لأنه قد خُتِمَ عليكم ، وقُضِى أن لاتنفكوا عنه ، وأنكم تموتون عليه ، ولى دينِ الذى أنا عليه ، لاأتركه أبدا ، لأنه قد مَضى فى سابق علم الله ، أنى لاأنتقل عنه إلى غيره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) قال للمشركين ، قال : واليهود لايعبدون إلا الله ولا يشركون ، إلا أنهم يكفرون ببعض الأنبياء ، وبما جاءوا به من عند الله ، ويكفرون برسول الله ، وبما جاء به من عند الله ، وقتلوا طوائف الأنبياء ظلما وعُدْوانا ، قال : إلا العصابة التى بَقُوا ، حتى خرج بختنصر ، فقالوا : عُزَيرٌ ابن الله ، دعا الله ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى ، قالوا : المسيح ابن الله وعبدوه .

(١) فى خلاصة الخزرجى : سعيد بن مينا ، بكسر الميم ، ومد النون : مولى أبى ذباب . . . وثقه ابن معين وأبو حاتم .

وكان بعض أهل العربية يقول: كرّر قوله (لاأعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ) وما بعده على وجه التوكيد، كما قال (فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا)، وكقوله (لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ) .

آخر تفسير سورة الكافرون

تفسير سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ونفست أسماؤه

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إذا جاءك نصر الله يامحمد على قومك من قريش ، والفتح : فتح مكة (ورأيْتَ النَّاسَ) من صنوف العرب وقبائلها أهل اليمن منهم ، وقبائل نزار (يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا) يقول : فى دين الله الذى ابتعثك به ، وطاعتك التى دعاهم إليها (أفواجا)، يعنى : زُمَرا ، فوجا فوجا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ما قلنا فى قوله : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ)

حدثنى الحارث ، قال: ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله: (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) : فتح مكة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) النصر حين فتح الله عليه ونصره .

حدثنى إسماعيل بن موسى ، قال : أخبرنا الحسين بن عيسى الحنفىّ ، عن مَعْمر ، عن الزهرىّ ، عن أبى حازم ، عن ابن عباس ، قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، إذ قال : اللهُ أكْبَرُ اللهُ أكْبَرُ ، جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، جاءَ أهْلُ اليَمَنِ ، قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبهُمْ ، لَيِّنَةٌ طِباعُهُمْ ، الإيمَانُ يَمَانٍ ، والْفِقْهُ يَمانٍ ، والْحِكْمَةُ يَمانِيَةٌ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول : سبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله وأتوب

إليه؛ قالت : فقلت : يا رسول الله أراك تُكثر قول : سبحان الله و بحمده ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، فقال : خَبَّرَنِى رَبِّى أنى سأرى عَلامَةً فِى أُمَّتِى ، فإذَا رأيْتُها أكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ ، وأسْتَغْفِرُهُ وأتُوبُ إلَيْهِ ، فَقَدْ رأيْتُها (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) فتْحُ مَكَّةَ (ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أفْوَاجا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : « كان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يُكثر قبل موته من قول سبحان الله وبحمده » ثم ذكر نحوه .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد ، عن داود ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة قال : لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ، وَجاءَ أهْلُ اليَمَنِ ، قالوا يا نبىّ الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ ، لَيِّنَةٌ طِباعُهُمْ ، الإيمَانُ يَمانٍ ، والْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ » .

وأمَّا قوله (أفْوَاجا) فقد تقدّم ذكره فى معنى أقوال أهل التأويل .

وقد حدثنى الحارث ، قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِى دِينِ اللهِ أفْوَاجا) قال : زُمرا زُمرا .

وقوله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : فسبح ربَّك وعظمه بحمده وشكره ، على ما أنجزلك من وعده ، فإنك حينئذ لاحق به ، وذائق ما ذاق مَنْ قَبْلك من رُسله من الموت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سألهم عن قول الله تعالى : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قالوا : فتح المدائن والقصور ، قال : فأنت يا بن عباس ما تقول : قلت : مَثَلٌ ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نُعِيتْ إليه نفسه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يُدنيه ، فقال له عبد الرحمن : إن لنا أبناءً مثلَه ، فقال عمر : إنه من حيث تعلم ، قال : فسأله عمر عن قول الله : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) السورة ، فقال ابن عباس : أجله ، أعلمه الله إياه ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، قال : قال عمر رضي الله عنه : ما هي ؟ يعني (إذا جاء نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ) قال ابن عباس : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ حتى بلغ (وَاسْتَغْفِرْهُ) إنك ميت (إنَّهُ كانَ تَوَّابا) فقال عمر : ما نعلم منها إلا ما قلت .

قال : ثنا مهران ، عن سفيان عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) علم النبيّ أنه نُعيتْ إليه نفسه ، فقيل له : إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُعِيَتْ إليَّ نَفْسِي ، كأنّي مَقْبُوضٌ فِي تِلكَ السَّنَةِ » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قال : ذاك حين نَعَى له نفسه يقول : إذا (رأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلون فِي دِينِ اللهِ أفْوَاجا) يعني إسلام الناس ، يقول : فذاك حين حضر أجلُك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا) .

حدثني أبو السائب وسعيد بن يحيى الأموي ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول قبل أن يموت : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالت : فقلت : يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها ؟ قال : قَدْ جُعِلَتْ لي عَلامَةٌ فِي أُمَّتِي إذَا رأَيْتُها قُلْتُها (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ) إلى آخر السورة » .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أُنزلت عليه هذه السورة (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) لا يقول قبلها : سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهمّ اغفر لي » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، اللهمّ اغفر لي ، يتأوّل القرآن » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن الشعبيّ ، قال داود : لا أعلمه إلا عن مسروق ، وربما قال عن مسروق ، عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول : سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، فقلت : إنك تُكثر من هذا ، فقال : إنَّ رَبِّي قَدْ أخْبَرَنِي أنِّي سأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي ، وأمَرَنِي إذَا رأَيْتُ تِلكَ العَلامَةَ أنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ ، وأسْتَغْفِرَهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا ، فَقَدْ رأَيْتُها (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا عاصم ، عن الشعبىّ ، عن أمّ سلمة ، قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لايقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجىء إلا قال : سبحان الله وبحمده ، فقلت : يا رسول الله ، إنك تُكثر من سبحان الله وبحمده ، لاتذهب ولا تجىء ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ، قال : إنّى أُمِرْتُ بها ، فقال : (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) إلى آخر السورة » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت سورة (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كلها بالمدينة بعد فتح مكة ، ودخول الناس فى الدين يَنْعى إليه نفسه .

قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن زياد بن الحصين ، عن أبى العالية ، قال : « لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) ونُعِيتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم نفسُه ، كان لايقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقولَ : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أشهد أن لاإله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، قال : « لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كان النبىّ صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، ربّ اغفر لى وتب علىّ ، إنك أنت التوّاب الرحيم » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) قرأها كلها قال ابن عباس : هذه السورة عَلَّمَ وحَدَّ حدّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ونَعَى له نفسَه ، أى إنك لن تعيشَ بعدها إلا قليلا . قال قتادة : والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلا ، سنتين ، ثم توفى صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى معاذ عيسى بن أبى يزيد ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن ابن مسعود ، قال : لما نزلت (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كان يُكثر أن يقولَ : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، اللهمّ اغفر لى ، سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهمّ اغفر لى ، إنك أنت التوّاب الغفور » .

حُدِّثتُ عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قول الله (إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) كانت هذه السورة آية لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا) قال : اعلم أنك ستموت عند ذلك . وقوله (وَاسْتَغْفِرْهُ) يقول : وسَلْه أن يغفر ذنوبك . (إنَّهُ كانَ تَوَّابا) : يقول : إنه كان ذا رجوع لعبده ، المطيع إلى ما يحبّ . والهاء من قوله « إنه » من ذكر الله عزّ وجلّ .

آخر تفسير سورة النصر

تفسير سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ونقدست أسماؤه

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

يقول تعالى ذكره: خسرت يدا أبى لهب، وخسر هو. وإنما عُنِى بقوله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) تبّ عمله. وكان بعض أهل العربية يقول: قوله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ): دعاء عليه من الله.

وأما قوله (وَتَبَّ) فإنه خبر. ويُذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ) وفى دخول « قد » فيه دلالة على أنه خبر، ويمثَّل ذلك بقول القائل لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحا وقد جعلك.

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ): أى خسرت وتب.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) قال: التبّ: الخسران، قال: قال أبو لهب للنبىّ صلى الله عليه وسلم: ماذا أُعْطَى يا محمد إن آمنت بك؟ قال: كما يُعْطَى المُسْلِمُونَ، فقال: مالى عليهم فضل؟ قال: وأىّ شَىْءٍ تَبْتَغِى؟ قال: تبا لهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) يقول: بما عملت أيديهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) قال: خسرت يدا أبى لهب وخسر.

وقيل: إن هذه السورة نزلت فى أبى لهب، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم لما خصّ بالدعوة عشيرته، إذ نزل عليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وجمعهم للدعاء، قال له أبو لهب: تبا لك سائرَ اليوم، ألهذا دعوتنا؟

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا، فقال: يا صَبَاحاهْ! فاجتمعت إليه

قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيتكم إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ مصبّحكم أو ممسّيكم ، أما كنتم تصدّقونني ؟ قالوا : بلى ، قال : فإني نذير لكم بين يدَيْ عذاب شديد ، فقال أبولهب : تبًّا لك ، ألهذا دعوتنا وجمعتنا ، فأنزل الله (تبّت يدا أبي لهب) إلى آخرها » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (وأنذرْ عشيرتك الأقربين) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ثم نادى : يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه ، فبين رجلٌ يجيء ، وبين آخر يبعثُ رسولَه ، فقال : يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني ... يا بني أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل « يريد تغير عليكم » صدّقتموني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدَيْ عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا دعوتنا ؟ فنزلت (تبّت يدا أبي لهب وتبّ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذرْ عشيرتك الأقربين) ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ، فقالوا : مَنْ هذا الذى يهتف ؟ فقالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبا ، قال : فإني نذير لكم بين يدَيْ عذاب شديد ، فقال أبولهب : تبًّا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تبّت يدا أبي لهب وقد تبّ) كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، فى قوله (تبّت يدا أبي لهب) قال : حين أرسل النبيّ صلى الله عليه وسلم إليه وإلى غيره ، وكان أبولهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه عبد العزّى فذكرهم ، فقال أبولهب : تبا لك ، فى هذا أرسلت إلينا ؟ فأنزل الله (تبّت يدا أبي لهب) .

وقوله (ما أغنى عنه ماله وما كسب) يقول تعالى ذكره : أىّ شىء أغنى عنه ماله ، ودفع من سخط الله عليه (وما كسب) وهم ولده .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن داود بن محمد المنكدر ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن خيثم ، عن أبى الطفيل ، قال : جاء بنو أبى لهب إلى ابن عباس ، فقاموا يختصمون فى البيت ، فقام ابن عباس ، فحجز

بينهم ، وقد كفّ بصره ، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش ، فغضب وقال : أخرجوا عنى الكسب الخبيث.

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبى بكر الهُذَلىّ ، عن محمد بن سفيان ، عن رجل من بنى مخزوم ، عن ابن عباس أنه رأى يوما ولد أبى لهب يقتتلون ، فجعل يحجُز بينهم ويقول : هؤلاء مما كسب.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (ما أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ ، وَما كَسَبَ) قال : ما كسب ولده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : (وَما كَسَبَ) قال : ولده هم من كسبه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَما كَسَبَ) قال : ولده .

وقوله : (سَيَصْلَى نارًا ذَاتَ لَهَبٍ) يقول : سيصلى أبو لهب نارا ذات لهب .

وقوله : (وَامْرأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) يقول : سيصلى أبو لهب وامرأته حمالة الحطب ، نارا ذات لهب .

واختلفت القرّاء فى قراءة (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) بالرفع ، غير عبد الله بن أبى إسحاق ، فإنه قرأ ذلك نصبا فيما ذُكر لنا عنه .

واختُلف فيه عن عاصم ، فحكى عنه الرفع فيها والنصب ، وكأنّ من رفع ذلك جعله من نعت المرأة ، وجعل الرفع للمرأة ما تقدّم من الخبر ، وهو « سيصلى » ، وقد يجوز أن يكون رافعها الصفة ، وذلك قوله (فِى جِيدِها) وتكون (حَمَّالَةَ) نعتا للمرأة . وأما النصب فيه فعلى الذمّ ، وقد يُحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة ، لأن المرأة معرفة ، وحمالة الحطب نكرة[1] .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع ، لأنه أفصح الكلامين فيه ، ولإجماع الحجة من القرّاء عيه .

واختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فقال بعضهم : كانت تجىء بالشوك فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليدخل فى قدمه إذا خرج إلى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَامْرأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ليعقره وأصحابه ، ويقال : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : نقالة للحديث .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من هَمْدان يقال له يزيد ابن زيد ، أن امرأة أبى لهب كانت تلقى فى طريق النبىّ صلى الله عليه وسلم الشَّوْك ، فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ — وامْرأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) .

حدثنى أبو هريرة الضَّبَعى : محمد بن فِراس ، قال : ثنا أبو عامر ، عن قُرّة بن خالد ، عن عطية الجدلىّ ،

(١) لعله يقصد بقوله « وحمالة الحطب نكرة » : أنها إضافة لفظية لامعنوية ، فهى فى حكم النكرة .

فى قوله: (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تضع العضاه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنما يطأ به كثيبا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) كانت تحمل الشوك ، فتلقيه على طريق نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ليعقره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تأتى بأغصان الشوك ، فتطرحُها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : قيل لها ذلك : حمالة الحطب ، لأنها كانت تحطب الكلام ، وتمشى بالنميمة ، وتعيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبو المعتمر : زعم محمد أن عكرِمة قال : (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : كانت تمشى بالنميمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تمشى بالنميمة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : النميمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) : أى كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تحطب الكلام ، وتمشى بالنميمة . وقال بعضهم : كانت تُعَيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ، وكانت تَحْطِبُ فَعُيِّرت بأنها كانت تحطب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) قال : كانت تمشى بالنميمة

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى : قول من قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن عيسى بن يزيد ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زيد ، وكان ألزم شىء لمسروق ، قال : لما نزلت : (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ) بلغ امرأة أبى لهب أن النبىّ صلى الله عليه وسلم يهجوك ، قالت : علام يهجونى ؟ هل رأيتمونى كما قال محمد أحمل حطبا «فى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» ؟ فمكثت ، ثم أتته ، فقالت : إن ربك قلاك وودّعك ، فأنزل الله : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) .

وقوله (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) يقول : فى عنقها ، والعرب تسمى العنق جيدا ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

فعَيْناكِ عَيْناها وَلَوْنُكِ لَوْنُها وَجِيدُكِ إلاَّ أنَّها غَيْرُ عاطِلِ[1]

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله : (فِي جِيدِها حَبْلٌ) قال : فى رقبتها .

وقوله : (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : هى حبال تكون بمكة .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبل من شجر ، وهو الحبل الذى كانت تحتطب به .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : هى حبال تكون بمكة ، ويقال : المَسَد : العصا التى تكون فى البكرة ، ويقال المَسَد : قلادة من وَدَع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبال من شجر تنبت فى اليمن لها مسد ، وكانت تفتل ؛ وقال (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) : حبل من نار فى رقبتها .

وقال آخرون : المَسَد : الليف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن يزيد ، عن عروة (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة من حديد ، ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن رجل يقال له يزيد ، عن عروة بن الزُّبير (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يزيد ، عن عُرْوة بن الزبير (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن مجاهد (مِنْ مَسَدٍ) قال : من حديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان (فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : حبل فى عنقها فى النار مثل طوق ، طوله سبعون ذراعا .

(١) البيت لذى الرمة غيلان (ديوانه ٤٩٥) وقد استشهد به المؤلف على أن العرب تسمى العنق جيدا ، كما فى بيت ذى الرمة . والعاطل : التى لا حلى عليها .

وقال آخرون : المَسَد : الحديد الذى يكون فى البَكْرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : الحديدة تكون فى البَكْرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : عود البكرة من حديد .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : الحديدة للبكرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبو المعتمر : زعم محمد أن عكرِمة قال : (فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) إنه الحديدة التى فى وسط البكرة .

وقال آخرون : هو قِلادة من وَدَع فى عنقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال قلادة من وَدَع .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال : قلادة من وَدَع .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : هو حبلٌ جُمع من أنواع مختلفة ، ولذلك اختلف أهل التأويل فى تأويله على النحو الذى ذكرنا ، ومما يدلّ على صحة ما قلنا فى ذلك قول الراجز :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ
صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مُخٍّ زَاهِقِ [1]

---

(١) البيتان : لعمارة بن طارق وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٣٩٠ ٢٦ عن مخطوطة مراد ملا بالآستانة) قال : « حبل من مسد » : من النار ، والمسد عند العرب حبال تكون من ضروب . قال : « ومسد أمر . . . البيتين . » وفى (اللسان : مسد) قال : المسد ، بالتحريك : الليف . وقال ابن سيده : المسد : حبل من ليف ، أو خوص ، أو شعر ، أو وبر ، أو صوف ، أو جلود الإبل ، أو جلود ، أو من أى شىء كان . قال : وقد يكون من جلود الإبل ، أو من أوبارها . وأنشد الأصمعى لعمارة بن طارق . وقال أبو عبيدة : هو لعقبة الهجيمى :

فأَعْجَلْ بِغَرْبٍ مِثْلِ غَرْبِ طارِقِ
وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أيانِقِ
لَيْسَ بِأَنْيابٍ وَلا حَقائِقِ

قال : يقول : ولو عجل بدلو مثل طارق ، ومسد فتل من أيانق . وأيانق : جمع أينق ، وأينق جمع ناقة . والأنياب جمع ناب ، وهى =

فجعل إمراره من شئ ، وكذلك المسد الذي فى جيد امرأة أبى لهب ، أمر من أشياء شتى ، من ليف وحديد ولحاء ، وجعل فى عنقها طوقا كالقلادة من ودع ؛ ومنه قول الأعشى :

تُمْسِي فيَصْرِفُ بابُها مِنْ دُونِنا غَلَقًا صَرِيفَ مَحالَةِ الأَمْسادِ [1]

يعنى بالأمساد : جمع مَسَد ، وهى الحبال

آخر تفسير سورة تَبَّتْ

تفسير سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) .

ذُكر أن المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسب ربّ العزّة ، فأنزل الله هذه السورة جوابا لهم . وقال بعضهم : بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه ، فقالوا له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فأُنزلت جوابا لهم .

ذكر من قال : أُنزلت جوابا للمشركين الذين سألوه أن ينسُب لهم الربّ تبارك وتعالى .

حدثنا أحمد بن منيع المَرْوزىّ ومحمود بن خِداش الطالَقانى ، قالا : ثنا أبو سعيد الصنعانى ، قال : ثنا أبو جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب ، قال : قال المشركون للنبىّ صلى الله عليه وسلم : انسُبْ لنا ربك ، فأنزل الله (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرِمة ، قال : إن

= الهرمة ، والحقائق : جمع حقة (بالكسر) وهى التى دخلت فى السنة « الرابعة ، وليس جلدها بالقوى . يريد ليس جلدها من الصغير ولا الكبير ، بل هو من جلد ثنية ، أو رباعية ، أو سديس ، أو بازل ؛ وخص به أبو عبيدة الحبل من الليف . وقيل : هو الحبل المضفور ، المحكم الفتل ، من جميع ذلك . وقال الزجاج فى قوله عز وجل « فى جيدها حبل من مسد » : جاء فى التفسير : أنها سلسلة طولها سبعون ذراعا ، يسلك بها فى النار . والجمع : أمساد ، ومساد . (وانظر اللسان : مسد ، ففيه أقوال كثيرة أخرى فى الآية) .

(١) البيت من قصيدة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى الفخر (ديوانه ١٢٩) . وقبله مباشرة :

فانْهَىْ خيالَكِ أنْ يَزُورَ فإنَّهُ فى كلّ مَنْزِلَةٍ يَعُـودُ وِسادِى

قال الدكتور محمد حسين شارح الديوان : المنزل والمنزلة : مكان الإقامة . والصريف : صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة : البكرة . الأمساد : الحبال ، جمع مسد (بفتحتين . يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها فى المساء بصوت البكرة حين تدور على البئر) . اهـ .

المشركين قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن ربك ، صف لنا ربك ما هو ، ومن أىّ شىء هو ؟ فأنزل الله : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) قال : قال ذلك قادة الأحزاب ، انسُب لنا ربك ، فأتاه جبريل بهذه .

حدثنى محمد بن عوف ، قال : ثنا شريح ، قال : ثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن جابر قال : قال المشركون : انسُب لنا ربك ، فأنزل الله (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) .

ذكر من قال : نزل ذلك من أجل مسألة اليهود

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن محمد ، عن سعيد ، قال : أتى رهط من اليهود النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِعَ لونه ، ثم ساوَرَهم غضبا لربه ، فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه ، وقال : اخفض عليك جناحك يا محمد ، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه . قال : يقول الله : (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) فلما تلا عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : صِف لنا ربك كيف خَلْقُه ، وكيف عضُدُه ، وكيف ذراعُه ، فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساوَرَهم غضبا ، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته ، وأتاه بجواب ما سألوه عنه : (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، والأرْضُ جَمِيعا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحانَهُ وَتَعالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا مِهران ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : جاء ناس من اليهود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : آنسب لنا ربك ، فنزلت (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ) حتى ختم السورة .

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائليك عن نسب ربك وصفته ، ومن خلقه : الربّ الذى سألتمونى عنه ، هو الله الذى له عبادة كل شىء ، لاتنبغى العبادة إلا له ، ولا تصلح لشىء سواه .

واختلف أهل العربية فى الرافع (أحَدٌ) فقال بعضهم : الرافع له « الله » ، و «هو» عماد[1] ، بمنزلة الهاء فى قوله : (إنَّهُ أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ) . وقال آخر منهم : بل «هو» مرفوع ، وإن كان نكرة بالاستئناف ، كقوله : هذا بعلى شيخ ، وقال : هو الله جواب لكلام قوم قالوا له : ما الذى تعبد ؟ فقال : هو الله ، ثم قيل له : فما هو ؟ قال : هو أحد .

وقال آخرون (أحَدٌ) بمعنى : واحد ، وأنكر أن يكون العماد مستأنفا به ، حتى يكون قبله حرف من حروف الشكّ ، كظنّ وأخواتها ، وكان وذواتها ، أو إنّ وما أشبهها ، وهذا القول الثانى هو أشبه بمذاهب العربية .

(١) « العماد » فى اصطلاح نحاة الكوفة : أهو ما يسميه البصريون : « ضمير الفصل » . وفى إعرابه خلاف بينهم .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) بتنوين «أحدٌ» ، سوى نصر بن عاصم ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، فإنه رُوى عنهما ترك التنوين (أحَدُ اللهُ) ، وكأن من قرأ ذلك كذلك ، قال : نون الأعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حُذفت أحيانا ، كما قال الشاعر :

كَيْفَ نَوْمى على الفِرَاشِ ولَمّا ... تَشْمَلِ الشَّامَ غارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وتُبْدِى ... عَنْ خِدَامِ العَقِيلَةُ العَذْرَاءُ[1]

يريد : عن خِدامِ العقيلةُ .

❊ والصواب فى ذلك عندنا : التنوين ، لمعنيين : أحدهما أفصح اللغتين ، وأشهر الكلامين ، وأجودهما عند العرب . والثانى : إجماع الحجة من قرّاء الأمصار على اختيار التنوين فيه ، ففى ذلك مُكْتَفًى عن الاستشهاد على صحته بغيره . وقد بيَّنا معنى قوله « أحد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (اللهُ الصَّمَدُ) يقول تعالى ذكره : المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له الصمدُ .

واختلف أهل التأويل فى معنى الصمد ، فقال بعضهم : هو الذى ليس بأجوف ، ولا يأكل ولا يشرب

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، عن سلمة بن سابور ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : الصمد : الذى ليس بأجوف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الصمد : المُصْمَتُ الذى لاجوف له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثلَه سواءً .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الصمد : المُصْمَتُ الذى ليس له جوف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ووكيع ، قالا : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الصمد : الذى لاجوف له .

---

(١) البيتان لعبيد الله بن قيس الرقيات الشاعر الإسلامى القرشى . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) قال : قد قرأت القراء : « وقالت اليهود عزيرا بن الله » و« عزير ابن الله » والتنوين أجود . أنشدنى بعضهم :

لَتَجِدَنِّى بالأمِيرِ بَرًّا
وبالْقَنَاةِ مِدْعَسًا مِكَرًّا
إذَا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فَرَّا

وأنشدنى آخر : « كيف نومى . . . البيتين » : والشاهد : أن حذف التنوين من قوله « غطيف السلمى » ، ومن قول ابن قيس « عن خدام العقيلة » ، كما حذف التنوين من قراءة من قرأ « أحد الله الصمد » فلم ينون « أحد » . والبيت فى ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات طبعة وينا سنة ١٩٠٢ ص ١٨٣ وفيه « عن براها العقيلة العذراء » ولاشاهد فيه إذن .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثلَه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا الربيع بن مسلم ، عن الحسن ، قال : الصَّمَدُ : الذى لاجوف له .

قال : ثنا الربيع بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : أرسلنى مجاهد إلى سعيد بن جُبير أسأله عن الصمد ، فقال : الذى لاجوف له .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ ، قال : الصمدُ الذى لايَطْعَم الطعام .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ أنه قال : الصَّمَدُ : الذى لايأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

حدثنا أبو كُرَيب وابن بشار ، قالا : ثنا وكيع ، عن سلمة بن نُبَيط ، عن الضحاك ، قال : الصمدُ : الذى لاجوف له .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسماعيل ، عن عامر ، قال : الصمدُ : الذى لايأكل الطعام .

حدثنا ابن بشار وزيد بن أخزم ، قالا : ثنا ابن داود ، عن المستقيم بن عبد الملك ، عن سعيد بن المسيب قال : الصمدُ : الذى لاحِشوة له .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله الصمدُ : الذى لاجوف له .

حدثنى العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمدبن عمربن رومى ، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، قال : ثنى صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، قال : لاأعلمه إلا قد رفعه ، قال : الصَّمَد الذى لاجوف له

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن الربيع بن مسلم ، قال : سمعت الحسن يقول : الصَّمَدُ : الذى لاجوف له .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرِمة ، قال : الصمدُ : الذى لاجوف له.

وقال آخرون : هو الذى لايخرج منه شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت عِكْرِمة ، قال فى قوله : الصَّمَدُ : الذى لم يخرج منه شىء ، ولم يَلِد ، ولم يُولَد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء محمد بن يوسف ، عن عكرمة قال : الصمدُ : الذى لايخرج منه شىء .

وقال آخرون : هو الذى لم يَلِدْ ولم يُولَدْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : الصَّمَدُ : الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شىء يلد إلاّ سيورث ، ولا شىء يولد إلاّ سيموت ، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لايُورث ولا يموت .

حدثنا أحمد بن منيع ومحمود ابن خِداش قالا : ثنا أبو سعيد الصَّنْعانىّ ، قال : قال المشركون للنبىّ صلى الله عليه وسلم : انسُب لنا ربك ، فأنزل الله : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ﴾ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيُورث ، وإن الله جلّ ثناؤه لايموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ﴾ : ولم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثله شىء .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : الصَّمَد : الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

وقال آخرون : هو السيد الذى قد انتهى سُودَده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : الصَّمَدُ : هو السيد الذى قد انتهى سُودَدُه .

حدثنا أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى ، قالوا : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : الصَّمد : السيد الذى قد انتهى سُودَدُه ، ولم يقل أبو كُرَيب وابن عبد الأعلى سُودَدُه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل مثله .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله ﴿الصَّمَدُ﴾ يقول : السيد الذى قد كمل فى سُودَده ، والشريف الذى قد كمُل فى شرفه ، والعظيم الذى قد عظُم فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والغنىّ الذى قد كمل فى غناه ، والجبّار الذى قد كمل فى جبروته ، والعالم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسُّودَد ، وهو الله سبحانه هذه صفته ، لاتنبغى إلا له .

وقال آخرون : بل هو الباقى الذى لايفنَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) قال : كان الحسن وقتادة يقولان : الباقى بعد خلقه ، قال : هذه سورة خالصة ، ليس فيها ذكر شىء من أمر الدنيا والآخرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الصَّمَدُ : الدائم .

قال أبوجعفر : الصَّمَدُ : عند العرب : هو السيد الذى يُصْمَدُ إليه ، الذى لاأحد فوقه ، وكذلك تسمى أشرافها ؛ ومنه قول الشاعر :

ألا بَكَرَ النَّاعى بِخَيْرَىْ بَنِى أسَدْ　　بعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[1]

وقال الزبرقان :

وَلا رَهِينَةَ إلاَّ سَيِّدٌ صَمَدُ[2]

فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل الكلمة ، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ولو كان حديث ابن بُريدة ، عن أبيه صحيحا ، كان أولى الأقوال بالصحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما عَنَى الله جلّ ثناؤه ، وبما أنْزل عليه .

وقوله : (لَمْ يَلِدْ) يقول : ليس بفان ، لأنه لاشىء يلد إلا وهو فان بائد (وَلَمْ يُولَدْ) يقول : وليس بمحدث لم يكن فكان ، لأن كلّ مولود فانما وُجد بعد أن لم يكن ، وحدث بعد أن كان غير موجود ، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل ، ودائم لم يَبِد ، ولا يزول ولا يفنى .

وقوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولم يكن له شبيه ولا مِثْل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) : لم يكن له شبيه ، ولا عِدْل ، وليس كمثله شىء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عمرو بن غَيْلانَ الثقفىّ ، وكان أميرَ البصرة[3] ، عن كعب ، قال : إن الله تعالى ذكره أسَّس السموات السبع ، والأرضين السبع ، على هذه السورة (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ) وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد ملا بالآستانة ١٩٢) قال : الصمد : هو السيد الذى يصمد (يقصد) ليس فوقه أحد . والعرب تسمى أشرافها ، قال الأسدى : لقد بكر الناعى . . . البيت » .

(٢) هذا عجز بيت ، نسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة ٢٦٣٩٠ عن مخطوطة مراد ملا بالآستانة ص ١٩٢) إلى الزبرقان بن بدر التميمى ، وأورده بعد الشاهد الذى قبله ، فى تفسير الصمد من قوله تعالى . « الله الصمد » .

(٣) عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفى ، مختلف فى صحبته ، نزل الشام . وأخوه عبد الله من أمراء معاوية ، قال المزى : لاتبعد صحبته .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : ليس كمثله شيء ، فسبحان الله الواحد القهّار .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن جُرَيج (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا) : مثل .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يكن له صاحبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك بن أبجر ، عن طلحة ، عن مجاهد ، قوله : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبد الملك ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن ابن أبجر ، عن رجل عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن أبجر ، عن طلحة بن مصرّف ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) قال : صاحبة .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن عبد الملك ، عن طلحة ، عن مجاهد ، مثله ، والكُفُؤ والكِفْء والكِفاء في كلام العرب : واحد ، وهو المِثْل والشِّبْه ، ومنه قول نابغة بني ذُبيان :

لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ ... وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الأَعْداءُ بِالرَّفَدِ [1]

يعني : لا كفاء له : لا مثل له .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (كُفُوًا) . فقرأ ذلك عامة قرّاء البصرة (كُفُوًا) بضم الكاف والفاء . وقرأه بعض قرّاء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها (كُفْئًا) .

* والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب .

آخر تفسير سورة الإخلاص

---

(١) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٥٤) قال شارحه : الكفاء : النظير والمثل . وتأثفك الأعداء : صاروا حولك كالأثافي . والرفد : العصب من الناس . يريد : لا ترمني بما لا أطيق ، ولا يقوم له أحد ، ولا يكافئك فيه أعداؤك ، ولو أحاطوا بك متعاونين . وفي (اللسان : كفأ) : وقال الزجاج في قوله تعالى : « ولم يكن له كفوا أحد » : أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : « كفؤا » بضم الكاف والفاء . و « كفأ » بضم الكاف ، وإسكان الفاء ، و « كفأ » بكسر الكاف ، وسكون الفاء ، وقد قرئ بهن . و « كفاء » بكسر الكاف والمد ، ولم يقرأ بها . ومعناه : لم يكن أحد مثلا لله تعالى ذكره . اهـ .

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد أستجير بربّ الفلق من شرّ ما خلق من الخلق .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفلق ، فقال بعضهم : هو سجن فى جهنم يسمى هذا الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله ، عمن حدثه عن ابن عباس قال : الفلق : سجن فى جهنم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبى فروة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (الفَلَقِ) : سجن فى جهنم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام بن عبد الجبار الجَوْلانىّ ، قال : « قَدِم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشأم ، قال : فنظر إلى دُور أهل الذمة ، وما هم فيه من العيش والنضارة ، وما وُسِّعَ عليهم فى دنياهم ، قال : فقال : لاأبالك ، أليس من ورائهم الفلق ؟ قال : قيل : وما الفلق ؟ قال : بيت فى جهنم ، إذا فُتح هَرّ أهل النار » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السُّدّىّ يقول : الفَلَق : جُبّ فى جهنم .

حدثنى علىّ بن حسن الأزدى ، قال : ثنا الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن السدىّ ، مثله .

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطىّ ، قال : ثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطىّ ، قال : ثنا نصر ابن خُزَيمة الخراسانىّ ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ ، عن أبى هُريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « الفَلَق : جبّ فى جهنم مغطًّى » .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ، قال : ثنا يحيى بن أبى أسيد ،

عن ابن عجلان ، عن أبي عبيد ، عن كعب ، أنه دخل كنيسة فأعجبه حُسنها ، فقال : أحسن عمل وأفضل قوم ، رضيت لكم الفلق ، قيل : وما الفلق ؟ قال : بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه.

وقال آخرون : هو اسم من أسماء جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت خيثم بن عبد الله يقول : سألت أبا عبد الرحمن الحبلي ، عن الفلق ، قال : هي جهنم .

وقال آخرون : الفلق : الصبح .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفلق : الصُّبْح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، قال : أنبأنا عوف ، عن الحسن ، في هذه الآية (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفلق : الصبح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، قال : الفلق الصبح .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران جميعا ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثني عليّ بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا الأشجعيّ ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جُبير ، مثله .

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا وكيع ، عن الحسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال : الفَلَق : الصبح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا الحسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القُرَظيّ ، أنه كان يقول في هذه الآية (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) يقول : فالق الحبّ والنوى ، قال : فالق الإصباح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الصبح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قال : الفَلَق : فَلَقُ النهار .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : الفلق : فلق الصبح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) قيل له : فَلَق الصبح ، قال : نعم ، وقرأ (فالِقُ الإصْباحِ ، وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) .

وقال آخرون : الفَلَق : الخلق ، ومعنى الكلام : قل أعوذ بربّ الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (الفلق : يعني الخلق .

❁ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول : (أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) والفلق في كلام العرب : فَلَق الصبح ، تقول العرب : هو أبينُ من فَلَق الصُّبح ، ومن فَرَق الصُّبح . وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن جلّ ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله (بِرَبِّ الْفَلَقِ) بعض مايُدْعَى الفلق دون بعض ، وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء ، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق ، إذ كان ربّ جميع ذلك .

وقال جلّ ثناؤه : (مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ) لأنه أمر نبيه أن يستعيذ من شرّ كل شيء ، إذ كان كلّ ما سواه ، فهو ما خَلَق .

وقوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) يقول : ومن شرّ مظلم إذا دخل ، وهجم علينا بظلامه .

❁ ثم اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عُنِي في هذه الآية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه ، فقال بعضهم : هو الليل إذا أظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : الليل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، قال : أنبأنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : أوّل الليل إذا أظلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في (غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) يقول : النهار إذا دخل في الليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من أهل المدينة ، عن محمد بن كعب (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : هو غروب الشمس إذا جاء الليل ، إذا وقب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قوله (غاسِقٍ) قال : الليل (إذَا وَقَبَ) قال : إذا دخل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : الليل إذا أقبل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : إذا جاء .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إذَا وَقَبَ) يقول : إذا أقبل . وقال بعضهم : هو النهار إذا دخل فى الليل ، وقد ذكرناه قبلُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن رجل من أهل المدينة ، عن محمد بن كعب القُرَظِىّ (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : هو غروب الشمس إذا جاء الليل ، إذا وجب .

وقال آخرون : هو كوكب . وكان بعضهم يقول : ذلك الكوكب هو الثُّرَيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا سليمان بن حبيّان ، عن أبى المُهَزِّم ، عن أبى هريرة فى قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : كوكب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : كانت العرب تقول : الغاسق : سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

ولقائلى هذا القول علّة من أثر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو ما حدثنا به نصر بن علىّ ، قال : ثنا بكار بن عبد الله بن أخى هَمّام ، قال : ثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : النجم الغاسق .

وقال آخرون : بل الغاسق إذا وقب القمر ، ورووا بذلك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ؛ وحدثنا ابن سفيان ، قال : ثنا أبى ويزيد بن هارون به .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : « أخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيدى ، ثم نظر إلى القمر ، ثم قال : يا عائِشَةُ تَعَوَّذِى بالله مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ ، وَهَذَا غاسِقٌ إذَا وَقَبَ » ، وهذا لفظ حديث أبى كُرَيب وابن وكيع . وأما ابن حُمَيد ، فإنه قال فى حديثه : قالت : « أخَذَ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيدى ، فقال : أتَدْرِينَ أىَّ شَىْءٍ هَذَا ؟ تَعَوَّذِى بالله مِنْ شَرِّ هَذَا ، فإنَّ هَذَا الْغاسِقُ إذَا وَقَبَ » .

حدثنا محمد بن سنان ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا ابن أبى ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ، فقال : يا عائِشَةُ اسْتَعِيذِى بالله مِنْ شَرِّ هَذَا ، فإنَّ هَذَا الْغاسِقُ إذَا وَقَبَ » .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ (مِنْ

شَرِّ غاسِقٍ) وهو الذى يُظْلِم، يقال : قد غَسَقَ الليل يَغْسُقُ غسوقا : إذا أظلم . (إذَا وَقَبَ) يعنى : إذا دخل فى ظلامه ، والليل إذا دخل فى ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق إذا وقب ، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك ، فكلّ غاسق ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يُؤمر بالاستعاذة من شرّه إذا وقب . وكان قتادة يقول فى معنى وقب : ذهب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غاسِقٍ إذَا وَقَبَ) قال : إذا ذهب ، ولست أعرف ما قال قتادة فى ذلك فى كلام العرب ، بل المعروف من كلامها من معنى وقب : دخل.

وقوله (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) يقول : ومن شرّ السواحر اللاتى ينفُثْن فى عُقَد الخيط ، حين يَرْقِين عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس [1] : (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : ما خالط السِّحر من الرُّقَى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : السواحر والسَّحَرة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا قتادة (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : إياكم وما خالط السِّحر من هذه الرُّقَى .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : ما من شىء أقرب إلى الشرك من رُقْية المجانين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول إذا جاز (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : إياكم وما خالط السحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : قال مجاهد : الرُّقَى فى عُقَد الخيط ؛ وقال عكرمة : الأخذ فى عقد الخيط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) قال : النفاثات : السواحر فى العقد .

وقوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) : اختلف أهل التأويل فى الحاسد الذى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ حسده به ، فقال بعضهم : ذلك كلّ حاسد أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه .

(١) إلى هنا ينتهى الموجود من الجزء الأخير من النسخة رقم ١٠٠ تفسير ، المحفوظة بدار الكتب المصرية . ومقدار الساقط منها نحو أربع صفحات من صفحات الأصل ، ولعلها سقطت أخيرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) قال : من شرّ عينه ونفسه ، وعن عطاء الخُراسانى مثل ذلك . قال مَعْمر : وسمعت ابن طاوُس يحدّث عن أبيه ، قال : « العَينُ حَقٌّ ، وَلَو كانَ شَيءٌ سابق القَدَرِ ، سَبَقَتْه العَينُ ، وإذا اسْتُغْسِلَ [1] أحدُكم فَلْيَغْتَسِل » .

وقال آخرون : بل أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يستعيذ من شرّ اليهود الذين حسدوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) قال : يهود ، لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم .

❊ وأولى القولين بالصواب فى ذلك : قول من قال : أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد ، فعابه أو سحره ، أو بغاه سوءا .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله (وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ) حاسدا دون حاسد ، بل عمّ أمرُه إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد ، فذلك على عمومه .

آخر تفسير سورة الفلق

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦) .

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أستجير (بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ) وهو ملك جميع الخلق : إنسهم وجنهم ، وغير ذلك ، إعلاما منه بذلك مَنْ كان يعظّم الناس تعظيم المؤمنين ربّهم ، أنه مَلِكُ من يعظمه ، وأن ذلك فى مُلكه وسلطانه ، تجرى عليه قُدرته ، وأنه أولى بالتعظيم ، وأحقّ بالتعبد له ممن يعظمه ، ويتعبّد له ، من غيره من الناس .

وقوله (إلَهِ النَّاسِ) يقول : معبود الناس ، الذى له العبادة دون كلّ شىء سواه .

(١) فى (النهاية لابن الاثير : غسل) : أى إذا طلب من أصابته العين أن يغتسل من أصابه بعينه ، فليجبه .

وقوله (مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ) يعنى : من شرّ الشيطان (الخَنَّاسِ) الذى يخنِس مرّة ، ويوسوس أخرى ، وإنما يخنِس فيما ذُكر عند ذكر العبد ربه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن حكيم بن جُبير ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : « ما من مولود إلا على قلبه الوَسواس ، فإذا عقل فذكر الله خَنَس ، وإذا غَفَل وسوس ، قال : فذلك قوله (الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن عباس ، فى قوله (الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ) قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس .

قال : ثنا مهران ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ) قال : ينبسط ، فإذا ذكر الله خَنَس وانقبض ، فإذا غفل انبسط .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ) قال : الشيطان يكون على قلب الإنسان ، فإذا ذكر الله خَنَس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الْوَسْوَاسِ) قال : قال هو الشيطان ، وهو الخَنَّاس أيضا ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، وهو يوسوس ويَخْنِس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ) يعنى : الشيطان ، يوسوس فى صدر ابن آدم ، ويخنس إذا ذُكر الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه ، قال : ذُكر لى أن الشيطان ، أو قال الوسواس ينفث فى قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح ، وإذا ذُكر الله خنس .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الخَنَّاسِ) قال : الخناس الذى يوسوس مرّة ، ويخنس مرّة من الجنّ والإنس ، وكان يقال : شيطان الإنس أشدّ على الناس من شيطان الجنّ ، شيطان الجنّ يوسوس ولا تراه ، وهذا يُعاينك معاينة .

ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يقول فى ذلك (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) الذى يوسوس بالدعاء إلى طاعته فى صدور الناس ، حتى يُستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته ، فإذا استجيب له إلى ذلك خَنَس .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (الْوَسْوَاس) قال : هو الشيطان يأمره ، فإذا أطيع خنس .

* والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من

شرّ شيطان يوسوس مرّة ويخنس أخرى ، ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها ، ولا خنوسه على وجه دون وجه ، وقد يوسوس بالدعاء إلى معصية الله ، فإذا أطيع فيها خنَس ، وقد يوسوس بالنَّهْى عن طاعة الله فإذا ذكر العبدُ أمر ربه ، فأطاعه فيه ، وعصى الشيطان خنس ، فهو فى كلّ حالتيه وَسْواس خنّاس ، وهذه الصفة صفته .

وقوله (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ) يعنى بذلك : الشيطان الوسواس ، الذى يوسوس فى صدور الناس : جنهم وإنسهم .

فإن قال قائل : فالجنّ ناس ، فيقال : الذى يوسوس فى صدور الناس : من الجنة والناس . قيل : قد سماهم الله فى هذا الموضع ناسا ، كما سماهم فى موضع آخر رجالا ، فقال : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ » ، فجعل الجنّ رجالا ، وكذلك جعل منهم ناسا .

وقد ذُكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدّث ، إذ جاء قوم من الجنّ فوقفوا ، فقيل : من أنتم ؟ فقالوا : ناس من الجنّ ، فجعل منهم ناسا ، فكذلك ما فى التنزيل من ذلك .

آخر كتاب التفسير ، والحمد لله العلىّ الكبير

فهرس جامع للقوافى

القافية	الجزء	الصفحة
الألف		
ا		
لا نَا	١	٩١
إذَا يا	١	٩١
شَرًّا فا	١	٩١
أنْ تَا	١	٩١
الأَسَى	٦	٣١٠
زَكا	١	٢٥٧
السَّفا	١	٢٥٧
الضُّحَى	١٥	٢٤١
السُّرَى	١٥	٢٤١
مُبْتَلَى	١٥	٢٨٩
جَزَى	٧	١٧٤
العُلَى	٧	١٧٤
مِنْ عَلا	٢٢	١١٠
الفَلا	٢٢	١١٠
غَوَى	٨	١٣٣
النَّوَى	٢١	١١٤
ما مَضَى	١٦	١٥١
وأَى	٧	٣٠٤
رِضَاها	١	١٣١
عَيْناها	١	١٤
عَيْناها	٧	١٢٥
مَجْرَاها	١٣	٢٥٦
مُنْتَهاها	١٩	٦٥
مُنْتَهاها	٢٦	٣٥
نرَعاها	١	٤١٤
لايَرَاها	١٩	٣٧
لايَرَاها	٢٠	٦٦
لايَرَاها	٢١	١٣٥
الهمزة		
ء		
إباءُ	٢٢	٣٦
إصْغاءُ	٨	٧
الأَناءُ	٢٢	٣٤
بَقاءُ	٢٢	٣٦
الثَّواءُ	١٣	١٨٥
الجَزَاءُ	١٨	٨٨
داءُ	١	٤٢٣
الدَّلاءُ	١٨	٨٨
الرَّجاءُ	١٦	٦٤
سَوَاءُ	٢٠	١٤٠
شَعْوَاءُ	٣٠	٣٤٤
الظِّباءُ	٥	١٢٠
العَذْرَاءُ	٣٠	٣٤٤
الغَرَاءُ	١	٤٣
الفِدَاءُ	١	١٦٣
الفِدَاءُ	١٨	٨٨
كِبْرِياءُ	١١	١٤٦
اللِّقاءُ	٢	٣٥٩
نَشاءُ	٥	١٦٤
هَوَاءُ	١٣	٢٤١
وِقاءُ	١٨	٨٨
يُسْتَباءُ	٢	٢٢٠
تَنْكَؤُها	١٣	٩٤
يَرْزَؤُها	١٧	٣٠
ء		
الأَعْداءِ	١٠	٢٧
الأَحْياءِ	٢	٨٤
وَانْثِناءِ	٨	١٨٨
بَقاءِ	٢٣	١٢٢
باتِّقاءِ	٣٠	٩٧
السَّوَاءِ	١٠	٢٧
وسَماءِ	١١	٥٢
شِوائِهِ	٧	٦٦

القافية	الجزء	الصفحة
الباء		
بْ		
الكَرَبْ	١٢	٩٤
لاكَذِبْ	١٠	١٠٣
عبد المُطَّلِبْ	١٠	١٠٣
الغالِبْ	٣٠	٣٠٣
ب		
والحَرَبُ	٥	٦٥
الحَبُّ	٤	١٢٩
رَهَبُ	١	٤٨٢
اللَّجَبُ	١	٤٨٢
النَّسَبُ	١	٤٨٢
الطَّرَبُ	٢	٣٩٨
رِيَبُ	٢	٣٩٨
أَرْغَبُ	١٣	١٨٩
أَرْغَبُ	١٧	١٤٢
وتُحْلَبُ	١	٦٧
تَلْعَبُ	١	١٣٢
تُصِيبُ	١٢	٤١
تَنُوبُ	٣	١١
يَصُوبُ	١	١٩٨
يَصُوبُ	١	١٤٨
تَصُوبُ	١	١٤٨
تَصُوبُ	٨	١٣٥
يَثُوبُ	١٥	٧١
يُصَابُ	١١	١٥٧
لايَكْذِبُ	١٠	٨٥
وسَيَذْهَبُ	٢٣	١٦٥

القافية	الجزء	الصفحة
يَتَذَبْذَبُ	١	٤٦
يَتَذَبْذَبُ	٥	٣٣٥
الصَّبُّ	٢٩	٢١٩
رأطْيَبُ	١٥	٢٢٤
الثَّعْلَبُ	٨	١٣٥
رَبْرَبُ	٣٠	٧٧
مُصْعَبُ	١	١٩١
ومُصَوَّبُ	١	٣٦٦
ومُعْرِبُ	٢٤	٤٠
وَاصِبُ	١٤	١١٨
لاتِبُ	٢٣	٤٢
صعابُ	١	١٩٨
الأَرِيبُ	١	١٠٨
جَنِيبُ	٢٢	٣٦
شَطِيبُ	٢٢	٣٦
حبيبُ	١	٤٨٥
حَبِيبُ	٢٠	٨
دَبِيبُ	١	١٤٨
ذَنُوبُ	٢٧	١٣
رُبُوبُ	١	٦٢
رُبُوبُ	٣	٨٨
رَقِيبُ	١١	٨٥
فَصَلِيبُ	٤	٥٦
فَصَلِيبُ	١٧	١٢
طَبِيبُ	١	٤٨
عَرِيبُ	٢	١٨٣
عَصِيبُ	١٢	٨٢
قَطُوبُ	٥	١٨١

القافية	الجزء	الصفحة
النَّقَلِيبُ	٢٧	١٤
وكَثِيبُ	١٠	٨٣
لُهُوبُ	١٨	٢٨
مُجِيبُ	١	١٤١
مُجِيبُ	٢	١٥٩
مُجِيبُ	٤	٤٣
لغَرِيبُ	١٦	١٨١
تَأْوِيبُ	٢٢	١٤٠
لايَثُوبُ	٣٠	٢٥
الخِضَابُ	١٩	٥٢
الجِلْبَابُ	١٩	٥٢
الأَرْكَابُ	١٩	٥٢
لُعَابُ	١٩	٥٢
أَكْلُبُهْ	١١	٥٢
غالِبُهْ	٣	٣٢٤
غالِبُهْ	١٥	٢٤٤
وأُخاطِبُهْ	١٤	٢٢
مَلاعِبُهْ	١٤	٢٢
أقارِبُهْ	١٦	١٥٢
كِذَابُهْ	٣٠	٢٠
طِلاُبها	١	١٤٥
طِلاُبها	٤	٥٢
كِتاُبها	٣	٦١
كِتاُبها	٣	٢٥١
يَعِيبُها	٦	٢٢١
خَطِيبُها	٢	٢٢١
ثَلَبُوا	١	٤٨٢
شَبُّوا	٤	١٢٩
وارْتَقَبُوا	١	٤٨٢

القافية	الجزء	الصفحة
غَضِبُوا	٦	٢٩٢
يغْضَبُوا	٦	٦٣
فتَصَوَّبُوا	١٩	٥٩
	ب	
جُرُبِ	٢٦	٢٠٧
وأبا ذُؤَيْبِ	٢٢	١١٣
بِرَيْبِ	١٢	١١٣
بِرَيْبِ	٢٢	١١٣
غَيْبِ	١٢	٦٣
غَيْبِ	٢٢	١١٣
أبى كَعْبِ	١٧	٩٢
نَحْبِ	٢١	١٤٥
والرَّهَبِ	١٠	٣١
الطَّلَبِ	١٩	١٠١
نَدَبِ	١٣	١٩٨
نَشَبِ	٩	٧٤
النُّقْبِ	٤	٢٤٤
الأجْرَبِ	١٧	٢٥
الأجْرَبِ	٩	١٠٥
الأَعْضَبِ	١٦	١٨١
لِغُرَّبِ	٢٩	١٦٨
مَرْحَبِ	١	١٤٠
مُشَذَّبِ	١٣	٢٣٨
مُشَرَّبِ	١٢	٤١
مُصْعَبِ	٢٣	١٤١
والمَهْرَبِ	٥	٢٣٨
تَطَيَّبِ	٢٦	١٦٦

القافية	الجزء	الصفحة
مُتَطَيِّبِ	٢٣	١٦٨
تَأْوِيبِ	٢٢	٦٥
المُعَذَّبِ	٢٦	١٦٦
المُكَعَّبِ	١٦	١١٧
يُعْتِبِ	١١	٩٧
بغائبِ	١	٣٧٦
لغائبِ	١	٢٧٠
غالبِ	١٠	٣٣
كاذبِ	٢٣	١٧٣
والحَوَاجِبِ	٢٣	١٧٣
لازبِ	٢٣	٤٢
ناصبِ	١٦	٩٠
الوَاجِبِ	١٧	١٦٦
أسْلابِ	٣	٧٦
بالإيابِ	٢٦	١٧٦
تُرَابِ	١٩	١٥٦
الرِّقَابِ	١	٣٧٦
السَّحَابِ	٢٩	١٣٩
دَبَّابِ	٢١	١٩٥
وبالشَّرَابِ	١٥	٩٦
مُجَابِ	٩	٦٨
الحُبَاحِبِ	١٢	١٢١
الحَوَاطِبِ	٢٤	١٨
عَوَازِبِ	٩	٥٧
عَوَازِبِ	٢	٥٥٠
عَوَازِبِ	١٣	٥
الكَوَاكِبِ	١٤	٢١

القافية	الجزء	الصفحة
الكَوَاكِبِ	٢٣	١٦٥
الكَوَاكِبِ	١٣	١٨٣
الهَوَاضِبِ	١	١٣٨
تَأْوِيبِ	١٩	٣٦
وتَعْقِيبِ	١٣	١٢٢
بِشَقُوبِ	٥	١٨٠
دُءُوبِ	١٤	٨١
الذِّيبِ	١٣	١٨٠
كالزَّبِيبِ	١	٣٤٥
عَصِيبِ	١٢	٨٢
عَصِيبِ	١٨	١٧
عَصِيبِ	١٤	٩
قَرِيبِ	١٣	١١٣
مَرْبُوبِ	١	٦٢
مَطْلُوبِ	١٤	١٥٢
مَرْهُوبِ	٧	٢٤٨
أزْرَى بِها	١	١٩٣
حِزْبِى	٦	٢٨٩
وتَحَضَّبِى	٦	٢٢٦
ثَوْبِى	١٢	٦٣
ثَوْبِى	٢٢	١١٣
عائبِى	٥	٦١
ثِيابِى	٢٩	٤٥
ثِيابِى	٢٣	١٠١
وعتابِى	٧	٢٣٢
يُصْبِى	١٢	٢١١

القافية	الجزء	الصفحة
	ب	
الحُقُبا	٢	٢١
والخُطَبا	١٦	١٥٢
صَبًّا	٣٠	٣١٤
طَرَبا	٢٦	١٣٩
ولا كَذِبا	٢٧	٢٧
الكَرَبا	٦	٤٨
أزْيَبا	١٥	٦٦
أشْعَبا	١	٥١
تَثُوبا	٩	٢٦
تَصَوَّبا	٢٩	٢٢٨
فأصْحَبَا	٣	١٨٤
ليُضْرِبا	١	٣٥٠
المُتَعَيَّبا	١٤	١١٠
مَذْهَبا	٧	٢٧٦
مُلَهَّبا	٢١	٦٦
المُعَصَّبا	٢٧	١٣
ومُنْتَقَبا	١٩	٣٩
واصِبا	١٤	١١٨
وَاصِبا	٢٣	٤٠
تَبابا	١٢	١١٣
والحِشابا	٢٢	٩٤
والحِشابا	٢٧	٣
وحابا	٤	٢٣٠
وَخابا	١٣	٥٥
الرِّقابا	٢٣	١٧٤
شِهابا	٨	٢٢٦

القافية	الجزء	الصفحة
أجابا	٨	٢٢٦
ذُؤَابا	٨	٢٢٦
ذئابا	٨	٢٢٦
الصِّعابا	١٣	٢٢٨
كِلابا	٢٦	١٢٠
نابا	٤	٢٦
نَعَّابا	٢٥	١٣٦
شَهْرَبَهْ	١٦	١٨١
عِقابَها	٢٩	١١٣
	التاء	
	تْ	
أحْجفتْ	١٥	١١٦
فأضْعَفتْ	١٥	١١٦
وجلَفَتْ	١٥	١١٦
أبْعَدَتْ	١٩	٦٠
طوّلَتْ	١	٤٦
أُمْشِيَتْ	١	٤٦
فكُرِّرَتْ	١	٤٦
ثُلِّثَتْ	١	٤٦
سُبِّعَتْ	١	٤٦
فُصِّلَتْ	١	٤٦
	تُ	
سَرَيْتُ	١٥	٢
سَرَيْتُ	١٦	٥٧
سَرَيْتُ	٢٦	١٤٣
وبَيْتُ	١٦	٥٧
لَيْتُ	١٥	٢

القافية	الجزء	الصفحة
لَيْتُ	٢٦	١٤٣
مَشَيْتُ	٣٠	٥٤
ودُعِيتُ	٥	١٨٨
مُقِيتُ	٥	١٨٨
هَيْتُ	١٢	١٨١
الحُجُرَاتُ	٢٦	١٢١
شَوَاتُهْ	٢٩	٧٦
أذَاتُها	٢	٣٥٩
نَشَوَاتُها	٢	٣٥٩
عَجِيزَتُها	٢٠	١٠٩
	تِ	
أمَتِ	١٦	٢١٣
اللَّفْتِ	١١	١٤٦
أكْيَاتِ	٨	٢٢٢
السَّعْلاتِ	٨	٢٢٢
النَّاتِ	٨	٢٢٢
فأزَلَّتِ	٢٧	٢٢٢
اسْبَطَرَّتِ	٨	٢٣٥
تَبَلَتِ	١٦	٦٦
فتَجَلَّتِ	١١	١٤٣
تَفَلَّتِ	١	٣٩١
تَفَلَّتِ	١٠	١٥٢
جُرَّتِ	٨	٢٣٥
حُلَّتِ	٢	٥١١
شُمَّتِ	٣	١٩١
فَشَلَّتِ	٣٠	٩٢
فَشَلَّتِ	٣	١٩٤

القافية	الجزء	الصفحة
فاستقرّت	٤	٢١٣
أسْرَتى	٩	١٦
ظهرتى	٩	١٦
الشُّبّت	٤	٢١٣
المُنعّت	١٦	٢٦
الحشرات	٢٢	٢
بكرات	٢٢	٢
يؤات	١٩	١٤٢
الفتاة	١٩	١٤٢
الكُماة	١	٧٧
الكُماة	١٩	٦١
ما ألْوَتى	٢	٤١٧
صفاتى	٢	٤٣
لِداتى	٦	١٥٤
لِداتى	١٠	١٦٥
الرَّبَلات	١٠	٢٠٩
المَلَكات	١٠	٢٠٩
الشَّذيّات	٢٧	٩٨
البَليّات	٢٧	٩٨
الهَنيّات	٢٧	٩٨
دُولاتها	٢٤	٦٥
دُولاتها	٣٠	٥٢
لَمّاتها	٣٠	٥٢
زَفْراتها	٣٠	٥٢
غَلاّتها	٣٠	٥٢
دُولاتها	٢	٧٤
زَفْراتها	٢	٧٤
لَمّاتها	٢	٧٤
لَمّاتها	٢٤	٦٥
زَفْراتها	٢٤	٦٥
دارَاتها	١٠	١٢٨
مَعْلُوفاتها	١٠	١٢٨

تَ

مافاتا	٧	٢٧٦
مَنْ ماتا	٧	٢٧٦
مُقيتا	٥	١٨٨
أثْبَتا	١٢	١٧٩
هَيْتا	١٢	١٧٩
مُنْصَلِتا	١٥	٢٨٨

الثاء

ثُ

تُغيثُ	١٣	١١
نَفيثُ	٧	١٢٠
الأثاثِ	١٤	١٥٤
مُقاعِسُ	١	٣٠٩

الجيم

جْ

الدَّرَجْ	١٥	١٦٣
والعَرَجْ	١٥	١٦٣
بالْفَرَجْ	١٨	١٤
بالفَرَجْ	٢٩	٢٠
الفَلَجْ	١٨	١٤
الفَلَجْ	٢٩	٢٠
السَّاجْ	٣٠	٢٣٠
النَّسَّاجْ	٣٠	٢٣٠

جُ

تَعْتَلِجُ	١	٢٥٧
فَلْجُ	٦	٢٦٩
بَهْجُ	٦	٢٦٩
مَريجُ	٢٦	١٥٠
مَشيجُ	٢٩	٢٠٧
نَشيجُ	٢٩	٢٠٤
تُهَمْلِجُ	٢٠	٢١

جِ

النَّجِي	١٣	٣٣
الأرَنْدَجِ	١٦	٧٩
نَشَّاجِ	٢٩	٢٠٣
أمْشاجِ	٢٩	٢٠٣
الأوْداجِ	١	٤٤٠
ذى المَعارِجِ	٢٥	٧٠

جَ

شَجَا	١	٨٩
صُهارِجا	٢٢	٧١
خارِجا	٢٢	١٧
تأجَّجا	٢٥	٧٢
تَعَوَّجا	١٦	٤
مُسْتَهْدَجا	١٥	١٠٠
يَهْرَجا	١٢	٦٩
مَمْرَجا	١٩	٢٣
هَجَّا	٢٨	٤٢

القافية	الجزء	الصفحة
لَمْجَا	٢٨	٤٢
مَنْجَى	٢٨	٤٢
النَّبَّاجا	١	٧٣
الحاء		
حْ		
اجْتَرَحْ	٦	٨٨
رَضَحْ	٢	٤٣
كَلَحْ	١٨	٥٦
وفَسَحْ	١٤	١٩٨
الجَوَانِحْ	١٤	٤٨
حُ		
الوَضَحُ	١	١٢٠
أكْدَحُ	٢١	٣٣
تُسَرِّحُ	٢٧	٣١
يَسْبَرِحُ	١٦	١٥١
جانِحُ	١	١٤٥
جانِحُ	١١	١٤٦
دَالِحُ	٣٠	٣
رائِحُ	١	٤٨٢
سارِحُ	٢٩	١٨١
سارِحُ	١٤	٨٠
الدَّوَالِحُ	٣	٥٣
الصَّلائِحُ	١	٣٢
الطَّوَائِحُ	١٤	٢١
قادِحُ	١٣	٤٢
اللَّوَائِحُ	١٢	٦٩

القافية	الجزء	الصفحة
مَنادِحُ	١	٤٨٢
النَّوَابِحُ	٣	٢٨٧
الأماديحُ	١١	١١٠
قَبِيحُ	٦	١٩٠
المَلِيحُ	٦	١٩٠
الذَّبِيحُ	٦	١٩٠
يَصِيحُ	٦	١٩٠
مَذْبُوحُ	١٥	٢٤١
السَّفَّاحُ	٣	١٥٣
السِّلاحُ	٣	١٥٣
الصُّرَاحُ	٢٩	٤٢
الرِّياحُ	٢	٤٤٤
حِ		
رَباحِ	١٥	١٣٦
بَرَاحِ	١٥	١٣٦
والجَناحِ	١٦	١٥٧
رَاحِ	٢١	١٥
صُباحِ	٩	١٥٣
للصِّباحِ	٣٠	٨٣
بقِرْوَاحِ	١١	١٦٤
الوَاضِحِ	١٤	١٣٢
الجوَائِحِ	٣	٣٧
دَاحِي	٣٠	٤٦
شَرَاحِي	٢٣	٦١
حَ		
وَرُمْحا	١	٦١
وَرُمْحا	١	١١٤

القافية	الجزء	الصفحة
وَرُمْحا	٣	٢٧٥
وَرُمْحا	٦	٢٨١
ورُمْحا	٧	٢٩٤
وَرُمْحا	٩	٢٠٠
وَرُمْحا	١١	١٤٢
وَرُمْحا	٢٧	١٣٢
شِيحا	١١	١٦٠
شِيحا	٢٦	١٦٥
ذُباحا	٢٤	١٠٢
فَلاحا	١	١٠٨
القِدَاحا	٢	٣٥٧
رَباحا	١	١٠٨
فِرْكاحا	١	١٠٨
نَجاحا	١	١٠٨
فَلاحا	١	١٠٨
وَقاحا	١	٢٩٠
تُسَبِّحا	٩	٧١
يُصَبِّحا	٩	٧١
تَبُوحا	٢	٦٠٠
الصُّرُوحا	٢٠	٧٧
المَنْتُوحا	١٣	٢٥٦
والمُسُوحا	١٣	٢٥٦
فَسِيحا	١١	١٦٠
فَتَسْتَرِيحا	١١	١٦٠
فَسِيحا	١٣	٢٤٢
فَتَسْتَرِيحا	١٣	٢٤٢
والقادِحَهْ	٥	١٨٤

القافية	الجزء	الصفحة
الدال		
دْ		
رَغَدْ	١	٢٣٠
أحَدْ	٢١	٩٧
العَدَدْ	٧	٢١٤
أحَدْ	٧	٢١٤
العَدَدْ	٢١	٩٧
الأسَدْ	١٤	١٤١
بنى أسَدْ	٣٠	٣٤٧
الصَّمَدْ	٣٠	٣٤٧
والكَبَدْ	١٤	١٣١
فَفَسَدْ	١٤	١٣١
فَبَرَدْ	١٤	١٣١
مَعَدْ	٢٧	٩٠
لاتَرِدْ	١٩	١١٦
تَبْتَرِدْ	١٩	١١٦
الصُّدَّادْ	١٢	١٤٠
المُمْتادْ	١٢	١٤٠
الأنْدَادْ	٧	١٣١
المُمْتادْ	٧	١٣١
الجارُودْ	١٥	٢٣٨
مَمْدُودْ	١٥	٢٣٨
نَوَاهِدْ	٤	٢٢٨
دُ		
البَرْدُ	٣٠	١٢
الفَرْدُ	٢٩	٢٥
والزُّؤُدُ	٩	٣٢
صَمَدُ	٣٠	٣٤٧
عَبُدُ	٦	٢٩٤
عَضُدُ	١٤	١١٠
عَضُدُ	٢٣	٢٠١
أبْعَدُ	٢٣	١٤٢
أمْجَدُ	٣٠	٤٦
أيِّدُ	١	٤٠٤
وتُجْلَدُ	٢٩	٨٧
تَعَبَّدُ	٢٥	١٠٢
المُرْشِدُ	٣	١٥٦
لايَرْقُدُ	٣٠	٤
مُرْصَدُ	١	١٥٣
مُرْصِدُ	١٣	١٦٢
ويقصِدُ	٢	٤٩٧
تَجُودُ	١٥	١٤١
تَذُودُ	٢٠	٥٥
شُهُودُ	١٣	٣٣
مَعْدُودُ	١٧	٤٤
مَمْدُودُ	٢٧	١٨٢
مَحْصُودُ	٢٣	١٧٦
مَهْدُودُ	٨	٢٣٣
هُجُودُ	١٥	١٤١
بَعِيدُ	٨	٢٠٨
لَبِيدُ	٣	١٣٠
العَصِيدُ	١٥	٨٩
مَزِيدُ	١٥	٨٩
يَنَادِيدُ	٢٥	١٢٢
عِيدُ	٢٥	١٢٢
أمَدُهْ	٣	٢٣١
بَلَدُهْ	١	١٩١
أُرِيدُها	٢	٥٣٨
جُمودُها	٢٧	٤١
يَقُودُها	٤	١٢١
حَفَدُوا	١٤	١٤٧
فأخْلَدُوا	٩	١٢٨
حَمَدُوا	١٠	١٥٤
وَعَدُوا	١٨	١٤٧
ما يَبْدُو	٢٩	٢٩
دِ		
فى غَدِ	٤	١٤٨
الغَدِ	٧	٣١٣
وكأنْ قَدِ	٢٧	٨١
بالْيَدِ	١	٤٧٧
بالْيَدِ	١٣	١٢٩
ولا جُحُدِ	٢٣	١٦٥
الجَهْدِ	٢٣	١٩٤
والشِّيدِ	١٧	١٨١
لِصَيْدِ	٤	١٤
أُبْدِى	١	٥٦١
بنَجْدِ	١	٥٦١
السِّنْدِ	١	٥٦١
بالرَّفَدِ	٣٠	٣٤٨
فى كَبَدِ	٣٠	١٩٨
أحَدِ	١	٧٨
الجَلَدِ	١	٧٨

القافية	الجزء	الصفحة
أحَدِ	٥	٢٧٧
الجَلَدِ	١	٢٣٤
أَحَدِ	١١	١٧٠
الجَلَدِ	١١	١٧٠
أحَدِ	٢٥	١٣
أحَدِ	٣٠	٢٢٨
والأسَدِ	١٣	١٢٠
النَّجِدِ	١٣	١٢٠
الأسَدِ	١٣	١٢٦
النَّجِدِ	١٣	١٢٦
الأَمَدِ	١٥	٢٠٦
فى غَدِ	١	٤٢٠
بالصَّفَدِ	١٣	٢٥٥
عَدَدِ	١٠	١٥
والعَمَدِ	١٣	٩٣
الفَرَدِ	٧	٢٧٧
فقَدِ	١	٣٦٤
الفَنَدِ	١	٢٨٨
اللَّبَدِ	٥	١٩٩
النَّفَدِ	١٥	٥٦
بالإثْمِدِ	١٩	١٠٧
الأجْرَدِ	١٧	١٣٩
وأسْعُدِ	٢٦	٦
بِأَوْحَدِ	١٦	١٤١
بأوْحَدِ	٢١	٣٧
بأَوْحَدِ	٣٠	٢٢٧
مُحَمَّدِ	٤	١٨١
كالعَنْجَدِ	٤	١٨١
الأَتْلَدِ	٤	١٨١
مَوْعِدِى	٤	١٨١
الغَدِ	٤	١٨١
بالْغَرْقَدِ	٩	١٢٨
المُخْلِدِ	٩	١٢٨
مَشْهَدِ	١	٤٤٨
مُقْعَدِ	٦	٨٤
المُلْحَدِ	١	٤٨٦
المُلْحَدِ	١٠	٢٨
المُلْحِدِ	١٤	١٧٩
أم خالِدِ	١	١٤١
القاصِدِ	١٤	٨٣
ومارِدِ	٣٠	١٧٩
السَّوَاعِدِ	٣٠	١٧٩
والنَّاكِدِ	٨	٢١١
وتَوَدُّدِ	١١	١٠٢
وتَوَدُّدِ	١٢	١٠٩
المُسَرَّدِ	١	٢٦٢
المُسَرَّدِ	١٣	٧٨
المُسَرَّدِ	٢٥	١٣٨
مُعَبَّدِ	١	٦٩
المُمَدَّدِ	٢١	١٥٤
المُتَشَدِّدِ	٣٠	٢٧٩
لانَقْعُدِ	١٣	١٢١
لانَقْعُدِ	١٦	١٥٠
مُوقِدِ	١٩	٤٥
مُؤَيَّدِ	٣٠	٧٧
المُبَرَّدِ	١٦	٤٥،
المُعْتادِ	٣٠	٢٧٧
الأَمْسادِ	٣٠	٣٤٢
أطْوَادِ	١٩	٨١
الأَنْضَادِ	١٥	٢٤٣
بنى زِيادِ	١٧	١٤٠
بفَسادِ	١	١٩٥
ابن شَدَّادِ	٩	٤
الوَادِى	٩	٤
أنجادِ	٩	٤
لِيُورَّادِ	١٤	١٢٨
الأَسَاوِدِ	٢٩	٣٣
بالبُيُودِ	١٥	٢٩٠
ثَمُودِ	٨	٢١٩
تُرِيدُ	٨	٢١٩
الصُّمُودِ	٨	٢١٩
هُودِ	٨	٢١٩
بخُلُودِ	٣	٥٣
وجُدُودِى	٣	٥٣
شَدِيدِ	٩	٦٧
للمَوْلُودِ	١	٧١
بِمَرْدُودِ	١٣	٥٩
المَنْجُودِ	١٢	٢٣٣
مُقْتادِها	٢٢	٣٥
بَدِى	١٢	٢٧

القافية	الجزء	الصفحة
وتالِدِى	١	٦٢
تَرْدِى	٢	٣١٥
اللُّدِّ	٢	٣١٥
نَدِى	١٠	٩٧
بِجُنْدِى	١١	٩٠
مُخْلِدِى	١	٣٨٩
مُخْلِدِى	٣٠	٢٠٣
مُخْلِدِى	٢١	٣٣
بَدِى	١٢	٢٧
وَيَدِى	١٢	٢٧
يَقْتَدِى	٥	٨٨
سَوادى	١٤	١٣٢
سَوَادِى	١٧	٢٠

دَ

إدًّا	٣	٢٩
بدًّا	١	٣٢٨
بُدًّا	١٦	١٣٠
الفَرْدَا	٦	٢١٩
فَرْدًا	١٦	١٢٢
وُلْدًا	١٦	١٢٢
وَوُلْدًا	١٦	١٢٢
وبَدَدًا	٢٧	١٧٧
مددا	٩	٣٢
بَرَدًا	٩	٣٢
بَلَدًا	٦	٥٨
الشُّرُدًا	١	١٩٦
الشُّرُدًا	١٤	٩
الشُّرُدًا	١٨	١٧
الشُّرُدًا	٢٤	٣٦
وَفَنَدًا	٦	٦٥
الأَعْبُدًا	٨	٨٢
أحَدًا	٨	٨٢
مُبَرِّدًا	٨	٨٢
القَرِدًا	١٦	١٣١
لُبَدًا	٢٩	١١٧
صَرْخَدًا	٦	٢٩٥
بأدْرَدًا	٣	٢٤٩
فاعْبُدًا	١٢	٢١٠
وَيَدًا	٩	١٧
أفْسَدًا	٩	١٧
غَدًا	٩	١٧
أفْنَدًا	١٣	٥٩
نَكِدًا	٨	٢١١
أنْكَدًا	١	١٩٦
جاحِدًا	٢٠	٣٩
جامِدًا	٥	٨٠
قائِدًا	١٣	٢٥٦
وَاحِدًا	٥	٢٦٤
الرُّقَّدًا	٥	٣٢٥
مُؤْصَدًا	٩	٣٣
مُخَلَّدًا	١	٥٥٤
مُخَلَّدًا	٧	٢١٣
مَوْعِدًا	٢	٢٨٢
مَوْعِدًا	٤	٢٢
مَوْعِدًا	٥	٦٩
مَوْعِدًا	٢٠	٨١
العُنُدًا	١٢	٦٢
العُنُدًا	٢٩	١٥٤
زِيادًا	٢٦	٣٦
هُمَّدًا	١٧	١١٩
كَنُودًا	٥	٢٧٨
التَّفْنِيدًا	١٣	٦١
الحَدِيدًا	١	٣٨٩
وَاحِدَهْ	١٥	٢٤٤
بزَائِدَهْ	١٥	٢٤٤
مَزَادَهْ	٨	٤٤

الراء

رْ

مُرَّ	١٣	١٢٢
فانْكَدَرْ	٢٠	٦٩
فَرَّ	١	٣٢٤
قَمَرَّ	٢٠	٦٩
الإبَرْ	٢٢	٥٩
الحَبَرْ	٢٦	١٥٨
اعْتَمَرْ	٢	٤٥
وضَبَرْ	٢	٤٥
غَفَرْ	١٦	١٦٨
وما غَبَرْ	١٦	١٦٨
الحَمَرْ	٢	٣٥٧
الشَّجَرْ	٢	٣٥٧

القافية	الجزء	الصفحة
الشَّجَرْ	٩	٧٥
حَذِرْ	١٩	٧٧
دِرَرْ	٢٧	١٢٣
كَسَرْ	١	٣٢٤
كَسَرْ	٩	٢٤٣
كَسَرْ	٣٠	٢١٢
البَصَرْ	٣	٩٨
البَصَرْ	٤	٨٤
البَصَرْ	٨	١٩٦
قَدَرْ	١٥	١٠٧
سَطَرْ	١٥	١٠٧
النَّهَرْ	١٥	١٠٧
سَفَرْ	٢١	١٢٥
القُطُرْ	٨	٢٠٩
المَطَرْ	٩	٣٢
شُقُرْ	١	٤٠٦
حَسَرْ	١	٣٥٦
حَقَرْ	١	٣٥٦
نُكُرْ	٥	١٧٧
لِحُرّ	٥	١٧٧
بالضُّمُرْ	٢	٦٤
بالنُّهُرْ	٢	٦٤
فجَبَرْ	٦	١٧٤
العَوَرْ	٦	١٧٤
فانْكَدَرْ	٣٠	٦٥
تامِرْ	٢٣	١٩
تامِرْ	٢٧	٢٣
تامِرْ	٣٠	١٦٣

القافية	الجزء	الصفحة
شَكَرْ	٢١	٢٧
اعْتَذَرْ	١	٥٢
نَهِرْ	٢٧	١١٣
أنْتَظِرْ	٢٧	١١٣
تَنْتَظِرْ	١٩	٦٩
يُؤْتَمَرْ	٢٠	٥٢
المُعْتَمِرْ	٦	٦٨
مُنْهَمِرْ	٢٧	٩٢
مُنْهَمِرِ	١٣	١٦٢
مُنْهَمِرْ	٢٥	١٢
مُنْهَمِرْ	٣	٦٥
يَنْصَهِرْ	١٧	١٣٤
المُصْطَهَرْ	١٧	١٣٤
رُ		
نارُ	٢٥	٣٣
السِّتْرُ	٩	١٣٢
وَقْرُ	٩	١٣٢
والنَّحْرُ	٢٨	٥١
والنَّحْرُ	٣٠	١٤٥
الصَّدْرُ	١٣	٣٠
الصَّدْرُ	٢٦	١٦٠
غَمْرُ	١٨	٣٩
بُورُ	١٣	١٩١
بُورُ	١٣	٢١٩
لَزُورُ	٢	١٢٦
صُورُ	٣	٥٢
الصُّورُ	٣	٢٧٦

القافية	الجزء	الصفحة
الصُّورُ	٧	٢٤١
الكُبارُ	٣	٢٢١
الفِرارُ	٧	٢٧٥
الفِرَارُ	٢٩	١٨١
المِهارُ	١٤	٢
أوْتارُ	٢٩	١٣٢
ازْوِرَارُ	١٥	٢١٠
افْتِقارُ	٢٩	٢٣٤
تَنْصَارُ	٣	٥٤
تَمُورُ	١٧	٩١
لايسيرُ	١	٦١
وَزِيرُ	١	٦١
لايَسِيرُ	١٨	٤٨
وَزِيرُ	١٨	٤٨
يُنِيرُ	١٥	١٦٨
مَثْبُورُ	١٥	١٧٥
مَثْبُورُ	١٨	١٨٨
القُبُورُ	٢٥	٦٠
مَحْجُورُ	٨	٤٥
الصُّدُورُ	٣	٢٣
النَّحْرِيرُ	٢٣	٧٢
مَحْسُورُ	٢	٢١
فبَصِيرُ	١	٣٦٥
وُكُورُ	١٧	١٨٢
أُمُورُ	٢٢	١٠٩
أمِيرُ	٣	٢٥٢
مُسْتَطِيرُ	٢٨	٣٤
مُسْتَنِيرُ	٣	٢٤٦

القافية	الجزء	الصفحة
مُسْتَنِيرُ	٢٢	٧٠
مُهُورُ	٢٦	٥٢
سائِرُ	٤	١١١
سائِرُ	١٣	١٠٤
النَّجِيرُ	٢٩	٢٨
البَحِرُ	٧	٨٧
سَخَرُ	١٦	٩٣
والحَذَرُ	١٦	٩٣
والأُزُرُ	٧	١٩٧
البَصَرُ	٢٧	١٨٦
السَّفَرُ	١	٧٢
الصَّفَرُ	١٤	١١٩
عُمَرُ	١	٨٢
فَيَخْصَرُ	١٦	٢٢٣
تَنْعَرُ	٣	٥٣
أحْقَرُ	٢٥	١٤٠
تَسْكُرُ	١٤	١٣٨
يَسْكُرُ	١٤	١٣
القُنْبَرُ	١٤	١٣
تَظْهَرُ	١٤	١٣
تَسْكُرُ	١٤	١٣
هَوْبَرُ	٢١	١٤٥
المَحْجَرُ	١٩	٢
الجُؤْذَرُ	١٠	١١
تُؤْتَبَرُ	١٥	٧٩
فَمُهَجَّرُ	٣	٢٦٢
المقادِرُ	١٥	١٩٤
المَقادِرُ	١٩	٥٨

القافية	الجزء	الصفحة
قُماطِرُ	٢٩	٢١١
حافِرُهْ	١٤	١٢٤
مَنْخَرُهْ	٢	٨١
تَجْهَرُهْ	٢	٨١
مَنْخَرُهْ	٢٠	١١٠
تَجْهَرُهْ	٢٠	١١٠
مَصادِرُهْ	١٢	١٢٣
مَكاسِرُهْ	١٣	٢٤١
ناصِرُهْ	١٧	١٢٦
حاضِرُهْ	١	١٣٩
إزَارُها	٢	١٦٢
سُفُورُها	٣٠	٣٠
ونهارُها	١	١١١
فُجُورُها	١	١٤٩
أزُورُها	٧	٣١٣
أسُورُها	٣	٥٢
يَصُورُها	٣	٥٢
وبُسُورُها	٢٩	١٥٦
نَشُورُها	٨	١٤١
وعُورُها	١	١١١
نُصِرُوا	٣	٦٩
انْتَصَرُوا	٧	١٩٦
رِ		
بالنَّارِ	١٤	١١٠
البَحْرِ	١١	٨٢
للصَّبْرِ	١٤	١٢٠
وخَسْرِ	٢١	٨٥
وحَجْرِ	٢٠	١٢٠

القافية	الجزء	الصفحة
بِصَبْرِ	٢٠	١٢٠
جُحْرِ	١٤	١١٦
الصَّدْرِ	١٦	١٣١
بالعُذْرِ	١	٤٢٠
خُزْرِ	١٦	١١٥
والنُّفِزْرِ	١٦	١٧٦
يَجْرِى	٧	١٤١
ابنَ بِشْرِ	٧	١٤١
العَشْرِ	٩	٨٨
العَشْرِ	١٤	١٦٧
بِبِنُكْرِ	٢٠	١٢٠
ضُرِّ	٢٠	١٢٠
الحُمْرِ	١٧	٢٧
الحُمْرِ	٢٠	١٠٩
الدَّهْرِ	١٩	١٤٩
الدَّهْرِ	١	٢٢٦
مِصْرِ	١	٢٢٦
بِلا أجْرِ	١	٢٢٦
الظَّهْرِ	١٢	١٠٦
بالقَهْرِ	١٣	٩٦
البُورِ	٢٦	٧٨
السُّورِ	١	٤٦
قَدَرِ	١	١٤٩
قَدَرِ	١	٣٦٣
قَدَرِ	١٦	١٦٨
الجُزُرِ	١	١٤٦
الأُزُرِ	١	١٤٦
الجُزُرِ	٢٤	٤٠

القافية	الجزء	الصفحة
الأُزُرِ	٢٤	٤٠
ولا دَعِرِ	٢٠	٧٠
المُدْبِرِ	٢٢	١١٤
المُسَحَّرِ	١٥	٩٦
المُسَحَّرِ	١٩	١٠٣
المُبَذَّرِ	١٥	٧٢
المُنَذَّرِ	٣	٧٨
مُعَصَّرِ	١٢	٢٣٤
مَحْضَرِ	٣	٢٥٧
مَحْضَرِ	١٦	٤٧
وعَرْعَرِ	١	٦٢
الأعْفَرِ	١	٦٧
ابن مِنْقَرِ	٧	٢٥٠
مُنَقَّرِ	١٥	٩٢
مُطَيَّرِ	١٥	٩٢
وحِمْيَرِ	١	١٠٨
المُشَهَّرِ	١١	٩٦
وجائرِ	٣	٢٧١
الجَمْائرِ	١	٤٩٤
الدَّابِرِ	٤	٣٣٧
الغَابِرِ	٨	٢٣٦
الفاخِرِ	١	٢١١
الغادِرِ	٧	٣
القَادِرِ	٢٠	٥٣
المُتَناحِرِ	٣٠	٣٢٨
وشاعِرِ	٣٠	٣٠٦
قادِرِ	٧	١٤٣
والفاجِرِ	٧	١٤٣
الخاسِرِ	٧	١٥٧
النَّاشِرِ	٣	٤٤
قابِرِ	٣٠	٥٦
النَّاشِرِ	١٩	٢١
النَّاشِرِ	٢٥	٥٣
النَّاشِرِ	٣٠	٥٦
كافِرِ	١	١١٠
أمَّ عامِرِ	١	٢١٠
لعامِرِ	١	١٦٧
كافِرِ	١٣	١٦٣
ابنِ عامِرِ	٩	١٥١
ظاهِرِ	٤	٣١٤
الظَّاهِرِ	١	٣١٢
وأحْجارِ	١٩	٣١
وأحْجارِ	٢٩	٢٤١
وانتظارِ	١	١٩٨
قِفارِ	٤	٩١
وأبْكارِ	١	٣٤٢
الأَبْكارِ	٦	٦٩
مِذْكارِ	٩	١١٠
حِمارِ	١٦	١٢١
أطْهارِ	١٦	١٤١
نَهارِ	٣	٣١٢
الإنْهارِ	٩	٢٤٠
بسَوَّارِ	٣	٢٥٥
بسَوَّارِ	١٥	٤٦
سَوَّارِ	٢٧	٢٠٢
سَيَّارِ	١٢	٧٥
ياحارِ	١٢	٧٥
بالجزائِرِ	٧	٢٣٣
للْحَوَافِرِ	١	٣٠٠
العَساكِرِ	١٥	٢٨
مَنْشُورِ	١٥	١٢٤
مَنْشُورِ	٢٠	١٥١
غَدُورِ	٢٦	١٥٨
الهَدِيرِ	٣	٢٦٠
جَرُورِ	٧	٢٨٠
الأمِيرِ	٢	٦٧
الأمِيرِ	٢	٨١
بأَمِيرِ	١٩	٥٤
التَّشَذُّرِ	٧	٢٩٣
سِرَارِها	٣٠	٥٠
تَسْرِى	٨	١١
تَشْرِى	١	٤١٥
لايَفْرِى	١٨	١١
عَوَرِى	١٤	٦
السَّارِى	٢٧	٢٨
أطْمارِى	١١	١٨٦
إعْسارِى	٣٠	١٧٣
عِشارِى	٨	١١٨
مِنْزَرِى	٦	٢٩٢
رَ		
وصَارَا	١٤	١٢١
جُؤَارَا	١٤	١٢١
نارَا	١٦	١٤٧

القافية	الجزء	الصفحة
شِبْرَا	٦	٣٦
قَدْرَا	٦	٣٦
سِتْرَا	٦	٣٦
شُكْرَا	٦	٣٦
بِشْرَا	٧	٢١١
العَشْرَا	٤	٦٦
سَطْرَا	٢٧	١٥
سَطْرَا	٢٩	١٨
بِكْرَا	١	٣٤٣
بِكْرَا	٧	٢٨٣
سُكْرَا	١٤	١٣٨
نُكْرَا	١٥	١٨٤
إمْرَا	١٥	١٨٤
نُكْرَا	١٦	١٢٩
إمْرَا	١٦	١٢٩
سُمْرَا	٤	١٣٤
صَوْرَا	١٤	٩٠
وبَوْرَا	١٤	٩٠
والزُّورا	٥	١٩٢
والْقَتَرَا	١١	١٠٨
أُزُرَا	١	٤٧
أمْرَا	١	٤٧
فَخْرَا	١	٤٧
وَطَرَا	٢٢	١٣
عُمَرَا	٢	٦٠٠
عُمَرَا	٩	٢٣٩
تَمُرَّا	٢١	١٣٦
الأَشَرَّا	٢١	١٣٦
بَرَّا	١٠	١١٢
مِكَرَّا	١٠	١١٢
فَرَّا	١٠	١١٢
تَبُورَا	١	٣٥٠
تَدُورَا	٦	٢٧٩
الأُمُورَا	١٧	١٦٢
نُذُورَا	١٧	١٦٢
مَضْفُورَا	١٧	١٦٢
مَوْفُورَا	١٧	١٦٢
مَنْحُورَا	٧	١٢٠
الأُمُورَا	٧	١٢٠
نُذُورَا	٧	١٢٠
ضَرِيرَا	٢٥	٧٣
مُشِيرَا	١	١٣٥
حَصِيرَا	١٠	٢٠٠
حَصِيرَا	١٥	١٣٣
مُسْتَطِيرَا	١	٤٧
مُسْتَطِيرَا	٢٩	٢٠٩
شَطِيرَا	١	٣١٦
تَصِيرَا	١	٣١٦
فَعِيرَا	٢٧	١٧٢
والفَقِيرَا	٤	٤٢
غَمِيرَا	١٦	١٤٩
مَشْمُورَا	١	٢٩٥
وخُورَا	١	٢٩٥
مَمْرُورَا	١	٢٩٥
مُخْبِرَا	١٥	٥٨
أبْجَرَا	٢٣	٥٥
مَصْدَرَا	٢٢	٢١
بقَيْصَرَا	١٣	١٩٢
فنُعْذَرَا	١٣	١٩٢
القَفَنْدَرَا	١	٨١
المُزَعْفَرَا	٢	٤٤
بَيْقَرَا	١٧	١٣٩
مُنَشَّرَا	٦	٢٩
والسُّكَّرَا	٦	٢٩
يَسْكَرَا	٦	٢٩
أحمَرَا	٧	٢٩٣
أضْمَرَا	١٦	١٥٢
وأقْمَهَرَا	٢٣	٧٤
أعْوَرَا	٢٧	١٠
فَغَيَّرَا	١٤	٦٥
المُضَفَّرَا	٦	٥٧
وَتَذَمُّرَا	١١	٥٢
حُؤَارَا	١	٣٠٠
جُؤَارَا	١٨	٣٧
إكْبَارَا	١٢	٢٠٥
الدَّوَّارَا	١٧	٢٣
الأَقْتَارَا	١٧	٢٣
اسْتَثَارَا	٣٠	٥٧
انْفِجَارَا	١	٣٦٤
الهِجَارَا	٥	٦٥
انْحِدَارَا	٧	٥
فاسْتَدَارَا	١	٢٩٠
أنْصَارَا	١	٣١٨
الإزَارَا	١	٣١٨
جارَا	١	٣١٨

القافية	الجزء	الصفحة
عُشارَا	٤	٢٣٨
فُطارَا	٧	١٥٩
قَفارَا	٢٦	٣
دَمارَا	١٥	٥٧
دَمارَا	٢٦	٢٦
العَمارَا	١٣	٦٩
أنارَا	٢	١٧٦
جِهارَا	١	٢٨٩
نَهارَا	١	١٢٠
نَهارَا	١	٤٩١
جُؤَارَا	١	٥١١
ووَقارَا	٢	٦١٣
حاذِرَا	٩	١٩٩
غائِرَا	١٥	٢٦١
جَوَائِرَا	١٥	٢٦١
الأباعِرَا	١١	٩٦
الجُزَارَهْ	٢٩	٧٦
فَزَارَهْ	٢٦	١٥٣
أسْرَهُ	٧	٢٧٦
فَخْرَهُ	٧	٢٧٦
لِخَيْرَهْ	٢٩	١٧٠
القَسْوَرَهْ	٢٩	١٧٠
ساهِرَهْ	٣٠	٣٦
الأساوِرَهْ	٣٠	٣٦
نادِرَهْ	٣٠	٣٦
السَّاهِرَهْ	٣٠	٣٦
الحافِرَهْ	٣٠	٣٦
ناخِرَهْ	٣٠	٣٦
أميرُها	٣	٢٦٢

الزاى

القافية	الجزء	الصفحة
زْ		
الأجْرَازْ	١٥	١٩٧
أرْنَمِزْ	٣	٦٨
زُ		
رَاكِزُ	٨	١٨٨
مَكْنُوزُ	١٠	١٢١
زِ		
مُبْزِى	٨	٢٢٣
بالرَّجْزِ	٨	٢٢٣
وَجَمْزِى	١٠	١٥٥
وَلَمْزِى	١٠	١٥٥
زَ		
اللُّمَزَهْ	١٠	١٥٦
اللُّمَزَهْ	٣٠	٢٩١

السين

القافية	الجزء	الصفحة
سْ		
الأحماسْ	١	٢٢٧
وإبلاسْ	١	٢٢٧
القَلَنْسَسْ	١٠	١٣٢
سُ		
يَبْسُ	١	٣١٨
بنى عَبْسِ	١	٣١٨
رأسُ	١	٣١٨
رأسُ	١	٤٠١

القافية	الجزء	الصفحة
رأسُ	١٧	٩٣
أنيسُ	٥	٢٧٧
أنيسُ	١٢	٤٥
شُوسُ	١٦	٢٠٧
العِيسُ	٥	٧٢٧
العِيسُ	١٢	٤٥
العِيسُ	٢٧	٦٥
نَحِسُ	٢٤	١٠٤
الفَرَسُ	١٩	١١٦
يَتَنَفَّسُ	١٦	١٥١
شامِسُ	١	٣١٨
مَقْبَسُ	٣٠	٧٩
الفَوَارِسُ	١٥	٢١١
والكَنَائِسُ	١٢	١٥٧
عَرُوسُ	١٩	٥٥
الدَّهارِيسُ	٨	٤٥
الدَّهارِيسُ	١٩	٢
أمْسُهُ	٢٧	٩٩
أجُسُّهُ	٢٧	٩٩
لِباسُها	١٥	٢٤٣
سِ		
القُدْسِ	٣	١١
نَفْسِ	٣	١١
الكِرْسِ	٣	١١
مُلْسِ	٥	٧
الوَقْسِ	٥	٧
ما بَئِسِ	٩	١٠٠
القَبَسِ	١٩	١٣٣

القافية	الجزء	الصفحة
خامِسِ	٤	٢٣٧
وإيآسِ	٦	٦٤
ابن جِساسِ	١٦	١٢٦
الجَوَامِيسِ	١٤	١١٧
الجَوَامِيسِ	١٩	١٤٧
يُمْسِ	٥	٤٥
الكاسِ	١٢	٤٦
إيْساسِي	٥	١٢٠
وتَنْساسِي	١	٤٧٣

س

بَسَا	٢٧	١٦٧
الرَّأسا	١٥	١٠٠
شَمْسا	١٣	١٩٧
شَمْسا	٢٤	١٠٤
نَحْسَا	٢٤	١٠٤
مَلْسا	٢٧	١٦٧
مُكْرَسا	١	٢٢٧
وأبْلَسا	١	٢٢٧
مُكْرَسا	٧	١٩٥
أبْلَسا	٢١	٢٦
أبْلَسا	٧	١٩٥
مُكْرَسا	٢١	٢٦
أنْفُسا	١٣	١٥٢
تَنَفَّسا	٣٠	٧٩
عَسْعَسا	٣٠	٧٩
القَوْنَسا	٩	١٠٠
لِباسا	٢	١٦٢
نُحاسا	٢٧	١٤١
الرَّساسا	١٩	١٤
القَوَانِسا	٣٠	١٠
بَشِيسا	٩	١٠٠
لَمِيسا	٢	٢٦٣
لَمِيسا	٢	٢٦٤
لَمِيسا	٢	٢٦٥
لَمِيسا	٥	١٠٦
لَمِيسا	١٦	٢١٤

الشين

ش

وطَيْشِ	٣٠	٣٣
المَعِيشِ	٢	٣٨٠
رِيشِي	٢	٣٨٠

الصاد

صُ

وتَبُوصُ	٢٣	١٢٠
حَرِيصُ	٨	١٨٦
دَلِيصُ	٢٢	١٣١
خَمِيصُ	١	١٦٠

ص

حَمائِصَا	٦	٨٥
الدَّعامِصَا	٣٠	٢٣٠

الضاد

ضُ

مَناضُ	٢٣	١٢٠
خَضَاضُ	٢٣	١٢٠
غائِضُ	١٥	٢٥٧
القابِضُ	١٥	٢٥٧

ضِ

بَعْضِ	١	١٨٧
بَعْضِ	١٦	٥٦
بَعْضِ	٣٠	٤٥
الدَّحْضِ	١٥	٢٦٨
الحائِضِ	١	٣٤١
الماخِضِ	١	٣٤١
بالإغماضِ	٣	٨٤
أوْفاضِ	٢٩	٨٩
مَرِيضِ	١٣	٤٣
تَبْيَضِّي	١	٩١
نَقْضِي	٣	٣٧
عَرْضِي	٣	٣٧

ضَ

وَخْضَا	١٦	٥٧
مِيفَاضَا	٢٩	٨٩
الإضَاضَا	٢٩	٨٩
مُحْرَضَا	١٣	٤٣
بالمُعَضَّى	١٤	٦٥

القافية	الجزء	الصفحة
الطاء		
طِ		
حَطِّى	١	٨٩
ولَطِّ	١	٨٩
شَمْطِ	١	٨٩
ومَعْطِى	١	٨٩
يُغَطِّى	١	٨٩
الصِّراطِ	١	٧٣
القِطاطِ	٧	١٢٠
قانِطِ	٢١	٤٤
طَ		
المَناشِطَا	٣٠	٢٩
وَاسِطا	٣٠	٢٩
الْتِقاطا	٢٠	٣١
فُرَاطا	٢٠	٣١
الظاء		
ظَ		
أقْياظا	٢٧	١٣٩
الشُّوَاظا	٢٧	١٣٩
أيْقاظا	١٥	٢١٣
غَيَّاظا	١٥	٢١٣
العين		
عْ		
جَدَعْ	١٠	١٤٤
وأضَعْ	١٠	١٤٤

القافية	الجزء	الصفحة
نَزَعْ	٣	٢٧٧
شِبَعْ	٩	١٧
فاضْطَجَعْ	٩	١٧
المُسْتَمَعْ	١	٣٦٥
عُ		
رُوعُ	٣٠	٢٩
رُبَعُ	٢٩	٢٢٤
فانْدَفَعُوا	٢٩	٢٢٤
تُبَّعُ	١	٥٠٩
تُبَّعُ	١١	٩١
تُبَّعُ	٢٢	٦٧
الإصْبَعُ	٦	١٥٦
وأجْدَعُ	٣	٥٤
أخْضَعُ	٢١	٣٦
مَصْرَعُ	١٢	١٦٨
جُرْشُعُ	١٢	٧١
الخُشَّعُ	١	٣٦٥
الخُشَّعُ	٧	٢٤١
المُتَقَطِّعُ	٢٥	٥٠
بَلْقَعُ	٥	٢٧
مُخَلَّعُ	٢	٣٥٧
أجْمَعُ	١٣	٢٤٨
مُجْمَعُ	١١	١٤١
مُجْمَعُ	١٦	١٨٣
ومُقَنَّعُ	٩	٢٤٤
فأرْبَعُ	٩	٢٤٤
مُمَنَّعُ	١٣	٢٣٨

القافية	الجزء	الصفحة
تَقَمَّعُ	٣٠	٧٧
ويَصْدَعُ	١٤	٦٧
تُقْرَعُ	٢	٤٤
يَتَبَضَّعُ	٧	٢٣٤
وتَقَطَّعُ	١٣	٤١
تَرَفَّعُ	١٣	٤١
تَطَلَّعُ	١٢	٤٤
أتَقَنَّعُ	١٥	١٠١
أتَقَنَّعُ	٢٩	١٤٥
نُصَارِعُ	٢٦	١٣٠
ودافِعُ	٣٠	٧٢
طائِعُ	٢	٣٣٥
تابِعُ	٩	١٠٤
تابِعُ	١١	٨٢
تابِعُ	٢٠	٦٦
رَاقِعُ	١	٤٣٠
فاقِعُ	١	٣٤٦
ناقِعُ	٦	١٦٥
وازِعُ	٧	١٤١
وازِعُ	١٩	١٤٢
وازِعُ	٣٠	٩٠
واسِعُ	١	٤٦٥
المَتاعُ	١٣	١٣٧
جِياعُ	١	٢٥٢
الأصَابِعُ	١٢	١٩٨
المَضَاجِعُ	٢١	١٠٢
الزَّعازِعُ	٩	٧٤

القافية	الجزء	الصفحة
الطَّوَالِعُ	٢٥	٧٤
نَوَازِعُ	١	١٥٨
تَبِيعُ	١٥	١٢٤
هجُوعُ	١	١٢٣
وجِيعُ	١	٣٩١
سُرُوعُ	٥	٥٠
صُرُوعُ	٣	٥٢
صَرِيعُ	٢	١٧٩
النَّقِيعُ	١٦	١٤٨
السَّمِيعُ	١١	٨٠
سَمِيعُ	٩	١٣٢
الضُّلُوعُ	٩	١٣٢
قَعْقَعُوا	٢٦	٢٠٦
عِ		
قَعِ	١	٥١٠
رَاعِ	٧	٢٨٤
القِصَاعِ	٢	٥٢٥
فارِعِ	٥	٢١٧
مَهارِعِ	١٢	٨٣
الكَوَانِعِ	١	٥٣٩
فاهْجَعِى	٥	١٧٨
المَقْلَعِ	١	٢٣٤
المَقْلَعِ	٢	٨٥
رُبُوعِ	٨	١١٤
الضُّجُوعِ	١	١٩١
ببَدِيعِ	٢٦	٦
الوَقِيعِ	١٣	٢٣٨
القُنُوعِ	١٧	١٦٨
مَعِى	٣٠	٩٧
وقُنُوعى	١٧	١٧٠
عَ		
ساعا	١٥	١٦٨
لَعَا	٧	١١٢
مَعا	١٢	٤١
نَجَعا	١	٢٩٥
جَذَعا	٢٩	٢٣
رَضِعا	٢٣	١٣٣
ما نَفَعا	١	٧٤
ما رَكَعا	١	٢٥٧
والصَّلَعا	١٢	٧١
والصَّلَعا	٢٩	٢٣٦
جَمَعا	١٩	٣١
بِيَعا	١٩	٣١
صَنَعا	١٣	١٩٢
يَنَعا	١٦	١٦
يُبُعًّا	٧	٢٩٥
مَعا	١٦	١٦
تَسَعْسَعا	٣٠	٧٩
تَتَبَّعا	٣٠	٧٩
نَتَصَدَّعا	٣٠	١٠
وأَرْبَعا	١	٩٥
الأُصْبُعا	١	٩٥
أَرْوَعا	١	٩٥
يَرْبَعا	٢٢	٣٤
سُجَّعا	٢٢	٣٤
بأَجْدَعا	١٦	١٨٨
مَصْرَعا	١٢	١٢٥
وَمَصْرَعا	٢٩	٢١٩
نُزَّعا	٢٠	٥٥
مَدْفَعا	١٢	١٨
مَدْفَعا	١٣	١٥٢
مَدْفَعا	٢٣	٢٠١
مَدْفَعا	٢٩	١٠٦
ضَلْفَعا	٩	٥
مُولَعا	٨	٢٥
مُبَقَّعا	٨	٢٥
وأَقْنَعا	١٣	٢٣٨
أَطْمَعا	١٣	٢٣٨
أَشْنَعا	٣	١٣٢
المُقَنَّعا	١	٥١٣
المُقَنَّعا	٧	١٨٦
مُمَنَّعا	٢٦	١٦٥
الأَتْيَعا	١	٥٠٨
الأَطْوَعا	١	٥٠٨
تُبْدِعا	١	٥٠٨
تُباعا	٦	٤٦
الرِّتاعا	١	٥١
الرِّتاعا	١٢	١٥٨
ذِراعا	٤	٢٤٤
مُضَاعا	١٣	١٩٧
مُضَاعا	٢٤	٢٢
انْقِطاعا	١٧	٢٠
انْقِطاعا	١٩	٢٨

القافية	الجزء	الصفحة
ابْتَدَعا	١	٥٠٨
جَميعا	١	١٠٤
سَمْعَها	٧	١٧٠

الفاء

فْ

قافْ	٢٦	١٤٧
الخَلِيفْ	٢	٥٩٩

فُ

صُدُفُ	٧	١٩٧
سَرَفُ	٤	٢٥٥
سَرَفُ	٨	٦٢
سَرَفُ	٣٠	٢٤٨
نَطِفُ	١	٢٦٣
خَلَفُ	٢١	٥١
أحْلِفُ	٢٣	٦٤
أعْرِفُ	٢٣	٦٤
زُفَّفُ	٢٣	٧٣
عُكَّفُ	٢	١٧٩
المُسَجَّفُ	١٩	٦٠
مُكَلَّفُ	٢٠	١٠١
ومُسْلِفُ	٢٠	١٠١
المُتَقَصَّفُ	٢٧	٤٣
مُجَلَّفُ	٦	٢٤١
مُجَلَّفُ	١٦	١٧٨
مُتَكَنَّفُ	٤	٢٧٣
عارِفُ	٢	٣٤٣
قارِفُ	٢٣	٣٩
كاسِفُ	١٣	١٩٧
مُخْتَلِفُ	١٠	١٢٢
مُخْتَلِفُ	٢٢	١٠٠
مُخْتَلِفُ	٢٦	١٥٨
نَفائِفُ	٤	٢٢٦
مُساعِفُ	١٤	١٣٣
مَعْرُوفُ	٢٠	١٠٠
وشُغُوفُ	٩	١٥٨
اللَّقِيفُ	١٩	٥٦
تَخَلَّفُوا	١	٣٢١

فِ

جارِفِ	٢٠	١٣٦
خِلافِ	٤	١٩٠
الإيجافِ	١	٩٠
الأعْرافِ	٨	١٨٨
الجافِي	٥	٢٧
اصْطِرافِ	٥	٢٧
مُتَكَلِّفِ	١٥	٢٦٦
تَحَنَّفِ	١	٣١٨
المُشَغَّفِ	٤	٢٧٩
الكَرانِيفِ	٣٠	١٠
المَقْرُوفِ	٨	٧
العَفِيفِ	٨	٧
الأُنُوفِ	١٢	٨٣
الصَّيارِيفِ	٦	١٥٥
مألُوفِ	٩	١٠٢
أزِفا	٢٧	٨١
خَلَفا	٢٧	٨١
وَجَفا	١٢	١٢٩
فَزُلَفا	١٢	١٢٩
فَزُلَفا	١٩	٨١
احْقَوْقَفا	١٩	٨١
أحْقَفا	٢٦	٢٣
أسْدَفا	١٩	١٣٥
رُجَّفا	١٩	١٣٥
خَيْطَفا	١٩	١٣٥
مُتْرَفا	١٨	١٩
دَنَفا	١٥	١٣٧
تَزَحْلَفا	١٥	١٣٧
الوَجِيفا	٣٠	٤٧

القاف

قْ

ساقْ	٢٩	٣٨
فَبَرَقْ	٢٩	١٧٩
الغَسَقْ	٣	٩٧
الغَسَقْ	٢	٥٢٥
وعَشَقْ	٢	٥٢٥
زُمَّلِقْ	١٨	٩٨
تَلِقْ	١٨	٩٨
الحُلُقْ	٢٥	٦٩
الحُلُقْ	١٨	٩٨

القافية	الجزء	الصفحة
شَهَقْ	٢٩	٤
نَهَقْ	٢٩	٤
شَهَقْ	١٢	١١٦
نَهَقْ	١٢	١١٦
ضَيَقْ	٨	٣٠
الوَهَقْ	٣٠	٢٩
أخْلاقْ	١٤	١٩
التَّوَّاقْ	١٤	١٩
أخْلاقْ	١٩	٧٥
التَّوَّاقْ	١٩	٧٥
المُخْتَرَقْ	١٥	٨٨
	قُ	
المَساقُ	١٤	٨٥
تَذُوقُ	٣	٢٦٢
أُطِيقُ	٢٠	١٠٨
سَحُوقُ	٨	٨٥
صَدِيقُ	٥	١٦٣
وصَدِيقُ	١٦	١٨٥
فَرُوقُ	٤	٤٩
فَرُوقُ	١٩	١٣٩
طَلِيقُ	٢	٣٤٣
طَلِيقُ	١٦	١٥٣
نَتَفَرَّقُ	٨	١٤١
يَسْرَقْرَقُ	١٩	٩٣
يَنْزَقْرَقُ	٢٨	٣٣
وَيأْفِقُ	٢٣	١٣٤
أرْفَقُ	٢١	١٠٠
تُشْفِقُ	٦	٢٩٩

القافية	الجزء	الصفحة
خَيْفَقُ	١٩	٦٠
المُوَفَّقُ	١٩	٦٠
فَنزلقُ	١	٢٣٤
مُحَلَّقُ	٢	٩٧
سَمْلَقُ	١٧	١٩٧
أوْلَقُ	٣	١٠٣
فَيَهْقُ	٢٢	٣٥
مُوَفَّقُ	٢٢	٣٥
تَفَهْقُ	٢٢	٧١
أذُوقُها	٥	٦١
عُرُوقُها	٢	٤٦١
لاأذُوقُها	٢	٤٦١
أبَقُوا	٤	٣٦
عَلَقُوا	٤	٣٦
	قِ	
اليَلامِقِ	١٨	٩٨
آلِقِ	١٨	٩٨
أيانِقِ	٣٠	٣٤١
زَاهِقِ	٣٠	٣٤١
تُفْتَقِ	١	٥٠٩
ويطللقِ	١	٥٨
بِمَوْبِقِ	١٥	٢٦٥
مَوْثِقِ	١	١٦١
متألِّقِ	١	١٦١
مُسَرْدَقِ	١٥	٢٣٨
المُحْرَقِ	١٤	١٨
المُطَرَّقِ	١٥	٢٩١
العِشْرِقِ	٢٩	١٧٩

القافية	الجزء	الصفحة
تَبرَقِ	٢٩	١٧٩
المُحْنَقِ	١	٥١٠
مأزِقِ	٨	٢٩
مَضْيَقِ	٨	٢٩
مُضَيَّقِ	٢٣	١٧٩
مِخْرَاقِ	١	٢٦٣
مُرَاقِ	٧	٢٣٣
عناقِ	١	١٤٩
اشْتِياقِ	١	١٤٩
بالعناقِ	١	٥٦٤
بالعَناقِ	٢	٩٥
بالعَناقِ	٤	٩٢
بالعَناقِ	١٥	١٧
الطَّرِيقِ	٢٢	٦٦
العَتِيقِ	٢٩	١٠٦
نِيقِ	٢٥	١٣
باقِ	١	٤٨٣
فِراقِ	٢٩	٢٢٧
عاقِ	١٥	٨٧
مَرْفِقِ	١٥	٢٠٩
	قَ	
نَتْقَا	٩	١٠٩
بَرْقَا	٢٦	١٦٦
شَقَّا	١٤	٨١
والأَبَقَا	١٩	٨٣
غَسَقَا	١٥	١٣٨
فَلَقَا	١	٢٣٩
اللَّقَا	١٢	٧٣
رَهَقَا	٢٩	١٠٩

القافية	الجزء	الصفحة
وعِناقا	٣	١٣٢
عُقوقا	١	٤٦٣
سائِقا	٣٠	١٢٠
طارِقَهْ	١٧	١١٤

الكاف

كْ

كذلكْ	٣٠	٣٠٢
هُنالكْ	٣٠	٣٠٢
حرَامِكْ	٣٠	٣٠٢
عِيالَكْ	٣٠	٣٠٢
حِلالَكْ	٣٠	٣٠٢
مَحالَكْ	٣٠	٣٠٢
بَدَالَكْ	٣٠	٣٠٢
فَعالَكْ	٣٠	٣٠٢
شِمالَكْ	٢٠	٥٢

كُ

فَدَكُ	١٠	١٠٩
الحُرَّاكُ	٢٦	١٨٩
حِباكُ	٢٦	١٨٩
والدَّرَاكُ	٢٦	١٨٩
هَلَكُوا	٢١	٦٩

كِ

الأرَائِكِ	١٥	٢٤٣
الأرَائِكِ	٢٣	٢٠
الدَّوَالِكِ	٧	٢٥١

كَ

حماكا	٣٠	٣٠٢
قُرَاكا	٣٠	٣٠٢
هُدَاكا	١	٣١٧
عزَائِكا	٢	٤٤٤
نَسائِكا	٢	٤٤٤
نِعالِكا	١	٤٤٢
نِعالِكا	٢٠	٧٨
مالِكا	١	٩٧
مالِكا	١	٣٩٧
ذَلِكا	١	٩٧
ذَلِكا	١	٣٩٧
يحمدونكا	١	٥٣

اللام

لْ

ما سألْ	١	١٩٨
الأَبِلْ	٢	٣٩٨
الأجَلْ	٢٤	١٩
بَجَلْ	١	٤٢٣
وعَجَلْ	٩	١٧١
فَخَلْ	٥	٨٤
ونَزَلْ	٧	٣
الكَسَلْ	١٣	٢٤٩
فَنَسَلْ	١٧	٩١
طَلّ	١٢	١٩٨
عَقَلْ	١	١٠٨

القافية	الجزء	الصفحة
الجُهَّالْ	٥	٨٤
فابْتَهَلْ	٣	٢٩٨

لُ

مالُ	١٢	١٩٧
بَغْلُ	١٨	٨
البَقْلُ	١٨	١٤
السُّولُ	٩	٧٤
ما يَئِلُ	١٥	٢٦٩
ولا جَبَلُ	١٦	٨٤
وَلا جَبَلُ	١٦	١٣١
القُبَلُ	١	٣٥٦
القُبَلُ	١٠	١٣٣
زَجِلُ	١١	١٠٠
عَجَلُ	٢٧	٢٠
الجُدُلُ	٢٧	٩٠
الغَزَلُ	٢٢	٧٤
والبَصَلُ	١٦	٣٦
الخَضِلُ	٣	٢٨٣
هَطِلُ	٣	٧١
هَطِلُ	٢١	٢٧
مُكْتَهِلُ	٢١	٢٧
الأُصُلُ	٢١	٢٧
الشُّعَلُ	٢٦	٢٥
الوَقِلُ	٢٣	١٥٩
جَبَلُ	٢٣	١٥٩
والعمَلُ	١	٧٣
والعَمَلُ	٤	٧٢

القافية	الجزء	الصفحة
والعَمَلُ	٢٠	١٢٧
وأفْضَلُ	٢١	٣٧
أوَّلُ	٢١	٣٧
أوَّلُ	٢١	٣٧
وأطْوَلُ	٢١	٣٧
تُعْتَلُ	٢٥	١٣٣
مُرَحَّلُ	٧	١٦٩
يُوَصَّلُ	٢٠	٨٧
يَنْتَعِلُ	٤	٥٤
يَنْتَعِلُ	١٦	٢٣٣
يَنْتَعِلُ	٨	١٨٥
نَنْتَفِلُ	١٥	١٥٩
مُرْمِلُ	١	٤٦٧
يَذْهَلُ	١٧	١١٣
مُنْسَحِلُ	١	٣١٧
الكَمالُ	٣	٢٤٨
الكَمالُ	٤	٢٢٤
الزَّلْزالُ	١٦	١١٣
مُتَضَائِلُ	٤	٥٢
ونائِلُ	٣	٣٠٩
السَّلاسِلُ	١	٣٢٧
العَوَاذِلُ	١	٣٢٧
وباطِلُ	٢	٣٤٣
كافِلُ	٣	٢٤٢
مُتَثاقِلُ	٢٣	١٤٢
كَوامِلُ	١٢	١٧٧
لَمَقْتُولُ	١	٣٥٢
فَعُولُ	٢١	٩٥

القافية	الجزء	الصفحة
يَعِيلُ	٤	٢٣٩
يَعِيلُ	١٠	١٠٦
يَعِيلُ	٣٠	٢٣٣
ما أقُولُ	٣	٣٢١
صَلِيلُ	١٤	١١٣
مَجْهُولُ	٢	٤٠٢
مَجْهُولُ	٥	١٢٣
مَجْهُولُ	١١	١٥٧
مَجْهُولُ	٢٧	١٠٥
الأباطِيلُ	١	١٧٩
أوْ كُلُّهُ	٨	١٥٤
أحِلُّهُ	٨	١٥٤
أو كُلُّهُ	٨	١٦٠، ١٦١
أحِلُّهُ	٨	١٦٠، ١٦١
وجَعائِلُهْ	١٠	٢٨
حَلائِلُهْ	٢	٤٥١
سَلائِلُهْ	١٨	٨
قاتِلُهْ	٨	١٢٩
آجِلُهْ	٦	٢٠٠
حَوَاصِلُهْ	١٤	١٣٢
نواصِلُهْ	١٨	٢٠
أناملُهْ	١٣	١٢٩
صَوَاهِلُهْ	٤	٢٣٧
صَوَاهِلُهْ	٧	٢٧٧
كاهِلُهْ	٧	٢٦٢
مَوَاصِلُهْ	٢٠	١١٠
كاهِلُهْ	٢٠	١١٠
مَقاوِلُهْ	١	١٦٢
آلُهَا	١٩	٩٣

القافية	الجزء	الصفحة
وقِتَالُها	١	٤٢٣
قَبِيلُها	١٥	١٦٢
يستَبِيلُها	١	٤٦٢
نُزُولُها	١	٤٩٤
الضُّلَّالُ	١٩	٣
وقالُوا	١٩	٣
حَلالُ	١٩	٣
يَبْلُو	١	٢٧٥
يُخْبَلُوا	٢٣	١٩٩
تَتْلُو	٢٣	١٧٦
يَغْلُوا	٧	٢٧٨
يُغْلُوا	٢٣	١٩٩

ل

القافية	الجزء	الصفحة
المَالِ	١	٧٠
المَالِ	١	١٣٨
الجَبْلِ	١٩	١٠٨
النَّحْلِ	١٢	٧٣
البُزْلِ	١	٤٦٣
بالنَّجْلِ	١	٤٦٣
بالهَمَلِ	٥	١١٧
حِلِّ	٣	١٧١
الطَّوَلِ	٣	١٧١
قَتْلالِي	٣	١٧١
السَّلْسَلِ	٣٠	١٠٥
تُقاتِلِ	٢	٣٧
المُدَجَّلِ	٢٥	٢٢
تُحْلَلِ	٢٥	٢٢
مُرَحَّلِ	٥	٢٠٣

القافية	الجزء	الصفحة
مُمْحِلِ	٣	٢٥١
فانْزِلِ	٣	٢٥١
المُبْدَلِ	١٨	١٥٩
وجَنْدَلِ	١٦	١٣٦
بِجَنْدَلِ	١٧	١٨٢
يُخْذَلِ	٢١	١٥٣
مُقَلْقَلِ	٢١	١٥٣
مَعْزِلِ	٣	٦٦
أَنْزِلِ	١٦	٢٢٥
بِمأْسَلِ	١٢	٢٣٠
مُجْفِلِ	١٧	٥٤
عَقَنْقَلِ	١٢	١٦١
عَقَنْقَلِ	١٧	٩٢
المَحْمِلِ	٢٣	١٣١
وتَحَمَّلِ	٦	١٨٥
مُحْوِلِ	١٧	١١٤
مُحْوِلِ	٢٨	١١٧
الأَوَّلِ	٢٣	٥٣
المُخَوَّلِ	٧	٢٧٨
المُخَوَّلِ	٢٣	١٩٩
مُعَوَّلِ	٣	١٩١
بِمأْسَلِ	٣	١٩١
عائِلِ	٤	٣٣٩
عائِلِ	٤	٢٤٠
عاطِلِ	٣٠	٢٤٠
غافِلِ	١	٨١
عاقِلِ	٢	٨١
عاقِلِ	٣٠	٢٢٧
عَجَالِ	١	٩١
المِحالِ	١٣	١٢٧
الرِّحالِ	٢٩	٣٠
وَوِصَالِ	٩	٥
جِعالِ	٧	٢٦
حَلالِ	٤	٢٣٧
زُلالِ	٣	١٣
هِلالِ	١٤	١٣١
الهِلالِ	٣	٣٧
الهِلالِ	١٢	١٥٧
الهِلالِ	١٣	١٦٣
الهِلالِ	١٩	٦٢
شَمالِ	١٢	٢٢٦
الشِّمالِ	١٣	١٦٣
طِوالِ	٥	٣٣٣
بِخَيالِ	٢٤	٣٦
وصِيالِ	٢	١٩٤
وصِيالِ	٣	٢١١
بِإِقْبالِ	١٠	١١
والأَكْبالِ	١	٤٩
أُمَّ عالِ	١٣	١٥٩
تِنْبالِ	١٣	١٥٩
السِّرْبالِ	١٣	١٥٩
اللَّيالِي	١٣	١٥٩
تالِ	١٣	١٥٩
أَقْتالِ	١٢	١١١
الأَبْطالِ	١٦	١٤٦
الأَبْطالِ	١٠	٩٩
إِذْلالِ	٦	١٥٢
إِذْلالِ	١٥	٩٥
الأَجْمالِ	٣	٢٠٤
الأَجْمالِ	١٤	٨٧
الأجمالِ	١٤	١٤٤
الأجمالِ	١٤	١٤٦
الأَمْوالِ	١٢	١٧٧
الأَهْوالِ	٢	٦٨
الأَهْوالِ	٧	١٨٤
السَّيالِ	٣	٦
والوَسائِلِ	٦	٢٢٦
بالأَصائِلِ	١٣	١٣٢
بالسَّلائِلِ	١٨	٨
عَوَاسِلِ	٥	٢٦٤
عَوَاسِلِ	١١	٨٧
عَوَاسِلِ	٢٩	٩٥
الغَوَافِلِ	١٨	٨٨
عَوَامِلِ	٢٥	١٣٧
بِرَسُولِ	١٩	٦٥
بِعَسِيلِ	١٣	٢٤٨
وفُيُولِ	٨	١٢٩
الذَّيُولِ	٢	١٠٦
السُّيُولِ	٤	١٦٢
عُقَيْلِ	١٥	٢٨٩
اخْتِيالِهَا	١٦	٢١٦
قَبَلِي	١	٤٨٢
يَخْتَلِي	٣٠	١٤٧
سِرْبالِي	١٣	٢٥٥

القافية	الجزء	الصفحة
لايُبالى	١٩	٣٥
لايُبالى	٢٧	٢٠٠
صَالى	٤	٢٧٤
وأوْصَالى	٢	٤٠٣
وأوْصَالى	١٣	٤٢
الطَّالى	١٢	٢٠٠
قالى	١٣	٢٢٤
الحَوَالى	٢	٦٨
باطِلى	١٥	٢٠٧
وَسائلى	٢	٣٧
باطِلى	٢٣	١٤٢
	لَ	
قُتِلا	٢٩	١٠٥
مَثَلا	٢٠	١٥٤
عَجِلا	١	٦٧
خُذُلا	٨	١٠
فَصَلا	١	٧١
ما فَعَلا	٢	١٠٦
العُلا	٧	١٣٧
مُقْبِلا	٢	٤٨٧
نَهْشَلا	٢٤	٣٦
أعْضَلا	٢	٤٨٨
أرْمَلا	١٣	٥٠
أجْهَلا	١	٣٠٢
أسْهَلا	٦	٣٤
واشْتَعَلا	١	٢٥٤
مُبْتَلى	١٥	٢٨٩

القافية	الجزء	الصفحة
وَتَوَكَّلا	٢٦	٥٢
والحِبالا	٢٧	١٨١
مُخْتالا	٢٩	٢٢٦
وقِتالا	١٩	٥٧
سِجالا	٢٩	١٠٥
مَجالا	٢	٧٣
والمِحالا	١٣	١٢٧
عُضالا	٢	٤٨٧
مَقالا	١	٧٢
مقالا	١٦	٥٧
زُلالا	١	٤٩٣
ضَلالا	١	٨٣
ضَلالا	٢	٤٨٦
ضَلالا	٣	٣٠٨
ضَلالا	٢١	٩٦
شَمالا	١٥	١٢٤
جُفالا	١٥	١٢٤
جُفالا	٢٠	١٥١
شَمالا	١٥	١٩٣
شَمالا	٢٠	١٥١
الأبْطالا	١٢	٨٢
الطِّوَالا	١٢	٨٢
خيالا	١	٤٨٤
خَيالا	٧	١٧٤
الأنْفالا	١	٢٧٠
أكْفالا	١	٢٧٠
سِرْبالا	٣	٤٥
مِيكالا	١	٤٣٦

القافية	الجزء	الصفحة
مُوَاثِلا	١٦	١٣٧
الأثاقِلا	٩	١١٠
كاهِلا	١٥	٧٩
وحُولا	٦	١٦٣
نُصُولا	١٥	٢٩٠
أفُولا	٢	٤٤٤
مَعْقُولا	١٢	١٦٥
التَّهْلِيلا	٣٠	٣١٤
فُلُولا	٢٩	٨٦
قَلِيلا	٢	٦٩
ذمولا	١	١٩٧
حمولا	١	١٩٧
طَوِيلا	١	٤٦٢
سَمْوِيلا	١	٤٣٦
لاشىء له	١	٣٣٧
الرَّجُلَهْ	٨	١٤٦
المَحِلَّهْ	٩	٥٠٤
ظَلَّهْ	٩	٥٠٤
كالمُضْمَحِلَّهْ	٩	٥٠٤
المُغِلَّهْ	٢٩	٣٣
سَجْلَهْ	٣	٣٦
بَقْلَهْ	٣	٣٦
حِبالَهَا	٤	٣٠
وأذَالَهَا	٢٢	٦٧
أجْذَالَهَا	٢٠	١٠٩
أطْفَالَهَا	١٣	٥٠
إغْفَالَهَا	٢٣	١٤٥
قَالَهَا	٥	٢٦٥

القافية	الجزء	الصفحة
إبْقَاهَا	١	١٩٣
إبْقَاهَا	٨	٢٠٨
إبْقَاهَا	١٨	١٥٣
اسْتَقَاهَا	١٦	٢١٦
ضَلَاهَا	٢	٣٦٠
أعْلَى لَهَا	٧	٢٧٧
وبَنَى لها	٢	٣١٦

الميم

مْ

الرَّحِيمْ	١٠	٨٥
صُرِمْ	٨	٨٠
العَرِمْ	٢٢	٧٨
يَرِمْ	٢٢	٧٨
يَرِمْ	٢٣	٦٢
يَرِمْ	٢٤	١٠٩
الأصَمْ	٣	٢٦٧
عُصُمْ	٤	٢٦
تَغِيمْ	٣٠	٣١٤
بالأكَمْ	٢٩	٦٤
عَلَمْ	٢٧	١٣٣
الحَلَمْ	٨	٩٠
العَلَمْ	٨	٩٠
حُطَمْ	٦	٥٨
غَنَمْ	٦	٥٨
الوَضَمْ	٦	٥٨
يَنَمْ	٦	٥٨
كالزَّلَمْ	٦	٥٨
القَدَمْ	٦	٥٨
وَارْتَسَمْ	١	١٠٤
المُزْدَحِمْ	٢	١٠٠
اللجُمْ	٢	١٠٠
المُزْدَحَمْ	١٣	٩٢
مُنْفَصِمْ	٣	٢٠
حَمِيمْ	٧	٢٣٤
حَمِيمْ	١١	٨٥

مُ

عُجُمُ	١٩	١١٣
عَظْمُ	٦	٣٤
حُلُمُ	١	٤٧
الحُلُمُ	٤	٢٧
ظُلُمُ	١	٥١
السَّمُ	٩	٤٢
الرُّومُ	٩	٤٢
كُومُ	٩	٧
وحَمُوا	١٠	٢٠
دَمُ	٨	٧٠
هُمُ هُمُ	٧	٢٥٠
والحَرَمُ	٢٥	٧٤
إذْ تُكْمُوا	١١	١٤٣
غُمُّوا	١١	١٤٣
السَّقَمُ	١٣	٤٢
يَمَّمُوا	٢٤	٢٠
دُوَيْهُمُ	٢٤	٤١
يَتَوَسَّمُ	١٦	٩٠
فَيَظَّلِمُ	٣	٢٨١
ومأثَمُ	١٢	٦٠
المَطْعَمُ	٢٣	١٢٣
الأدْهَمُ	٧	٢٤٨
رَوَاغِمُ	٥	١٩٨
نائِمُ	١٧	٨٦
لازِمُ	١٢	٢٣١
عاصِمُ	٦	٣٠٩
طاعِمُ	١٩	٦١
رَاغِمُ	١١	١٥٩
رَاغِمُ	٢٧	٦٠
أثامُ	١٩	٤٠
الإعْدَامُ	١٥	١٧٠
الحَرَامُ	٢٥	٣٥
سَنَامُ	٢٥	٣٥
السَّلَامُ	١	٢٦٥
سِنَامُ	١	٢٦٥
الطَّعَامُ	١	٢٦٥
قِيامُ	١٥	٤٥
وكُلُومُ	٣٠	١٠
عَمِيمُ	٣٠	١٧٨
البَرَاعِيمُ	٣٠	١٥٣
مُقِيمُ	٣٠	٣٦
الخَوَاتِيمُ	١٥	٢٤٢
الخَوَاتِيمُ	١٧	١٢٩
السَّلَالِيمُ	٢٧	٣٤
السَّلَالِيمُ	٧	١٨٤

القافية	الجزء	الصفحة
والحُتُوم	١٢	١٩٧
النُّجوم	١	٥٨
الجَحِيمُ	١	٥١٧
الرَّحِيمُ	٢	١٩
لَحِيمُ	١	٩٨
الأُرُومُ	٩	١٦
صَرِيمُ	٢٩	٣١
غُيُومُ	٢٩	٣١
الصَّرِيمُ	٢٩	٣٠
القُسُومُ	٦	٧٦
خُرْطُومُ	٥	١٠٩
عَظِيمُ	١	٢٥٥
عَظِيمُ	٢	١٨٥
عَظِيمُ	٩	٢٢٢
زَعِيمِ	١٣	٢١
والنُّجُومُ	٣	٥
يَقُومُ	٣	٥
القَيُّومُ	٣	٥
والنَّعِيمُ	٣	٥
عَظِيمِ	٣	٥
أَلِيمُ	١	١٢٣
المَظْلُومُ	١٣	١٢٢
مَطْمُومُ	٢٧	١٢٠
زَنِيمُ	٣	٥٤
ـَهِيمُ	١٧	١٣٩
ـَهِيمُ	٢٨	٥٧
التَّسْوِيمُ	٣	٢٠٤
صَنَمُهْ	١٣	٢٢٨
مَلْثَمُهْ	١٣	٢٢٨
تَدْهَمُهْ	٣	٢٦٧
تَشَمُهْ	٣	٢٦٧
مُنَمْنِمُهْ	٣	٢٦٧
فيعْجِمُهْ	١٤	١٠٦
هَزَمُهْ	٩	٥٤
بُهَمُهْ	٩	٥٤
رِهَمُهْ	١	٧٣
قَدَمُهْ	١	٧٣
إقْدَامُها	٧	١٦٦
وقِرَامُها	٨	٦٥
عِصَامُها	١٣	١٥٤
طَعَامُها	١	٣٨٠
سَقَامُها	١٦	١٣٥
قُلاَّمُها	١٥	٧١
قُلاَّمُها	٣٠	٦٩
قُلاَّمُها	٢٧	١٩
وإمامُها	٤	١٠٠
جماعُها	٢٥	٩٢
غَمامُها	٦	١٥٣
خِيامُها	٢٧	١٦٠
أَلُومُها	١	١١٤
أذِيمُها	٨	١٣٨
م		
والشَّيْمِ	١٢	٢٠٨
الرَّجْمِ	٢	٨١
الرَّجْمِ	٢	٥٢٩
فُومِ	١	٣١١
كُوْمِ	٢	٣٦٦
الدَّمِ	١٩	٦٠
الدَّمِ	٢١	٧١
الدَّمِ	١١	٥
بدَمِ	١	٤٠٩
تسْأَمِ	٣	١٣٠
يَسْأَمِ	٢٩	١٩٨
مَجْشَمِ	٢	٦٣
مَجْشَمِ	١٩	٣٢
الخِمْخَمِ	١٢	٧٨
أقْدِمِ	٢٠	١٢١
المُتَخَيِّمِ	٣٠	١٨٤
مَنْدَمِ	٢٣	١٢٢
زَهْدَمِ	١٣	١٥٣
تِيْمِ	٢١	٣٣
ومِيسَمِ	٢١	٣٣
بالمِيسَمِ	١٨	٢١
فتَفْطِمِ	٢	٩٩
كُظَّمِ	٢	٤١٣
التَّكَلُّمِ	٢	٤١٣
بِمُعْظَمِ	٢	٦
نَسْلَمِ	٢	٣٢٣
تُكْلَمِ	١٥	٢٦٩
يَتَثَلَّمِ	١	٣٧٦
سُلَّمِ	١٤	١١
قَوَّمِ	٢٢	١٤٦
أتأَيِّمِ	١٨	١٢٥
وتَحَمْحُمِ	١٥	٢٨٩

القافية	الجزء	الصفحة
التَّقَدُّمِ	٢٤	٣٩
المُتَكَرِّمِ	٢١	١٤٥
بأنْعُمِ	١٤	١٨٦
بالعِظْلِيمِ	٨	٨٥
الأعْلَمِ	٩	٢٤٠
التَّكَلُّمِ	٢	١٦٢
تَوَهُّمِ	١٦	٢٣
بدائمِ	٢	٥٩٩
بنائمِ	٣	٦
بنائمِ	١١	١٤٠
بنائمِ	٢٢	٩٨
لَدارِمِ	٢	١٤
ابنِ خازِمِ	٢٥	٥٠
لازِمِ	٢٣	٤٢
اللَّطائمِ	١٥	٢٧١
المُتَضَاجِمِ	٢٣	٩٦
المَخارِمِ	١٢	١٢٤
الضَّراغِمِ	١٤	١١٧
الفَدَّامِ	٢	٥٩٠
جُذَامِ	١	٢١٨
بانْصِرَامِ	١	٤٦٤
بغَرَامِ	٣	٧٢
الخِتامِ	٣٠	١٠٧
القِرامِ	١	١٦٢
والبَشامِ	١٦	١٥٤
النَّعامِ	١٠	٨٥
سَلامِ	٢	٣٦٢
هِشامِ	٢	٣٦٢

القافية	الجزء	الصفحة
سوامِ	٢	٣٦٢
بالسنامِ	٢	٣٦٢
الكِرَامِ	٢	٣٦٢
كَلامِ	٢٩	١٧٦
المَنامِ	١٥	١٥٣
الأيَّامِ	١٥	٨٧
لَئِيمِ	٢٩	٢٥
الجُثُومِ	٨	٢٣٣
مُسْتَقِيمِ	١	٧٣
حَكِيمِ	٢٣	٩٩
تَمِيمِ	٢٣	٣
والتسليمِ	١	٤٢٢
لبنِي تَمِيمِ	١	٤٢٢
دَمِي	٢٩	٢٠٨
دَمِي	٣٠	٧١
تَعْلَمِي	١	١٢١
هَمِّي	١	١٣٩
غَمِّي	١	١٣٩
مَ		
أَلَمَّا	٢٧	٦٦
اللُّجُمَا	٢	١٢٨
الدَّمَا	١٢	١١٦
قُدُمَا	١٧	١٥٥
البَرَمَا	١	١١٤
صِرَمَا	١٣	٥٠
كُلَّمَا	٣	٢٢١
اللَّهُمَّمَا	٣	٢٢١
مُسَلَّمَا	٣	٢٢١

القافية	الجزء	الصفحة
أقْسَمَا	٢٦	٢٢
أسْحَمَا	٢٧	١٧٠
أكْرَمَا	٢٦	٢٧
القَدَمَا	٢٤	٨٤
الأرْقَمَا	٢٤	٨٤
أيْسَمَا	١	١٩٦
أهْسَمَا	٢٩	٩
وخَشْعَمَا	٢٣	١٤٢
مَحْجِمَا	٢٣	١٤٢
عَلَيْكَمَا	٣	١٦٢
مُرَجَّمَا	١	٢٦٢
مُرَجَّمَا	١٥	٢٢٦
يَتَنَدَّمَا	٢	٥١١
وزَمْزَمَا	١	١٠٤
يُكَشَّمَا	٢٦	١٠٤
مُوَشَّمَا	٨	١٤٧
لَصَمَّمَا	١٦	١٨٠
فَتَقَوَّمَا	٢١	٧٤
لائِمَا	١٦	١٠١
نادِما	١٤	٦٩
ظالِمَا	٢٥	١٠٢
والسَّاسَمَا	٢٧	١٩
يَعْدَمَا	٢٧	١٩
حَرَامَا	١٦	٦٦
غَرَامَا	١٩	٣٦
سَلامَا	١	٦٤
التَّمَامَا	٨	٢١٨
والسَّلامَا	٨	٢١٨

القافية	الجزء	الصفحة
سِهاما	٨	٢١٨
عَيامَى	٨	٢١٨
الغُلاما	٨	٢١٨
الكَلاما	٨	٢١٨
غَماما	٨	٢١٨
حَاما	٢٧	١٤٧
قَطاما	٢٧	١٤٧
السَّناما	١٥	٢٤٧
قِياما	١٥	٢٤٩
زَعيما	١٣	٢١
مُقيما	٦	٢٢٨
غَنَمَاهُما	٢٩	٥٦
غَنَمَاهُما	٣٠	٢٢٢
لِمَهْ	٨	١٢٨
هامَهْ	١	٤١٥
هامَهْ	١٢	١٧٠
بالكرامَهْ	٢٣	٩٥
والعظامَهْ	٢	٤٥١
زَمْزَمَهْ	١٤	٦٥

النون

نْ

عَدَنْ	١٠	١٨٠
ودَنّ	٢٥	٩٦
ودَنّ	٢٧	١٧٤
وأذَنْ	١٠	١٦٨
شَنَزَنْ	٣	٨٢
شَنَزَنْ	٥	١٠٨
الوَسَنْ	٣	٦
الجُونْ	١	١٥٣
ارجحنّ	٢	٢٧
الرُّكْشَينْ	١٦	٢٤
يُؤْثَفَينّ	٢٥	١٣

نَ

لاحِبِنُ	٨	١٤٥
السَّفَنُ	١٤	١١٣
قَمَنُ	٨	١٨٧
الرُّهُنُ	٣	١٤٠
مُكْتَمِنُ	١٢	٢٢٦
تُدَانُ	١	٦٨
وعُبْدَانُ	١٩	٦٨
مُحَاسِنُ	٩	١٣٦
مُتَوَاسِنُ	٩	١٤٢
اليَقِينُ	٢٢	١٠٧
رَهِينُ	١	٤٩
فَيَهُونُ	٨	١٢٠
مَغْيُونُ	٢٩	١٣٦
مِيزَانُهُ	٣٠	٢٨٢
أسْنَانُها	١٥	١٠٠
طِينُها	٢٩	٣٣
يَمِينُها	١	٥٨
أذِنُوا	٣٠	١٢٠

نِ

جِنّ	٣	٢٠٤
بِشَنّ	١	٧٧
بِشَنّ	٥	١١٧
الهُونِ	٧	٢٧٧
دِينِ	٧	٧٦
اثْنَينِ	٦	١٨١
بادِنِ	١٥	٤٦
المُتَبَاطِنِ	١٣	١٥٨
الكُثْبانِ	٢٩	٢٢٠
يَصْطَحِبانِ	١	٣٢١
الأرْكانِ	١٢	٨٨
بانِ	١٢	٨٨
الحَدَثانِ	٣	١٩٤
عُمانِ	٣	١٩٤
الفَرْقَدانِ	٥	١٦١
بالإحْسانِ	١٥	٢٨٩
بأرْسانِ	٢	٣٤٢
النَّعْلانِ	١٤	١٦٩
كوْفانِ	١	٤٢٠
حُقّانِ	١٢	١٢٥
ذا الحَنانِ	٢١	٥٧
الدّنانِ	٢١	٨٥
الشَّبَهانِ	١٦	٧٢
والشَّبَهانِ	١٧	١٣٨
المَلَوَانِ	٤	١٨٦
المَلَوَانِ	١٣	١٥٨
دَاعِيانِ	٢٠	١٣٤
مُسْتَوِيانِ	١٢	٢٠٩
يَلْتَقِيانِ	١٢	٢٠٩

القافية	الجزء	الصفحة
الوَتِينِ	٢٩	٦٧
هَجِينِ	١٣	٨١
اليَقِينِ	١٣	٨١
الحَزِينِ	١١	٥٢
حَصِينِ	١٨	٨
حَصِينِ	٢١	٩٥
اللَّعِينِ	١	٤٠٨
اللَّعِينِ	٢	٥٤
وَسِمِينِ	٢	١٠٠
عَرِينِ	٢	١٠٠
بالْيَمِينِ	٢٣	٤٩
الرَّنِينِ	٨	٧٠
غُضُونِ	٣٠	١٤٥
مَكْنُونِ	٢٣	٥٨
المَلاعِينِ	١٦	١٣٧
بطنى	١	٥١٠
عَنَّى	١	١٩٨
فَنَّى	٣٠	٢١٢
التَّظَنِّى	٣٠	٢١٢
بالتَّجَنِّى	١	٢٥٤
مِنِّى	١	٢٥٤
دُونِي	١٣	١٢٩
دُونِي	١٣	١٩٤
أمِينِى	٣٠	٢٤١
ودِينِى	١	٥١١
وَدِينِى	٤	١٦٩
آنى	٢٧	١٤٤
مَثانِي	١	٤٨
الدَّوانِي	١	٤٨
عافانِي	١	٤٨
أعْطانِي	١	٤٨
المَثانِي	١	٤٨
رَمانِي	١١	٨٦
لِسانِي	١٢	٣٢
يَمانِي	٤	١٩٨
المُتَوانِي	١٤	١٣٣
يَلِينِى	١٤	١٥٧
يَلِينِى	٢٢	١٥١
يَأْتَلِينِى	٢٢	١٥١
لايَعْنِينِى	١	٤٢٠
تُغْنِينِى	٤	٦١
نَ		
دَانا	٢	٥٩٢
وقُرْآنا	١	٤٣
إيَّانا	٤	١٥٠
إيَّانا	١	١٧٩
أيَّانَا	٩	١٣٠
إبَّانا	٩	١٣٠
ومَسَّانا	٥	٤٦
تَلانا	٢٣	١٢٣
كِلانا	١٠	٣٣
الأدْيانا	٣	٢١١
عُرْيانا	٢٣	١٨٤
عُونا	١	٣٤٢
ما يُقْرِضُونا	١	٦٨
تَشْكُونا	١٥	٦٣
يُوصِينا	١٥	٦٣
جافُونا	١٥	٦٣
مَدْفُونا	٥	٥٠
صُفُونا	١٥	٢٤٩
يَحْرُقُونا	١٦	٢٠٨
لاتَكُونا	١	١٧٩
جُنُونا	١٠	١٢٢
الظُّنُونا	٩	١٩١
مَسكَنُونا	٢٠	٧٥
والعُيُونا	٢٧	١٧٦
والعُيُونا	٢٩	١٠٦
إسْرائِينا	٢٣	٩٥
مُصْلِتِينا	١٦	٣٠
شجينا	٤	٢٤٤
حِينا	١٥	٢٩٠
تَحِينا	١٤	١٨٠
وأُبَيْكِرِينا	٣٠	١٠٣
الكاشِحِينا	١	٤٢
جَنِينا	١	٤٢
دِينْا	٣	٢١١
دِينا	٢٦	١٨٤
مُعْلَمِينا	٢٦	١٨٤
وَاحِدِينا	١٩	٧٥
المُفَدَّينا	١٧	٢٧
السَّعْدِينا	٢٣	٩٥
مُصَفَّدِينا	١٣	٢٥٤

القافية	الجزء	الصفحة
نَدِينا	١٣	١٨٣
وُدِينا	١٢	٧٤
مُدْبِرِينا	٢	٣٢٤
القَرِينا	٢٣	١٢٢
تَشْكُونا	٢٠	١٣١
يُوصِينا	٢٠	١٣١
جافُونا	٢٠	١٣١
سَبْعِينا	١	٦٧
أجمَعِينا	٢٣	١١٠
لَقِينا	١٢	٣٣
لَقِينا	١٢	١٢٤
الوَابِلِينا	٣٠	١٠٣
اليَقِينا	٢٧	٢٢٤
جَنِينا	٢٩	١٨٩
ضَنِينا	٣	٢٥٥
مُهِينا	٢٨	٤٣
عُرْيانا	٣٠	٧١
شَنَّهْ	٢٩	٢٠٣
قِنَّهْ	١	١٨٥
تَحْوُونَهُ	١٤	١٣٢
وتَنْتَجُونَهُ	١٤	١٣٢
سَمِينَةً	٩	٧٥

الهاء

هُ

يا أللهُ	٣	٢٢١
تَكْرَهُهُ	٢٥	١٢

هـ

مِدْرَهِ	١	٣٥٦
عَنْجَهِ	١	٣٥٦
المُمَوَّهِ	٣	٦٦
الأجْلَهِ	٣	٦٦
وَهْلَهِ	١	١٣٦
مَهْمَهِ	١	١٣٦
العُمَّهِ	١	١٣٦
الأكَمَّهِ	٣	٢٧٧
المُتَهَتِّهِ	٣	٢٧٧
تَنْهَنُهِي	٤	١٤٧
بالمُسَفَّهِ	٤	١٤٧
فَلادَهِ	٤	١٤٧
تَنَهَنُهِي	٢٤	١٠٢
بالمُسَفَّهِ	٢٤	١٠٢
المُدَّهِ	١	٥٤
تألُّهِي	١	٥٤

الياء

يْ

أقْبِلِي	١	٥٥
فِيهْ	١٦	٧٣

ى

غَنِيْ	١	٣٧١
غَنِيْ	٩	٢
حُوذِيْ	٥	٣٣٢
حُجْرِيْ	٨	٤٥
دَوَّارِيْ	١٩	١١٤

ىِ

النَّدِىَ	٦	١٥٢
النَّفِيِّ	٢	٤٣
الصُّفِيِّ	٢	٤٣
الصُّفِيِّ	٣	٦٥
التَّقِيِّ	٦	٢١٩
الصُّفِيِّ	٦	٢١٩
القَصِيِّ	١٦	٦٣
المَقْلِيِّ	١٦	٦٣

يَا

كَرِيًّا	٣	٢٧٢
والصَّبِيًّا	٣	٢٧٢
حَجْرِيًّا	١٦	٧٦
الفَرِيًّا	١٦	٧٦
والوَصِيًّا	١	٣٦٢
غِيًّا	١	٣٦٢
غَيًّا	٢٢	٩٤
إذا يا	١	٩١
نائِيا	١٣	١٥٣
ضَاحِيا	٢٣	١٠٣
قاضِيا	٢	٤٢٢
رَاضِيا	٤	٦٨
حافِيا	٢	٥٧٢

القافية	الجزء	الصفحة
وَرَائيا	١٦	١
وَرَائيا	٨	١٧٨
تَهاديا	١	٤٧
تَهاديا	١	١٩٨
شَآميَا	١	٣٠٢
والتَّآسيا	٤	١٠٠
التَّقافيا	١٥	٨٧
حبالِيا	٤	٢٧
شِفائيا	٣٠	١٦
واللَّيالِيا	١٣	٩٤
آليَا	١٣	٩٤
المَوَالِيا	١١	٩٧
الغَوَانِيا	١٨	١٢٥
المَلاوِيا	٣	٣٢٤
التَّحِيَّهْ	١١	٩١

تم الفهرس الجامع للقوافى بحمد الله وعونه

خاتمة تفسير الطبرى

١

الحمدُ لله الذى جعل المسلمين خير أمة أُخرجتْ للناس: يَأْمُرُونَ بالمَعرُوفِ، ويَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ، ويُؤْمنونَ باللهِ. والصلاة والسلام على سيدنا «محمد» الذى أُنْزِل عليه القرآن رحمة ونورا للبشر، يستضيئون بنوره، ويهتدون بهُداه؛ وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المهتدين التُّقَاة، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ، فهذا تمام الطبعة الثانية من تفسير الأمام «محمد بن جرير الطبرىّ» المسمى «جامع البيان، عن تأويل آى القرآن»، تقدّمها للعالم الإسلامىّ، شركة مكتبة ومطبعة «مصطفى البابىّ الحلبىّ وأولاده بالقاهرة»، وهى الشركة التى تخصّصت منذ زمان طويل، بعد المطبعة الأميرية، لإحياء تراث الإسلام، ونشر ذخائر العرب، ونفائس إنتاجهم الثقافىّ، منذ القرن الثانى الهجرىّ حتى اليوم.

وقد عرف المسلمون لمؤسسها الأوّل المرحوم الشيخ «أحمد البابىّ الحلبىّ»[1] من علماء الأزهر الشريف، ثم من كبار تجار الكتب وناشريها بمصر، عظيم نشاطه فى خدمة الإسلام، والثقافة العربية عامة، فأوْلَوْه ثقتهم، وبعثوا إليه بكل نفيس من مكنونات الخزائن، لينشره على المسلمين فى مطبعته الذائعة الصيت، فأخرج مئاتٍ بل ألوفا من أكبر المراجع: فى التفسير، والقراآت، والحديث، والفقه على جميع المذاهب، والأدب، واللغة، وعلوم العربية، وذاع صيته، وملأت مطبوعاته بلاد آسيا وإفريقية، وبعض بلاد أُوربة، ونشأت بين مكتبته ومكتبات العالم الخارجىّ فى جاوة، والهند، وفارس، وجزيرة العرب، والعراق، والشام، وشمال إفريقية، والسودان، وغربىّ إفريقية، علاقات تجارية وثيقة، وصلات مَوَدّة ثابتة على الأيام، للذى استقرّ فى وَعْى أهالى تلك الآفاق، من حرص هذه الدار وأصحابها، على طبع المراجع العلمية الكبيرة، مثل صحيحى البخارىّ ومسلم، والمُوَطّأ، بشروحها المطوّلة، ومثل مُسْنَد الإمام أحمد بن حنبل، والدر المنثور، فى التفسير بالمأثور للسيوطىّ، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالى، وشرحه للسيد محمد مُرْتَضَى الزَّبيدىّ، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ومثل تفسير الطبرىّ، الذى كانلهم فضل السبق فى إحضار نسختين منه من خارج مصر، ونشره بمطابعهم لأوّل مرّة، تلبية لرغبة العلماء الشرقيين والمستشرقين؛ وغير ذلك من أمّهات الكتب، وأوسع المراجع، مما يدلّ على ما اضطلعت به هذه المؤسسة فى خدمة الثقافة الإسلامية والعربية، فى حقبة تُناهز قرنا من الزمان، أو تزيد عليه.

وقد سار خلفاء مؤسس هذه الدار، الإخوة مصطفى وبكرى وعيسى، من آل الحلبىّ، على سنة

(١) شرع الشيخ أحمد البابى الحلبى فى تجارة الكتب وتأسيس مطابعه سنة ١٢٧٦هـ وتوفى سنة ١٣١٦هـ (انظر ترجمته فى الجزء السابع من كتاب: «أعلام النبلاء، تاريخ حلب الشهباء» للشيخ محمد راغب الطباخ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦م، بالمطبعة العلمية بحلب.

عميدهم الأوّل الشيخ « أحمد البابىّ الحلبىّ » ، فى إيثار نشر الكتب الإسلامية الكبيرة ، التى لم يكن العلماء يعرفون إلا أسماءها فى فهارس الكتب ، ويودّون لو وقفوا على حقيقتها ، مطبوعة بالحروف ، مصححة تصحيحا جيدا دقيقا ؛ فهذا عميد آل الحلبى الثانى المرحوم السيد « مصطفى البابى الحلبىّ » يقول فى مقدمة فهرس الطبعة الأولى من تفسير الطبرىّ سنة ١٣٢١ هـ ، كلمته الدالة على حرص هذه الأسرة على إمتاع المسلمين فى جميع الآفاق ، بالعزيز النادر من تراث سَلَفهم الصالح ، غير مدّخرين مالا ولا جهدا ، فى سبيل الوصول إلى تحقيق تلك الرغبات والأمانىّ العزيزة ، التى ناطها بهم العلماء فى جميع الأصقاع الإسلامية . قال :

« الحمد لله مُبْدِع الكائنات على أحسن نظام ، ومُسَهِّل الخيرات على أكمل ما يُرام ؛ والصلاة والسلام على سيدنا « محمد » أشرف المخلوقات ، وأكمل داع إلى الله ، وآتٍ بالبينات ؛ وعلى آله وأصحابه ، وسائر محبيه وأحزابه .

وبعْدُ ، فيقول الفقير إلى الله تعالى « مصطفى بن محمد البابىّ الحلبىّ الكتبىّ » : إنى طالما رأيت علماء الغرب المسيحيين ، مُولَعين بالبحث عن الكتب الإسلامية القديمة العهد ، ومجتهدين فى الحصول على ما فيها من العلوم ، ويُسمَّى المشتغل منهم بذلك « مُستشرقا » : أى دأبه البحث عن الكتب الشرقية .

ومن أهمّ ما كانوا يَجِدّون فى البحثَ عنه « تفسير القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبرىّ » ، حتى إن الواحد منهم إذا سمع بوجود قطعة من التفسير المذكور ، فى بعض « الكتبخانات » ، يعمل كلّ وسيلة للاطلاع عليها ، ونسخ ما يهمه منها ، ولا يبالى بصرف الوقت والمال فى سبيل ذلك ؛ وكنت أكاد أذوب خجلا وأسفا ، عندما أرى بعض الكتب العربية ، سبقنا أهل أُوربة لطبعه ونشره ، ولم يصل إلينا إلا من أيديهم ، بعد فترة من الزّمن ، مع أننا أحقّ بالمسابقة فى نشر كتبنا ، ولم يجىء هذا إلا من تساهل أفراد الأمة الإسلامية ، فيما هم أحقّ به . وإنى أشكر علماء أوربة الذين يبحثون عن الكتب الإسلامية ، ويعرفون لرجال الإسلام قدْرهم ، ويدأبون فى نشر كتبهم .

ولما كنت ممن وفّقنى الله لنشر بعض الكتب العالية ، محبة فى الخير ، وتسهيل السبيل إليه ، بادرت بطبع كتاب تفسير الإمام « محمد بن جرير الطبرىّ » ، الذى مضى على وفاة مؤلفه « ألف وإحدى عشْرة سنة » ، محبة لنشر نفعه ، وخوفا من أن يسبقنا الأُوربيّون لطبعه ، وإظهاره إلى عالم الوجود ، كما سبقونا إلى غيره من معتبرات الكتب .

ولما كانت نسخه عزيزة جدا ، طبعناه على نسخة أحضرناها من عند أمراء نجد « آل رشيد » ، وقابلناه على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية بمصر ، وعلى نسخة أخرى نُقلت من الكتبخانة الأحمدية ، بمدينة « حلب الشهباء » ، واخترنا لتصحيحه جمعا من علماء الأزهر الشريف ، برآسة الشيخ محمد الزهرىّ الغمراوىّ .

والحمد لله على إتمام طبعه ، وأرجو الله أن يوفّقنى إلى طبع غيره ونشره ، وأن يسهّل الأسباب ، ويذلّل الصعاب » اهـ .

واليوم نُخرج « شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده » هذا الجزء الأخير من هذه الطبعة، وبتمامه يتمّ الكتاب ثلاثين جزءا كاملة ، فى نحو أربع سنين ، أو أقل .

وقد صُدِّر الجزء الأوّل من هذه الطبعة، بكلمة مدير تلك الشركة السيد « محمود نصار الحلبى » ، وهى تعبّر عن استعداد أصحاب هذه الشركة للمحافظة على تقاليد أسلافهم ، فى انتخاب أمهات الكتب الإسلامية، وإيثارها بعنايتهم ، وبذل قُصارى جهدهم فى إخراجها إخراجا فنّيا ممتازا، بما توافر لهم من خِبْرة فنية قوية، تحرص على الانتفاع بكل جديد يظهر فى عالم الطباعة ، من عُدَد وآلات وأجهزة حديثة ، أحدثت تطوّرا كبيرا فى طبع الكتب وتصحيحها وتجليدها .

بين الطبعة الأولى من تفسير الطبرىّ التى أخرجتها مطابع آل الحلبى سنة ١٣٢١ هـ ، وهذه الطبعة التى تمت أجزاؤها فى سبتمبر سنة ١٣٧٧ هـ ، فروق بينة فى إخراج النُّسختين ، من حيث الورق ، وحروف الطباعة الحديثة «المونوتيب» ، ومن حيث تأليف اللجان العلمية، للتصحيح والتعليق على الكتاب . ويمكن أن تردّ هذه الفروق كلها إلى عامل الزمن أوّلا ، فقد تطوّر الفنّ الطباعىّ فى مصر بفضل المطبعة الأميرية ، ومطبعة دار الكتب المصرية ، تطورا كبيرا جدا فى خمسين السنة الأخيرة ، وتطوّر فنّ النشر وإخراج الكتب فى تلك الحقبة تطوّرا عظيما ، يبشّر بمستقبل زاهر للمطبوعات العربية ؛ كما يُرَدّ بعض هذه الفروق إلى يقظة أصحاب الشركة ، الذين يقتبسون كلّ حديث من الأساليب الفنية ، للعمل به فى مطابعهم ، التى تعدّ من أكبر المطابع وأعظمها فى الشرق العربىّ .

٢

وتفسير الطبرىّ الذى قدّمنا تلك الكلمة عن ناشريه من آل الحلبىّ ، جدير بهذه العناية الكريمة ، التى يبذلها فيه الناشرون المعاصرون ، فهو ذخيرة من ذخائر الإسلام، يندُر وجود مثلها فى التُّراث الإسلامى، وهو بشهادة كثير من علماء السَّلَف وعلماء المستشرقين، الذين توفّروا على دراسة علم التفسير عند المسلمين، أعظم التفاسير الإسلامية قدرا، لأنه طِراز وحيد، جامع للتفسير بالمأثور، والتفسير بالاجتهاد، وقد وضع بين أيْدى المفسرين بعده تقاليد علم التفسير، بما افتنّ فيه مؤلفه من الاعتماد أوّلا على تفاسير النبىّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ثم الاعتماد بعد ذلك فى توجيه معنى الآيات، والترجيح بين الأقوال ، على القراءات الصحيحة، وعلى الشعر العربىّ، ثم على الدراسات النحوية والبلاغية، والنقدية، والتاريخية، وعلى الفقه الإسلامى فى بيان الأحكام الشرعية، وعلى المذاهب الاعتقادية، ثم الاعتماد آخرا على الثقافة الأجنبية التى امتزجت بثقافة المسلمين امتزاجا قويا فى القرنين الثالث ، من منطق ، وفلسفة ، وطبيعة ، ورياضة، وطب ... الخ . ولذلك يعدّ هذا التفسير بحقّ دائرة لمعارف القرن الثالث الهجرىّ ، يمثل ثقافته الشرعية واللسانية والفلسفية أصدق تمثيل ، ويعتبر مؤلفه أحد أفذاذ الرجال ، الذين جمعوا أطراف هذه الثقافة العامة ، على اختلاف مناهجها وبيئاتها ، كما يمثلها القرن الثالث الهجرىّ .

إذن كان ظهور هذا المؤلف الكبير سببا فى تطوّر فنّ التفسير، من الصُّورة البُدائية، وهى الرواية الساذجة، التى لايخالطها علم أو نقد للمروىّ، إلى التفسير العلمىّ، الذى ينقد الروايات، ويُفاضل بينها، ويعتمد على الأساليب العلمية والفنية فى الترجيح بينها. ويستغلّ معارف الإنسان عامة، فى تقرير ما هو حقّ وصحيح.

وعلى هذا الدَّرب سار المفسرون بعد الطبرىّ: من الاعتماد على الرواية كثيرا أو قليلا، أو إغفالها جملة، والاعتماد على الثقافات والدراسات، أو على العقل، فظهر بعده ألوان كثيرة من التفسير الذى يسمونه «التفسير بالرأى، أو بالعقل، وأسميه التفسير بالاجتهاد، فبعض اختصّ ببيان الأحكام الشرعية، وبعض تخصص فى الكشف عن أصول العقائد، وفريق اعتمدوا فى تفسيرهم على بيان اللغة والإعراب، وآخرون قصروا جهدهم على بيان مافيه من أساليب الإعجاز، وطرائق التعبير البلاغىّ، وغيرهم حَرَصوا على ذكر القصص والأخبار التاريخية عن الأمم الماضية.

ومن المفسرين قوم لم يسلكوا الطريق العلمىّ فى تفسير آى القرآن، وإنما اعتمدوا على الوجدان وحده، كمفسرى الصوفية الذين دوّنوا خطراتهم ومواجدهم التى يحسونها عند قراءة آى القرآن الكريم، وإن خالفت مدلول اللغة، أو مايؤيدها من مقرّرات العلوم. وهذا النوع ليس من التفاسير العلمية، لأن أمر الوجدان ليس مضبوطا بضابط علمىّ أو عقلىّ.

ومثل هؤلاء من صرف عنايته إلى تأويل آى القرآن تأويلا يخرجها عمايفهم من النصوص اللغوية والعلمية، والآثار الصحيحة المرويّة، كبعض تفاسير الشيعة الباطنية، الذين يزعمون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، لايعلمه إلا من وَرِثه عن أهله المخصوصين، مع أن القرآن لم ينزل لفريق من الناس دون فريق، وإنما خوطب به البشر أجمعون.

٣

وسمّى الطبرىّ كتابه: «جامع البيان، عن تأويل آى القرآن». أما أنه جامع البيان، فهو ما لاشكّ فيه، بعد أن بيّنا ما اشتمل عليه هذا الأثر الفذّ من مختلف التوجيهات، وضروب المعارف، التى تمثّل ثقافة القرن الثالث الدينية واللغوية والتاريخية والعقلية والطبيعية، وقد حوَى الطبرىّ منها الشىء الكثير، وظهر أثره فى كتابه الكبير ظهورا بيّنا.

وأما التأويل الذى يريده الطبرىّ، فقد يكون معناه التفسير، فيكون اللفظان مترادفين بمعنى الكشف عن ألفاظ القرآن، والتوضيح لمعانيه، بلا فرق بين اللفظين. وقد نَسَب السيوطىّ هذا القول إلى أبى عُبيد القاسم ابن سَلّام وطائفة[1]. ولكن الكثرة من العلماء، تُحِسّ فرقا بين التفسير والتأويل، على خلاف بينهم فى تعيين المراد بكلّ منهما:

فاللغويون يقولون: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، وأصله من الفَسْر، وهو نظر الطبيب

(١) السيوطى: كتاب «الإتقان، فى علوم القرآن» طبعة الميمنية سنة ١٣١٧ هـ (ج ٢: ١٧٢).

فى بول المريض ، يستدلّ بلونه على نوع المرض، وعلة العليل ، ويطلقون على ذلك البول اسم « التفسرة » . قال الجوهرىّ : وأظنه مولدا . وقيل : هو مقلوب السَّفْر ، تقول : أسفر الصبح : إذا أضاء [١] .

أما التأويل فهو ردُّ أحد المُحْتَمِلين إلى ما يطابق الظاهر ، وأصله من الأَوْل : أى الرجوع . وقيل : من الإيالة ، وهى السياسة ؛ كأن المؤوّل للكلام ، ساس الكلام ، ووضع المعنى موضعَه .

وقال الراغب الأصْفهانىّ : التفسير : أعمّ من التأويل ، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجُمل ، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الإلاهية ، والتفسير يُستعمل فيها وفى غيرها .

وقال غيره : التفسير بيان لفظ لايحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل : توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة ، إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

وقال أبو طالب الثعلبىّ : التفسير : بيان وضع اللفظ ، إمّا حقيقة وإمّا مجازا ، كتفسير الصراط بالطريق ، والصَّيِّب بالمطر ؛ والتأويل باطن اللفظ مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر . فالتأويل : إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير : إخبار عن دليل المراد ، لأن اللفظ يكشف عن المراد ، والكاشف دليل ؛ مثاله قوله تعالى : « إنَّ رَبَّكَ لبِالمِرْصَاد » ، تفسيره : أنه من الرَّصْد ، يقال : رصَدته : رَقَبْته ، والمِرصاد : مِفعال منه . وتأويله : التحذير من التهاون بأمر الله ، والغفلةِ عن الأُهبة والاستعداد للعَرْض عليه ؛ وقواطع الأدلة : بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللُّغة .

وقال بعضهم : التفسير : يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدِّراية . وفى معناه ماقاله أبو نصر القُشَيرىّ : التفسير مقصور على الاتباع والسماع ؛ والاستنباط مما يتعلق بالتأويل .

وقال قوم : ماوقع مبينا فى كتاب الله ، ومعينا فى صحيح السنة ، سُمّى تفسيرا ؛ لأن معناه قد ظهر ووضح ، وليس لأحد أن يتعرّض إليه باجتهاد ولا غيره ، بل يحمله على المعنى الذى ورد ، لايتعدّاه . والتأويل : ما استنبطه العلماء العالمون لمعانى الخطاب ، الماهرون فى آلات العلوم .

قلت : وهذه الأقوال وغيرها كثير ، يمكن أن يتلخص منها أن التفسير : هو بيان العبارة القرآنية من مفردات وجمل ، بيانا كاشفا لحقيقة المعنى ، على حسب المتعارف من أساليب العرب فى كلامهم وخطابهم ، سواء كان المعنى متبادرا فى الاستعمال أو غير متبادر ؛ فالمتبادر كتفسير : الصراط بالطريق ، والصيِّب بالمطر ، وغير المتبادر كتفسير « أخفيها » فى قوله تعالى : « أكادُ أُخْفِيها » بمعنى أظهرها .

وأما التأويل : فهو اجتهاد المفسر فى ترجيح المقصود من المعانى المختلفة التى يحتملها اللفظ ، والاستدلال على ذلك بالأدلة المختلفة ، عقلية ولغوية ، وروائية ، وتاريخية ، وغيرها ، ويدخل فى حدود ذلك استنباطه العقائد ، وأحكام الشريعة وغير ذلك من صنوف الدراية .

---

(١) (اللسان : فسر) بتصرف .

ولعلّ التفسير بهذا المعنى الأخير ، هو ما جرى عليه السلف ، من بيان المراد باللفظ ، فى جمهور ماساقه العلامة ابن جرير من مَرْويات كثيرة جدا ، عن الصحابة والتابعين ، وخاصة حبر الأمة عبد الله بن عباس ، فكلها أو معظمها عمد إلى تفسير عبارة القرآن تفسيرا سهلا موجزا ، يحدّد معنى اللفظ فى الأعمّ الأغلب ، بعبارات لاتعمُّل فيها ولا تكلُّف ، وليس يصحبها شىء قليل ولا كثير من الترجيح ، أو استخدام قواعد العلوم ، أو الاستنباط .

ولعل التأويل فى العبارة الأخيرة ، ينطبق معناه تماما على صنيع الإمام ابن جرير فى كتابه الكبير ، فهو يبين المعانى المختلفة التى تحتملها ألفاظ القرآن ، ويسوق المروىّ فيها عن السَّلف ، يقدم ذلك كله بين يدى عمله التأويلىّ ، من الترجيح والموازنة ، ونقد الأسانيد أحيانا ، واستخدام اللغة والإعراب ، فى تبيان حقيقة المراد ، والاستشهاد بالتاريخ ، واستنباط الأحكام وغيرها باجتهاده .

فالتفسير عند ابن جرير ، مقدمة للتأويل ، الذى حرص على أن يعقّب به على تفسير كلّ آية ، وهو مقصده من تأليف كتابه ، وبه امتاز عن جميع التفاسير بالمأثور التى سبقته ، ولذلك سمّى كتابه : « جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن » ، وهو فى الحقيقة جامع للتفسير والتأويل ، على ما قدّمناه آنفا .

وقد أُنزل القرآن على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان عربىّ مبين ، وكان جمهوره بلغة قريش ، وفيه من لغات سائر العرب أشياء . وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يبين من ألفاظ القرآن ، ويوضح من معانيه ما لم يعرفه أصحابه . وقد رَوَى أئمة الحديث مما فسَّر به النبىّ صلى الله عليه وسلم القرآن ، وصحّت نسبته إليه ، قدرا صالحا ، نجد له بابا فى كتب السُّنة ، كصحيحى البخارى ومسلم . ونقل منه السيوطىّ فى آخر الجزء الثانى من كتابه الإتقان ، مجموعة كبيرة بأسانيدها .

أما جمهور البيان القرآنىّ ، فكان الصحابة يفهمونه بسلائقهم العربية ويتدبَّرونه ، ويستخرجون منه الأحكام ، وقد يسأل بعضهم النبىّ عن اللفظ أو المعنى ، فيحفظونه عنه ، على اختلاف بينهم فى ذلك ، قلّة وكثرة ، لاختلاف دواعيهم إلى ذلك ، وملازمتهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أو الانقطاع عنه بسفر أو نحوه ، فكان منهم من وعى عنه ذلك ، كلَّه أو بعضه .

وكان من أجمع الصحابة للقرآن حفظا وقراءة ، ومعرفة بمعانيه وتفسيره والمراد منه : الخلفاء الأربعة الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، وكان علىّ أعلمهم ، وأكثرهم تعليما لمعانى القرآن ، واستخراجا لأحكامه . ويلى هؤلاء الأربعة جماعة ، منهم ابن مسعود ، وأبىّ بن كعب ، وأبوموسى الأشعرى ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزُّبير ، وعبد الله بن عباس ، وورد عن جماعة منهم اليسير من التفسير ، كأنس ، وأبى هريرة ، وابن عمر ، وجابر بن عبد الله . وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة ، وما أشبهها بأن يكون ما تَحَمَّلَهُ عن أهل الكتاب ، كالذى ورد عنه فى قوله تعالى : « فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ »[1] .

(١) السيوطى : كتاب الإتقان فى علوم القرآن .

كان هؤلاء الصحابة العلماء يعلّمون محكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، ووجوه قراءته ، وأسباب نزوله ، ووقت نزوله ، ومكانه . وكان غير العلماء منهم ينقلون عن علمائهم ، ما أثَروا عن النبىّ من علوم القرآن وأحكامه وتفسيره .

وكان الصحابة عامّة يحرِصون على ماعُلِّموه ، مما يتصل بالقرآن ، ويديمون التدبُّر لمعانيه ، واستنباط مايستطيعون استنباطه من أحكامه . قال السيوطى [1] :

إن القرآن إنما أُنزل بلسان عربىّ ، فى زمن أفصح العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه ، أما دقائق باطنه ، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الأكثر ، كسؤالهم لمّا نزل قوله « ولم يَلبِسُوا إيمانهم بظُلمٍ » ، فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ ففسّره النبىّ صلى الله عليه وسلم بالشِّرك ، واستدلّ عليه بقوله : « إنّ الشِّركَ لظُلمٌ عَظِيم » ، وغير ذلك مما سألوه عن آحاد منه .

ويقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون : « وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه ، فى مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جُمَلاً جُمَلا ، وآيات آيات ، لبيان التوحيد والفروض الدينية ، بحسب الوقائع ، ومنها ما هو فى العقائد الإيمانية ، ومنها ما هو فى أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدّم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له . وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يُبين المجمل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ، ويعرفه أصحابه ، فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ، ومقتضى الحال منها ، منقولا عنه ، كما عُلِم من قوله تعالى : « إذا جاءَ نصْرُ اللهِ والفَتح . . » أنها نَعْى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأمثال ذلك . ونُقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأوّل والسلَف ، حتى صارت المعارف علوما ، ودوّنت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ، ونُقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك إلى الطبرىّ والواقدىّ والثعالبىّ ، وأمثال أولئك من المفسرين ، فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار [2] .

والذى يتلخص مما تقدّم أمور :

أولها : أن القرآن الكريم نزل باللسان العربىّ المبين ، فكان العرب يفهمونه بسلائقهم العربية ، ولم يكونوا فى حاجة كبيرة إلى التفسير المطوّل ، وإنما كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يوضح لهم ما تمسّ إليه حاجتهم من ألفاظه ومعانيه .

وثانيها : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه ما فى القرآن من عقائد الإسلام والإيمان ، وأحوال اليوم الآخر ، بيانا شافيا ، كما بين ما فى القرآن من أحكام شرعية ، ومن أسباب نزول ، ومن ناسخ ومنسوخ ، ونحو ذلك ، مما يتوقف العلم به على بيانه صلى الله عليه وسلم .

(١) كتاب الإتقان (النوع السابع والسبعون) .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة التاريخ : الكلام على القراءات والتفسير (ص ٢١٤ طبعة الأميرية سنة ١٢٧٤هـ) .

وثالثها : أن الصحابة كانوا يتدارسُون ما بيَّنه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحفظونه ، ويأخذه بعضهم عن بعض ، وهذا منشأ الحديث عنه صلى الله عليه وسلم .

وأما ما عدا ذلك ، فكان بيانه حسب الحاجة إليه ، فمن سأله عن شيء منه ، بيَّنه له ، ومن فهمه بنفسه على مقتضى ظاهر الكتاب فهما عربيا ، لاتكلُّف فيه ولا مشقة ، لم يُمنع منه .

ومن هنا كان لابدّ فى تفسير القرآن من مقدار مأثور عنه صلى الله عليه وسلم فى الألفاظ والمعانى. والأحكام والناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، وأحوال الآخرة ، ونحو ذلك ، وهذا القدر مما أُثر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من التفسير ، يجب الوقوف عنده ، والاعتماد عليه عند التفسير ، وإلا كان تفسيرا بالهوى ، لايصحّ ولا يعوّل عليه .

ومن هنا أيضا مَسَّتِ الحاجة إلى أن يتناقل الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، هذا المأثور من التفسير ، ليؤدّوه إلى الأجيال الخالفة بعدهم من المسلمين .

وجمهرة العلماء على أن ما يرويه الصحابىّ من الأحاديث ، فى التفسير وغيره ، مقبول منه ، سواء رفعه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم أو لم يرفعه ، لاحتمال أن يكون سمعه من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أو من صحابىّ آخر أعلم منه ، كعلىّ بن أبى طالب ، وعمر بن الخطاب ، وأبى موسى الأشعرىّ .

وقد كان فى الصحابة أو التابعين من أسلم وكان يهوديا أو نصرانيا ، كعبد الله بن سَلام ، ووهْب بن مُنَبِّه ، وكعب الأحبار ، ممن قرءوا التوراة أو الإنجيل ، وكان يعلمون ببعض ما جاء فى كتب رسلهم ، وما انضاف إليها من شروح وقَصَص ووعظ ، فكان بعض الصحابة يسألونهم ، ويروون عنهم مايقولونه ، فأضافوا إلى مادة تفسير القرآن المأثورة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه مادّة أجنبية ، وخاصّة فيما يتعلق ببدء الخليقة ، وقصص الأنبياء ، وأحوال الآخرة ، وما شاع عندهم من وعظ دينىّ ، وتذكير بالموت ، ووصف الحياة الآخرة وما فيها من أهوال ، وكان ذلك كله متلبسا بالخيال ، ولم يكن عند من رووه مقدرة على تمييز صحيح القول من منحوله ، لأنهم كانوا أهل بادية ، مع تأخر زمنهم ، فامتلأت مَرْوِيّاتهم بالخُرافات والأساطير والخيال ، وروى عنهم ذلك بعض الصحابة ، كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عباس ، وغيرهما ، وقد أشرنا إليه آنفا .

وشاع فيما يرويه التابعون بعد الصحابة فى التفسير ، كثير مما سمَّاه أهل العلم بالإسرائيليات ، ومن قَصَص القُصَّاص ، المعتمد أكثره على الخيال ، حتى إذا جاء عصر التدوين عند المسلمين ، منذ أواسط القرن الثانى ، دوّن كثير من ذلك فى كتب حملت اسم « التفسير » ، وقد عدَّ منها ابن النديم فى الفهرست نحو خمسين تفسيرا قبل ظهور الطبرى صاحب « جامع البيان » .

وقد نقلت أقوال الصحابة ومَرْوِيّاتهم فى التفسير إلى تلاميذهم من التابعين ، وكان أشهر مارُوى من ذلك ، المنسوب إلى حَبْر الأمة عبد الله بن عباس ، فقد حفظ ما أُثر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم من مادّة

التفسير للفظ والمعنى ، وظهر نبوغه فى التأويل زمن سيدنا عمر ، وكان له تلاميذ يأخذون عنه ويلازمونه ، من أشهرهم سعيد بن جُبير ، ومجاهد بن جَبْر ، وعطاء بن أبى رَباح ، وعِكْرِمة البَرْبَرِىّ مولى ابن عباس ، وطاوُس ابن كيسان اليمانىّ ، والضحاك بن مزاحم ، وقيل إنه لم يلقه ، وغير هؤلاء كثير ، وكلهم ترك كتابا فى التفسير ، الذى أخذه عن أستاذه ابن عباس ، وأخذ عنه من لا يُحْصَوْن كثرة من تلاميذه فى الآفاق الإسلامية : مكة والبصرة والكوفة وخُراسان وغيرها ، فانتشر علم ابن عباس فى البلاد التى فتحها المسلمون .

ولعلّ أوثق ما رُوى عن ابن عباس هو المجموعة التى رواها علىّ بن أبى طلحة الهاشمىّ ، عن ابن عباس مباشرة . وقيل : رواها عن أحد تلميذيه : مجاهد بن جَبْر ، أو سعيد بن جُبير . قال أحمد بن حنبل : بمصر صحيفة فى التفسير ، رواها علىّ بن أبى طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ، ما كان كثيرا [1] .

قال ابن حجر : وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح (قاضى الأندلس) ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . وهى عند البخارىّ عن أبى صالح ، وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا ، فيما يعلّقه عن ابن عباس [1] .

وهذه الصحيفة هى أصل التفسير المنسوب إلى ابن عباس ، وقد زاد عليها الرواة كثيرا مما لم يأخذوه عن أستاذهم ، ونسبوه إليه ، فصار تفسيرا ضخما . قال السيوطى فى الإتقان نقلا عن الخليلى صاحب الإرشاد : وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مَرْضِيَّة ، ورُواتها مجاهيل ، كتفسير جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس [1] .

وذكر السيوطى فى النوع الثمانين من الإتقان ، طائفة من مفسّرى الصحابة ، ومن روى عنهم من المفسرين غير ابن عباس وتلاميذه كابن مسعود ، وأبىّ بن كعب ، وأنس بن مالك ، وأبى هريرة ، وابن عمر ، وجابر ، وأبى موسى الأشعرىّ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

ثم ذكر فى طبقة التابعين تلاميذ ابن عباس الذين سبق ذكرهم وغيرهم ، كالحسن البصرىّ ، وعطاء بن أبى سَلَمة الخُراسانىّ ، ومحمد بن كعب القُرَظى ، وأبى العالية ، وعطية العَوْفىّ ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، ومُرّة الهَمْدانى [1] .

قال : وهؤلاء قُدَماء المفسرين ، وغالب أقوالهم تَلَقّوها عن الصحابة .

ثم بعد هذه الطبقة أُلّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين ، كتفسير سُفْيان بن عيينة ، ووكيع ابن الجَرّاح ، وشُعبة بن الحَجّاج ، ويزيد بن هارون ، وعبد الرزاق (بن هَمّام الصَّنْعانىّ) ، وآدم بن أبى إياس ، وإسحاق بن رَاهُويه ، ورَوح بن عبادة ، وعَبْد بن حُمَيد ، وسعيد ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وآخرين .

وبعدهم محمد بن جرير الطبرىّ ؛ وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها . ثم ابن أبى حاتم ، وابن ماجه ،

(١) الإتقان للسيوطى (النوع الثمانين : طبقات المفسرين) .

والحاكم ، وابن مَرْدُوْيَه ، وأبوالشيخ بن حِبَّان ، وابن المُنذر ، فى آخرين ؛ وكلها مُسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ؛ وليس فيها غير ذلك ، إلا ابن جرير ، فإنه يتعرّض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب ، والاستنباط ، فهو يفوقها بذلك [1]

كانت الحياة العلمية فى عصر الطبرىّ قد نمت ، وخطا العقل الإسلامىّ خطوات فسيحة نحو التحرّر من أسْر التقليد ، بما وقف عليه المسلمون من التُّراث الفكرىّ الجديد ، المترجَم عن الأمم القديمة ، كاليونانيين والهنود وغيرهم ، فى الطبيعيات ، والرياضيات ، والطبّ ، والمنطق ، فأحدث كلّ ذلك تأثيرا فى عقول المسلمين ، وأخذوا يغيرون مَناهج أسلافهم فى التأليف فى العلوم الإسلامية ، وكان من مظاهر ذلك التغيير ، جمع موادّ العلوم المتفرّقة فى مجاميع واسعة منظَّمة ، مبوّبة تبويبا حسنا ، مفصّلة تفصيلا دقيقا . ثم نقد هذه المواد ، وتمييز الزيف منها من الصحيح ، ثم وضع قواعد وأصول عامة للعلوم ، من استقراء الجزئيات ، ثم ظهور مؤلّفات مبتكرة ، ورجال مجتهدين فى البحوث العلمية ، ثم ظهور فِرَق ومذاهب مختلفة ، تميل إلى الجدل ، وتحكيم العقل فى العقائد وغيرها من مباحث الفكر الإنسانى . وقد شهد ابن جرير فى أول حياته ما كان من خلاف بين الفِرَق الإسلامية ، من معتزلة وغيرهم ، كما شهد معركة الخلاف بين النُّحاة البصريّين والكوفيين ، وخاصة بين محمد ابن يزيدَ المبرّد ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، أستاذه فى النحو والأدب ، وبين القرّاء كذلك ، وعاصر فتنة القول بخلق القرآن ، وقرأ ما كتبه الشافعىّ وغيره فى أصول الفقه ، ورأى ما كتبه الجاحظ فى البلاغة والنقد ، إلى كثير مما لانستطيع إحصاءه فى هذا الموضع ، مما يقوم أكثره على النقد والعقل ، أكثر مما يقوم على مجرّد الرواية ، التى تَمَيَّز بها علم الذين سبقوه فى القرنين السابقين .

ولعلّ المحدّثين كانوا من أسبق العلماء إلى وضع المقاييس النَّقْدية ، لتنظيم المرويات ودراستها دراسة علمية ، والذى فعله البخارىُّ ومسلم وغيرهما من أئمة الجَرْح والتعديل فى القرن الثالث لايحتاج إلى بيان ، وعن المحدّثين أخذ كثير من أصحاب العلوم تقاليدهم العلمية ، ومناهجهم فى البحث ، فسرَى منهج المحدثين إلى اللُّغويين ، والأدباء ، والمؤرّخين ، والقرّاء ، وغيرهم .

وكلّ أولئك كان له أثره فى عقل محمد بن جرير الطبرىّ ، الذى وُلد فى سنة ٢٢٥ هـ ، وامتدّت حياته إلى سنة ٣١٠هـ ، فنَهَلَ وعَلَّ من ثقافة القرن الثالث الإسلامية ، وكان له أكبر الأثر فى توجيه ذلك التُّراث الإسلامىّ إلى الطريق العلمىّ الثابت الدعائم ، وكان من أثره ظهور كثير من فحول العلماء ، ونابغى المسلمين ، فى القرن الرابع الهجرىّ ، الذى بلغ فيه النموّ العقلىّ درجة عالية ، لم يبلغ شأوَها فى القرون الثلاثة السابقة ، ولا فيما تلاه من القرون .

حوى ابن جرير جميع تُراث التفسير الذى تفرّق قبله فى كتب صغيرة ، منذ عصر عبد الله بن عباس ، وهو «أبو التفسير» بالمأثور ، كما يلقبه «جُولد تسيهر» فى كتابه «مذاهب التفسير الإسلامىّ» ، إلى النصف

(١) الإتقان للسيوطى (النوع الثمانين : طبقات المفسرين) .

الأوّل من القرن الثالث الهجرىّ ، حين كان ابن جرير شابا يطلب العلم فى الآفاق الإسلامية : طَبَرِستان ، والرّىّ ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، وواسط ، والشام ، ومصر .

روى ابن جرير ذلك كله عن عدد كثير من جلّة شيوخ العلم يصعب إحصاؤهم ، ذكر بعضهم ياقوت الحموىّ فى كتابه « إرشاد الأريب (١٨ : ٤٠ — ٩٥) » . ونبّه ابن النديم على بعضهم فى الفهرست (مصر : ٣٢٦) . وأورد طائفة منهم الخطيب أحمد بن ثابت البغدادى فى تاريخ بغداد فى ترجمة الطبرىّ (٢ : ١٦٢) . ومن بينهم المحدّثون ، والقُرّاء ، والفقهاء ، والمؤرّخون ، والنحويون ، واللُّغويون ، وغيرهم ، وإنما أكثَرَ الطبرىّ عن أعيانهم ورؤسائهم . قال ابن النديم فى الفهرست : وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام ، والعراق ، والكوفة ، والبصرة ، والرّىّ » .

وأذكر هنا طائفة من مشهوريهم ، ممن أورد الطبرىّ فى تفسيره أسماءهم فى صدور أسانيده ، من غير تفصيل لتراجمهم :

فمن شيوخ الطبرى فى الحديث والتفسير بالمأثور :

١ — أحمد بن حَمّاد الدَّولابىّ ، أخذ عنه الطبرىّ فى الرّىّ كتاب المبتدأ والمغازى من سيرة ابن إسحاق ، رواية عن سلمة بن الفضل الأنصارىّ ، عن محمد بن إسحاق المؤلف .

٢ — أحمد بن المِقدام بن سليمان بن الأشعث العجلى ، أبو الأشعث البصرىّ الحافظ (ت ٢٥٣ هـ) .

٣ — أحمد بن مَنيع بن عبد الرحمن البَغَوىّ ، أبوجعفر الأصمّ الحافظ صاحب المُسْنَد (ت ٢٤٣ هـ) .

٤ — إسحاق بن أبى إسرائيل إبراهيم (كاتِبُ) المَرْوَزِىّ أبو يعقوب ، نزيل بغداد الحافظ (ت ٢٥٤ هـ) .

٥ — إسماعيل بن موسى الفزارىّ أبو محمد ابن بنت السُّدّىّ (ت ٢٤٥ هـ) .

٦ — بشر بن معاذ العَقَدىّ ، أبوسهل البصرىّ الضَّرير (ت ٢٤٥ هـ) .

٧ — عُبَيد الله بن إسماعيل الهبارىّ .

٨ — عُبَيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرُّوخَ المخزومىّ ، مولاهم ، أبو زرعة الرازىّ الحافظ ، أحد الأعلام والأئمة (ت ٢٦٤ هـ) .

٩ — علىّ بن سِراج المصرىّ : أحد شيوخ العلم والأدب فى مصر عند دخول الطبرىّ إليها . وقد امتحن الطبرىّ وعرف فضله . وسأله عن شعر الشماخ ، وطلب إليه أن يُملى شعره على طلبة العلم ، فأملاه وشرحه من حفظه ، (ت ٣٠٨) .

١٠ — عمران بن موسى بن حِبّان اللَّيْثى البصرى القَزّاز (ت بعد سنة ٢٤٠ هـ) .

١١ — عمرو بن علىّ بن بحر بن كُنَين أبوحفص الصَّيْرفىّ الفَلّاس الحافظ أحد الأعلام (ت ٢٤٩ هـ) .

١٢ — المُثَنّى بن إبراهيم الأُبُلّىّ .

١٣ — محمد بن بشار بن عثمان العبدىّ أبو بكر البصرىّ الحافظ : أحد أوعية السنة (ت ٢٥٢ هـ) .

١٤ – محمد بن حُمَيد بن حَيَّان التميمىّ، أبو عبد الله الرازىّ الحافظ (ت٢٤٨هـ). بلغ ما أخذه عنه الطبرىّ فى الرّىّ مئة ألف حديث.

١٥ – محمد بن عبد الأعلى بن المُهلِّ الصنعانى.

١٦ – محمد بن العلاء بن كُرَيب الهَمْدانىّ الحافظ، أبو كُرَيْب شيخ الجماعة (ت٢٤٨هـ)، بلغ ما رواه عنه الطبرىّ مئة ألف حديث.

١٧ – محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأُمَوىّ، أبو عبد الله الأُبُلّىّ (ت ٢٤٤هـ).

١٨ – محمد بن المُثَنَّى بن عُبَيد بن قيس العَنَزِىّ، أبو موسى الزَّمِن البصرىّ الحافظ (ت٢٥٢هـ).

١٩ – محمد بن المعلى الهَمْدانى اليامىّ الكوفىّ، نزيل الرىّ.

٢٠ – هَنَّاد بن السَّرِىّ بن مُصعَب التميمىّ الدارمىّ الحافظ (ت ٢٤٣هـ).

٢١ – الوليد بن شجاع بن الوليد السَّكونى، أبو همام الكوفىّ (ت ٢٤٣هـ).

٢٢ – يعقوب بن إبراهيم بن كثير العبدرىّ الدورقىّ الحافظ صاحب المُسْنَد (ت ٢٥٢هـ).

٢٣ – يونس بن عبد الأعلى بن مَيْسَرة بن حفص الصَّدَفىّ، أبو موسى المِصْرىّ، أحد الأعلام (ت٢٦٤هـ) وقد أخذ عنه الحديث ومذهب مالك فى مصر.

ومن شيوخه فى الفقه:

١ – الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزعفرانىّ، أبو علىّ البغدادى (ت ٢٦٠هـ) أخذ عنه فقه الشافعى ببغداد.

٢ – الربيع بن سليمان بن داود الجِيزى، أبو محمد الأزدىّ (ت٢٥٦هـ)، أخذ عنه فقه الشافعى فى مصر.

٣ – داود بن علىّ بن خلف الأصبهانى الظاهرىّ، الإمام المعروف صاحب المذهب الظاهرى (٢٠٢ – ٢٧٠هـ) أخذ عنه الطبرىّ مذهبه.

٤ – سعد، وعبد الرحمن، ومحمد، بنو عبد الله بن عبد الحَكَم، لَقِيَهم الطبرىّ فى مصر، وأخذ عنهم مذهب مالك.

٥ – أبو مُقاتل: أخذ عنه مذهب أبى حنيفة فى الرّىّ.

ومن شيوخه فى النحو والأدب واللغة:

أحمد بن يحيى ثعلب، إمام نُحاة الكوفة فى عصره (٢٠٠ – ٢٩١) وقد شهد ثعلب للطبرىّ بالتبريز فى النحو الكوفىّ.

هؤلاء الأعلام بعض من أخذ عنهم الطبرىّ ثقافته الحديثية والفقهية واللغوية. وقد ظهرت آثارهم واضحة فى منهج الطبرىّ فى التفسير، فلقد كان فيه محدِّثا، وفقيها، وأديبا لغويا، ومؤرِّخا. وكلهم ممن أسند إليه الحديث، أو استشهد به فى التأويل، أو اعتمد عليه فى الترجيح.

وطريقة الطبرىّ فى الإسناد ، أن يبدأ مرْوِياته بلفظ حدثنى ، أو حدثنا ، أو حُدِّثت عن . . . ، وهذا لفظ يدلّ عند المحدّثين على السَّماع المباشر عن الشيوخ ، وقد يقول : « أخبرنى وأخبرنا) . لكن بعض الباحثين يرى أن الطبرىّ يتسمَّح أحيانا بهذا التعبير ، فى بعض ما أخذه بالإجازة عن بعض الشيوخ . والإجازة طريق مألوف من طرق التَّحمُّل ، لكنه أقلّ درجة من السَّماع .

وقد استغلّ الطبرىّ ثقافته الواسعة المتفننة ، فى تفسير القرآن ، لكن على نمط لم يعرفه المؤلفون قبله . وأوّل مايظهر من ذلك : ترتيب المادة الحديثية الواردة فى تسير الآى ، وتصنيفها تصنيفا عجيبا ، فإنه يجمع الروايات المتفقة على معنى أو حكم فى فصيلة ، ثم يعقبها بفصيلة أخرى فى معنى آخر من تفسير الآية ، أو جزء منها . فإذا فرغ من نَسْق الفصائل بعضها وراء بعض ، أخذ فى الموازنة والمحاكمة بينها بنقد الأسانيد ، والتنبيه على الضعيف من الروايات أحيانا . ثم يأخذ فى ترجيح رواية على أخرى ، مؤثرا من الروايات ماكان معناه ظاهرا أومتبادرا أولا ، لأن هذا هوالمعوّل عليه عند أهل اللسان جميعا ، فإذا احتاج المعنى إلى شاهد من اللغة على معنى أو إعراب ، ساق من محفوظه ومما أخذه عن شيوخه الشواهد التى تقرّر المعنى ، أو توضح الإعراب . فإذا انتهى من كلّ ذلك كان الترجيح بين الأقوال ، وإيثار أفضلها وأولاها بالبقاء سهلا هينا ، بما قدَّم له من مقدمات مُقْنِعة . وبهذا يختم تفسير الآية غالبا . أما إذا كان المعنى متبادرا مفهوما ، فقد يبدأ تفسير الآية بتقرير هذا المعنى فى عبارة مساوية ، بين الإيجاز الشديد والتطويل ، ثم يسوق الأقوال المؤيدة والمخالفة ، ويُنهى التفسير بذلك .

وسبيله فى القراءات سبيله فى تفسير معانى الألفاظ ، فهو يُوازن ويُفاضل بينها ، ويعتمد ما أجمعت عليه الحجة من القرّاء ، ولا يميل إلى القراءات الشاذّة غير الشائعة فى الأمصار الإسلامية ، ولعلّ ما اختاره من الترجيح بين القراءات فى مختلف آى القرآن ، لو جُمع فى كتاب ، لتألّف منه قراءة تُنسب إلى الطبرىّ . على أنه هو كان له قراءة خاصة ، وإن لم تشع ولم يقرأ بها إلا الأقلّون من تلاميذه ، وكان أكثر اعتماده فى القراءات على كتاب أبى عُبيد القاسم بن سَلَّام .

وكان يسلك فى بيان العقائد مسلك أهل السنة فى الأعمّ الأغلب ، إذ لم يكن شيعيا ولا مُعْتَزِليًا ، ولا ذا هَوًى ، وقد يحمله اجتهاده وعلمه على تقرير رأى يوافق آراء المعتزلة أو غيرهم ، من الباحثين فى العقائد : اجتهادا لااعتزالا .

قال ياقوت فى إرشاد الأريب (١٨ : ٨٢) قال عبد العزيز بن محمد الطبرىّ : كان أبو جعفر يذهب فى جُلّ مذاهبه ، إلى ما عليه الجماعة من السَّلف ، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسُّنَن ، شديدا عليه مخالفتهم ، ماضيا على مِنهاجهم ، لا تأخذه فى ذلك ولا فى شىء لومةُ لائم . وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال فى جميع ما خالفوا فيه الجماعة ، من القول بالقَدَر ، وخَلْق القرآن ، وإبطال رؤية القيامة ، وفى قولهم بتخليد أهل الكبائر فى النار ، وإبطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان أبو جعفر

يذهب فى الإمامة إلى إمامة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ رضى الله عنهم ، وما عليه أصحاب الحديث فى التفضيل . اهـ .

والحقّ أن الطبرىّ بما اعتمده من تحقيق الرواية فى التفسير ، والترجيح بين الأقوال ، والاحتكام فى حلّ مشكلات الألفاظ إلى أساليب العرب ولغتهم ، وإلى الأشعار والنحو ، وشرحه العقائد ، واستنباطه الأحكام ، قد نقل التفسير خطوة إلى الأمام ، من مجرّد « التسجيل » ، إلى مرحلة « التفكير » ، والاعتماد على الدليل .

وقد سمّى بعض المتقدمين هذا الطّور الجديد من أطوار التفسير : التفسير بالرأى ، وجعلوه نظير التفسير بالهوى ، فى مقابلة التفسير بالمأثور .

والصواب عندى : التفرقة بين هذه الأنواع الثلاثة من التفسير :

فما كان معتمدا على السنة الصحيحة الموثوق بها ، كبيان الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول وما إلى ذلك ، فهو التفسير بالمأثور .

وما كان معتمدا على الفهم والاجتهاد ، يؤيده دليل شرعىّ أو عقلىّ أو لغوىّ ، فهو التفسير بالرأى . وليس يُمنع منه أحد إذا كان أهلا له ، لأننا أمرنا بتدبر القرآن وفهمه فى قوله تعالى : « أفَلا يتدَبَّرُونَ القُرآنَ » ؟ وقوله « لعَلِمهُ الَّذينَ يستَنبطونَه مِنهُمْ » .

أما إذا كان التفسير مجرّد خاطر ، لا يعتمد على دليل أو شاهد مما تقدّم ، فهو التفسير بالهوى ، وهو المنهىّ عنه . قال الله تعالى : « وَلا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بهِ عِلْم » . وقال السيوطى فى الإتقان : روى البيهقى فى الشُّعَب عن مالك ، قال : « لا أُوتَى برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله ، إلا جعلته نكالا » . اهـ .

ومن ذلك ما أشار إليه السيوطىّ فى الإتقان : « النوع التاسع والسبعون ، فى غرائب التفسير » .

ويؤخذ على الطبرىّ فى تفسيره :

(١) أنه لم يطبق منهجه النقدىّ للأسانيد ، على جميع ما جاء فى التفسير ، وإنما كان ينقد الروايات فى النادر الأقلّ ، وكان جديرا ألا يترك رايا ضعيفا إلا نبّه عليه ؛ ولعله اكتفى بهذا القدر الضئيل من النّقد ، لأنه قد ألّف فى تاريخ الرجال كتابا كبيرا ، سماه « ذَيْلَ المُذَيَّل » فمن شاء معرفة حال رجال السند رجع إليه . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلى الأجيال المتأخرة ، ولعله لو وصل ، لكان مفتاحا لما أبهم فى التفسير من ضعيف الأسانيد .

(٢) كما يُؤخذ عليه أنه حشَد فى تفسيره كثيرا من الإسرائيليات والنصرانيات التى رواها المسلمون عن أهل الكتاب ، وأخذها ابن إسحاق وغيره فى السيرة ، على أنها أخبار منقولة عن أهل العلم بالكتاب الأوّل ، وفى هذه المرويات كثير من الأساطير والخرافات وقَصَص الوعاظ المُعتمد على الخيال إلى أبعد حدّ . وهذا

النوع من أخبار أهل العلم بالكتاب الأوّل ، كان جديرا بتنبيه الطبرىّ على قيمته فى التُّراث الإسلامىّ ، ولكنه أشاعها فى تفسيره ، وسكت عن بيان حقيقتها ، فهى جديرة أن يلتبس أمرها على العامة ، الذين يقرءون تفسيره ولا يجدون للطبرىّ فيها رأيا .

(٣) كما يؤخذ عليه أنه نقل من الروايات عن ابن عباس ما فيه تناقض ، ولم يرجح رواية منه على أخرى ، ولم يتعرّض لبيان الصواب من ذلك .

وبعد ، فهذه كلمة موجزة نختم بها طبع هذا التفسير ، ولا نستطيع أن نجعلها بحثا يُلمّ بجميع ما ينبغى أن يُقال فى الطبرىّ وتفسيره وخصائصه ، فنكتفى بهذا القدر الضئيل بالنسبة لقدْر هذا التفسير ، ونشير إلى بعض المراجع التى يرجع إليها من شاء الاستزادة من البيان عن حياة الطبرىّ وسيرته وأعماله العلمية الكثيرة ، خاصة تفسيره الذى حاز شهرة عالمية فى آفاق الشرق والغرب ، عند المسلمين وغيرهم من العلماء المستشرقين . فمن ذلك :

١ — الترجمة التى كتبها عنه أحد كبار المحدّثين ببغداد ، أحمد بن ثابت الخطيب البغدادىّ ، صاحب تاريخ بغداد . (الجزء الثانى ١٦٢ — ١٦٨) .

٢ — الترجمة التى كتبها عنه محمد بن إسحاق ، المشهور بابن النديم ، فى كتابه الفهرست (القاهرة : ٣٢٦ — ٣٢٩)

٣ — الترجمة التى كتبها ياقوت الحموىّ فى إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب (١٨ : ٤٠ — ٩٤) .

٤ — الترجمة التى كتبها السُّبكى فى طبقات الشافعية ، لأن الطبرىّ كان شافعيا قبل الاجتهاد .

٥ — الترجمة التى كتبها ابن خلّكان فى وَفَيات الأعيان . وهى قصيرة جدا .

٦ — البحث الذى كتبه الدكتور سيد أحمد خليل المدرّس بجامعة عين شمس ، وقدمه إلى جامعة القاهرة للدكتوراه ، وعنوانه « الطبرى المفسر » .

٧ — كلمة المستشرق الألمانى الكبير « نولدكه » : « لو حصلنا على هذا الكتاب ، لاستطعنا أن نستغنى عن كلّ كتب التفسير المتأخرة عليه ، ولكنه يبدو (للأسف) مفقودا بالكلية » . انظر ص ١٠٨ من كتاب (مذاهب التفسير الإسلامىّ ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، طبعة مطبعة السُّنّة المحمدية ، سنة ١٩٥٥ . اهـ .

٨ — الفصل الذى كتبه المستشرق الألمانى « لوت » المنشور فى مجلة المستشرقين سنة ١٨٨١ م . وقد وفّى الطبرىّ حقه من الإجلال والثناء . «انظر مقال الدكتور فؤاد حسنين علىّ» (الأهرام ٢١—١—١٩٣٤م).

٩ — الفصل الذى كتبه المستشرق الألمانى « أجنتس جولد تسيهر » ، فى كتابه « مذاهب التفسير الإسلامى » عن التفسير بالمأثور ، وفيه الكلام على الطبرىّ وتفسيره ، وقد نُقل إلى اللغة العربية مرّتين ، نقل الأولى الدكتور « على حسن عبد القادر » . ونقل الثانية كاملة الدكتور « عبد الحليم النجار » الأستاذ

بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ونشرت الكتاب مكتبة الخانجى ، فى مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٥ م .

١٠ – مقال الدكتور « ولفنسون إسرائيل » بعنوان « جامع البيان ، فى تفسير القرآن للطبرى » ، نشره بجريدة الأهرام فى (٤ – ١ – ١٩٣٤م) .

١١ – مقال الدكتور « فؤاد حسنين علىّ » ، نشره فى الأهرام (٢١ – ١ – ١٩٣٤ م) ، ردّ به على أخطاء وقعت فى مقال « الدكتور ولفنسون إسرائيل » .

* * *

ولما قرّرت شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبىّ تجديد طبعة هذا التفسير ، أسلمت نُسختيه المطبوعين إلى لجنة التصحيح بمطبعتها ، فأعدّوا الجزء الأوّل منه ، ثم طبعوا معظمه ، قبل أن أتولّى تصحيحه ، ثم شرّفنى السادة أصحاب الشركة ، فدعونى لمعاونتهم فى تصحيح الكتاب ، والإشراف على طبعه ، فرأيت أن معارضة الكتاب بالنسختين التى طُبعتا فى مصر أوّلا ، لايكفى الآن لتحقيق مَوادّ الكتاب ، وقد كانت طبعة الأميرية أصحّ وأضبط من طبعة الميمنية الأولى ، وقد قُوبلت الأميرية على النسخة رقم ١٠٠ المحفوظة بدار الكتب المصرية مقابلة دقيقة ، وعلى الرغم من ذلك ، وقعت فيها أغلاط كثيرة ، وخاصة فى الشواهد من الأشعار الكثيرة المبثوثة فى تضاعيف التفسير ، لأن المخطوطة لاتسهل قراءتها ، ولا تتضح كلماتها عند النظرة السريعة ، وكثيرا ما أهمل النقط فيها . أما المرويات فقد التبس بعض متونها وأسانيدها على المصحح ، فكان يلجأ فى تصحيحها إلى السيوطىّ فى كتابه الدرّ المنثور ، فى التفسير المأثور ، وأحيانا يسجّل موضع الغلط أو اللبس كما هو بالأصل المخطوط ، دون تصرّف فيه .

لذلك عوّلت على أن أقابل هذه المطبوعة من أوّل الجزء الثانى ، على الأصول الموجودة بدار الكتب المصرية : ٤٢ ، ٤٣ و ١٠٠ تفسير ، وعلى أن أعتمد فى تصحيح متون الأشعار ، على دواوين اللغة والشعر ومعاجم اللغة ، وبعض المصادر التى رجع إليها الطبرىّ . وقد هدانى البحث إلى أن معظم الأشعار التى استشهد بها الطبرىّ ، قد نقلها من كُتُب معانى القرآن التى ظهرت قبل عصره ، وخاصّة كتابى « معانى القرآن » للفرّاء ، « ومجاز القرآن » لأبى عُبيدة ، فقد اعتمد الطبرىّ اعتمادا كبيرا فى حلّ مشكلات التعبير ، فى الإعراب والمعنى ، على الفراء ، الإمام النحوىّ الكوفىّ ، بل إن أكثر توجيهاته اللغوية فى التفسير ، هى توجيهات الفراء فى كتاب المعانى بلفظه ، كما اعتمد على أبى عُبيدة فى بيان معنى الألفاظ المفردة ، وأخذ شواهد الكتابين وغيرهما ، وحشده فى تفسيره حشدا . ولم يقتصر الطبرىّ على هذين الكتابين فى أخذ الشواهد ، بل أخذ كثيرا منه من دواوين الشعراء ، أومن غير الكتابين المذكورين من كُتب معانى القرآن ، التى ألّفها اللُّغويون لا المحدّثون ، لبيان خصائص الأسلوب العربىّ ، والتركيب الإعرابىّ ، وقد سجّلتُ فى ذيول الصفحات ، نتيجة المقابلات التى عملتها فى أثناء معارضة

المطبوعة بالمخطوطة ، كما بيَّنت كثيرا من أسماء الشعراء ، وقع فيها الغلط أو التحريف ، وشرَحت الأبيات ، وبيَّنت محلّ الشاهد فيها ، وما قاله الفرّاء أو أبو عُبيدة أو غيرهما فى الشاهد .

وعلى الرغم من ذلك الجُهْد ، فاتنى كثير من أسماء الشعراء الذين لم يذكرهم الطبرىّ ، ولم أجدهم فى المراجع اللغوية والأدبية التى أعرفها . كما استعصى علىّ قراءة كلمات وردت فى المخطوطة بصورة غامضة ، فتركتها ونبَّهت على غموضها فى حواشى الكتاب .

* * *

والمخطوطة الكاملة الباقية من هذا التفسير ، وهى التى عليها المعوّل فى المراجعة ، هى المُشار إليها فى فهارس دار الكتب المصرية بالرقم (١٠٠) . وورقها كتانى صفيق متوسط الحجم ، مصفرّ اللون من القِدم ، تشتمل الصفحة منها على ثلاثة وعشرين سطرا ، ومتوسط الكلمات فى السطر : إحدى عشرة كلمة ، منسوخة بقلم نسخى غليظ ، وليس فيها ضبط ، ولم يلتزم الكاتب وضع النقط دائما ، فجاء كثير من كلماتها مشتبها . وفيها بالمداد الأحمر شبه عنوانات ، عند رأس أولآى المراد تفسيرها ، وعند الانتقال فى التفسير من قول إلى قول ، مثل قوله : « ذكر من قال ذلك » .

وقد ضاع من آخر الجزء الثلاثين نحو أربع صحائف ، ولعلها فقدت حديثا ، فيها بعض تفسير سورة « الفَلَق » ، وجميع تفسير سورة « الناس » . كما ضاع اسم الكاتب ، وما اعتاد الناسخون أن يثبتوه فى آخر النسخ من التواريخ والدعاء . . . الخ .

ولكن النسخة لم تخل من وَثيقة مُهِمَّة ، كُتبت على الصفحة الأولى ، فى بعض الأجزاء ، هى وثيقة وقف تلك النسخة ومقرّها ، ونصها كما يأتى :

« وقف ، وحَبَّس ، وسَبَّل ، وتصدّق العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى ، المَقَرُّ الأشرف العالى السَّيْفِىّ ، « صَرْغَتْمش » رأس نَوْبة الأمراء الجَمْدارِيَّة ، الملكىّ الناصرىّ ، أسبغ الله (عليه) ظِلالَه ، وختم بالصالحات أعماله ، جميعَ الجزء المبارَك من تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبى جعفر « محمد [بن جرير] الطَّبَرىّ ، من تجزئة اثنين وعشرين جُزْءا ، على المُشتغلين بالعلم الشَّريف ، وعلى المقيمين بالمدرسة الحَنَفِية المجاورة لجامع (ابن) طُولون ، المنسوبة للمقَرّ الأشرف المُشار إليه أعلاه . أحسن الله إليه ، وغفر له ولوالديه وللمسلمين ، لينتفعوا بذلك الاشتغال ، والكتابةِ منها ليلا ونهارا ، ولامَنْع لمن يطالعه ، ومن يكتب منه ، بحيث لايخرج من المدرسة المذكورة ، ولا يُباع ، ولا يُرْهَن ، ولا يُوهَب ، ولا يُبَدَّلُ ، ولا يُغَيَّر ؛ وقفا صحيحا شرعيا . قصد الواقف بهذا الوقف ابتغاء وجْه الله العظيم « فَمَنْ بَدَّلَه بَعْدَ ما سَمِعَهُ ، فإنّما إثْمُهُ على الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ، إنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

وتحت ذلك ختم الكتبخانة الخديوية .

* * *

وقد جعلنا فى كلّ جزء من أجزاء هذه الطبعة الثانية ثلاث فهارس : إحداها للآى المفسرة ، وثانيتها للموضوعات ، والثالثة للقوافى . وألحقنا بآخر الجزء الثلاثين فهرسةً جامعة للقوافى ، فى جميع أجزاء الكتاب ، ليسهل على المراجع الوقوف على ما فى التفسير من مادة شعرية غزيرة . على أن الشواهد نفسها ، تشير إلى مواضع المباحث اللغوية فى تضاعيف التفسير .

والله أسأل أن يوفق أصحاب هذه الشركة إلى مضاعفة جهدهم الفنى ، لإحياء التُّراث العِلمىّ والعربىّ ، الذى عاهدوا العالم العربىّ والإسلامىّ على إحيائه ، كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

مصطفى السقا

العجوزة فى يوم الجمعة { ٣ من ربيع الإول سنة ١٣٧٧هـ / ٢٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٧م

تم طبع تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده
والحمد لله أولا وآخرا

القاهرة فى { ١١ ربيع الأول ١٣٧٧ هـ / ٥ اكتوبر ١٩٥٧ م

[٧٠/١٠/١٥٠٠/١٩٥٧]

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

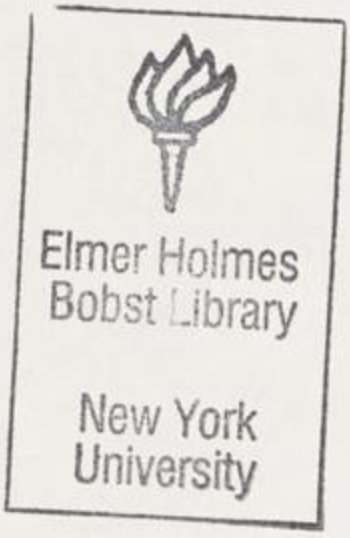
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

New York University
31142004070473